بسم الله الرحمن الرحیم

فتح الجوّاد

فی معارف

آیاتِ الجهاد

فهرست

بسم الله الرحمن الرحيم

تعارف

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. آمين

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ......سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .....اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد....اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ....

أما بعد !

1- **أولاً أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الكتاب الذي سميته ب '' فتح الجواد في معرفة آيات الجهاد'' ، والذي جزء من أجزاءه الأخرى في المجلد الأول والذي يشتمل على تفسير وتوضيح الآيات المتعلقة بالجهاد كل من سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة حتى الآية 59 على وجه التفصيل مع ذكر الواحد وثلاثين آية فيها إشارات لموضوع الجهاد على وجه الإيجاز.**
2- **قبل بدء تأليف هذا الكتاب المستطاب وفقني الله تعالى بتلاوة كلامه عدة مرات بالتدبر فاخترت أثناء ها تلك الآيات التي تختص بالجهاد أو فيها إشارات جلية أو خفية بهذا الموضوع وقسمتها في أربع فهارس تسهيلاً لمن أراد الاطلاع على ذلك من أهل العلم وطلبته بمجرد إلقاء النظر عليها.**
3- **أردت أولاً أن يحتوي المجلد الأول من البقرة إلى آخر سورة الأنفال ولكني أكملت المجلد الأول إلى المائدة لئلا يكون حجم الكتاب أكبر وأضخم لأن سورة الأنفال فيها أحكام وتفاصيل لا يسعها المجلد الأول.**
4- **قد استفدت في تأليف هذا الكتاب من التفاسير العربية والتفاسير المؤلفة باللغة الأردية المعتبرة ، وحاولت أن لا يكون نص أو عبارة من دون ذكر مرجع أو إحالة مصدر، وقد أتت الأفكار أثناء التأليف فلم أذكرها إلا بعد ما وجدت لها مؤيداً من السلف الصالح والمراجع المعتمدة مهما واجهت صعوبة شديدة في البحث عن ذلك ، فأقول ولله الحمد أن الكتاب هو موثق بالأدلة المعتبرة والبراهين الصحيحة وذلك من فضل الله وتوفيقه فله الحمد أولاً وآخراً.**
5- **إن أكثر ما استفدت من التفاسير في إعداد هذا الكتاب هي: تفسير القرطبي ، تفسير المدارك،تفسير الرازي،تفسير الآلوسي(روح المعاني) تفسير الجلالين، تفسير البحر المحيط، وتفسير ابن كثير وغيرها،علماً بأني لم أحل إلى أرقام الصفحات وذلك لتيسير البحث ضمن تفسير الآية المطلوبة.**

6- أما تفاسير الأردية فأكثر ما التقطنا منها هو تفسير الشاه عبد القادر رحمه الله المعروف بموضح القرآن،ولهذا التفسير ميزة يتميز بها عن غيره وهو أن الشيخ عبد القادر إمام لمن بعدهم في اختيار وتوضيح الآيات التي تتعلق بالجهاد ، وقد سلك مسلكه في ذلك الشيخ أحمد اللاهوري رحمة الله عليه بل قد طور منهجه وقدمه ، وخلّف للأمة ثروة عظيمة تفسيرية خاصة في تشريح مضامين الجهاد ضمن الحواشي، وقد انفرد العلامة التهانوي رحمه الله تعالى باستنباط مضامين الجهاد من الآي القرآنية بطريقة فريدة وتبحرعلمي ،وقد بذل الشيخ شبير أحمد العثماني أقصى جهده في أداء حق الشرح للآيات الجهادية فجزاهم الله تعالى خير الجزاء وأكرهم بالأجر والمثوبة الغراء ، علماً بأني قد أكثرت أخذ الاقتباسات من تفاسير هؤلاء الأربعة من المشائخ رحمهم الله تعالى والشيخ اللاهوري وقد أشرت إليها أيضاً في هذا الكتاب إشارة فقط دون بيان الشر(وقد مر معي آيات عديدة التي فيها إشارة للجهاد في رائ الشيخ عبد القادر والشيخ التهانوي ح والتفصيل لها وذلك لما أن هذه الآيات لم يذكر فيها موضوع الجهاد بالجلي والوضوح وإنما لها صلة وربط بآيات الجهاد لذلك اكتفينا بذكرها دون الخوض في البسط والتفصيل في تفسيرها وشرحها) ، وقد استفدنا من التفاسير الأردية تفسير الحقاني وهو مستفاد وخلاصة تفسير الرازي ، وأفادني تفسير الماجدي في مواضع شتى وخاصة فيما يتعلق الأمر بالتاريخ والرياضيات لأن صاحبه ذو معرفة واطلاع واسع في هذا الباب ، وإن هناك تفاسير أخرى قد راجعت إليها أثناء تأليف هذا الكتاب مثل معارف القرآن ، تفسير الفرقان، ترجمان القرآن وأنوار البيان.
ومن أراد التأكد لإحالات تفاسير الأردية فطريقته هي أن يراجع إلى ما كتب صاحب التفسير في الآية المطلوبة من الشرح والبيان لأننا لم نذكر أرقام الصفحات أو المجلدات لتعدد الطبعات واختلافها، وأحياناً قد أشرنا أن هذا الكلام قد أورده المفسر الفلاني في تفسير الآية كذا وكذا . وأكثر ما استفدنا من تفسير الشيخ عبد القادر رحمة الله عليه وإن له حقاً ومنة علينا فجعلنا لكلامه عنواناً جلياً ب '' كلام نفيس'' يعني كلام خير وبركة ، أما اسم تفسيره فهو المعروف ''بموضح القرآن '' وقد رأى بعض أهل العلم أن اسمه الحقيقي هو '' موضح قرآن '' (أي بدون ال'' وهذا اسمه التاريخي .

7- إنه لا يخفى على مسلم أن موضوع الجهاد أمر إسلامي شرعي متفق عليه بإجماع الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً وقد بسط المفسرون الكلام حول هذا الموضوع بحيث لو جمعناه في هذا الكتاب لصار موسوعة ضخمة ، وكذلك لو أوردنا جميع الأحاديث والروايات وأقوال المفسرين حول الآيات التي أخذناها في هذا الكتاب لاتسع حجم الكتاب، ولو ألفنا هذا الكتاب على منهج الوعظ والإرشاد لطال الكلام لذا تركنا ذلك كله واكتفينا بشرح وتفصيل ما تضمنته الآية من موضوع الجهاد مدعماً بأقوال أهل العلم المعتبرة في هذا الشأن ليعلم المسلم علم اليقين أن حكم الجهاد حكماً محكماً وفريضة مسلمة واضحة لا غبارعليها. أسأل الله تعالى أن يجعل هد الجهد مباركاً والسعي مشكوراً، وقد حاولنا بقدر الإمكان أن يتضح هذا الموضوع وضوحاً جلياً بحيث لا يبقى فيه أي غموض ، ولله الحمد نرى بقراءة هذا الكتاب سيزول كثير من الشكوك والشبهات التي تدور في الأذهان حول هذا الموضوع ، ولتطمئن نفوس القراء الكرام أن هذه الفريضة ليست الاختراع لبعض علماء الإسلام دون البعض بل هي فريضة محكمة واضحة صريحة مؤكدة غير منسوخة نعم إن لها شروطاً وحدوداً وقيوداً وإن لها أقساماً وأحوالاً بيَّنها أهل العلم من السلف الصالح رحمة الله عليهم ، وقد أوردنا هذه الأمور في هذا الكتاب بالتفصيل وحكم تطبيقيها وكيفية العمل بها في عصرنا الراهن .

8- إن القرآن الكريم كتاب رباني المنزل من عند الله رب العالمين من أوله إلى آخره يصدق بعضه بعضاً وهو أصدق الحديث وأحسن الكلام بلا ريب ودون أدنى شك وشبهة، يجب الإيمان بأكمله ويُحكم بالكفر من أنكر ولو آية منه ،

وتقسيمه بحيث يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه الآخر فهو طريقة الكفرة والظالمين ، إننا آمنا بالله و بما أنزل إلينا ربنا جل جلاله على سيد المرسلين محمد بن عبد الله الأمين (أفضل الصلوات عليه وأتم التسليم) بتمامه وكماله ، وليعلم القاري أن طريقة تأليف هذا الكتاب هي معروفة لدى أهل العلم ب " التفسير الموضوعي " فمنهم من ألف في الأحكام ، ومنهم من ألف في القصص القرآنية ومنهم من ألف في أسباب الترول ،ومنهم من ألف فيما يتعلق بالصلوة إلى غير ذلك من الموضوعات الخاصة، فلا يتعجب أحد في اختيارنا آيات الجهاد من القرآن الكريم جمعاً وشرحاً وافياً وذلك لأن هذه خدمة قرآنية دون أدنى شك وريب ، ولا يخفى على المسلم في عصرنا هذا من محاولات ومكر وشبهات أثيرت تجاه الجهاد الإسلامي الذي هو حكم محكم من أحكام الله وفريضة مسلّمة من فرائض الله بإجماع الأمة غير منسوخة ولا مؤولة بالتأويلات الباطلة الخادعة يخدع بها الأعداء السذجة من المسلمين ويضللونهم عن الحق والصواب ويشوهون صورة الجهاد الإسلامي الحقيقي ويقدمون لهم الجهاد غير الإسلامي المخترع من عند أنفسهم على غير طريقة السلف الصالح رحمهم الله تعالى ، فنحمد الله تعالى على ما وفقنا بجمع آيات الجهاد وشرحها لأسلافنا الصالحين رحمة الله تعالى الجميع ، فليعلم المسلم أن طاقة الكفار، ومشكلات الزمان وضعف المسلمين لا يبدل سنة الله المحكمة ، لذا نأمل من المسلمين أن يقرؤوا هذه الآيات وشرحها ثم ليفعلوا ما شاءوا ، وليعلموا أن الدين الصحيح هو الدين الإسلام الذي ارتضى لنا ربنا جل جلاله ديناً والذي جاء به نبينا خاتم النبيين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم وأثبته ﷺ بقوله وفعله . إن الدين عند الله الإسلام.

9- وقت نزول هذه الآيات التي بين يدي القاري كان المسلمون في ضعف وقلة وفي مكان محدود فقرءوا هذه الآيات ولم يتعذروا بل سارعوا إلى تطبيق أحكام هذه الآيات امتثالاً بأمر الله جل جلاله ففازوا دنيوياً وأخروياً وظهرت نتيجة جهودهم وإخلاصهم لله ولرسوله ﷺ ولدينه بحيث نحن المسلمون ثمرة جهود هؤلاء المسلمين الماضين ،رضي الله عنهم ورضوا عنه، والآن لّما نقدم إلى القراء الكرام هذه الآيات في القرن الخامس الهجري فإن المسلمين في ضعف وابتلاءات من شتى النواحي والجوانب وقد غلب عليهم الأعداء من الكفرة وغيرهم وهم أكثر عدداً وعدة من أسلافهم الماضين ، فلا يقبل عذرنا بأننا ضعفاء بعد قراءة هذه الآيات القرآنية ، بل يجب علينا المسلمين أن نعمل بهذه النسخة الإلهية المذكورة في هذه الآيات ونطبقها في حياتنا كما طبقها السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ونحصل على العزة كما حصلوا عليها من قبل ، ولا غرو أن في هذه النسخة عزة للإسلام والمسلمين ، فلنستعن بالله وندعوه أن يرزقنا إيماناً كاملاً وتوفيق العمل بأحكامه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

10- قد بدأت جمع آيات الجهاد منذ **1995**م فاخترت أول الأمر أربع مائة وستة عشر آية قرآنية (**416**) وقد تم طبعها مع الشرح والتفسير بالإيجاز باسم " تعليم الجهاد" (الجزء الرابع) ، فلما تحررت بفضل الله تعالى تيسر لي قراءة الكتب وشرح الله صدري في هذا الموضوع ووردت الفيوض التي تتعلق بالموضوع كما أنني درَّست هذا الموضوع طلبة الصفوف العليا وخاصة آيات سورة الأنفال ، وألقيت المحاضرات والدروس حول هذا الموضوع في تلك المجالس والندوات التي عقدت في كراتشي ،ومالا كند، ومردان، وكوهات فحفظ إخواننا المخلصون هذه المحاضرات والدروس في الأشرطة، فاستفدنا منها خلال ترتيب هذا الكتاب فجزاهم الله خيراً والحمد لله على ذلك ، أما بعد محاضرات كوهات لم يتيسر لي فرصة التدريس لهذا الموضوع بل قام به بعض إخواننا الكرام وبالأخص منهم ستة أشخاص يدرّسون هذا الموضوع فاستفاد من هذه الدروس إلى الآن آلاف من الطلبة الذين فهموا معنى الجهاد ومفهومه وفق فهم سلفنا الصالح رحمهم الله ، وقد أرسلت إلى هؤلاء العلماء الستة الذين يقومون بتدريس هذه الدورة

رسالة الحقتها بآخر هذا الكتاب لما فيها فائدة بإذن الله تعالى للقراء الكرام وليعلموا بقراءتها أهمية هذه الدورة وفوائدها. -**0508314972**

11- لَمَّا بلغ مضامين الجهاد وشرحها إلى مئآت الآلاف من المسلمين تأكد الأمر أن تجمع آيات الجهاد في مكان واحد ، فالحمد الله الذي وفقني له العام الماضي قبل عيد الأضحى فبدأت بالعمل ،وأعددت أولاً لآيات الجهاد فهارس ثم جمعت أقوال المفسرين وأهل العلم الواردة فيها شرحاً لها مبتدئاً من سورة البقرة ، وقد أكملت هذا العمل المبارك بمدة يسيرة حتى آخر سورة الأنفال بتوفيق الله وتيسيره ثم توقف العمل ، وإني الآن على عزم أن أبدأه مرة ثانية ابتداء من سورة التوبة إن شاء الله تعالى فآمل من القراء الكرام والقارئات الكريمات أن يشركوني بدعاءهم .

12- إنما أنا بشر يعتريني الخطأ والنسيان فأقول أنَّ ما قدمت إلى القراء الكرام هذه البضاعة الثمينة إنما هي بفضل من الله ورحمته وبدعاء والداي لي (أطال الله بقاءهما) ، فكلما توقف العمل تضرعا إلى الله وطرقا باب الرب تعالى حتى فتحت الأبواب و انزاحت العقبات أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجزيهما خير الجزاء في الدنيا والآخرة وأن يجزي كل من ساهم و عاون في إعداد هذا الكتاب أعلم بعضهم وأجهل عن البعض ولكن الله عالم بهم فتقبل يا ربي مساعيهم ووفقني وإياهم حسن التوفيق وحسن العمل فإنك شكور كريم ورب رحيم كما أرجو من القراء الكرام أن يشركوني في دعواتهم الصالحة . ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وبناته وأتباعه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً كثيراً . محمد مسعود أزهر**3**/صفر الخير **1428**هـ يوم الأربعاء .

أربع فهارس لآيات الجهاد

(1) آيات الجهاد في السور المدنية

(2) الإشارات المتعلقة بالجهاد في السور المدنية

(3) الإشارات المتعلقة بالجهاد في السور المكية

(4) قائمة آيات الجهاد التي رآها الشيخ أحمد اللاهوري رحمة الله عليه أن لها صلة بالموضوع.

بسم الله الرحمن الرحيم

جدول آيات الجهاد

البقرة (35)	آل عمران (62)	نساء (42)	مائدة (20)	أنفال (75)	توبة (129)	حج (17)	نور (4)	أحزاب (22)	محمد (38)	
109 114 153إلى 157 177 190 إلى 195 207 214 إلى 218 239 243 إلى 252 261 262 273 286	12 13 28 110 إلى 112 118 إلى 129 139 إلى 175 194 إلى 200	69 إلى 85 88 إلى 91 94 إلى 104 138 إلى 147	2 3 11 إلى 13 20 إلى 26 35 51 إلى 56 82	كامل السورة	كامل السورة	19 إلى 24 38 إلى 41 55 58 إلى 62 78	53 54 55 62	9 إلى 27 60 61 62	كامل السورة	

عددآيات الجهاد المدنية (558)

فتح (29)	حجرات (5)	حديد (4)	مجادلة (9)	حشر (17)	ممتحنة (13)	صف (14)	منافقون (11)	تحريم (1)	عاديات (8)	نصر (3)
كامل السورة	6 9 10 14 15	10 11 19 25	14إلى 22	1 إلى 17	كامل السورة	كامل السورة	كامل السورة	9	1 إلى 8	كامل السورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشارات المتعلقة بالجهاد في الآى المدنية عدد الآيات

(31)

سورة البقرة (5)	**سورة آل عمران (18)**	**سورة المائدة (8)**
30 36 58 59 89	14 15 19 26 27 55 56 81 100إلى 104 130 إلى 134	57 58 59 60 61 62 63 67

بسم الله الرحمن الرحيم

نحل (2)	بني إسرائيل (1)	كهف (15)	أنبياء (3)	فرقان (1)	نمل (24)	قصص (1)	عنكبوت (5)
110 126	81	83 إلى 97	18 44 112	52	23 إلى 46	85	2 3 5 6 69

القصص المكية والإشارات
التي تتعلق بموضوع الجهاد
عدد الآيات (70)

روم (7)	سباء (1)	صافات (3)	ص (1)	مؤمن (1)	طور (1)	مزمل (1)	بلد (1)
1 إلى 7	11	172 173 177	31	55	47	20	2

بسم الله الرحمن الرحيم

بقرة (5)	آل عمران (7)	نساء (3)	مائدة (1)	نور (1)	عنكبوت (69)	روم (60)	حجرات (18)	حديد (29)
110 187 196 219 220	14 15 130 131 132 133 134	85 110 150	32	57	كامل السورة	كامل السورة	كامل السورة	كامل السورة

الإشارات التي تتعلق بالجهاد

لدى الشيخ أحمد اللاهوري رحمة الله عليه

عدد الآيات (193)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُـــــــــوْرَةُ

البقرة

مَــــــــدنِــــــــيَّة

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

شرحنا في هذا الكتاب (35) خمس وثلاثين الآية التي تتعلق بالجهاد في سبيل الله من سورة البقرة وهي كما تلي موضحة بالأرقام:

109 - 114 - 157-153 - 177 - 195-190 - 207

218-214 - 239 - 243 - 252 - 261

262 - 273 - 286

وها هي الآيات الخمسة من سورة البقرة ذكر فيها الجهاد إشارة وكناية أيضاً. والله تعالى أعلم بالصواب.

30 - 36 - 58

59 - 89

وها هي ما تلي الآيات من سورة البقرة قد رآها المفسر الشيخ أحمد علي اللاهوري أنها متعلقة بالجهاد .

110 - 178 - 196

219 - 220

ومن أراد الاستزاد والتفصيل في هذا الباب فليراجع حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى حول هذه الآيات .

.

خلاصة موضوع الجهاد المذكور في خمس وثلاثين آية من سورة البقرة فيما يلي:

الآية[109] إن الجهاد حكم من أحكام الله تعالى أمربه عباده، وفيه قوة لدفع الباطل.

الآية[114] إن الجهاد وسيلة الحفاظ على المساجد والمعابد الإسلامية .

الآية [153] إن الجهاد من أعلى درجات الصبر وبه يتزل النصر من عند الله .

الآية [154] إن الذين قتلوا في سبيل الله هم أحياء يرزقون عند ربهم .

الآيات [155-156-157] تدل على أن البلايا لتأتين فاستعدوا لها وقوّوا أنفسكم 'كما إن فيها بشارة لمن صبروثبت واستقام على الجهاد .

الآية [177] إن الجهاد من أبواب البر، من أراد أن يكون من الصادقين والمتقين فليساهم في الجهاد .

الآية [190] أعدوا للجهاد في كل حين وقاتلوامن ثار عليكم من الأعداء .

الآية [191] اكسروا شوكة الكفر وإن قاتلوكم في الحرم فاقتلوهم .

الآية [192] جاهدوا الكفار والمشركين حتى ينتهوا من الكفر والشرك ويتوبوا إلى الله .

الآية [193] قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويأمن الإسلام والمسلمون ويكون الدين كله لله .

الآية [194] إن الحرمات قصاص .

الآية [195] أنفقوا في الجهاد سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بتركه

الآية [207] فضل من فدى نفسه في سبيل الله

الآية [214] إن الطريق إلى الجنة يعبرعلى البلايا والمحن .

الآية [215] أنفقوا على الأقارب وغيرهم وجهزوهم للغزو .

الآية [216] كتب على المسلمين القتال وهو فرض عليهم .

الآية [217] إن الجهاد ماض إلى يوم القيامة وهو خيروسيلة لوقاية الناس من الردة .(سرية ابن جحش رض)

الآية [218] إن الهجرة والجهاد من أفضل الأعمال وبهما يتقرب إلى الله تعالى .

الآية [239] كيفية أداء الصلاة أثناء الجهاد والأمر بأدائها .

الآية [243] من ترك الجهاد حذر الموت ليدركنه الموت أين ما كان ولا مفر له منه .

الآية [244] إن الجهاد في سبيل الله فرض ، فقاتلوا في سبيل الله كما أمرتم .

الآية [245] أكثروا الإنفاق في سبيل اللهجعله عليه قرضا فيضاعفه لكم أضعافاً كثيرةً .

الآية [246] إن النجاة من الظلم والحرية من الكفرة لا تأتي إلا بالجهاد .

الآية [247] ذكر فيها صفات أمير المجاهدين بأن يكون بسطة في العلم والجسم .

الآية [248] فيها ذكرمن بركات وجود الأمير وثمراته .

الآية [249] إن إطاعة لأمير واجب ، والشوق إلى لقاء الله والعاطفة الصادقة للجهاد تقويان المسلم على الجهاد .

الآية [250] أهمية الدعاء في الجهاد .

الآية [251] ذكرت فيها ثمرات الجهاد وفوائدها وحكمها .

الآية [252] النبوءة بالفتوحات

الآية [261] ذكر فيها فضل من أنفق ماله في سبيل الله .

الآية [262] شرط قبول الإنفاق في سبيل الله بأن لا يكون مناً ولا أذى .

الآية [273] ذكر فيها حق من فدى بنفسه للجهاد .

الآية [286] على المسلمين أن يغلبوا على الكفار ولذلك يجب عليهم أن يستعينوا بالله تعالى بالدعاء والتضرع إليه .

ملخص ما جاء من الإشارات المتعلقة بالجهاد في آيات البقرة الخمسة

الآية [30] أن لا يكون القتال وسفك الدماء إلا في ضوء العلم الشرعي .

الآية [36] قوله تعالى ''بعضكم لبعض عدو ،، يدل على تأكيد وقوع العداوة بين الناس وعدوه الشيطان وبين الإنسان وأبناء جنسه ، ولا بد من أن يقاوم أهل الحق الباطل وأهله .

الآية [58-59] علم من هاتين الآيتين أن بني إسرائيل أمروا بالجهاد والقتال .

الآية [89] إن أهل الكتاب كانوا يستفتحون على الذين كفروا من قبل .

وها هي ما تلي الآيات من سورة البقرة قد رآها المفسر الشيخ أحمد علي اللاهوري أنها متعلقة بالجهاد .

أرقام الآيات : [110] [187] [196] [219] [220] ومن أراد الاستزاد والتفصيل في هذا الباب فليراجع حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى حول هذه الآيات .

سورة البقرة مدينة [الآية:109]

بسم الله الرحمن الرحيم

وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ
مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩

ملخص الآية :

(1) **في هذه الآية الكريمة إخبار من الله تعالى للمؤمنين وتنبيه لهم بأن أهل الكتاب – اليهود والنصارى- يحاولون أن يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً وذلك حسداً من عند أنفسهم عليكم وعلى نبيكم صلى الله عليه وسلم سراً وعلانية .**

(2) **على المسلمين أن يتجاوزوا عن ما كان منهم من الإساءة حتى يأتي الله بأمره – وهوأمر الجهاد فقد أتى كما في سورة التوبة {{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.....}}الآية رقم(29) وأمر الله تعالى المسلمين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بأن يقووا أنفسهم بهما .**

(3) **إخبارعما سيترل أمر القتال ضد أعداء الإسلام والمسلمين ، ولا غرو أن إقامة الجهاد في سبيل الله هو سبب أمن العالم كله وبه تنتظم حياة الناس وتستقر الأمور .**

(4) **وأن لا يحزن المسلمون من قوة الأعداء ، فلما يترل أمر الجهاد وعمل المسلمون به لن يكونوا منفردين وحدين بل الله يكون ناصراً لهم ويغلبهم على أعدائهم وهو على كل شيء قدير .**

(5) **إن الجهاد أمر من أوا مر الله تعالى .**

خلاصة أقوال المفسرين في سبب هذه نزول الآية

1- نزلت هذه الآية الكريمة في اليهود .

2- نزلت في كعب بن الأشرف اليهودي

3- نزلت في حيي بن أخطب وأبي ياسر بن أخطب

4- لما الهزم المسلمون في غزوة أحد طعن فيهم اليهود ودعوهم إلى أن يرتدوا عن الإسلام فترلت الآية.

5- في هذه الآية بشارة الفتح والنصر للمسلمين المستضعفين المظلومين.

الآثار والروايات الواردة في ذلك

1-إن بعض اليهود حاولوا أن يردو المسلمين بعد إيمالهم كفاراً بتدابيرهم المختلفة وطرقهم المغرية ولم يمتنعوا عن ذلك مع فشلهم في محاولاتهم الشنيعة السيئة ، فالله تعالى شأنه نبه المسلمين على ذلك . (مستفاد من تفسير بيان القرآن)

2- عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود للعرب حسداً إذ خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا فأنزل الله تعالى فيهما . (تفسير ابن كثير)

3- من أجل سبب نزول هذه الآية الكريمة ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد بأهل الكتاب في الآية هـم أحبـار اليهـود ، ولكن كلمة أهل الكتاب عام تشمل اليهود والنصارى ويدل عليه ما يُشاهَد من مؤامرات النصارى ومخططاتهم العدائية ضـد الإسلام والمسلمين سياسياً واجتماعياً علانيةً ومكائد اليهود خفية ، فهذه كلها مظاهر العداوة للإسلام والمسلمين، وهـدفهم الأصلي من ذلك هو رد المسلمين عن دينهم واتباعهم باليهودية أو النصرانية أو على الأقل تشكيكهم في دين الإسلام.

صرح المفسرون من خلال تفسير هذه الآية أنه يجب على المسلمين أن يتنبهوا من عداوة الكفار تجاه الإسـلام والمسـلمين . (تفسير ماجدي)

4- عن كعب بن مالك أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وفيه أنزلت الآية . (كما سبق ذكره من تفسير ابن كثير)

قوله تعالى : فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ...

أي تجاوزوا وتسامحوا عن هؤلاء أهل الكتاب حتى يترل الله تعالى أمره فيهم ، قال المفسرون:إن المراد بأمره هو أمره بالجهـاد في سبيل الله ، وفيها إشارة إلى غزوة بني نضير وغزوة بني قريظة وإليك بعض ما ورد في المراجع التفسيرية في ذلك :

حتى يأتي الله بأمره . يعني قتل بني قريظة وإجلاء بني نضير . (تفسير القرطبي)

(بأمره) هو واحد الأوامر والمراد به الأمر بالقتال . (روح المعاني)

- وهو قول أكثر الصحابة والتابعين أنه الأمر بالقتال . (تفسير كبير)
- (بأمره) فيهم من القتال (جلالين)
- الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني نضير ، وإذلالهم بضرب الجزية عليهم . (كشاف)
- في هذه الآية إشارة إلى أن الله تعالى سيعاقب هؤلاء الأشرار بالقتل ويذلهم بالجزية عاجلاً غير آجـل . (بيـان القرآن)
- إن الله على كل شيء قدير . فيه إشارة بالإنتقام من الكفار ووعد للمؤمنين بالنصرة والتمكين . (روح المعاني)
- فائدة : قوله تعالى : فاعفوا واصفحوا ....الآية

هذه الآية منسوخة بقول الله عزو جل {{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَـرَّمَ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}} (سورة التوبـة: الآية/29) (قاله القرطبي في تفسيره)

إن الإمام فخر الرازي في تفسيره الكبير والعلامة الآلوسي في تفسيره روح المعاني بسطا الكلام في تفسير هذه الآية الكريمة فمن أراد التفصيل فليراجعهما .

نكتة:

في الآية التي تليها : أمر المسلمون بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرهما يفهم من ذلك أن في الأعمال الصالحة يكون تأثير القوة والغلبة فبهذين العملين (أي إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة) يتقوى المسلم ويغلب بهما على أعدائه .

قال صاحب ترجمان القرآن : إن الصلاة والزكوة يعني عبادة بدنية ومالية تقويان جماعة المسلمين نمواً ونشأةً معنوية وأية جماعة حرمت من هذين العملين تضعف وتنهار . (ترجمان القرآن)

الآيات التي تماثل هذه الآية الكريمة المذكور أعلاه (أي سورة البقرة:الآية/109) آيات البقرة: 120-217- آيات آل عمران 69:-72-100- آية المائدة : 51. آية التوبة:29 .

دعاء :إن مؤامرات اليهود والنصارى لإغواء المسلمين وتضليلهم تنتشر وتزداد بسرعة وقوة وحكم الجهـــاد مـــاض وبـــاق .
فنسأل الله تعالى أن يوقظنا المسلمين ويوفقنا للعمل بأوامره وأحكامه . آمين يا رب العالمين .

سورة البقرة مدنية الآية (114)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

الملخص:

(1) إن المساجد لله تعالى فمن أراد السعي في خرابها بأي طريق ما فهو أكبر ظالم .

(2) يجب على المسلمين أن يعمروا مساجد الله ويحافظوا على حرمتها وقداستها ولا يتأتي ذلك إلا بالجهاد والسعي المشكور .

(3) كما يجب عليهم أن يؤاخذوا كل من سعى في خرابها وذلك عن طريق الجهاد وليترعوا الحكم من هؤلاء الأشرار الذين يسعون في الأرض فساداً ويخربون المساجد، وإن استولى هؤلاء الأشرار على المساجد فليلقوا فيهم الرعب وينشئوا فيهم الخوف بالجهاد حتى ينسحبوا من حرمات الله تعالى المساجد.

(4) إن التاريخ شاهد على أن من سعي في خراب المساجد نزع منه الحكم .

(5) للذين يسعون في خراب المساجد خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم .

أقوال المفسرين:

(1) إن في الآية بشارة لفتح مكة .

(2) إن في الآية بشارة لفتح بيت المقدس.(والحمد لله قد تحقق هذان الفتحان)

(3) إن الآية تبشر المسلمين بالفتوحات.

(4) إن الآية تبشر الأمة بخروج الإمام المهدي عليه السلام.

سبب نزول هذه الآية:

(1) قالوا إن الآية نزلت في المشركين حيث صدوا المسلمين يوم الحديبية من دخول المسجد الحرم كما أخرج ابن كثير، و ابن جرير عن أبي زيد قال: هؤلاء المشركون – حين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخل مكة. (تفسير البغوي – (ج 1 / ص 138)

(2) وقالوا إن الآية نزلت في النصارى حيث خربوا المسجد الأقصى كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه فقال: إن ملك النصارى غزا بيت المقدس فخربه وألقى فيه الجيف وحاصر أهله وقتلهم وسبى البقية وأحرق التوراة ، ولم يزل بيت المقدس خراباً حتى بناه أهل الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه.

وقال الحسن وقتادة والسدي : نزلت في بختنصر حيث خرب بيت المقدس وبعض النصارى أعانه على ذلك بغضاً لليهود .

وقد أنكر أبو بكرالرازي هذا القول فقال في أحكام القرآن: لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح عليه السلام بدهر طويل والنصارى كانوا بعد المسيح فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس وأيضاً فإن النصارى يعتقدون في تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود وأكثر ، فكيف أعانوا على تخريبه .تفسير الرازي – (ج 2 / ص 293)

(3) إن الآية نزلت في شأن اليهود كما يدل على ذلك سياق الآيات السابقة أن اليهود كانوا يؤامرون ضد المسلمين ونتيجة ذلك خراب المساجد.

(4) وظاهر الآية العموم في كل مانع وفي كل مسجد. قاله الآلوسي . تفسير الألوسي – (ج 1 / ص 475)

توضيحات أخرى

(1) انظروا إلى أن من يكون أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها، فهؤلاء الساعون في خراب المساجد لا يستحقون أن يدخلوا المساجد إلا خائفين على حال الهيبة (بدل أن يخيفوا غيرهم) واعلموا أن لهم في الدنيا خزياً وفي الآخرة عذاباً عظيماً. (ترجمان القرآن)

(2) سبب نزول هذه الآية هم النصارى الذين قاتلوا اليهود وأحرقوا التوراة وخربوا القدس ، أو أهل مكة الذين صدوا المسلمين عن دخول الحرم بالبغض والعناد، ويدخل فيه كل من سعى في خراب المسجد.(تفسير عثماني)

(3) إن هؤلاء لا يستحقون أن يدخلوا المسجد إلا خائفين من المسلمين ، يعني لا يسمح لكافر بدخول المسجد إلا أن يكون محكوماً متذللاً لا طاغياً ومتمرداً ، وقيل إن الآية مصداقها كل الكفرة لأن كلهم يصدون الناس عن عبادة الله تعالى ، والمراد بالمساجد هي الأرض كلها، ولا حق للفكرة لدخول دار الإسلام إلا وفق شروط المسلمين.(تفسير ماجدي)

(4) إن في الآية بشارة لفتح مكة، فإذا حصل عليها الغلبة للمسلمين لا يدخلونها الكفار إلا خائفين ، وقد حدث هذا فعلاً لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن : لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ . صحيح البخاري – (ج 2 / ص 109) (أنوار البيان)

(5) إن تجربة العذاب ستكون يوم الآخرة أما تجربة الخزي في الدنيا فقد شاهدها الكل بمدة قصيرة ، فقد هلك الكفار والمشركون والمنافقون في الجزيرة العربية واندرست آثارهم فيها وقد صدق عليهم ما أخبر الله تعالى في المحكم التنزيل.(تفسيرماجدى)

(6) أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين : خبر بمعنى الأمر أي خيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمناً. (تفسير الجلالين)

(7) لهم في الدنيا خزي: قيل القتل للحربي ، والجزية للذمي ، عن قتادة والسدي : الخزي لهم في الدنيا قيام المهدي ، وفتح عمورية ورومية وقسطنطنية وغير ذلك من مدنهم .....ومن جعلها في قريش جعل الخزي عليهم في الفتح .(تفسر القرطبي)

(8) لهم في الدنيا خزي : أي عظيم بقتل أبطالهم وأقيالهم وكسر أصنامهم وتسفيه أحلامهم أو خراجهم من جزية العرب التي هي دار قرارهم ومسقط رءوسهم أو بضرب الجزية على أهل الذمة منهم. (روح المعاني)

نكتة فريدة:

لما نزلت هذه الآية كان الاستيلاء على بيت الله للمشركين كانوا يجولون فيها بلاخوف ولا خطر ، وكان الاستيلاء على القدس لكفرة أهل الكتاب وما كان لهم فيها أي خوف ولا خطر ، و كانت اليهود في المدينة مستقرين هنيئين يحاولون أن يردوا المسلمين عن دينهم وكانوا يتخذون التدابير في خراب المساجد ،في هذه الأحوال نزلت هذه الآية القرآنية ولم يكن بالظاهر أن يحصل للمسلمين الغلبة والاستيلاء على هذه الأمكنة المقدسة المباركة ولكن التاريخ شهد أن بعد مدة يسيرة تغيرت الأحوال فقد طهرت مكة من نجاسة المشركين و المدينة من رجس اليهود وارتج القدس بأذان المسلمين حتى صارت الطوائف الذين كانوا يخيفون المسلمين ويخذلونهم منخذلين احاط بهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله وهذا كله ليس إلا نتيجة إقامة المسلمين شعيرة الجهاد في سبيل الله ، هذا والآية هذه باقية ورسالتها دائمة فهل أحد من يتدبر فيها ويقوم برسالتها ويتمسك بشعيرة الجهاد في سبيل الله ، نسأل الله تعالى أن يبصر المسلمين .

الآيات المماثلة لها:

إن الجهاد في سبيل الله هو ذريعة ووسيلة لحماية المساجد والمراكز الدينية ، ولهذه الآية نظير وهي آية (**40**) في سورة الحج.

دعاء:

اللهم بلغ الذين هدموا المسجد البابري من المشركين ومريدي هدم القدس من اليهود والساعين من النصارى لخراب المساجد في الأندلس مصريهم السيء ومعهم الاشتراكيين الذين يحاولون تخريب المساجد في ماوراء النهر ، ووفق المسلمين للقيام بشعيرة الجهاد لحماية المساجد ولإخافة الأعداء . آمين يارب العالمين.

سورة البقرة مدنية :الآية (153)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

ملخص الآية :

يا أيها المسلمون إذا أردتم نصر الله فعليكم بالصبر والصلاة فعضوا عليهما بالنواجد .

ومعنى الصبر : الاستقامة على الشريعة وأعلى درجته الجهاد في سبيل الله

خلاصة أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة

1- استعينوا بالصبر على الذكر والشكر وسائر الطاعات من الصوم والجهاد وترك المبالاة بطعن المعاندين في أمر القبلة . (روح المعاني)

2- وفي هذه الآية إشارة إلى أن تحملوا المشاق في الجهاد و قووا أنفسكم عليه . (موضح القرآن)

3- إن الآية تشير إلى تحمل المشاق والتعب في سبيل الجهاد ، والصبرمن أعلى درجته . (تفسير عثماني)

4- ومن المفسرين من حمل الآية على الجهاد لأنه تعالى ذكر بعدها ‘‘ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتا،، (تفسيركبير)

5- ,, إن الله مع الصبرين‘‘ جملة توحي إلى أن النصر من عند الله و كلمة ‘‘ مع ‘‘ يقتضي النصرة . (راغب ، تفسيرماجدي)

إن لهذه الآية الكريمة ربطاً وعلاقة بما بعدها من الآيات الأربعة

ومن أراد فهم هذه العلاقة فإليه ما يأتي :

1- إن النصر من عند الله ومعيته الخاصة يتأتان بالصبر والصلاة ، وأعلى درجة الصبر هو ,, الجهاد في سبيل الله ،، فمن قتل في سبيل الله أكرمه الله بحياة خاصة لا يساويها شيء من نعم الدنيا الغالية ، ولكن من أراد أن يحصل على مترلة الشهادة فليتحمل الابتلاء ات في سبيله ، والسعادة لمن استقام فيها وثبت عليها .

2- قد يشكل على القاري فهم الآية فيقول لوكان معية الله تعالى مع المسلمين لما قتلوا في الحرب ولم يحرموا من نعم الدنيا ، وأيضاً لوكان الله معهم لما ابتلوا بالبلايا والمصائب ؟

يقال له إن الذين قتلوا في سبيل الله فقد أكرموا بحياة طيبة لا يستطيع معرفة لذهًا وطمانينتها أهل الدنيا كلهم ، و من المجاهدين الذين ما قتلوا وأصيبوا بالبلايا والمصائب فلهم أجر عظيم عند رهبم سيجدونه بما صبروا على المصائب والبليات وهي التي تزيدهم أجراً وثواباً عند رهبم . والله تعالى أعلم .

إن الآية (177) من سورة البقرة تماثل الآية المذكورة أعلاه ، فهي تدل على أن أعلى درجة الصبر هو الثبات على الجهاد في سبيل الله .

نسأل الله تعالى أن يفرغ علينا صبراً كما يحبه ويثبتنا على الصلاة كمايحبها . آمين يا رب العالمين .

سورةالبقرة الآية (154)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

ملخص الآية :

1- إن الموت في سبيل الله ليس موتاً بل هو حياة طيبة لا يكدرها حزن ولا هم ، فينبغي للمسلمين أن لا يخافوا الموت أبداً.

2- إن الذين قتلوا في سبيل الله هم شهداء أحياء ولكن لا تشعرون بحياتهم ، إن مستوى حياتهم عالية جداً فلا تصل معرفتكم الناقصة إلى كنه تلك الحياة العالية فما عليكم إلا تؤمنوا بحياتهم الفاضلة .

3- لماحولت القبلة من القدس إلى بيت الله الحرام تجرأت اليهود على العداوة للإسلام والمسلمين علانية ، وكان المسلمون آنذاك ضعفاء واليهود أصحاب القوة والأسلحة أضف إلى ذلك بما أعانهم المنافقون ضد الإسلام والمسلمين، فخاف المسلمون تجاه دينهم بأنه في مركزه الأول يواجه هذه المشاكل الهامة والعداوات الضارة فماذا سيكون مصيره ؟ فقيل لهم لا تخافوا ولا تحزنوا فإن لله تعالى يكمل دينه ويظهره على الدين كله كما أرسل رسولاً منكم وما أحبه اليهود ، فاستعينوا بالصبروالشكر والذكر والصلاة وادخلوا في السلم كافة وانفروا في سبيل الله ، فمن قتل في سبيل الله يجد حياة طيبة ، ومن أوذي في سبيل الله هدي إلى صراط مستقيم وأعطي بأجر عظيم ، فلما نزلت هذه الآية صاروا كالصخرة ثباتاً واستقامة ، حتى رأت الدنيا تقلص اليهود وانتشار الإسلام في أكثر بقاع الأرض ، فطهر الله سبحانه وتعالى قلوب المسلمين من خوف الموت ، وهذه حقيقة من لا يخاف الموت بل يأتي إليه لا يقاومه أحد . والله تعالى أعلم .

خلاصة أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة

1- نزلت الآية في شهداء بدر . (روح المعاني)

عدد هؤلاء أربعة عشر ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار ، وها هي أسماء شهداء بدر من المهاجرين :

عبيد بن الحارث بن عبد المطلب ،عمير بن ابي وقاص ، ذو الشمالين ، عاقل بن بكير، مهجع بن صالح ، صفوان بن بيضاء رضي الله عنهم .

وأسماء شهداء بدر من الأنصار كما تلي:

سعد بن خيثمة ، مبشر بن عبد المنذر ، يزيد بن الحارث ، عمير بن الهمام ، رافع بن معلى ، حارثه بن سراقة ، معوذ بن عفراء ، عوف بن عفراء رضي الله تعالى عنهم . (تفسير كبير وسيرت المصطفى)

2- قال بعض المفسرين لما بدأ المسلمون بالجهاد قال المشركون والمنافقون إن هؤلاء يقتلون أنفسهم طلباً لمرضاة محمد (ﷺ) كما في تفسير الكبير للإمام الرازي فقال: وعن آخرين إن الكفار والمنافقين قالوا : إن الناس يقتلون أنفسهم طلباً لمرضاة محمد (ﷺ) من غير فائدة فترلت هذه الآية . (تفسير كبير)

3- لما استشهد بعض المسلمين في غزوة بدر قال الكفرة إن هؤلاء (أي المسلمين) ضيعوا شبابهم وحرموا من متعة الحياة بلا فائدة ، ففي هذه الآية الكريمة رد عليهم أنكم ترون هؤلاء المقتولين أمواتاً بل أحياء يتمتعون بحياة كريمة ، إن الحياة البرزخية عام للجميع ولكن فيها ميزة خاصة للشهداء أقوى و أحسن من غيرهم . (تفسير ماجدي)

ملاحظة:

مسئلة حياة الشهداء ذكرت في سورة آل عمران الآية (**169**) بالتفصيل فسنذكرها بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

نكتة :

بعد ذلك لم يخف المسلمون الموت حتى نشروا دينهم في العالم كله لأنهم كانوا رغبوا في الشهادة ، وقاموا أمام كل عقبة آتية في سبيل الدعوة بلا خوف وخطر فبالتالي انتشر دينهم بخلاف اليهود قد دخلوا حصونهم محافظين على حياتهم فانكمش دينهم ،فالأسف الشديد انعكس الأمر في هذا العصر بحيث أن المسلمين لزموا بالبيوت حتى صاروا ضعفاء وقام الكفار يحاربونهم فصاروا أقوياء، فعلى المسلمين أن يعتبروا بهذه الآية وينهوا ضعفهم . نسأل الله تعالى أن يوفقنا المسلمين بأجمعهم للثبات على أوامره إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الآيات المماثلة لهذه الآية:

إن في القرآن الكريم آيات أخرى جاءت فيها فضائل الشهداء الكرام مثلاً: سورة البقرة: **207**،آل عمران : **140**، **157**، **158**، **169**، **170**، **171**، **195**– سورة النساء : **74**،**69**،سورة التوبة : **111**– سورة الحج : **58**–**59**، سورة الزمر –**68** – سورة محمد (ﷺ) **4**–**5**–**6**– سورةالحديد : **19**– .

دعا:

يا رب العالمين إن الشهادة في سبيلك سعادة عظيمة فأكرمنا بها ، إننا آمنا بهذه الآية وبجميع كلامك ، فارزقنا رضوانك واجعلنا من الشهداء المقبولين لديك أنزلت ذكرهم في كتابك . آمين يا رب العالمين .

سورة البقرة: مدنية : الآيات: (155-156- 157)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

ملخص الآية:

1- في الآية السابقة كان ذكر الشهداء الذين حصلوا على أعلى مرتبة الصبر ، وفي هذه الآية إخبار المسلمين على وجه العموم بأن الأذى والمصيبة ستصيبهم حيناً بعد حين ، وسيبلون بها هل يصبرون عليها أم لا ؟ وليس من السهل أن يدخل أحد في زمرة الصابرين لذلك جاء التنبيه على ذلك من قبل . (تفسير عثماني)

2-أولاً جاءت إشارة الجهاد ثم تبعتها فضيلة الشهادة ، والآن في هذه الآية الكريمة ينبه على أن طريق الجهاد والشهادة ليس سهلاً لتأتين فيه البلايا والمصائب فمن صبر عليها أولئك لهم بشارة ورحمة من ربهم وألئك هم المهتدون .

3-في الآية الكريمة إخبار بأن أهل الحق يبتلون بالمحن والمصائب قد يبتليهم الله بها ، وليست لهم عقوبات بل إنها سبب لرفع درجاتهم وعلو مراتبهم وامتحان لصبرهم وثباتهم فلا يغتر بها أهل الباطل أنهم على الحق .

خلاصة أقوا ل المفسرين في هذه الآية الكريمة :

1- الخطاب عام لسائر المؤمنين وقيل للصحابة فقط وقيل لأهل مكة فقط . (روح المعاني) القول الأول هو الراجح .

2- إن هذه المحن لا يجب أن تكون عقوبات لأنه تعالى وعد بها المؤمنين من الرسول وأصحابه ، إن هذه المحن إذا قارنها الصبر أفادت درجة عالية في الدين . (تفسير كبير)

3- (من الخوف) أي خوف العدو والفزع في القتال . قاله ابن عباس .(قرطبي)

4- (ونقص من الأموال): بسب الاشتغال بقتال الكفار . (قرطبي)

5- ((والأنفس)) قال ابن عباس : بالقتل والموت في الجهاد . (قرطبي).

الآيات التي تشابه هذه الآية:

إن أهل الإيمان يبتلون بالمحن والمصائب وذكر هذا المضمون في الآيات التالية :

سورة البقرة: 214- 249- سورة آل عمران : 141- 142- 146- 154- 186- 195- ، سورة التوبة : 16- سورة العنكبوت : 2-3- سورة الأحزاب : 11- سورة محمد (ﷺ) : 31-

الآيات الأخرى التي لها ربط بالموضوع :

سورة العنكبوت : 10- سورة الحج : 11-

دعاء :

إن الصبر على الأحوال الصعبة والثبات عليها والاستقامة بالمبادئ الإسلامية في الحالات المخالفة أمر صعب ، فنسأل الله تعالى أن يعافينا ويرزقنا الصبر والثبات والاستقامة إنه ولي ذلك والقادر عليه . آمين يا رب العالمين .

سورة البقرة مدنية : الآية (177)

بسم الله الرحمن الرحيم

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

ملخص الآية:

1- في هذه الآية الكريمة ذكرت ستة عشر من الأحكام المهمة بما فيها الجهاد بأن يصبر المسلم حين البأس في سبيل الله .

2- إن أعمال البر والخير لا تتم إلا بالصبر على الشدائد .

3- إن من أراد أن يكون من الصادقين والمتقين فعليه أن يثبت أقدامه حين البأس مع الإتصاف بالصفات الأخرى المذكورة في هذه الآية الكريمة .

سبب نزول الآية :

1-في هذه الآية الكريمة يتوجه الخطاب إلى اليهود والنصارى لانهم اختلفوا في اتجاه القبلة، فاليهود إلى المغرب قبل بيت المقدس، والنصارى إلى المشرق مطلع الشمس، وتكلموا في تحويل القبلة وفضلت كل فرقة توليتها، فقيل لهم: ليس البر ما أنتم فيه، ولكن البر من آمن بالله....

وحسبوا أن هذا التوجه هو دين كامل فقيل لهم إنه ليس البر (أي الدين الكامل) بأن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر........الآية وذكرت في الآية مجموعة من العقائد الإسلامية والصفات الخلقية التي تبين أن هذه الأعمال هي التي تهدي الإنسان إلى الهداية وتضمن له المغفرة ، وقد ابتدأت الآية الكريمة بالإيمان بالله واختتمت بذكر الصبر والثبات عند القتال والبأس وما بينهما من أحكام أخرى وهي أربعة عشر حكماً.

2-قال قتادة: ذكر لنا أن رجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر، فأنزل الله هذه الاية.

المستفاد من الآية الكريمة:

إن كل فرقة باطلة كاليهود والنصارى ترى بعض التقاليد والرسوم والشعار والأمكنة ديناً كاملاً وتغفل عن العقائد والأعمال واصلاح الأخلاق، ويتبعهم الآن فرق المسلمين الباطلة بحيث يرون بعض الأماكن والمزارات وبعض التقاليد دينا كاملاً يضمن لهم النجاح والفلاح حسب زعمهم الباطل، فعليهم أن يتدبروا في هذه الآية الكريمة التي هي معيار الحق ، وليحاسبوا أنفسهم في ضوءها وليقوموا بإصلاح حالهم وفق التعليمات الربانية الواردة في هذه الآية المباركة .

ما يتعلق بالجهاد في الآية المباركة :

إن كلمة ''حين البأس'' تدل على فضل الجهاد وأهميته بالوضوح وإليك بعض أقوال المفسرين في ذلك.

1- حين البأس : أي وقت الحرب .(قرطبي)

2- وحين البأس : وقت شدة القتال في سبيل الله . (جلالين)

3- وحين البأس : أي في حال القتال والتقاء العدو . قاله ابن مسعود وابن عباس وأبو العالية ومرة الهمداني ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حبان وأبو مالك والضحاك وغيرهم .(تفسير ابن كثير)

4- وحين البأس : أي وقت القتال وجهاد العدو وهذا من باب الترقي في الصبر من الشديد إلى الأشد لأن الصبر على المرض فوق الصبر على الفقر والصبر على القتال فوق الصبر على المرض (روح المعاني)

أقوال المفسرين :

1- قال قتادة: ذكر لنا أن رجلا سأل نبي الله صلى الله عليه وسلم عن البر، فأنزل الله هذه الاية. (قرطبي)

2- وقال الربيع وقتادة أيضاً الخطاب لليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في التوجه والتولي ...الخ (قرطبي) (وقد سبق بيانه في سبب نزول الآية)

3- قيل للمسلمين أن لا يتثبطوا عن القتال بل يتثبتوا ويصبروا حين البأس.(بيان القرآن)

فائدة:

وفي الرقاب ،،ذكرالله تعالى في هذه الآية الكريمة أن من صفة الصادقين والمتقين أنهم ينفقون في وجوه الخير (كما ذكرت في الآية .

ومنها:

الرقاب، يعني ينفقون أموالهم في تحرير الرقاب ، يدخل فيه المسلمون من المجاهدين وغيرهم أسرهم الكفرة والأعداء على وجه الخصوص فقال القرطبي رحمه الله :

قال مالك رحمه الله : يجب على الناس فداء اسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم وهذا اجماع أيضاً . (تفسر قرطبي)

وقال السيوطي رحمه الله تعالى: الرقاب . المكاتبين والأسرى . (جلالين)

نقول إن في زمننا لا توجد الرقاب والعبيد فعلى المسلمين أن ينفقوا في تحرير أسرى المسلمين وسجناءهم المظلومين لدى الكفار وأعداء الإسلام .

وستأتي تفاصيل هذه المسئلة في مكان آخر .

نكتة:

إن كلمة ''حين البأس'' كلمة مختصرة ولكنها بالغة في الأهمية ، فإن الثبات عند القتال ليس بميسور يحتاج إلى الصبر والاستقامة ، لذلك ذكر الله تعالى أهميته بكلمة '' حين البأس'' كما أكد أهميته (أي أهمية الصبر والثبات) في سورة الأنفال قائلاً: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُو..الآية(45) ووبخ الذين يفرون من ميدان الجهاد مولياً فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16) كما إنه تعالى ذكر محبته للذين يصبرون ويثبتون حين البأس وعند القتال، فقال تعالى في سورة الصف : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (4) ووبخ المنافقين الذين جبنوا في القتال وولوا أدبارهم ففي سورة الأحزاب قال تعالى: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (15) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (16) .

ثم بين سبحانه وتعالى تفصيل هذه المسئلة (أي الثبات والصبر) في سورة الأنفال : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65)

الْآَنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66) كما إن الله تعالى شأنه ذكر في عدة مواضع من القرآن الكريم صفة الكفار والمنافقين والشيطان بأنهم يولون مدبرين كما في سورة آل عمران : لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111) وفي سورة الحشر: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (11) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (12) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (13) ، وفي سورة الأنفال: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48) وقال تعالى في سورة التوبة : لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57)، وقال تعالى في سورة الفتح : وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (22).

فاتضح من خلال هذه الآيات أن الثبات والصبر حين البأس وعند القتال أمر مهم لا غنى عنه لمسلم غيور على دينه ، فيجب على كل مؤمن أن يتصف به ويستعيذ بالله من الجبن .

ومن أراد أن يتصف بهذه الصفة العظيمة فليعمل بما يأتي :

(1) أن يحب لقاء الله تعالى

(2) أن يؤمن بأن الجهاد فريضة إسلامية محكمة وعبادة عظيمة .

(3) أن يستعد له استعدادا يناسب الحال والمكان والزمان .

(4) أن يجتنب حب الدنيا وحب المال وأن لا يبخل .

(5) أن يذهب إلى أمكنة الجهاد والقتال .

ومن أراد تفصيل هذه المسئلة فليراجع كتب الجهاد فلا يسع هذا المكان تفاصيلها .

دعاء

اللهم ارزقنا التحلي بالصفات المذكورة في الآية الكريمة وثبت أقدامنا عند القتال ، واكثر في الأمة من الصادقين والمتقين الذين يصبرون في البأساء والضراء وحين البأس ويثبتون عند ذلك . آمين يا رب العالمين.

سورة البقرة مدنية : الآية {190}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠

الملخص:

أيها المسلمون قوموا ضد من يحاربكم واستعدوا للقتال في سبيل الله في كل حين كالجنود في المعسكر إلا أن لا تعتدوا الحدود فتقتلوا من لا علاقة له بالقتال من النساء والصبيان والشيخ الكبير، ولا تقاتلوا رياءً وسمعة أو لعصبية وقومية فليكن قتالكم لله تعالى خالصاً له .

سبب نزول الآية:

(1) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع عامه القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش بذلك وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فأنزل الله تعالى هذه الآية التي حرضت المؤمنين على القتال وأن لا يخافوا المشركين وأن لا يتحرجوا في القتال.(قرطبي،ابن كثير،بيان القرآن،روح المعاني)

وذلك كان في ذي القعده عام 6هـ وصالحوه بموضع الحديبة و قد بايع النبي ﷺ أصحابه على القتال وعرفت هذه المبايعة ببيعة الرضوان .

(2) وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه للعمرة وكانوا ألفا وأربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فصالحهم على أن يرجع عامه ذلك على أن يخلوا له مكة عام قابل ثلاثة أيام فيطوف بالبيت فلما كان العام القابل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش بما قالوا وأن يصدوهم عن البيت الحرام وكره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله تعالى { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } يعني محرمين { الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } يعني قريشا { وَلا تَعْتَدُوا } فتبدءوا بالقتال في الحرم محرمين { إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } رواه مسلم: في الجهاد – باب: تأمير الإمام الأمراء على البعوث ... برقم (1731) 3 / 1357.

ربط الآية بماقبلها :

إن الإمام الرازي ذكر ربط هذه الآية بما قبلها قائلاً: ثم لما أمر بالتقوى أمر في هذه الآية بأشد أقسام التقوى وأشقها على النفس وهو قتل أعداء الله فقال: وقاتلوا في سبيل الله .

(تفسير كبير)

الحث على الجهاد عن طريق الغيرة وبأسلوب بديع

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى

إنما هو تَهْييج وإغراء بالأعداء الذين هَمّتْهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فقاتلوهم أنتم أي: لتكن همتكم منبعثة على قتالهم، كما أن همتهم منبعثة على قتالكم.

ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة وقال ابن كثير رحمه الله : وفيه نظر، لأن لوكانت منسوخة يقول تعالى: لا تقاتلوهم عند المسجد الحرام إلا أن يَبْدَؤوكم بالقتال فيه .(تفسير ابن كثير)

قول:

رأى بعض المتقدمين أن هذه الآية هي أول آية نزل فيها حكم الجهاد كما روي عن أبي العالية قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة . (ابن كثير– قرطبي) ورأى الأخرون أن الآية الأولى هي آية الحج.

وقد حكى عن أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، أن أول آية نزلت في القتال بعد الهجرة، { أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا } الآية [الحج: 39] وهو الأشهر وبه ورد الحديث.

قاتلوا في سبيل الله : فيها أقوال:

1– أي قاتلوا في طاعته وطلب رضوانه . (تفسير كبير)

2– أي جاهدوا لإعزاز دين الله وإعلاء كلمته . (روح المعاني)

3– أي لإعلاء دينه . (جلالين)

المقاتلة في سبيل الله : هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين { الذين يقاتلونكم } الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين .

وعلى هذا المعنى يكون منسوخاً بقوله : { وَقَاتِلُواْ المشركين كَافَّةً } [التوبة : 36] .

ولكن رأى أكثر المفسرين أن هذه الآية محكمة فقالوا أن المعنى :

(1) أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة (من الشيوخ والصبيان و الرهبان والنساء)

(2) أو الكفرة كلهم لأنهم جميعاً مضادّون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم ، فهم في حكم المقاتلة ، قاتلوا أو لم يقاتلوا . (الكشاف للزمخشري)

ويتثنى منه بعض الكفارمن الذمى والمعاهد و من ليس له علاقة بالقتال نحو الصبيان والرهبان والنساء والشيوخ .

{ وَلاَ تَعْتَدُواْ } فهذا يحتمل وجوها على تقدير أن الآية ليست منسوخة.

منها أن يكون معنى (لا تعتدوا)

(1) أي لا تعتدوا بقتال النساء والصبيان والرهبان والشيخ الفاني أو الذين ليس لهم علاقة بالقتال .

(2)لا تعتدوا أي بالقتال مفاجأة من غير تقديم دعوة .

(3) لا تمثلوا بالمقتولين.

(4) لا تحرقوا الأشجار ولا تقتلوا الحيوانات بدون مصلحة حربية أما إذا كان مصلحة حربية فلا بأس .

(5) لا تغلوا في الغنيمة .

(6) ولا تبدؤا في الحرم بقتال من نهيتم عن قتاله من الذين بينكم وبينهم عهد.

(قرطبي ،تفسير كبير،ابن كثير،روح المعاني ، تفسير عثماني)

وإن النساء إن قاتلن قتلن، قال القرطبي رحمه الله :

وللمرأة آثار عظيمة في القتال، منها الامداد بالاموال، ومنها التحريض على القتال، وقد يخرجن ناشرات شعورهن نادبات مثيرات معيرات بالفرار، وذلك يبيح قتلهن، غير أنهن إذا حصلن في الاسر فالاسترقاق أنفع لسرعة إسلامهن ورجوعهن عن أديانهن، وتعذر فرارهن إلى أوطانهن بخلاف الرجال.

والقتال لا يكون في الصبيان ومن أشبههم، كالرهبان والزمنى والشيوخ والاجراء فلا يقتلون إلا أن يكون لهؤلاء إذاية فيقتلون .

وكان عمر بن عبد العزيز لا يقتل حراثا، ذكره ابن المنذر.

إن بعض المفسرين قالوا : معنى "لا تعتدوا " أي لا تعتدوا في القتال لغيروجه الله كالحمية وكسب الذكر بل قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم يعني ديناً واظهاراً للكلمة . (قرطبي)

قال المفسرماجدي : إن كلمة "اعتداء " تشمل جميع الاعتداءات فالنهي عن جميعها .(تفسير ماجدي)

فوائد:

الفائدة الأولى : فهم الآية المذكور بمعنى أن قاتلوا من يقاتلوكم ولا تقاتلوا من لا يقاتلونكم ابتداءً فاطمأنوا ولا حاجة لكم لإعداد القتال فهم خاطئ لأن هذا أمر مسلَّم أن من لا يُعد للقتال لا يستطيع أن يقاتل ، فالمراد من الآية أن يستعد المسلم على كل حين كالجنود المجندة في المعسكر مستعدة للقتال على كل حين .

(قاله المفسر أحمد علي اللاهوري رحمه الله تعالى)

الفائدة الثانية: كون الجهاد والقتال " في سبيل الله" قيد عظيم الشأن جليل القدر في تاريخ الحروب ، إن في كل زمان ومكان حروباً تتعدد مقاصدها وتتنوع أهدافها ، منها للمال،أو للمرأة ، أو للأرض أو للشعب والقوم أو للوطن والدولة إلى غير ذلك من الأهداف والأغراض الدنياوية ، بينما يمتاز الجهاد الإسلامي من سائر الحروب والمقاتلات أن هدفه الأصيل أنه لله وفي سبيل الله ولوجه الله ، لقمع الشرك وإعلاء كلمة التوحيد ، ودين الحق ، والنصرة له ، وإزالة الحكم الإنساني من البشرية وإقامة الحكم الإسلامي الإلهي ،بحيث لا يكون فيه السلطة والحاكمية إلا لله دون لفرد أو مجموعة من الأفراد ، يؤخذ فيه من الظالم حق المظلوم .

القتال: ليس في الإسلام فقط بل ذكر في الإنجيل أكثر من عشرين مرة ، وتاريخ اليهود مليئة بالقتال والقتال ، والحروب الصليبية وحروب المسيحيين فليس لها نظير في العالم ما أكثروا من سفك الدماء وإراقة دم الأبرياء ، ولا يخفى على من له إلمام بالتاريخ أن هناك فرق كبير بين فاتحي المسلمين وفاتحي المسيحيين في العدل والظلم ولين الجانب تجاه المقابل وقسوته ، فاعترف كتاب المسيحيين بعدل فاتحي المسلمين واحترازهم من الظلم والاعتداء .

نكتة: يفهم من سياق هذه الآية وكلام المفسرين أن الجهاد محافظ للحج وبينهما مناسبات عديدة و ارتباطات جلية .

دعاء : يا ربنا لا يخفى عليك أن جنود الكفار دخلوا بلاد المسلمين ويحاربون الإسلام والمسلمين ، فارزقنا الامتثال بأمرك الذي ورد في هذه الآية ووفقنا لما تحب وترضى . آمين يا رب العالمين.

سورة البقرة مدنية الآية (191)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾

الملخص:

أي واقتلوهم حيث بصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم لأنهم يريدون قتلكم واستئصالكم { وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ } وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة، فقال: أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم ، واعلموا أن ثباتهم على الكفر وإغراءهم الناس بالكفر هي فتنة أعظم و أشد من القتل في الحرم وحدوده ، فيجب على المسلمين أن يطهروا بيت الله من الكفار والمشركين ،و يأيها المسلمون ! لا تبدؤا بالقتال معهم في الحرم وحدوده إلا أن يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فيه ابتداء فاقتلوهم وهذه عقوبة للكافرين .

أقوال المفسرين:

(واقتلوهم)الخطاب في واقع على النبي ﷺ ومن هاجر معه وإن كان الغرض به لازماً بكل مسلم . (تفسيركبير)

قال الإمام الرازي:

(واقتلوهم) ''هم'' عائد إلى الذين أمر بقتلهم في الآية الأولى وهم الكفار من أهل مكة فأمر الله تعالى بقتلهم حيث كانوا في الحل والحرم وفي الشهر الحرام . (تفسير كبير) وقال الرازي : الثقف وجوده على وجه الأخذ والغلبة .

قال العلامة عبد الرشيد النعماني : ثقفتموه مأخوذ من ثقف ومعناه وجود شيء والغلبة عليه . (لغات القرآن للنعماني)

وقال القرطبي : وفي هذا دليل على قتل الأسير . (قرطبي)

وقوله تعالى (من حيث أخرجوكم) أي من مكة فأخرجوهم من مكة .

وقال الآلوسي : والمراد افعلوا كل ما تيسر لكم من هذين الأمرين في حق المشركين . يعني اقتلوا المشركين أو اخرجوهم من مكة فافعلوا ما تيسر لكم .

والفتنة أشد من القتل: يفهم منه أن كون الكفرة أقوياء فتنة هي أشد من القتل .

والكلام على الفتنة سيأتي بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

أقوال أخرى تتعلق بفهم الآية:

1- **في الآية الكريمة جواز لقتال المشركين ابتداءً إن توفرت الشروط . (بيان القرآن)**
2- **إن في جزيرة العرب بما فيها الحرم لا يجوز للكفار أن يتوطنوا بها ولو أرادوا ذلك بالقوة جاز للمسلمين أن يقاتلوهم خارج الحرم ابتداءً ، أما بداخله فلا يبدءوا بالقتال معهم بل يضيقوا عليهم ليخرجوا منه ، فإن لم يخرجوا فعلي المسلمين أن يبدؤوهم بالقتال .**
3- **جاز القتال عند الجمهور من أهل العلم في الأشهر الحرم (وهي محرم ،رجب، ذو القعده وذو الحجة)، أما الآيات التي ورد فيها النهي عن القتال في أشهر الحرم فهي منسوخة ، و الأفضل هو أن لايبتدأ بالقتال في الأشهر الحرم . (بيان القرآن)**
4- **إن كفار العرب إن لم يسلموا فلهم القتل لا غير ، فلو أرادوا دفع الجزية لا تقبل منهم . (بيان القرآن)**

فائدة: استفادت من الآيات السابق ذكرها : (1)

(أ) لا يستثنى مكان من القتال في سبيل الله .

(ب) لا يستثنى مسلم من الجهاد في سبيل الله (إلا بعذر) .

من عكف في بيت الله الحرام ذاكراً لله ، عابداً له ، يريد أن يبلغ درجة الاحسان بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق لا يستثنى من الجهاد عندما نشبت الحرب بداخل الحرم فإن لم يقاتل هذا العاكف العابد فمن يقاتل عنه ؟ يجب عليه أن يقاتل هو بنفسه ويستعد للقتال على كل حين .

قال تعالى : **أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لايستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين**. (سورة التوبة:19)

(مأخوذ من تفسير الفرقان)

(2) اتضح مما سبق أن الغرض من الجهاد هو إعلاء كلمة الله ، فليكن القتال مع الذين يحاربون الإسلام ويريدون إطفاء نوره فيجب قتلهم على الفور بلا مهلة فلو تركتموهم ليتسلحون ويتقوون ضد الإسلام والمسلمين .

(3)إن الوراث الحقيقي لبيت الله الحرام هم المسلمون لأنهم متبعوا ملة أبيهم إبراهيم إبراهيم كماقال تعالى: إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا . (آل عمران:الآية/19) ، فأخرجهم الكفارمنه واستولوا عليه ، فعلى المسلمين أن يخرجوا الكفار من بيت الله ومن كل بيت بناه نبي من أنبياء الله على وجه الأرض لأن المسلمين هم ورثة الأنبياء حقاً وصدقاً وهم شهداء على الناس وهم أتباع نبيهم ورسولهم الذي أرسل إلى كافة الناس كما قال تعالى: وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيراً ، وهم الذين لقبهم الله تعالى بخير الامة حيث قال : كنتم خير أمة أخرجت للناس ، فيجب عليهم أن يستولوا على بيت الله الحرام أولا ثم بيوت الله الأخرى بنيت على أيدي الأنبياء الآخرين ورسل الله عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

(تفسيرمعارف القرآن)

(4)قال ابن كثيررحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : يعني بذلك صلوات الله وسلامه عليه قتاله أهله يوم فتح مكة فإنه فتحها عنوة وقتلت رجال منهم عند الخندقة .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَامَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ فَلَمَّا نَزَعَهُ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنَّ ابْنَ خَطَلٍ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ اقْتُلُوهُ. (رواه البخاري ومسلم)

قال الإمام الرازي: ولهذا السبب أجلي رسول الله تعالى عليه وسلم كل مشرك من الحرم ثم أجلاهم أيضاً من المدينة وقال عليه الصلاة والسلام لا يجتمع دينان في جزيرة العرب . (تفسير كبير)

فعلم من هذه الأقوا ل وغيرها أن مكة فتحت ببركة الجهاد واستولى عليها المسلمون ، كما إن جزيرة العرب طهرت من المشركين عن طريق الجهاد وأقيمت دولة مسلمة أولى بالجهاد . ولله الحمد والمنة .

سورة البقرة مدنية الآية: (192)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢﴾

الملخص :

فإن انتهوا عن الكفر والشرك بالإيمان (فلا قتال معهم) فإن الله غفور رحيم (ما عدا مشركي العرب لو خضعوا للإسلام وأعطوا الجزية فلا يكون القتال معهم) .

خلاصة أقوا ل المفسرين :

1- قال ابن عباس : فإن انتهوا عن القتال ، وقال الحسن : فإن انتهوا عن الشرك . (تفسير كبير)

2- فإن انتهوا عن الكفر بالتوبة منه كما روي عن مجاهد وغيره أو عنه وعن القتال كما قيل . (روح المعاني)

3- فإن انتهوا أي عن قتالكم بالإيمان فإن الله يغفر لهم جميع ما تقدم ويرحم كلا منهم بالعفو عما اجترم . (قرطبي)

4- فإن انتهوا عن الكفر بعد بدء القتال وأسلموا غفر الله لهم جميع ما قد سلف و يرحمهم بإسباغ عليهم نعمه الكثيرة . (بيان القرآن)

5- مع ذلك لو آمنوا يقبل التوبة عنهم . (موضح القرآن)

6- فإن انتهوا عن عقائد الكفر والشرك وليس عن القتال فحسب لأن الكفر والشرك حملهم على القتال وهو المرض الأصلي ، ومن حمل معنى الانتهاء عن القتال فقط من المفسرين الجدد فقد أخذ قولاً ضعيفاً .

(تفسير ماجدي)

دعاء :

اللهم وفقنا للجهاد ينكسر به الكفر ويتوب الكفار عن الكفر والشرك ويتوجهوا إلى قبول الإيمان. آمين يا رب العالمين

سورة البقرة مدنية الآية (193)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

الملخص:

قاتلوا المشركين حتى تنكسر شوكتهم وتزول سلطة الشرك والكفر ويكون الدين قائماً يعمل به فلا عدوان إلا على الظالمين .

ربط الآية بما قبلها:

ذهب أكثر المفسرين إلى ربط هذه الآية بما قبلها من الآيات الثلاث ، وخصصوها بجزيرة العرب ، وحملوا معنى الفتنة على الشرك ، يعني قاتلوا مشركي جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها شيء من الشرك وتكون هذه الجزيرة خاصة لعبادة الله تعالى بحيث لا يعبد فيها أحد سواه .

قال المفسر عبد الماجد الدريابادي رحمه الله تعالى : مرجع ضمير '' قاتلوهم '' إلى أين ؟ ومع من يكون القتال ؟ يحتمل أن يكون القتال مع الكفار على الإطلاق ويحتمل أن يكون مع مشركي العرب، وذهب الأحناف وأكثر التابعين إلى أن المراد بالقتال مع مشركي مكة : قال القرطبي رحمه الله : ومن رآها ناسخة قال المعنى قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم (فإن قاتلوكم) [قرطبي]

وهم كفار مكة والفتنة ههنا الشرك ولا يسن بهم سنة أهل الكتاب في قبول الجزية . قاله ابن عباس وقتادة والربيع والسدي .(البحر المحيط) عطف على ''قاتلوا الذين يقاتلونكم'' ويؤيده أن المشركين العرب ليس في حقهم إلا الإسلام أو السيف . (روح المعاني)

وهذه الآية خاصة في المشركين دون أهل الكتاب . قاله الجصاص (في أحكام القرآن)

إن الإسلام دين عالمي فكان من اللازم أن يكون له مركزاً مستقلاً يكون طاهراً من الوثنية والكفروالشرك و يكون مرجعاً لأهل التوحيد ويكون بمعنى الأصح ''باكستان'' أي أرضاً طاهرة ، ولن يكون أنسب الأمكنة لهذا المركز غير مولد المصطفى ﷺ ومهبط الوحي ومنزل القرآن الكريم فاختارها الله تعالى هذه الأرض المباركة في جزيرة العرب وأصدر قانوناً ربانياً لقتل من لا يؤمن به ولا تقبل عنهم الجزية أصلاً . (تفسير ماجدي)

رأي آخر : ذهب بعض المفسرين إلى أن حكم هذه الآية عام كما قال القرطبي رحمه الله تعالى: وقاتلوهم ..أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع على من رآها ناسخة . (قرطبي) وعلى هذا معنى الفتنة الكفر. لانه قال: " حتى لا تكون فتنة " أي كفر، فجعل الغاية عدم الكفر . وعلى هذا القول يكون معناها مشابهاً لآية الأنفال (39) قال تعالى : وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير .

وهذه الآية رآها المفسرون واضحة صريحة نصاً قطعياً عاماً لمشروعية الجهاد على وجه الإقدام ، فقد قال المفسر عثماني في تشريح كلمة فتنة الواردة في هذه الآية :

أن لا يكون للكافرين قوة فيصدوا بها عن الإيمان بالله أو يحاربوا بها دين الله ، كما يشهد له التاريخ أنه لما غلب الكفار صار إيمان المسلمين في الخطر، ولا يخفى حال أسبانيا على أحد أنه لما صارت القوة والسلطة بأيدي الكفار دمروا المسلمين وأبادوهم ، وأجبروهم على الارتداد ، فعلى كل حال هدف الجهاد الأصلي هو أن ينتشر الأمن والطمانينة في المجتمع بحيث

يُبعد الله تعالى ويحفظ الإسلام والإيمان من اعتداء الكفاروهذا هو التفسير نقل عن ابن عمر وغيره من الصحابة رضي الله تعالى عنهم في كتب الأحاديث . (تفسير عثماني)

وقال أيضاً في تفسير ''ويكون كله لله '' إن هدف الجهاد الرئيسي أن لابقى للكفر غلبة ويكون الأمر كله لله ويظهردينه على الدين كله كما قال تعالى :ليظهره على الدين كله . وهذا أي غلبة الدين الإسلامي على الدين كله قد حصلت في عهد الخلفاء الرشدين مع بقاء الأديان الأخرى ،وستحصل بعد نزول المسيح ابن مريم عليهما السلام ولا يكون آنذاك دين سوى الدين الحنيف ، فاتضح من هذا أن الجهاد والقتال مشروع حتى تكون الغلبة والشوكة للدين الإسلامي مع وجود الأديان الباطلة مغلوبة كما كانت في عهد الخلفاء الراشدين أو أن لا يبقى منها دين كما سوف يكون بعد نزول المسيح ابن مريم عليهما السلام ،و سواء كان الجهاد دفاعياً أو إقدامياً . (تفسير عثماني)

وصدق ما قال الشيخ رحمه الله تعالى فإن النبي ﷺ قال: الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .(رواه البخاري) ولا شك في أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة.

فالخلاصة أن معنى الآية سواء كان عاماً أو خاصاً يؤكد على كل حال أهمية الجهاد وغايته ، وسيأتي الكلام على كلمة '' فتنة'' مفصلاً في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى ، ونكتفي ههنا برأي الإمام الرازي يقربنا إلى فهم معنى الفتنة :

فقال رحمه الله تعالى: في المراد بالفتنة ههنا وجوه :

أحدها : إنها الشرك والكفر ، قالوا كانت فتنتهم أنهم كانوا يضربون ويوذون أصحاب النبي ﷺ بمكة حتى ذهبوا إلى الحبشة ثم واظبوا على ذلك الإيذاء حتى ذهبوا إلى المدينة وكان غرضهم من إثارة تلك الفتنة أن يتركوا دينهم ويرجعوا كفاراً فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى : قاتلوهم حتى تظهروا عليهم فلا يفتنوكم عن دينكم فلا تقعوا في الشرك . (التفسير الكبير)

ثم ذكر الإمام الرازي معنىً آخر : فقال:

وثانيها : قال أبو مسلم : معنى الفتنة ههنا الجرم ، قال: لأن الله تعالى أمر بقتالهم حتى لا يكون منهم القتال الذي إذا بدؤابها كان فتنة على المؤمنين لما يخافون عنده من أنواع المضمار . (التفسير الكبير)

فدل ذلك على أنه من الواجب أن يكسر كل قوة الكفار يستعملونها ضد المسلمين ضرباً وحبساً وإضلالاً وفتنة وإغراءً .

سبحان ما أحسن العدة (أي الجهاد) أعدها الله تعالى للمسلمين أن يحفظوا بها دينهم وعرضهم وما لهم ، ولكن المسلمين غفلوا وضعفوا واستكانوا وتكاسلوا في الجهاد في عصرنا هذا ، حتى قامت الكفرة وأولياء الطاغوت تجهزوا عسكرياً واقتصادياً وحضارياً لإيذاء الإسلام والمسلمين وتضليلهم فإلى الله المشتكى .

دعاء :

اللهم ياقوي يا قادر يا مقتدر يا قيوم ارزقنا الشجاعة والقوة ، ووفقنا للجهاد في سبيلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لك خالصة . آمين يا أرحم الرحمين .

سورة البقرة مدنية الآية (194)

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾

الملخص:

1- العام الماضي (عام 6هـ) صدوكم في الشهر الحرام (أي في ذي القعده) عن المسجد الحرام فأدخلكم في الشهر الحرام (في ذي القعدة) في هذا العام (7هـ) فصار الشهر الحرام مقابلاً بالشهر الحرام ،أي هذا الشهر المحرم بذلك الشهر المحرم .

2- قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة ، فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة : { الشهر الحرام بالشهر الحرام } أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه ، يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم { والحرمات قِصَاصٌ } أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أيّ حرمة كانت ، اقتص منه بأن تهتك له حرمة ، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا .

3- أن الشهر الحرام لما لم يمنعكم عن الكفر بالله والقوم كانوا صدوكم في السنة الماضية في هذا الشهر فهذا الشهر بذاك الشهر،ومن استحل دمكم من المشركين في الشهر الحرام فاستحلوه فيه. (تفسير كبير بتغيير يسير)

قولان:

1- عند أكثر أهل العلم لم تبق حرمة القتال في الأشهر المحرمة (محرم،رجب، ذو القعده،ذوالحجة) قال التهانوي رحمه الله تعالى : أجمعوا على أن القتال في الأشهر المحرمة جائز والآيات التي تحرمه منسوخة ولكن الأفضل أن لا يبتدأ بالقتال في الأشهر الحرم .(بيان القرآن)

2- والمشهور أن حرمة الأشهر الحرم منسوخة وليس كذلك وإنما الحرمة باقية ثلاثة أشهر منها للحج وشهر رجب للعمرة ، فإن أراد أحد هتك مقدساتنا وحرماتنا فلنهتك مقدساتهم وحرماتهم . (حاشية الإمام اللاهوري) و وري هذا القول عن عطاء بن رباح رحمه الله تعالى كما في التفسير الكبير .

والحرمات قصاص: { والحرمات } جمع (حرمة) ما يجب احترامه { قِصَاصٌ } أي يقتص بمثلها إذا انتهكت { فَمَنِ اعتدى عَلَيْكُمْ } بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام { فاعتدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُمْ }.

كتب الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى: لو امتنع الكافر عن القتال لحرمة الشهر الحرام فلا تقاتلوه ، وكان أهل مكة يظلمون المسلمين في الشهر الحرام فلم يمتنع المسلمون عن القتال؟ وفي شهر ذي القعده جاء المشركون وصدوا النبي ﷺ وأصحابه عن دخول مكة بالحديبية فنزلت هذه الآية التي تدل على أن اقتلوهم إن قاتلوكم . (موضح القرآن)

فمن اعتدى عليكم : أي بالقتال { فاعتدوا عليه } أي فقاتلوه { بمثل ما اعتدى عليكم } سمي الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة وهذا أسلوب عربي بليغ كثر استعماله بلغة العرب فيقال جزاء المكر مكرا ، وجزاء الخداع خداعاً، وجزا ء الكيد كيداً، وجزاء السيئة السيئة وجزاء الاعتداء اعتداءً .

نكتة:

ذكر فيما سبق أنه لا يستثنى من الجهاد مكان ولا نفس مسلمة سوى ما استثناه الله (مثل الضعفاء والنساء والأطفال غير المكلفين) وعلم بهذه الآية أنه لا يستثنى من الجهاد وقت وزمان ويكون الجهاد باقياً وماضياً إلى الأبد . (مستفاد من تفسير الفرقان)

والجهاد نظام دفاعي عن الإسلام لا يتصور توقفه والحفاظ على الدين والملة والدفاع عنهما بدونه .

فائدة:

الآيات الأربع السابق ذكرها نزلت قبيل فتح مكة وفيها إشارة إلى أن جزيرة العرب وبالأخص مكة ستكون طاهرة من الشرك والمشركين ، كما إن فيها إشارة أخرى وهي أن المسلمين كانوا يعظمون بيت الله الحرام والأشهر الحرم وحالات الاحرام فيستبعدون القتال في الحرام وفي الشهر الحرام وفي حالة الاحرام ، فكيف يمكن أن يفتح مكة والحال كذلك ؟ فنزلت الآية تبيح القتال في هذه الأحوال والمكان لأن تطهير هذه البقعة المباركة من الشرك والمشركين أهم من التحرج بالقتال في الأشهر الحرم وحالة الاحرام والمكان المحرم ، فلما امتثل المسلمون بأمر الله وتجهزوا للقتال فتح الله عليهم مكة بدون سفك الدماء وحرسها من القتال . والله تعالى أعلم بالصواب وعلمه أتم .

واعلموا أن الله مع المتقين: إن من إنعام الله تعالى على عباده الجزم على إنجاز عمل ما، فلن يقاوم أحد قوما جزموا على نصرة دين الله واثقين به متوكلين عليه ، إلا تكون نصرة الله معهم، فإن الله تعالى معكم أيها المسلمون! فيقوي جزمكم وإرادتكم وينصركم إن تنصروه وتتقوه . والله تعالى أعلم (حاشية اللاهوري)

سورة البقرة مدنية الآية (195)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

ملخص الآية:

أنفقوا أموالكم في سبيل الله ولا تهلكوا أنفسكم بترك الجهاد واعملوا الصالحات برغبة وشوق إن الله يحب المحسنين .

أقوال المفسرين :

وأنفقوا في سبيل الله

1- وسبيل الله هنا الجهاد . (قرطبي)

2- إن الأقرب في هذه الآية وقد تقدم ذكر الجهاد أنه يراد به الانفاق في الجهاد . (تفسير كبير)

3- { وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ الله } طاعته بالجهاد وغيره . (الجلالين)

وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة

1- بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم . (الجلالين)

2- إن الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله . (قرطبي)

3- { وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة } بأن لا تنفقوا في مهمات الجهاد أموالكم فيستولي عليكم العدو ويهلككم ، وكأنه قيل ان كنت من رجال الدين فانفق مالك في سبيل الله وفي طلب مرضاته وان كنت من رجال الدنيا فانفق مالك في دفع الهلاك والضرر عن نفسك .

4- { وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة } أي لا تتركوا الجهاد ففي تركه هلاك لكم . (تفسير موضح القرآن)

5- ترك الجهاد هلاك ، ولا يكفي الانفاق فيه بل يجب معه الإسهام فيه بنفسه والتجهيز له ، والجبن والبخل في مواقع الجهاد يتيحان الفرصة للعدو فجاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس . (تفسير القرآن)

6- إن الذين لا ينفقون في الجهاد يلقون بأيديهم إلى التهلكة ، والاعراض عن الجهاد يدمر حياة القوم والشعب . (ترجمان القرآن)

7- وأنفقوا في سبيل الله المال مع النفس ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالبخل والجبن فتضعفوا ويغلب عدوكم وهذا هو الهلاك والتهلكة. (تفسير بيان القرآن)

8- رأي الأنصار وقال بعضهم لبعض سرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ عَلَيْهِم مَا قالوا:
{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا وَتَرْكهم الْغَزْوَ . (حاشية اللاهوري رحمه الله).

9- والمراد من الآية أن انفقوا في طاعة الله مثل الجهاد وغيره ولا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة بترك الجهاد أو البخل في المال فبذلك يقوى عدوكم ويضعف جانبكم . (تفسير عثماني).

10- في هذه الآية الكريمة خطاب للأمة المسلمة بأجمعها بأن أفراد الأمة لو تركوا الانفاق في سبيل الله ونصرة المجاهدين فبالتالي تهلك الأمة و تخسر بخسارة عظيمة لا عوض لها . (تفسير ماجدي)

ملاحظة : نقلنا هذه العبارات والأقوال لأهداف تالية :

1- لشرح الآية الكريمة .

2- ليعلم الذين ابتعدوا عن الجهاد والإنفاق في سبيله حتى الآن أنهم يلقون بأنفسهم و الأمة إلى التهلكة .

3- لينكشف سبب ضعف الأمة الإسلامية .

4- في هذه النقول والعبارات المذكور اعلاه نكات وحكم لو تدبر فيها لانفتح بعض الأمور المهمة يحتاج إليها الامة الإسلامية اليوم .

5- كل ما ذكرنا من تفسير الآية هي شرحها أما الأقوال الأخرى في تفسير الآية فهي في مرتبة ثانية .

نكتة مهمة :

إن كلام الله حق وصدق مليء بالحكمة والدرر الثمينة فلا بد من الإيمان به والتصديق به ، وقد يشكل على أحد كيف يكون حياً من قتل في الجهاد وقد فارق حياته ؟ فليعلم أن الله تعالى قال: لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتا بل أحياء ولكن لا تشعرون.(سورة البقرة:آية/154) ، وكذلك لا يظن الذين أعرضوا عن الجهاد أنهم في حياة آمنة بل إنهم في الحقيقة على خطر عظيم آجل أو عاجل ، فلوتصفح هؤلاء أوراق التاريخ لعلموا أن مصير أولئك الذين أعرضوا عن الجهاد هلاك حتى اندثرت آثارهم وأما الذين قتلوا في سبيل الله هم أحياء وبقيت آثارهم إلى يوم القيامة .

ربط الآية بما قبلها:

اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجهين

1- الأول : أنه تعالى لما أمر بالقتال والاشتغال بالقتال الذي لا يتم إلا بالآلات والأدوات يحتاج فيها إلى المال ، وربما كان ذو المال عاجزاً عن القتال وكان الشجاع القادر على القتال فقيراً عديم المال ، فلهذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفقراء الذين يقدرون على القتال.

2- والثاني : يروى أنه لما نزل قوله تعالى : { الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قِصَاصٌ } [البقرة : 194] قال رجل من الحاضرين : والله يا رسول الله ما لنا زاد وليس أحد يطعمنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينفقوا في سبيل الله وأن يتصدقوا وأن لا يكفوا أيديهم عن الصدقة ولو بشق تمرة تحمل في سبيل الله فيهلكوا ، فنزلت هذه الآية تصديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم . . (تفسير كبير)

سبب نزول الآية:

1- روى الترمذي عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ قَالَ كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنْ الرُّومِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا

{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ
قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. (سنن الترمذي كتاب التفسير/سورة البقرة)
(كما ذكره القرطبي في تفسيره)

2- قاله ابن عباس، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر الناس بالخروج إلى الجهاد قام إليه أناس من الاعراب حاضرين بالمدينة فقالوا: بماذا نتجهز ! فوالله ما لنا زاد ولا يطعمنا أحد، فترل قوله تعالى: " وأنفقوا في سبيل الله " يعني تصدقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله، يعني في طاعة الله.
" ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة " يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا، وهكذا قال مقاتل.
ومعنى ابن عباس: ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا، أي لا تمسكوا عن النفقة على الضعفاء، فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلبكم العدو فتهلكوا. (قرطبي)

نكتة أولى:

إذا خلا القلب من محبة المال سهل الخروج في الجهاد ، وإذا أنفق المال في الجهاد لمال الإنسان إلى القتال ،وبالعكس إذا استقرت محبة المال في القلب ينشأ الجبن ويغلب العدو ، فلو بالغ المسلمون في جمع المال ولم يعبؤوا بالمجاهدين لأصابوا بخسارة فادحة .
في الآية ترغيب وتشويق للإنفاق في سبيل الله وتطهير القلوب من محبة المال وجاهدوا في الله حق جهاده وكلمة ''وأحسنوا '' يوحي إلى ذلك والله تعالى أعلم بالصواب .

نكتة ثانية:

إن أصحاب رسول الله ﷺ امتثلوا بهذا الأمر فأنفقوا في الجهاد وكان ماهم قليلاً جدا بالنسبة مال الأعداء ،فبالتالي إن الله سبحانه وتعالى صب عليهم خزائن الروم وفارس ، أعطاهم الجزية أغنياء الدنيا صاغرين ، فلما بخل المسلمون وامتنعوا عن الإنفاق في الجهاد أخذوا يعطون الأعداء الضرائب ، فانظروا أي الأمرين أفضل وأنفع ؟ الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس أم جمع حطاب الدنيا والكف عن الجهاد والبخل في سبيل الله ؟ فاز الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم وخسر الذين امتنعوا عن الجهاد في سبيله .

فائدة أولى:

سرد بعض المفسرين (كالقرطبي والرازي) الكلام مفصلاً في اقتحام الرجل في الحرب وحمله على العدو وحده أو بالإصطلاح الجديد الهجوم الفدائي فمن أراد الاستزادة في المسئلة فليراجع كتب التفاسير .

فائدة ثانية:

وفي تفسير الآية الشريفة أقوال أخرى منها:

1- المعنى لا تلقوا بأيديكم بأن تتركوا النفقة في سبيل الله وتخافوا العيلة فيقول الرجل ليس عندي ما أنفقه وإلى هذا المعنى ذهب البخاري رحمه الله . (قرطبي) أقول وبهذا المعنى للآية علاقة بالجهاد .
2- وقال زيد بن أسلم : المعنى لا تسافروا في الجهاد بغير زاد . (قرطبي) وبهذا المعنى للآية صلة بالجهاد .

3- الرجل يصيب الذنب فيلقى بيديه ويقول قد بالغت في المعاصي ولا فائدة في التوبة فييأس من الله فينهمك بعد ذلك في المعاصي فالهلاك اليأس من الله . (قرطبي) واستبعد هذا المعنى العلامة آلوسي في تفسيره روح المعانى .والله تعالى أعلم .

الآيات المماثلة لهذه الآية:

سورة البقرة(**245،215، 261، 262، 273، 274**) سورة التوبة(**35،34**) سورة محمد (ﷺ) (**38**) سورة الحديد (**10**) .

دعاء: اللهم وفقنا للإنفاق في الجهاد خالصاً لوجهك الكريم واحفظنا من شر ما تركنا الجهاد وبلغنا إلى درجة الاحسان فإنك قادر على ذلك . آمين يا رب العالمين .

سورة البقرة مدنية الآية (207)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

الملخص

إن أناساً يبيعون أنفسهم ويفدون بها لمرضات الله تعالى فالله يرفأ بهم ويرحمهم بتوفيقه إياهم لذلك وتكريمهم بشرف الشهادة وقبولها .

شرح:

يشري نفسه :

1- أي يبيعها ببذلها في الجهاد على ماروى عن ابن عباس والضحاك رضي الله تعالى عنهما أن الآية نزلت في سرية الرجيع . (روح المعاني).

2- وأما الأكثرون فحملوا ذلك على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى : إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (سورة التوبة:الآية/111).

3- ولما حمل هشام بن عامر بين الصفين، أنكر عليه بعضُ الناس، فردّ عليهم عُمَر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما، وتلوا هذه الآية: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ }
(تفسير ابن كثير)

4- يشري نفسه يبيعها أي يبذلها في الجهاد . (كشاف)

5- ولا يشري نفسه لمرضاة الله إلا من في قلبه إيمان . (موضح القرآن)

سبب نزول الآية:

للآية وردت عدة أسباب النزول ومنها:

1- نزلت في صهيب رضي الله تعالى عنه وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقاله سعيد بن المسيب رحمه الله .
(الجامع للقرطبي ،تفسير الرازي،تفسير الآلوسي،تفسير أبي حيان)

2- وقيل نزلت فيمن يقتحم القتال ،حمل هشام بن عامر على الصف في القسطنطنية فقاتل حتى قتل فقرأ أبو هريرة "ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله " ومثله عن أبي أيوب . (الجامع للقرطبي)

3- وفي الكواشي أنها نزلت في الزبير بن العوام وصاحبه المقداد بن الأسود لما قال عليه الصلاة والسلام : " من يترل خبيباً عن خشبته فله الجنة " فقال : أنا وصاحبي المقداد وكان خبيب قد صلبه أهل مكة . (روح المعاني للآلوسي)

4- نزلت في سرية الرجيع . (كما سبق. روح المعاني للآلوسي)

5- وقيل: نزلت فيمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وعلى ذلك تأولها عمر وعلى ابن عباس رضى الله عنهم، قال على وابن عباس: اقتتل الرجلان، أي قال المغير للمفسد: اتق الله، فأبى المفسد وأخذته العزة، فشرى المغير نفسه من الله وقاتله فاقتتلا.

وقال أبو الخليل: سمع عمر بن الخطاب إنسانا يقرأ هذه الآية، فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون،قــام رجــل يــأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.(القرطبي)

6– قال الحسن : نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول : قل : لا إله إلا الله ، فلا يقول ، فيقول : والله لأشــرين ، فيقاتل حتى يقتل .

" والله رؤف بالعباد" حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء .

(كشاف)

عظيم شأن الصحابة رضي الله عنهم

قال قتادة في هذه الآية : أما والله ما هم بأهل حروراء المراق من الدين ولكنهم أصحاب رسول الله صــلى الله عليــه وسلم من المهاجرين والأنصار لما رأوا المشركين يدعون مع الله إلهاً آخر قاتلوا على دين الله وشروا أنفسهم غضباً لله وجهاداً في سبيله .

(تفسير الرازي)

الآية المماثلة لهذه الآية: سورة التوبة (**111**)

دعاء : اللهم ارزقنا الغيرة لدينك الحنيف ووفقنا لشراء أنفسنا لمرضاتك آمين يا أرحم الراحمين .

سورة البقرة مدنية الآية (214)

بسم الله الرحمن الرحيم

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

الملخص:

إن أردتم الفلاح والجنة فاستعدوا للبلايا ولا تفتروا من أجلها لأن النصرليأتي بعد الشدة والصبر عليها .

سبب نزول الآية:

1- نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وسوء العيش وأنواع الأذى حتى بلغت القلوب الحناجر . (روح المعاني للآلوسي)

وقال قتادة والسدي : نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والحزن . (تفسيرالرازي)

2- وقيل نزلت في حرب أحد لما قال عبد الله بن أبي لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : إلى متى تقتلون أنفسكم وترجون الباطل ولو كان محمد نبياً لما سلط الله عليكم الأسر والقتل ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . (تفسيرالرازي)

وقال صاحب روح المعاني : وقيل نزلت في غزوة أحد . (روح المعاني للآلوسي)

3- وقال عطاء : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة اشتدّ الضر عليهم ، لأنهم خرجوا بغير مال وتركوا ديارهم وأموالهم بيد المشركين ، وآثروا رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسر قوم من الأغنياء النفاق فأنزل الله تطييباً لقلوبهم هذه الآية. (روح المعاني للآلوسي)

والمقصود من الآية:

والمقصود من هذه الآية ما ذكرنا أن أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام كان ينالهم الأمر العظيم من البأساء والضراء من المشركين والمنافقين واليهود ، ولما أذن لهم في القتال نالهم من الجراح وذهاب الأموال والنفوس ما لا يخفى ، فعزاهم الله في ذلك وبين أن حال من قبلهم في طلب الدين كان كذلك ، والمصيبة إذا عمت طابت . (تفسير الرازي)

الربط بين الآيات السبع : (المستفاد من الآيات السبع)

هذه الآية وما بعدها من الآيات الأربع تتعلق بالجهاد ولنفهم هذه الآيات جيداً نعود إلى الآية زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.... الآية (212) أخبر الله تعالى فيها أن الكفار يدعون الناس إلى الدنيا وزينتها وزخرفتها لأن في أعينهم هذا هو النجاح والسعادة ، فيسخرون من المؤمنين ويستهزؤن بهم لتضعف الدعوة الإسلامية ، ولا يرى هؤلاء الكفرة الآخرة التي يجد فيها المسلمون الدرجات العلى.

فاستنبط من الآية أن الكفرة يحاولون خزي المسلمين فعلى المسلمين أن يقوموا مقاومين أهل الكفر والزيغ من أجل الدين الحنيف ونشره ولايبالوا نشوب الحرب بين الفريقين .

وفي الآية ''كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ،، (213) أخبر الله تعالى أن الناس كانوا أمة واحدة ،فاختلف أهل الباطل من الناس وملأوا الأرض اختلافا وشقاقاً فبعث الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل الكتب لإرشاد الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

ففيه درس للمسلمين أن الكفرة اليوم ملأوا الأرض اختلافاً وشقاقاً وكفراً وشركاً زيغاً وضلالاً، وقد أخرجت هذه الأمة المسلمة للناس فعليها أن تجتهد في إصلاح الناس وإرشادهم إلى دين الحق وسيجدون العقبات من أهل الزيغ والضلال وبالتالي تنشب الحرب بينهم وبين هؤلاء الكفرة وأهل الفساد وأهل الزيغ والضلال فعليهم أن يصبروا ويثبتوا ولا يهنوا .

وفي الآية الكريمة ‹‹ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ ›› (214) درس وعبرة للمسلمين وإخبار لهم بأن يتصفوا بالصبر والاستقامة عند القتال ، وفي قصص الماضي لكم طمانية وسلوى لئلا تهنوا وتضعفوا بل تقووا فيسهل لكم التضحية للفوز بالجنة والنجاة من النار .

والآية الكريمة ‹‹ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ......الآية ›› (215) يستفاد منها : أيها المسلمون قوموا وانشروا نور الإيمان في العالم كله فاتسموا بصفة التضحية بالمال ،واعلموا أن المال ليس للجمع بل هو للإنفاق والبذل .

والآية الكريمة:‹‹ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ .....الآية›› (216) يستفاد منها : أنكم أيها المسلمون قد اتصفتم بصفة الإنفاق والبذل فاعلموا أن القتال قدكتب عليكم الآن فانشروا الدعوة الإسلامية في كل أنحاء العالم واستعينوا بالجهاد إذا اقتضى الحال لنشر الرسالة والرحمة في جميع أرجاء العالم .

والآية الكريمة ‹‹ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ .....الآية (217) يستفاد منها : أن القتال ماض إلى الأبد لأن أعدائكم ليحاولون أن يردو المسلمين كفاراً ويحاربوكم ،فالواجب عليكم أن تقاتلوهم لإعلاء كلمة الله لئلا ترجعوا من الإسلام فرداً وجماعةً ، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فيخسر خسارة فادحة في الدنيا والآخرة .

والآية الكريمة ‹‹ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ....الآية›› (218) يستفاد منها : أن الله تعالى ذكر جزاء من آمن وهاجر وجاهد في سبيله وقاتل لأجله أن له رحمة الله ومغفرته في الدنيا والآخرة ، ولا أعظم شيء أجراً وثواباً من ذلك . والله تعالى أعلم .

موافقة تؤيد المستفاد من الآيات المذكور أعلاه :

موافقة مؤيدة لما ذكرنا من الفوائد المهمة المستفاد من الآيات الكريمة :

‹‹ الهدف الأصلي أن يمنع الساخرين من السخرية ، والهدف الثاني : يحفظ الكتاب من الضلال من أهل الكتاب الذين يريدون تشويه ، وبالتالي تأتي مرحلة المقاومة من كل فرقة وملة لأن الفرق الباطلة الأخرى لا تكون أقل من أهل الكتاب ، فمعناه أنكم أيها المسلمون استعدوا لقتال من قاتلكم ومقاومة من عاداكم في سبيل الدعوة ونشر الرحمة في العالم كله ، وفي الآية الكريمة ‹‹ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة .....الآية (214) إصلاح لمن قد يتأثر المسلم بما في الآية السابقة . (حاشية الشيخ أحمد على اللاهوري)

قوله تعالى :وزلزلزلوا ››

1- خَوْفًا من الأعداء زُلْزالا شديدًا، وامتحنوا امتحانًا عظيمًا، كما جاء في الحديث الصحيح عن خَبَّاب بن الأرَتّ قال: قلنا: يا رسول الله، ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال: "إنّ من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفْرَق رأسه فيخلص إلى قدميه، لا يَصْرِفه ذلك عن دينه، ويُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه". ثم قال: "والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون". (تفسيرابن كثير)

2- ,, وزلزلوا ›› أي خوفوا . [ليرجعوا عن دينهم ودعوهم] (تفسيرابن كثير)

3- البأساء والضراء : المصائب والآلام الخارجية ، والزلزال ، الضعف في الإرادة والقصد وقاصروا الهمة يضمحلون في المصائب والآلام . (حاشية اللاهوري رحمه الله)

قوله تعالى " متى نصر الله ؟ :أي يستفتحون على أعدائهم ويدعون بقرب الفرج والمخرج عند ضيق الحال والشدة . (ابن كثير)

فائدة : في هذه الآية ذكر الأصولان مختلفان :

الأصل الأول : أن وقوع المصائب في سبيل الحق أمر طبيعي لا يمكن الفوز بدون تحملها والعبور عليها كما قال تعالى في سورة العنكبوت " أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)" وقال تعالى : إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (سورة التوبة:الآية/111)

والأصل الثاني : أن نصر الله متى يأتي ؟ فبين تبارك وتعالى هذا الأمر أنه لا يأتي نصر الله حتى يبذل رجل كل ما في وسعه وقدرته في سبيل الله ، كما قال تعالى في سورة يوسف : حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جآءهم نصرنا . (سورة يوسف : الآية/110)

وقال تعالى : فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيآتهم ....الآية (آل عمران:الآية/195)

فليجب على أهل التوحيد أن لا يكتفوا بالدعاء فقط بل مع الدعاء لا بد من الاستعداد واتخاذ الوسائل لمقاومة الأعداء ، ومن نصر دين الله نصره الله ومن قام لنصرة دينه أقامه الله ومن صلح أصلحه الله ومن استنصر نصره الله (تفسير الفرقان)

دعاء : يا الله ياحافظ يا حفيظ يا ناصر يا كريم أنصرنا والمسلمين آمين يا أرحم الراحمين.

سورة البقرة مدنية الآية (215)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

الملخص:

كونوا من الذين ينفقون الأموال ,وابتدؤا بالنفقة في الأقرباء (ليشترك هؤلاء في الجهاد) وأخلصوا لله في النفقة وفي جميع الأعمال لأنه يعلم ما في قلوبكم ونيات أعمالكم .

الشرح:

أنفقوا المال لله ، في أي مصرف ننفق ؟ قال تعالى :فللوالدين ....الآية ومن في حاجة إلى عدة الجهاد ممن حولكم فأنفقوا عليهم (وما تفعلوا من خير ..) ولو لم ينفق في مصرف أعطيتموه لأجله فمالكم عليهم من شيء وقد أديتم واجبكم ، نزلت هذه الآية في عمرو بن الجموح، وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق؟ فأنزل الله تعالى { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ }،ومعناه ما الذي ينفقون { قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ } أي من مال { فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } يجازيكم به . (حاشية اللاهوري رحمه الله)

نكتة: من عصم من محبة بالمال مال إلى الجهاد واتصف بصفة الصبر ، ولا تنقص محبة المال إلا بالإنفاق في سبيل الله . والله تعالى أعلم .

دعاء : اللهم إنك أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء احفظ قلوبنا من حب الدنيا وزينتها ووفقنا للاستعداد ليوم المعاد . آمين يا رب العالمين .

سورة البقرة مدنية الآية (216)

بسم الله الرحمن الرحيم

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

الملخص:

إن الجهاد في سبيل الله فرض على المسلمين ، وتكرهه طبيعة الإنسان وهو شاق عليها فقال تعالى : إنه خير لكم وأشياء تكرهونها وفيها خير لكم ونفع والله يعلم بما فيها خير وبما فيها شر وأنتم لا تعلمون أيها المسلمون.

شرح الإمام الرازي لهذه الآية الكريمة المفيد

معنى الآية أنه ربما كان الشيء شاقاً عليكم في الحال ، وهو سبب للمنافع الجليلة في المستقبل وبالضد ، ولأجله حسن شرب الدوا المرء في الحال لتوقع حصول الصحة في المستقبل ، وحسن تحمل الأخطار في الأسفار لتوقع حصول الربح في المستقبل ، وحسن تحمل المشاق في طلب العلم للفوز بالسعادة العظيمة في الدنيا وفي العقبى ، وههنا كذلك وذلك لأن ترك الجهاد وإن كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل ، وصون المال عن الإنفاق ، ولكن فيه أنواع من المضار منها : أن العدو إذا علم ميلكم إلى الدعة والسكون قصة بلادكم حاول قتلكم فأما أن يأخذكم ويستبيح دماءكم وأموالكم ، وإما أن تحتاجوا إلى قتالهم من غير إعداد آلة وسلاح ، وهذا يكون كترك مداواة المرض في أول ظهوره بسبب نفرة النفس عن تحمل مرارة الدواء ، ثم في آخر الأمر يصير المرء مضطراً إلى تحمل أضعاف تلك النفرة والمشقة .

فوائد الجهاد في سبيل الله

إن للجهاد في سبيل الله فوائد كثيرة جدا كما ذكرها المفسرون وأهل العلم نذكر بعضها ههنا نقلاً من تفسر الإمام فخر الرازي .فقال رحمه الله تعالى :

والحاصل (1) أن القتال سبب لحصول الأمن ، وذلك خير من الانتفاع بسلامة الوقت .

(2) ومنهاوجدان الغنيمة .

(3) ومنها السرور العظيم بالاستيلاء على الأعداء .

(4) منها ما يحصل للمجاهد من الثواب العظيم إذا فعل الجهاد تقرباً وعبادة وسلك طريقة الاستقامة فلم يفسد ما فعله .

(5) ومنها أنه يخشى عدوكم أن يستغنمكم فلا تصبرون على المحنة فترتدون عن الدين .

(6) ومنها أن عدوكم إذا رأى جدكم في دينكم وبذلكم أنفسكم وأموالكم في طلبه مال بسبب ذلك إلى دينكم فإذا أسلم على يدكم صرتم بسبب ذلك مستحقين للأجر العظيم عند الله .

(7) ومنها أن من أقدم على القتال طلباً لمرضاة الله تعالى كان قد تحمل ألم القتل بسبب طلب رضوان الله ، وما لم يصر الرجل متيقناً بفضل الله وبرحمته وأنه لا يضيع أجر المحسنين ، وبأن لذات الدنيا أمور باطلة لا يرضى بالقتل ومتى كان كذلك فارق الإنسان الدنيا على حب الله وبغض الدنيا ، وذلك من أعظم سعادات الإنسان .

فثبت بما ذكرنا أن الطبع ولو كان يكره القتال من أعداء الله فهو خير كثير وبالضد ، ومعلوم أن الأمرين متى تعارضا فالأكثر منفعة هو الراجح وهذا هو المراد من قوله : { وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ } .

(التفسير الكبير للإمام الرازي)

خلاصة أقوال المفسرين في هذه الآية

نذكر ههنا أقوال بعض المفسرين

1- كتب عليكم القتال : أي قتال الكفار وهو فرض عين إن دخلوا بلادنا وفرض كفاية إن كانوا ببلادهم . (روح المعاني)

2- هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين: أن يكُفُّوا شرّ الأعداء عن حَوْزة الإسلام.

وقال الزهري: الجهادُ واجب على كلّ أحد، غزا أو قعد؛ فالقاعد عليه إذَا استعين أن يُعينَ، وإذا استُغيثَ أن يُغيثَ، وإذا استُنْفرَ أن ينفر، وإن لم يُحتَجْ إليه قعد.

قلت: ولهذا ثَبَت في الصحيح "من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية" **[**صحيح مسلم برقم (**1910**) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه**]** (تفسير ابن كثير)

3- فقال قوم إنها تقتضي وجوب القتال على الكل وعن مكحول أن كان يحلف عند البيت بالله أن الغزو واجب . (التفسير الكبير للرازي).

4- كتب :اي فرض ''عليكم القتال'' للكفار كتب القتال للكفار . (جلالين)

5- وظاهر قوله (كتب) أنه فرض على الأعيان كقوله : كتب عليكم الصيام وكتب عليكم القصاص :إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، وبه قال عطاء ، قال فرض القتال على أعيان أصحاب محمد ﷺ فلما استقر الشرع وقيم به صار على الكفاية ، ثم استقر الاجماع على أنه فرض كفاية إلى نزل العدو بساحة الإسلام فيكون فرض عين . (البحر المحيط لأبي حيان)

6- هذا هو فرض الجهاد بين سبحانه وتعالى أن هذا مما امتحنوا به وجعل وصلة إلى الجنة والمراد بالقتال قتال الأعداء من الكفار . (قرطبي)

7- وقال سعيد بن المسيب أن الجهاد فرض على كل مسلم في عينه أبداً ، حكاه الماروردي قال ابن عطية : والذي استمر عليه الاجماع أن الجهاد على كل أمة محمد ﷺ فرض كفاية . (تفسر الإمام القرطبي)

8- إن الجهاد فرض إذا توفرت شروطه وهي مذكورة في كتب الفقه ، والفرض ينقسم إلى قسمين : فرض عين وفرض كفاية ، ففي عامة الحالات فرض كفاية وإن نزل الأعداء بساحة المسلمين ففرض عين . (تفسير بيان القرآن)

9- فرض القتال مع أعداء الدين .

مادام النبي ﷺ كان بمكة ولم يهاجر منها لم يؤذن له بالقتال ، فلما هاجر إلى المدينة أذنه به ولكن مع الذين يحاربون أهل الإسلام ، ثم جاء الإذن بالقتال على وجه العموم وفرض القتال . (تفسير عثماني)

10- لو سأل أحد إلى متى يكون حكم الجهاد ؟ نقول: إن حكمه ماض وباق على وجه الدوام ، ويقال لمن احتال واجتنب من القتال أن الجهاد للجميع وللدوام ، ومن الواجب نشر الأمن والأمان في كل مكان فلولا تستعدون لنشر رسالة الرحمة لفسد النظام في كل زمان ومكان. (حاشية اللاهوري رحمه الله)

11- لما أعدوا للقتال بالنشاط والشوق ، يأتي السؤال إلى متى يجري القتال ومتى تنتهي الحرب ؟ فالجواب : أنه لا شك في أن في القتال مشقة وتعباً ،يبتعد المجاهد من أهله وأولاده ، ولا يجد الطمانية ، ولكنه في الحقيقة الشيء (أي القتال) الذي ترونه صعباً ومشقة إن فيه لخيراً وبركةً لأنه سبب لعيشكم وعيش شعبكم وقومكم بالحرية ، إن الراحة الوقتية والعيش الهنيئ جذاب ولكن مصيره وخيم هلاك ، والله يعلم بأن سر حياتكم فرداً واجتماعاً وضع

فيـــه . فقـــال تعـــالى : يـــا أيهـــا الـــذين آمنـــوا اســـتجيبوا لله وللرســـول إذا دعـــاكم لمـــا يحيـــيكم .

(تفسر الفرقان)

ملاحظة: إن فرضية الجهاد ذكرت في الآيات التالية :

[سورة البقرة: 244،190، سورة التوبة:5، 29، 36 ، 38 ، 41، سورة الحج : 40، سورة محمد : 4]

سورة البقرة مدنية الآية (217)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾

الملخص:

إن مشركي مكة قالوا استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ، ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم ، وشق ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ، ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى فنزلت الآية وقيل لهم (أي للمشركين): انظروا إلى جرائمكم

1- تصدون الناس عن دين الله .

2- تكفرون بالله وتشركون به .

3- تصدون الناس عن المسجد الحرام وتجعلونه مركز الشرك والكفر .

4- إخراجكم أهله أي أهل الحرام وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون.

5- توقعون الناس في الفتنة وتؤامرون ضد الإسلام والمسلمين وتجبرون الناس على الكفر والشرك . فهذه الجرائم عظيمة جدا .

ثم أخبرالله تعالى المسلمين بأن هؤلاء الكفرة لا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينه فاعلموا أنه من ارتد منكم عن دينه من خوف الكفرة ومات على الكفر فليحبطن عمله { فِي الدنيا والأخرة }ويكون مصيره إلى النار يخلد فيها خالداً مخلداً .

(من كان السائلون في هذه الآية الكريمة ؟)

في السائلين وردت أقوال عديدة نذكر بعضها فيما يلي :

1- اختلفوا في أن هذا السائل أكان من المسلمين أو من الكافرين والقائلون بأنه من المسلمين فريقان الأول : الذين قالوا إنه تعالى لما كتب عليهم القتال وقد كان عند القوم الشهر الحرام والمسجد الحرام أعظم الحرمة في المنع من القتال لم يبعد عندهم أن يكون الأمر بالقتال مقيداً بأن يكون في غير هذا الزمان وفي غير هذا المكان فدعاهم ذلك إلى أن سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أيحل لنا قتالهم في هذا الشهر وفي هذا الموضع؟ فنزلت الآية ، فعلى هذا الوجه الظاهر أن هذا السؤال كان من المسلمين . (التفسير الكبير للرازي)

أخبر المسلمون بأن الجهاد لمن يصدونكم عن دين الله ويريدون استئصالكم وإبادتكم وهؤلاء الذين أمرتم بقتالهم من المجرمين العظام .

2- الفريق الثاني وهم أكثر المفسرين : رووا عن ابن عباس أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش الأسدي وهو ابن عمته قبل قتال بدر بشهرين ، وبعد سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة في ثمانية رهط ، وكتب له كتاباً وعهداً ودفعه إليه ، وأمره أن يفتحه بعد منزلتين ، ويقرأه على أصحابه ، ويعمل بما فيه ، فإذا فيه : أما بعد فسر على بركة الله تعالى بمن اتبعك حتى تنزل بطن نخل ، فترصد بها عير قريش لعلك أن تأتينا منه بخبر ،

فقال عبد الله : سمعاً وطاعة لأمره فقال لأصحابه : من أحب منكم الشهادة فلينطلق معي فإني ماض لأمره ، ومـــن أحب التخلف فليتخلف فمضى حتى بلغ بطن نخل بين مكة والطائف ، فمر عليهم عمرو بن الحضرمي وثلاثة معه ، فلما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقوا رأس واحد منهم وأوهموا بذلك أنهم قوم عمار ، ثم أتـــى واقد بن عبد الله الحنظلي وهو أحد من كان مع عبد الله بن جحش ورمى عمرو بن الحضرمي فقتله ، وأسروا اثنين وساقوا العير بما فيه حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضجت قريش وقالوا : قد اســـتحل محمـــد الشهر الحرام ، شهر يأمن فيه الخائف فيسفك فيه الدماء ، والمسلمون أيضاً قد استبعدوا ذلك ، فقال عليه الصلاة والسلام : إني ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام ، وقال عبد الله بن جحش يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضـــرمي ، ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى فوقف رسول الله صلى الله عليه وســـلم العير والأسارى ، فترلت هذه الآية ، فأخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام الغنيمة .

3- والقول الثاني أن هذا السؤال كان من الكفار قالوا : سألوا الرسول عليه الصلاة والسلام عن القتـــال في الشـــهر الحرام حتى لو أخبرهم بأنه حلال فتكوا به واستحلوا قتاله فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية : { يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشـــهر الحرام قِتَالٍ فِيهِ } أي يسألونك عن قتال في الشهر الحرام { قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ } ولكن الصد عن سبيل الله وعـــن المسجد الحرام والكفر به أكبر من ذلك القتال { وَلاَ يَزَالُونَ يقاتلونكم حتى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ } فبين تعـــالى أن غرضهم من هذا السؤال أن يقاتلوا المسلمين ثم أنزل الله تعالى بعده قوله : { الشـــهر الحـــرام بالشـــهر الحـــرام والحرمات قِصَاصٌ فَمَنِ اعتدى عَلَيْكُمْ فاعتدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعتدى عَلَيْكُمْ } [البقرة : 194] فصرح في هـــذه الآية بأن القتال على سبيل الدفع جائز .

القول الراجح :

ذهب أكثر المفسرين إلى أن السؤال كان من المسلمين ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله تعـــالى عنـــهما : قـــال: مارأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ ماسئلوه إلا عن ثلاث عشرة مسئلة كلهن في القرآن " يسألونك عـــن المحـــيض "، " يسألونك عن الشهر الحرام "، " يسألونك عن اليتامى "، ما كانوا يسألونك إلا عما ينفعهم. (تفسير القرطبي)

هل هذة الآية منسوخة أم لا ؟ فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول:

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره : واختلف العلماء في نسخ هذه الآية، فالجمهور على نسخها وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح .

وقال المفسر التهانوي رحمه الله في بيان القرآن: إن في روح المعاني (للآلوسي) وفي تفسير الرازي ضمن تفســـير هـــذه الآيـــة والبيضاوي في تفسيره لسورة التوبة نقلوا الاجماع على نسخ حكم القتال في الأشهر الحرم . (بيان القرآن)

يعني أجمعت الأمة أنه لم تبق حرمة القتال في الأشهر الحرم على وجه الإقدام ، ولا خلاف في إباحية القتال على وجه الدفاع ، والنبي ﷺ أخذ البيعة على القتال والموت في الشهر الحرام وهوشهر ذو القعدة .

قال أبو عبيد : والناس بالثغور اليوم جميعاً على هذا القول يرون الغزو مباحاً في الشهور كلها ، ولم أر أحداً من علماء الشام والعراق ينكره عليهم كذلك حسب قول أهل الحجاز . والحجة في إباحته قوله تعالى : { فاقتلوا المشركين حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ } [التوبة : 5] وهذه الآية ناسخة لتحريم القتال في الشهر الحرام

القول الثاني:

عن ابن جريج أنه قال : حلف لي عطاء بالله أنه لا يحل للناس الغزو في الحرم ، ولا في الأشهر الحرم ، إلا على سبيل الدفع. (تفسر الرازي)

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري أنه سئل عن هذه الآية فقال : هذا شيء منسوخ ولا بأس بالقتال في الشهر الحرام ، وخالف عطاء في ذلك فقد روي عنه أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله تعالى ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وجعل ذلك حكماً مستمراً إلى يوم القيامة والأمة اليوم على خلافه في سائر الأمصار. (تفسير الآلوسي)

دليل هذا القول:

روى جابر قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى.

القول الثالث:

والذي عندي أن قوله تعالى : { قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ } هذا نكرة في سياق الإثبات فيتناول فرداً واحداً ، ولا يتناول كل الأفراد ، فهذه الآية لا دلالة فيها على تحريم القتال مطلقاً في الشهر الحرام ، فلا حاجة إلى تقدير النسخ فيه . (تفسر الرازي)

واختاره صاحب بيان القرآن حتى راعاه في الترجمة .

اعراب :

قوله تعالى : { قِتَالٍ فِيهِ } خفض على البدل من الشهر الحرام ، وهذا يسمى بدل الاشتمال ، كقولك : أعجبني زيد علمه ونفعني زيد كلامه وعطف المسجد الحرام على سبيل الله وهو مجرور ب عن .

ورأى بعضهم الخفض فيه أنه عطف على ضمير ''به'' ففي الصورة الأولى: يكون تقديره : وصد عن المسجد الحرام ، وفي الثانية : وكفر بالمسجد الحرام .

<u>وصد عن سبيل الله</u> :

1- صد عن الإيمان بالله وبمحمد عليه الصلاة والسلام.
2- صد للمسلمين من أن يهاجروا إلى الرسول عليه السلام .
3- صد المسلمين عام الحديبية عن عمرة البيت ، ولقائل أن يقول : الرواية دلت على أن هذه الآية نزلت قبل غزوة بدر في قصة عبد الله بن جحش ، وقصة الحديبية كانت بعد غزوة بدر بمدة طويلة يعني عام 6هـ ، ويمكن أن يجاب عنه بأن ما كان في معلوم الله تعالى كان كالواقع. (تفسير الرازي)

قال صاحب بيان القرآن : إن معنى <u>صد عن سبيل الله</u> : أي المنع عن دين الله ، ولم يحمل على صد المسلمين عام الحديبية لأن الحديبية بعد بدر وهذه الآية قبل بدر. (بيان القرآن)

ذكر العلامة الآلوسي في معنى {وصد}أربعة أقوال:

1- أي منع وصرف { عَن سَبِيلِ الله } وهو الإسلام قاله مقاتل .
2- أو الحج قاله ابن عباس والسدي .
3- أو الهجرة كما قيل .
4- أو سائر ما يوصل العبد إلى الله تعالى من الطاعات . (تفسير الآلوسي)

قوله تعالى :والفتنة أكبر من القتل:

أن الفتنة هي ما كانوا يفتنون المسلمين عن دينهم ، تارة بإلقاء الشبهات في قلوبهم ، وتارة بالتعذيب ، كفعلهم ببلال وصهيب وعمار بن ياسر ، وهذا قول محمد بن إسحاق وقد ذكرنا أن الفتنة عبارة عن الامتحان ، يقال فتنت الذهب بالنار إذا أدخلته فيها لتزيل الغش عنه ، ومنه قوله تعالى : { إِنَّمَا أموالكم وأولادكم فِتْنَةٌ } [التغابن : 15] أي امتحان لكم لأنه إذا لزمه إنفاق المال في سبيل الله تفكر في ولده ، فصار ذلك مانعاً له عن الإنفاق. (تفسير الرازي)

ولا شك في أن تضليل الناس وافتنان المؤمنين عن دينهم جرم عظيم سواء كان عن طريق الظلم والاعتداء أو بالقوة والمال و نشر الفحش والبغي أو عن طريق هجوم الثقافي والحضاري ضد الإسلام والمسلمين .

تنبيه هام للمسلمين:

قوله تعالى: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا } ذكروا في معاني الآية:

1- والمقصود الاخبار بدوام عداوة الكفار بطريق الكناية تحذيراً للمؤمنين عنهم وإيقاظاً لهم إلى عدم المبالاة بموافقتهم في بعض الأمور . (تفسير الآلوسي) .

2- ونظيره قوله تعالى {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}

قوله : { إِنِ اسْتَطَاعُواْ } استبعاد لاستطاعتهم ، كقول الرجل لعدوه : إن ظفرت بي فلا تبق عليٍّ وهو واثق بأنه لا يظفر به . (تفسر الرازي)

ملاحظة:

إن الكبار من المفسرين بسطوا الكلام في مسئلة الارتداد في تفسير هذه الآية فمن أراد الاستزاد فليراجع كتب التفاسير .

فائدة:

أخبر المسلمون في الآية الكريمة بأن المخالفين لايزالون يظهرون البغضاء والعداوة ضد الإسلام والمسلمين ليردوهم عن دينهم ،فعلى المسلمين أن يستعدوا دائماً للحرب لأنها ستكون سجالا بينهم دائماً أبدا ومن أجل ذلك ورد في الحديث الشريف أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة .

وورد في القرآن الكريم أن نهاية الحرب هي { حتى تضع الحرب أوزارها} (سورة محمد:آية/5) يعني قاتلوهم حتى تتوقف الحرب وتضع أوزارها وحتى لا تبق على وجه الأرض أقوام ظالمة وأفراد معتدون .وقالوا: أن معناه حتى لم يبق إثم بسبب حرب وقال تعالى:{حتى أثخنتموهم} أي قاتلوهم حتى أكثرتم فيهم القتل { فَشُدُّواْ } أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا { الوثاق } ما يوثق به الأسرى { فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ } مصدر بدل من اللفظ بفعله ، أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء { وَإِمَّا فِدَاءً } أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين { حتى تَضَعَ الحرب } أي أهلها { أَوْزَارَهَا } أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد وهذه غاية للقتل والأسر . (تفسير الرازي)

فعلم بذلك أن الحرب تستمر حتى امتنع أهل الظلم والعدوان من الاعتداء ، وانتشر الأمن والأمان في الأرض كلها ودخل الناس في دين الله أو انقادوا لرسالة الإسلام الأمنية .

قال تعالى: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} (الصف:آية/9) (تفسير الفرقان)

نكتة مهمة :

ههنا تجدر بنا الإشارة إلى أن الله تعالى أخبر بأن الكفرة والمشركين لا يزالون يقاتلوا المسلمين حتى يردوهم عن دينهم ، ثم قال أنه من يرتد من المسلمين عن الدين الحنيف ومات على الكفر فيدخل النار خالداً مخلداً ، ففيها إيقاظ للمسلمين بأنهم لولا قــاومهم المسلمون بالجهاد والقتال لانتشر الارتداد فيما بينهم ، وقد تحقق هذا الشيء في التاريخ فكلما أعرض المسلمون عن الجهاد فشت فيهم الردة ومثاله في العهد القريب وضع دول أفريقيا، والاتحاد السوفيتي وأسبانيا وشبه القارة الهندية السيء حيث ابتليت الأمــة الاسلامية في هذه الدول بالردة بشكل عام وذلك مأساة أليمة حزينة لا ينساها مسلم غيور على دينه .

ومال بعض المفسرين من خلال تفسير هذه الآية أنه كلما ترك المسلمون الجهاد فشا فيهم الجبن والوهن وكثر فيهم حب الدنيا ما يؤديهم إلى الكفر والعياذ بالله ، وتصدى لهم فتن الكفر والالحاد التي تجرهم إلى الارتداد العام . والله تعالى أعلم .

دعاء : اللهم يا حي يا قيوم ارزقنا الاستقامة والثبات على دينك الحق الذي ارتضيت لنا به ديناً واحفظنا من أن نرتد عنــه قدر شعر ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك . آمين يا أرحم الراحمين .

بحث مهم حول سرية عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه

إن آيتي البقرة (217–218) نزلتا في سرية عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه كما ذكر المفسرون سبب نزولهما في التفاسير ، نريد أن نذكر ههنا بعض ما يتعلق بالسرية من الأمور المهمة نقلاً من كتاب ''سيرة المصطفى ﷺ '' للعلامة محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله تعالى:

بعد غزوة سفوان أرسل النبي ﷺ سرية إلى نخلة وأمّر عليهم عبد الله بن جحش رضي الله عنه ، وكان معه أربعة عشر رجلاً من المهاجرين أسماءهم فيما يلي:

1- أبو حذيفه بن عتبه رضي الله عنه
2- عكاشه بن محصن رضي الله عنه
3- عتبه بن غزوان رضي الله عنه
4- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه
5- عامر بن ربيعه رضي الله عنه
6- واقد بن عبد الله رضي الله عنه
7- خالد بن بكير رضي الله عنه
8- سهيل بن بيضاء رضي الله عنه
9- عامر بن إياس رضي الله عنه
10- مقداد بن عمرو رضي الله عنه
11- صفوان بن بيضاء رضي الله عنه

روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ أراد أن يبعثنا في سرية فقال سأؤمر عليكم رجلاً أكثركم صبراً على الجوع والعطش (أو كما قال عليه الصلاة والسلام) فأمر علينا عبد الله بن جحش وهو أول أمير في الإسلام . (لم يذكر مرجع الحديث)

عَنْ جُنْدُبِ بن عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بَعَثَ رَهْطًا وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ أَوْ عُبَيْدَةَ ، فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْطَلِقَ بَكَى صُبَابَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ فَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بن جَحْشٍ مَكَانَهُ ، وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لا يَقْرَأَ الْكِتَابَ حَتَّى يَبْلُغَ مَكَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَالَ : لا تُكْرِهَنَّ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِكَ عَلَى الْمَسِيرِ مَعَكَ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ اسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ قَالَ : سَمْعٌ وَطَاعَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَخَبَّرَهُمُ الْخَبَرَ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ ، فَرَجَعَ رَجُلانِ وَمَضَى بَقِيَّتُهُمْ . (رواه الطبراني في معجمه بإسناد حسن)

وَفِي رِوَايَة عُرْوَة أَنَّهُ قَالَ لَهُ : " إِذَا سِرْت يَوْمَيْنِ فَافْتَحْ الْكِتَاب " . قَالَ : " فَفَتَحَهُ هُنَاكَ فَإِذَا فِيهِ أَنْ اِمْضِ حَتَّى تَنْزِل نَخْلَة فَتَأْتِينَا مِنْ أَخْبَار قُرَيْش ، وَلَا تَسْتَكْرِهَنَّ أَحَدًا " قَالَ فِي حَدِيث جُنْدُب : فَرَجَعَ رَجُلَانِ وَمَضَى الْبَاقُون .(فتح الباري في باب ما يذكر في المناولة)

وفي الطريق ظل ابل سعد وعتبة رضي الله عنهما فاتبعا أثره حتى تخلفا ونزل الباقون في نخلة.

أول غنيمة في الإسلام:

كان عير قرش قافلاً من الشام في آخر يوم من رجب (وكان القتال في هذا الشهر محرماً) فاشتبه على المسلمين أنه غرة شعبان فقاتلوا المشركين ورمى واقد بن عبد الله رضي الله عنه أمير القافلة عمرو ابن الحضرمي حتى مات وخافت بقية عير فولوا مدبرين ، و أخذ المسلمون غنائمهم وأسروا عثمان بن عبد الله وحكم بن كيسان ، وما نزل حكم في الغنيمة ، فقسم عبد الله بن جحش

أربعة أجزاء بين الغانمين و أخرج الخمس لرسول الله ﷺ وذلك من اجتهاده رضي الله عنه فلما وصلوا المدينة وأخبروا النبي ﷺ بالخبر ، فقال عليه الصلاة والسلام : إني ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام، وقال عبد الله بن جحش يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي ، ثم أمسينا فنظرنا إلى هلال رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والأسارى ،وضجت قريش واليهود وقالوا : قد استحل محمدوأصحابه الشهر الحرام،شهر يأمن فيه الخائف فيسفك فيه الدماء فترلت هذه الآية .

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . (**217**)

فالخلاصة أن وقوع القتال في الشهر الحرام من أجل الالتباس والاشتباه ليس أمرا شنيعاً أكثر من الصد عن سبيل الله كفر به والصد عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه بل إن ذلك أكبر عند الله شناعة وقباحة والفتنة أكبر من القتل في الشهر الحرام .

فلما نزلت هذه الآية قبل النبي ﷺ الخمس وقسم بقية الغنيمة بين المجاهدين فرح عبد الله بن جحش وأصحابه وقالوا نطمع على ذلك في الأجر والثواب عند الله يا رسول الله ؟ فترلت الآية: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (**218**) .

وأول غنيمة أفاء الله على المسلمين هي التي أخذها في هذه السرية ، وأول مقتول قتل بأيدي المسلمين هو عمروبن حضرمي ، أرسلت قريش فدية أسراها عثمان بن عبد الله وحكم بن كيسان فلم يقبلها النبي ﷺ وقال: لا أتركهما حتى يأتي سعد وعتبة أخشى من أنكم قتلتموهما فنقتلهما مكانهما ، وبعد أيام أتى سعد وعتبة وترك النبي ﷺ عثمان وحكم بعد أن أخذ منهما الفدية، فرجع عثمان مكة ومات هناك كافراً أما حكم بن كيسان فأسلم وعاش بالمدينة حتى استشهد في غزوة بئر معونة ، فقال فيه الرثاء عبد الله بن جحش رضي الله عنه :

تعدون فتلاً في الحرام عظيمة
وأعظم منه لويرى الراشدراشد
صدوكم عما يقول محمد
وكفربه والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله
لئلا يرى في البيت لله ساجد
فانا وان عيرتمونابقتله
وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينامن ابن الحضرمي رماحنا
بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دماً وابن عبد الله عثمان بيننا
ينازعه غد من القيد عاند

ملاحظة: ذكر المصنف رحمه الله أن القتال وقع في آخري يوم من شهر رجب ، وذكر بعض المفسرين والمؤرخين أن السرية بعثت في أخر شهر جمادي الثاني والتبس على المسلمين هل ابتدأ شهر رجب أم لا ؟ والله تعالى أعلم.

سورة البقرة مدنية الآية (218)

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾

الملخص:

إن الهجرة والجهاد هما في مرتبة ثانية بعد الإيمان بالله وهما عبادتان عظيم الشأن جليل القدر فمن أكرم بهما لرجى من الله رحمته ، وله من ربه الغفور العفو والمغفرة والرحمة الواسعة ، ولذلك فليفرح مجاهدوا سرية عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه على ما تيسر لهم الجهاد في سبيل الله لا أن ييأسوا ويحزنوا .

خلاصة أقوال المفسرين في سبب نزول الآية:

1– أخرج ابن أبي حاتم والطبراني في «الكبير» من حديث جندب بن عبد الله أنها نزلت في السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر .

(تفسير الآلوسي)

2–أن عبد الله بن جحش قال : يا رسول الله هب أنه لا عقاب فيما فعلنا ، فهل نطمع منه أجراً وثواباً فنزلت هذه الآية ، لأن عبد الله كان مؤمناً ، وكان مهاجراً ، وكان بسبب هذه المقاتلة مجاهداً . . (تفسير كبير)

3– أنه تعالى لما أوجب الجهاد من قبل بقوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ القتال وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ } [البقرة : **216**] وبين أن تركه سبب للوعيد أتبع ذلك بذكر من يقوم به فقال : { إِنَّ الذين ءامَنُواْ والذين هَاجَرُواْ وجاهدوا فِي سَبِيلِ الله } ولا يكاد يوجد وعيد إلا ويعقبه وعد .

4– وأخبر أن لهم ثواب من هاجر وغزا . (تفسير القرطبي)

نكتة:

إن معنى الهجرة والجهاد في هاتين الآيتين واضح كما إن السياق وسبب الترول أيضاً يؤيدان في تعيين المعنى ، فلو أريد ههنا بالجهاد معنى الجد والاجتهاد والمشقة فهو موجود في الإيمان والهجرة ففيهما مشقة وتعب شديد فلا فائدة في إعادة كلمة "جاهدوا " لذا لا نتفق و رأي المفسر الدريابادي. والله أعلم بالصواب.

الآيات التي تشابه هذه الآية وقرنت الجهاد والهجرة فيها .

(سورة آل عمران :**195**،سورة الأنفال :**72**، **74** ، **75**، سورة التوبة:(**20**، **117**، سورة النحل :**110**، سورة الحج : **58**)

سورة البقرة مدنية الآية (239)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩﴾

الملخص:

إن في الجهاد وعند الخوف صلوا على أي حال قائمين أو راكبين فإذا أمنتم فصلوا بالطمانية والوقار واذكروا الله كما علمكم .

علاقتها بالجهاد:

أما القتال الواجب فهو كالقتال مع الكفار وهو الأصل في صلاة الخوف وفيه نزلت الآية:

(تفسير الرازي)

خلاصة أقوال المفسرين

1- فإن خفتم قال الواحدي رحمه الله تعالى : معنى الآية فإن خفتم عدواً فحذف المفعول لاحاطة العلم به .

2- فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره .

3- فإن خفتم فوات الوقت إن أخرتم الصلاة إلى أن تفرغوا من حربكم . (هذا القول يوافق مذهب الإمام الشافعي رحمه الله)

(تفسير الرازي)

فائدة أولى:

لا منافاة بين الصلاة والجهاد فلا يترك الجهاد من أجل الصلاة ولا يترك الصلاة من أجل الجهاد بل يقرن بينهما ولذلك نزلت أحكام صلاة الخوف في القرآن الكريم . (أنظر: سورة النساء : الآية/**110-103**) والله أعلم بالصواب.

فائدة ثانية:

فاتت النبي ﷺ عدة صلوات وقت الخندق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً فأمر فأقام الظهر فصلاها كما كان يصلي ، ثم أقام العصر فصلاها كذلك ، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك . (روح المعاني)

قال القرطبي رحمه الله تعالى : الصلاة أصلها الدعاء، وحالة الخوف أولى بالدعاء، فلهذا لم تسقط الصلاة بالخوف، فإذا لم تسقط الصلاة بالخوف فأحرى ألا تسقط بغيره من مرض أو نحوه، فأمر الله سبحانه وتعالى بالمحافظة على الصلوات في كل حال من صحة أو مرض، وحضر أو سفر، وقدرة أو عجز وخوف أو أمن، لا تسقط عن المكلف بحال، ولا يتطرق إلى فرضيتها اختلال.

سورة البقرة مدنية الآية (243)

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾

الملخص:

إن الله تعالى قص قصة الأمة الماضية قبل أن يأمر بالجهاد في سبيله أنهم خرجوا من ديارهم حذرين الموت فماتوا بإذن الله ثم أحياهم.

فعلم بذلك أن الفرار من الموت لن ينفع أحداً فإن الله هو القادر أن يقى الإنسان مكان الموت ويميته مكان الحفظ والأمان فالواجب على المسلم أن يمتثل بأمره ليجد به فضل الله تعالى ثم قال تعالى إن أكثر الناس لا يشكرون .

موجز القصة

قال الشاه العلامة عبد القادر رحمه الله تعالى:

إن في الأمة الماضية خرج الآلاف من الناس حذرين من هجوم الأعداء متخلفين من القتال ، أو خافوا الوباء وضعف اعتقادهم بالتقدير فمات كلهم ثم أحياهم الله بدعوة نبيهم ليتوبوا إلى الله ، وحكمة ذكر هذه القصة في هذا الموضع أن الله سبحانه وتعالى نبه المسلمين على أن التخلف من الجهاد أو الفرار من الموت حذراً منه لا ينفعهم فإن الموت ليأتينهم حيث ما كا نوا وأينماكانوا.

خلاصة أقوال المفسرين في تفسير الآية الكريمة

نقل الإمام الرازي روايات عديدة في تفسير هذه الآية ومنها:

1- قال السدي : كانت قرية وقع فيها الطاعون وهرب عامة أهلها ، والذين بقوا مات أكثرهم ، وبقي قوم منهم في المرض والبلاء ، ثم بعد ارتفاع المرض والطاعون رجع الذين هربوا سالمين ، فقال من بقي من المرضى : هؤلاء أحرص منا ، لو صنعنا ما صنعوا لنجونا من الأمراض والآفات ، ولئن وقع الطاعون ثانياً خرجنا فوقع وهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، فلما خرجوا من ذلك الوادي ، ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه : أن موتوا ، فهلكوا وبليت أجسامهم ، فمر بهم نبي يقال له حزقيل ، فلما رآهما وقف عليهم وتفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك كيف أحييهم؟ فقال نعم فقيل له : ناد أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض حتى تمت العظام ثم أوحى الله إليه : ناد يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً ودماً ، فصارت لحماً ودماً ، ثم قيل : ناد إن الله يأمرك أن تقومي فقامت ، فلما صاروا أحياء قاموا ، وكانوا يقولون : «سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت» ثم رجعوا إلى قريتهم بعد حياتهم ، وكانت أمارات أنهم ماتوا ظاهرة في وجوههم ثم بقوا إلى أن ماتوا بعد ذلك بحسب آجالهم.

2- قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمر عسكره بالقتال ، فخافوا القتال وقالوا لملكهم : إن الأرض التي نذهب إليها فيها الوباء ، فنحن لا نذهب إليها حتى يزول ذلك الوباء ، فأماتهم الله تعالى بأسرهم ، وبقوا ثمانية أيام حتى انتفخوا ، وبلغ بني إسرائيل موتهم ، فخرجوا لدفنهم ، فعجزوا من كثرتهم ، فحظروا عليهم حظائر ، فأحياهم الله بعد الثمانية ، وبقي فيهم شيء من ذلك النتن وبقي ذلك في أولادهم إلى هذا اليوم.

3- أن حزقيل النبي عليه السلام ندب قومه إلى الجهاد فكرهوا وجبنوا ،فأرسل الله عليهم الموت ، فلما كثر فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت ، فلما رأى حزقيل ذلك قال:اللهم إله يعقوب وإله موسى ترى معصية عبادك فأرهم آية في أنفسهم تدلهم على نفاذ قدرتك وأنهم لا يخرجون عن قبضتك ، فأرسل الله عليهم الموت،ثم إنه عليه السلام ضاق صدره بسبب موتهم ، فدعا مرة أخرى فأحياهم الله تعالى.

القول الجامع

إن المفسر الإمام القرطبي ذكر أقوالاً عديدة في تفسير هذه الآية وختمها بمايلي:وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، ليرواهم وكل من خلف من بعدهم أن الاماتة إنما هي بيد الله تعالى لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغتر.

وجعل الله هذه الآية مقدمة بين يدى أمره المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد، هذا قول الطبري وهو ظاهر وصف الآية. (تفسير القرطبي)

قال السيوطي رحمه الله تعالى:

..والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال.

(تفسيرالجلالين)

والمقصود من ذكر القصة ههنا للعبرة وأخذ الدرس وقص الله تعالى قصة كانت مشهورة لدى العرب ومعلومة عند أهل الكتاب ليعلم أهل الإيمان أن الموت والحياة هما بيد الله تعالى وقدرته ولا مفر لأحد من الموت وليأتين إلى كل من البشر حسب آجالهم المكتوبة فلا سعادة في ترك فريضة الجهاد العظيمة من أجل الموت ، بل من الواجب أن يجاهد في سبيل الله مفوضاً أمره إلى الله موتاً وحياتاً .

(حاشية اللاهوري رحمه الله)

اسم القرية :

قال القرطبي رحمه الله: ..وقصة هؤلاء أنهم قوم من بنى إسرائيل وقع فيهم الوباء، وكانوا بقرية يقال لها " داور دان"

وقال ابن كثيررحمه الله : وقال سعد بن عبد العزيز كانوا من أهل أذرعات .

''هم ألوف'' أي كان عددهم ألاف البشر ، واختلف المفسرين في تعيين هذا العدد ، فقال بعضهم : أربعة آلاف، وقالوا : تسعة آلاف ، وقالوا ،أربعون ألفا، وقالوا : بضعة و ثلاثون ألفاً :وقالوا:سبعون ألفاً ، وقالوا : عشرة ألاف، ولكن القول الراجح في ذلك هو أن الألوف جمع كثرة ولا يقال في عشرة فما دونها ألوف . وهذا ما ذهب إليه الثقات من المفسرين .

ربط هذه الآية بما قبلها:

1- إن الله تعالى أمر عباده بالجهاد في سبيله (كما مضى ذكره في الآية السابقة) ومن لوازم الجهاد هو الاتحاد بين المسلمين والاتفاق فيما بينهم وأكثر مايختل به هذا الاتحاد هو معاملات النكاح والطلاق والميراث والوصية والنزعات التي تتعلق بهذه الأمور ففصل تبارك وتعالى أحكامها ثم بدأ الترغيب في الجهاد في سبيله مبتدئاً بذكر قصة بني إسرائيل ليعتبرها المسلمون .

(ملخص ما ذكر في التفسير الحقاني من تفسير هذه الآية)

2- قال أبو حيان رحمه الله : لما بين تعالى حكم النكاح ، بين حكم القتال ، لأن النكاح تحصين للدّين ، والقتال تحصين للدّين والمال والروح. (البحر المحيط)

ثلاث عبر في هذه الآية:

1- إن للموت أجلاً مسمى فلا مفر منه مهما فعل أحد حيلة للفرار منه فالجبن شيء عبث .

2- إن الجبن يزين للإنسان أنه سيبقى به ولكنه يقوي العدو فيقضي عليه ويتجرأ أكثر من الشجاع.

3- إن لله قدرة كاملة فيحي العظام وهي رميم فيا أيها المسلمون ! لم لا تقاتلون الأعداء متوكلين على الله ولَمَ تتكئـــون على الأسباب الظاهرة . (التفسير الحقاني)

نكتة:

من أراد حسن البحث من المسلمين أن يدعو إخوانه المسلمين إلى الجهاد فليتدبر في هذا الأسلوب القرآني الذي ذكر في من الآية 243إلى 252 من سورة البقرة وليجدن إن شاء الله تعالى فيه نفعاً عظيماً .

قال العلامة أبو حيان في تفسير هذه القصة الإسرائيلية :

أتت هذه القصة بين يدي الأمر بالقتال تشجيعاً للمؤمنين وحثاً على الجهاد والتعريض للشهادة واعلاماً أن لا مفر ممـــا قضـــى الله تعالى . (تفسير البحر المحيط)

دعاء :

اللهم يا لطيف يا ودود ارزقنا الشوق إلى لقائك واليقين بأن للموت أجلاً مسمى واحفظنا من الجـــبن ، وفهمنـــا أن في القـــرآن الكريم والجهاد في سبيل الله لنا حياة . آمين يا رب العالمين.

سورة البقرة مدنية الآية (244)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾

الملخص:

أيها المسلمون ! تدبروا في القصة الماضية وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم فلا تخافوا الموت وامتثلوا بأمر الله تعالى بالجهاد في سبيله .

أقوال المفسرين في هذه الآية:

1- هذا خطاب لهذه الأمة بالجهاد في سبيل الله وتقدمت تلك القصة كما قلنا تنبيهاً لهذه الأمة أن لا تفر من الموت كفرار هؤلاء وتشجيعاً لها وتثبيتاً . (تفسير البحر المحيط)

2- هذا خطاب لأمة ﷺ بالقتال في سبيل الله في قول الجمهور وهو الذي ينوي به أن تكون كلمة الله هي العليا. (تفسير القرطبي)

3- إن هذا الخطاب للذين أحيوا ،قال الضحاك رحمه الله أحياهم ثم أمرهم بأن يذهبوا إلى الجهاد لأنه تعالى إنما أماتهم بسبب أن كرهوا الجهاد . (تفسر الرازي) وهذا القول ضعيف لدى المفسرين كما في تفسير القرطبي و البحر المحيط .

نصان حسنان في تفسير هذه الآية

1- أي: كما أن الحذر لا يغني من القدر كذلك الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلا ولا يباعده، بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه كما قال تعالى: { الَّذِينَ قَالُوا لإخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران:168] وقال تعالى: { وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ } [النساء:77، 78] وروينا عن أمير الجيوش ومقدم العساكر وحامي حوزة الإسلام وسيف الله المسلول على أعدائه أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه، أنه قال:-وهو في سياق الموت: لقد شهدت كذا وكذا موقفًا وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت العير!! فلا نامت أعين الجبناء (5) يعني: أنه يتألم لكونه ما مات قتيلا في الحرب ويتأسف على ذلك ويتألم أن يموت على فراشه.

2- بعد ذكر الأحكام بدأ تبارك وتعالى بالترغيب في القتال بالنفس والمال ،لأنه لا يبقى قوم من الأقوام على وجه الارض مأموناً ومحفوظاً وليس عنده قدرة وقوة ليحافظ بها دينه وعرضه. وبالأخص الدين الذي سينتشر في أرجاء العالم ، وتوحيده وأحكامه الوضيئة تخالف أشرار الدنيا كان أكثر خطراً من أعدائه ومن المحتمل بل من اليقين أنه سيكون هدف مخالفيه في رحاب بيته وبلاده وخارج بلاده وفعلاً اجتمعت قوات الأعداء وقدراتهم ضد هذا الدين الحنيف وحاربوه بكل الوسائل والطرق الممكنة لذا أمر تبارك وتعالى بالقتال في سبيله و إزالة كل العقبات الواردة في سبيل هذا الدين بالسيف والسنان والأرماح والسهام ، وأخلصوا فيه النية بأن يكون المقصود من الجهاد هو إعلاء كلمة الله تعالى وليس الحصول على الملك والمال أو المنصب والجاه أو مجرد القتل والقتال ، واعلموا أن مثال الجهاد كالعملية الجراحية لإخراج المادة الفاسدة من الجسم لمصلحة سلامة البدن فلابد من نية صادقة واخلاص كامل لذا قال تبارك وتعالى : إنه سميع عليم . (التفسير الحقاني بتغيير يسير)

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

1- أي هو يسمع كلامكم في ترغيب الغير في الجهاد وفي تنفير الغير عنه وعليم بما في صدوركم من البواعث والأغراض وأن ذلك الجهاد لغرض الدين أو لعاجل الدنيا .

(تفسير الرازي)

2- إن الموت والحياة ليستا بيد الإنسان والموت أمر يقيني لا مفر منه فقوموا لإعلاء كلمة الله وجاهدوا لأن يكون للإسلام دولة وصولة وينتشر الأمن والاستقرار في أرجاء المعمورة وبما أنكم تقاتلون ابتغاء مرضاة الله فجزاءه من عند الله تعالى أنه يسمع دعاءكم وينصركم مقابل عدوكم . (تفسير الفرقان)

ربط الآية بما قبلها:

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى

والجهاد لما كان ذروة سنام الدين ، وكان من أشق التكاليف حرضهم عليه من طرق شتى مبتدأ من قوله سبحانه : { وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبيلِ الله } [البقرة : 4 15] منتهياً إلى هذا المقام الكريم مختتماً بذكر الانفاق في سبيله للتتميم.

(تفسير الآلوسي)

دعاء :

اللهم إنك أمرتنا بالقتال في سبيلك فارزقنا بامتثال أمرك يا سميع الدعاء ويا رب العالمين .

آمين يا أرحم الرحمين

سورة البقرة مدنية الآية (245)

بسم الله الرحمن الرحيم

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

الملخص :

أقرضوا الله قرضاً حسناً بالإنفاق في سبيله فيضاعفه أضعافاً كثيرة، وقبض الرزق وبسطه بيده سبحانه وتعالى ، فكل ما تنفقونه في سبيله لتجدونه عند الله أضعافاً مضاعفة لأنكم إليه ترجعون .

ربط الآية بقبلها:

1- المقصود بترغيب الانفاق في سبيل الله هو التحريض على الجهاد في سبيل الله وقصة بني اسرائيل السابقة ذكرها تمهيدله ومضمون الانفاق في سبيل تأييد له وقصة طالوت وجالوت الآتية تأكيد له . (ملخص من بيان القرآن)

2- أمرت الأمة الإسلامية بالجهاد الذي يحتاج إلى العدة ووسائل الحرب لذلك في بداية الأمر وجه النداء إلى أصحاب الأموال أن يقرضوا الله قرضاً حسناً وهو (أي قرض حسن)في الاصطلاح القرآني كل مبلغ يصرف في وجوه الدين والمراد ههنا مصاريف الجهاد . (التفسير الماجدي)

3- لما أمر الله تعالى بالجهاد والقتال على الحق حرض على الانفاق في ذلك. (القرطبي)

4- أن هذه الآية متعلقة بما قبلها والمراد منها القرض في الجهاد خاصة ، فندب العاجز عن الجهاد أن ينفق على الفقير القادر على الجهاد ، وأمر القادر على الجهاد أن ينفق على نفسه في طريق الجهاد .

(تفسير الرازي)

وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ

1- بعد الترغيب في الانفاق أخبر تبارك وتعالى أن القبض والبسط بيدي ، فالذين لا ينفقون في سبيلي لا يغتروا بالمال ولا يحسبوا أن ماهم أخلده فإني قادر على أن أبتليهم بالمصائب والآلام التي تؤديهم إلى الفقر بما فيها أن يغلب عليهم العدو فيترع عنهم الملك والمال ، ومن أنفقوا في سبيلي فلا يخشونّ من الفقر فليأتينهم الغنائم الكثيرة والفتوحات العظيمة في الدنيا و النعم الكثيرة في الآخرة كما وجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإليه ترجعون. (التفسير الحقاني)

2- لا تكفي تضحية النفس في الجهاد فقط بل لا بد من الانفاق فيه ، فاشتروا آلات الحرب ووسائل القتال وجهزوا المسلمين بالوسائل الحربية لتجدون الفوز بالغلبة على الأعداء في الميدان وستحصلون على الغنائم التي تكون أضعافاً مضاعفة مما أنفقتم من المال ، وبه (أي بالجهاد في سبيل الله) ترفرف أعلام الاسلام الهلالية الخضراء في مئات من الدول ،وألوف الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فلا تخشوا الفقر فإن قبض الرزق وبسطه بيد الله سبحانه وتعالى ، ومن الممكن أن تكون لديكم أموالاً كثيرة ولكن الله لم يرد بكم الراحة والطمانينة فتكدرت صفوة حياتكم وتضايقت معيشتكم وبالعكس هو قادر على أن يرزقكم الراحة والطمانينة والسكون والفرحة وأنتم في معيشة ضنكا فيغتبط بكم الأغنياء .

(تفسير الفرقان)

كلام نفيس

قال الشاه العلامة عبد القادر رحمه الله تعالى في تفسر هذه الآية:المراد ب''أقرضوا الله '' أي أنفقوا في الجهاد،واختار سبحانه وتعالى أسلوب البيان فيه شفقة ورحمة وترغيب وتشويق وليس بالتشديد والتخويف فلايخش المسلم من الفقر لأن الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء .

(موضح القرآن)

دعاء :

اللهم يا غني يا مغني وفقنا للإنفاق في سبيلك وتقبله منا إنك أنت السميع العليم آمين
ياأرحم الراحمين.

سورة البقرة مدنية الآية (246)

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

الملخص:

(للإطلاع على فوائد الجهاد وشروطه و فهم آدابه) ألم تر إلى قصة الملأ من بني إسرائيل ؟ إذ قالوا لنبيهم أن يعين لهم أميراً يقاتلوا في سبيل الله تحت إمارته وينقذوا انفسهم من ظلم جالوت واعتداءاته ، فقال لهم نبيهم : هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا ؟ وتعرضوا عن الجهاد ؟ قالوا ومالنا أن لا نقاتل في سبيل الله وديارنا وأولادنا بأيدي أعدائنا ؟ فلن يمكن ذلك ، ولكن صدق قول نبيهم بحيث لمّا كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين أمثالهم .

ربط الآية بما قبلها :

1- ذكر في التحريض على القتال قصة أخرى جرت في بني إسرائيل . (تفسير القرطبي)

زمن القصة:

إن القصة حدثت بعد موسى عليه السلام حيث قال تعالى " من بعد موسي " ولكنهم اختلفوا في تعيين ذلك الزمن فنذكر ههنا بعض أقوال المفسرين :

1- قال المفسر الدريابادي : إن القصة حدثت بعد موسى عليه السلام نحو ثلاثة قرون وقبيل زمن داود عليه السلام وقبل المسيح حوالي ألف سنة أو ألف ومائة سنة . (تفسر ماجدي)

2- ذكر الله تعالى في هذه الآيات قصة اسرائيلية أخرى مضت قبل المسيح عليه السلام حوالي ألف ومائة سنة ، المقصود منها تحريض المسلمين على القتال والثبات عليه والصبر على البلايا والمصائب.(تفسير حقانى)

3- لما مات موسى عليه السلام ، خلف من بعده في بني إسرائيل يوشع يقيم فيهم التوارة ، ثم قبض فخلف حزقيل ، ثم قبض ففشت فيهم الأحداث ، حتى عبدوا الأوثان فبعث إليهم إلياس ، ثم من بعده اليسع ، ثم قبض ، فعظمت فيهم الأحداث ، وظهر لهم عدوهم العمالقة قوم جالوت ، كانوا سكان ساحل بحر الروم ، بين مصر وفلسطين ، وظهروا عليهم وغلبوا على كثير من بلادهم ، وأسروا من أبناء ملوكهم كثيراً ، وضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراهم ، ولم يكن لهم من يدبر أمرهم ، وسألوا الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه ، وكان سبط النبوّة هلكوا إلاّ امرأة حبلى دعت الله أن يرزقها غلاماً ، فرزقها شمويل ، فتعلم التوراة في بيت المقدس ، وكفله شيخ من علمائهم؛ وتبناه فلما بلغ النبوّة ، أتاه جبريل وهو نائم إلى جنب الشيخ ، وكان لا يأمن عليه ، فدعاه بلحن الشيخ : يا شمويل ، فقام فزعاً ، وقال : يا أبتِ دعوتني ، فكره أن يقول له : لا ، فيفزع ، فقال : يا بني نم ، فجرى بذلك له مرتين ، فقال له : إن دعوتك الثالثة فلا تجبني ، فظهر له جبريل ، فقال له إذهب فبلغ قومك رسالة ربك ، قد بعثك نبياً . (تفسير البحر لأبي حيان)

اسم النبي (عليه السلام)

اسم النبي الذي ذكر في هذه الآية شموئيل عليه السلام كما ذكره كبار المفسرين .

(انظرتفسير القرطبي،تفسير الرازي،تفسير البحر المحيط لأبي حيان)

تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

1- **هذا شأن المترف المنعم ، متى كان متلبساً بالنعمة قوي عزمه وأنف ، فإذا ابتلي بشيء من الخطوب ركع وذلّ . (تفسير البحر المحيط لأبي حيان)**

2- **قوله تعالى: { إِلاَّ قَلِيلاً مّنْهُمُ } فهم الذين عبروا منهم النهر سيأتي ذكرهم، وقيل : كان عدد هذا القليل ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر . (تفسير الرازي)**

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ

1- **فيه وعيد وتهديد لمن تقاعد عن القتال بعد أن فرض عليه بسؤاله ورغبته ، وأن الإعراض عما أوجب الله على العبد ظلم ، إذا الظلم وضع الشيء في غير موضعه (تفسير البحر المحيط لأبي حيان) .**

2- **أي هو عالم بمن ظلم نفسه حين خالف ربه ولم يف بما قيل من ربه ، وهذا هو الذي يدل على تعلق هذه الآية بقولـه قبل ذلك : { وقاتلوا فِي سَبِيلِ الله } فكأنه تعالى أكد وجوب ذلك بأن ذكر قصة بني إسرائيل في الجهاد وعقـب ذلك بأن من تقدم على مثله فهو ظالم والله أعلم بما يستحقه الظالم وهذا بين في كونه زجراً عـن مثـل ذلـك في المستقبل وفي كونه بعثاً على الجهاد ، وأن يستمر كل مسلم على القيام بذلك ، والله أعلم . (تفسـير الرازي)**

دروس وعبر

1- **استفاد من الآية أن الطريقة الفطرية للنجاة من الظلم والظالم هي الجهاد في سبيل الله .**

2- **لوكان الجهاد تحت إمرة من الأمير ليتأتى فيه النجاح .**

3- **التولي من الجهاد ظلم . والله تعالى أعلم**

دعاء :

اللهم إنا نعوذ بك من أن نكون من الظالمين. آمين ياأكرم الأكرمين.

سورة البقرة مدنية الآية (247)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

الملخص:

سألت بنو إسرائيل نبيهم أن يجعل لهم ملكاً واميراً عليهم فقال لهم إن الله قد جعل لكم طالوت ملكاً ،فقالوا كيف يكون طالوت علينا ملكاً وهو رجل فقير ولم يؤت سعة من المال ونحن أكثر منه مالا ؟ فقال نبيهم إن الله اصطفاه عليكم ورزقه بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله سميع عليم .

طالوت :

1- طالوت بن كش كان أول ملك في بني إسرائيل في عام 1012 حتى 1028 قبل المسيح عليه السلام وهذا هو الذي ورد اسمه سؤل في التوراة . (تفسر ماجدي)

2- قوم بني اسرائيل تفرع من اثنتاعشرة قبيلة أصغرها بنو يامين وكان طالوت من سبط بن يامين كما ورد في التوراة . (تفسير ماجدي)

3- كان طالوت اسمه بالعبرانية ساؤل فسمي طالوت لطوله .(معالم – ماجدي)

4- إن طالوت ليس من سبط المملكة وكان يكتسب فرأته بني إسرائيل ذليلاً وقال لهم نبيهم إن المُلك ليس حق لأحد وأكبر صفة هي العقل والكياسة ، وكان في القوم عصا فقيل لهم من كان طوله طول العصا فهو الملك ، فلم توجد قامة أحد طول العصا غير طالوت . (موضح القرآن)

5- كان دباغاً أو راعياً . (جلالين)

6- وكان طالوت سقاء وكان عالماً فلذلك رفعه الله .(تفسير القرطبي)

اعتراض بني اسرائيل:

1- إن طالوت كان من سبط بن يامين ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط الملك وكانت النبوة في بني لاوي والملك في سبط يهودا فلذلك أنكروا . (تفسر القرطبي).

2- فأتت عظماء بني اسرائيل نبيهم مستغر بين ذلك حيث لم يكن من بيت النبوة ولا الملك . (روح المعانى).

3- لما تجاوزت أهمية الحسب والنسب الحدود وغلا الناس فيه حل محل القداسة والعظمة بحيث تفرق الناس من أجله فرقاً وأحزاباً كالهندوسية ففيها نظام العز والذلة منحصر في الحسب والنسب فتجد القبيلة مكانة مرموقة في المجتمع بالحسب والنسب العالي وتهان أخرى بالنسب الوضيع والمهين كذلك صارت اليهودية ، فاعتقد اليهود بأن النبوة خاصة بقبيلة دون غيرها وهي أسباط بني لادي وحق الحكم خاص لقبيلة بني يهودا . (تفسير ماجدي)

4- إن الناس بالعموم يقدسون أنسابهم ويمجدونها حتى يترلونها مترلة العبادة ويخضعون لها كما يخضعون لآلهتهم فجاء الإسلام وأزال هذا الصنم المخترع من أساسه وأبطل الجذور العنصرية والفوارق الجنسية وبنى أساس الفضيلة والرفعة عل العمل والتقوى فقال تعالى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (سورة الحجرات : الآية/ 13)

(تفسير الفرقان)

بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ

1- والمراد بالعلم ههنا العلوم والفنون التي تتعلق بالحرب والقتال والسياسة الدينية والأمور الإدارية، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالعلم هو علم الحرب. (تفسر ماجدي)

2- وقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: وقيل المراد بالعلم القوة ، وهذا القول عندي أصح لأن المنتفع به في دفع الأعداء هو القوة والشدة .(تفسير الرازي) ولا كمال ولا فضل في طول القامة ولوكان من الفضل والكمال لأعطي النبي ﷺ ولكن كانت مقاومة بني اسرائيل مع العمالقة الذين كانوا واسعي الجسم وطويلي القامة فأُمّر على بني إسرائيل رجل أعطي طول القامة وبسطة في الجسم .

قال المفسر الآلوسي رحمه الله تعالى:

حمل بعضهم البسطة فيه هنا على الجمال أو القوة لا على المقدار كطول القامة كما قيل : إن الرجل القائم كان يمد يده حتى ينال رأسه فإن ذلك لو كان كمالاً لكان أحق الخلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه عليه الصلاة والسلام كان ربعة من الرجال ، ولعل ذكر ذلك على ذلك التقدير لأنه صفة تزيد الملك المطلوب لقتال العمالقة حسناً لأنهم كانوا ضخاماً ذوي بسطة في الأجسام . (تفسير الآلوسي)

دروس وعبر

1- لا عبرة بالنسب والمال والقوم والقبيلة في تعيين الامام والأمير بل العبرة هي الأهلية والصلاحية .

2- وللحصول على النجاح في الجهاد يجب أن يتزود بالعلم وقوة الجسم .

3- يجب على هذه الأمة أن تمتاز بين الأمم بالتخلي من العناصر الجنسية والعصبيات القبلية وتتوحد بحيث أن تكون أمة واحدة كالجسد الواحد.

سورة البقرة مدنية الآية (248)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

الملخص :

قال النبي عليه السلام لقومه بني إسرائيل : إن علامة طالوت أنه أمير عليكم أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وباقيات آل موسى وآل هارون عليهما السلام تجيء به إليكم ملائكة الله وفي ذلك آية للمؤمنين .

التابوت :

هو اسم اصطلاحي لصندوق بني إسرائيل الوراثي القومي وكان فيه نسخ التوراة الأصلية وتبركات أنبيائهم عليهم السلام وكانوا يمجدونه ويحترمونه ويتبركون به فيصاحبونه في السفر والحضر ومواقع الأمن والحرب واهتموا بالحفاظ عليه ببالغ الاهتمام .

(تفسير ماجدي)

وهذا خلاصة ما ورد من أقوال المفسرين في ذلك .

قال الشيخ العلامة عبد القادر رحمه الله تعالى :

كان في بني إسرائيل صندوق موروثي وضع فيه بقية ما ترك آل موسى وآل هارون كانوا يستفتحون به على الأعداء وإذا حضروا القتال قدموه بين أيديهم ففتح الله عليهم فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه ، فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت ، قال ذلك النبي : إن آية ملكه أنكم تجدون التابوت في داره ، ثم إن الكفار الذين سلبوا ذلك التابوت نزل بهم البلاء وخربت خمسة مدائنهم ، فعلم الكفار أن ذلك لأجل استخفافهم بالتابوت ، فأخرجوه ووضعوه على ثورين فأقبل الثوران يسيران ووكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما ، حتى أتوا مترل طالوت ، ثم إن قوم ذلك النبي رأوا التابوت عند طالوت ، فعلموا أن ذلك دليل على كونه ملكاً لهم . (تفسير الرازي وموضح القرآن)

وَبَقِيَّةٌ ممَّا تَرَكَ آَلُ مُوسَى وَآَلُ هَارُونَ

قال المفسر العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى :

هي رضاض الألواح وثياب موسى وعمامة هرون وطست من ذهب كانت تغسل به قلوب الأنبياء . وكلمة الفرج لا إله إلا الله الحليم الكريم وسبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين .

يستفاد من الآية بعض الفوائد نذكر بعضها ما يلي:

الفائدة الأولى :

إنه من الواجب أن يتفق القوم والجند على أميرهم ويطمئنوا به ، إن بني إسرائيل لما تابوا إلى الله بصدق النية وعزموا على الجهاد في سبيله فتح الله عليهم من بركات السماء والأرض ، ومن بينها أن جعل لهم أميراً الذي وحّد بين صفوفهم ، ولا شك في أن تعيين الأمير أمر سعادة وفلاح للقوم والشعب وهو نعمة من نعم الله تعالى على الأمة ، إن بني إسرائيل لما جعل لهم أمير جعلت تبرز الجذور العنصرية والعصبيات القبلية فأراهم الله تعالى آية وحدهم وجمعتهم على أميرهم وملكهم .

الفائدة الثانية : لما اتفقوا على ملكهم بدأت تترل عليهم النعم التي كانت عليهم وسلبت منهم بسبب المعاصي والكفران حتى أعيدت إليهم النسخة الأصلية للتوراة وتوحدت صفوفهم واجتمعت قواهم ببركة اتفاقهم على أميرهم .

دروس وعبر

1- إن للنجاح في الجهاد يلزم الاتفاق على الأمير والثقة به .

2- إن للنجاح في الجهاد يلزم الطمآنية والسكون والتزود من كتاب الله تعالى لتقوى به القلوب .

3- إن للنجاح في الجهاد يلزم الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به والدعاء منه لينصر المظلومين على الظالمين فلن يتحقق النجاح إلا بنصر الله .

سورة البقرة مدنية الآية (249)

بسم الله الرحمن الرحيم

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

الملخص :

لما سلم بنو اسرائيل طالوت ملكا لهم واجتمعوا عليه انفصل طالوت عن بيت المقدس مصاحباً لهم لقتال العمالقة وقال لهم: إن الله سيبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ولا يرافقني في الجهاد ، ومن لم يطعمه أي لم يشربه أو شربه غرفة بيدة فيرافقني ،فلما وصلوا إلى النهر شربوا منه إلا قليلاً منهم وتخلف الشاربون وسبقهم المطيعون حتى جاوزوا النهر معه ووصلوا إلى مكان المعركة ورأوا جالوت وجنوده العظيمة قالوا : لا طاقة لنا اليوم بمقاومة جالوت وجنوده ، فقال الذين أمنوا بلقاء الله وعلموا باليقين الكامل أنهم ملاقوا الله : كم من جماعة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين .

خلاصة أقوال المفسرين في تفسير الآية :

الجنود

1- قال القرطبي رحمه الله تعالى : وكان عدد الجنود في قول السدي ثمانين ألفاً.

(تفسير القرطبي)

2- قال وهب بن منبه لم يخلف عنه إلا ذو عذر من صغر أو كبر أو مرض .

(تفسير القرطبي)

3 - ورد في بعض الروايات أن الناس خرجوا بشوق ووله حتى كثر عددهم .
وقال الرازي: روي أن طالوت قال لقومه : لا ينبغي أن يخرج معي رجل يبني بناءً لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ، ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفاً .

(تفسير الرازي)

قال المفسر الشاه عبد القادر رحمه الله :

خرج جميع الناس مع جالوت بالشوق فشرط عليهم أن لا يخرج معه إلا الشاب النشيط الفارغ، فاجتمع إليه ثمانون ألفا منهم فأراد أن يختبرهم ولم يجدوا ماءاً في مسافة ثم لقوا نهرا فقال لهم لا يشرب منه أحد أكثر من غرفة ومن شرب أكثر من ذلك فلا يرافقني فشربوا منه إلا قليلاً منهم وبقوا مع طالوت وعددهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً وتخلفت البقية منهم .(موضح القرآن)

إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ

ما المقصود بهذا الاختبار ؟ نذكر ههنا بعض الأقوال المتعلقة بذلك .

1- قال العلامة التهانوي رحمه الله تعالى : بادئ النظر ينكشف لي أن الحكمة في هذا الاختبار هو أن مثل هذه المواقع يزدحم الناس ويحتشدون ويكون القليل منهم الذين يثبتون ويستقيمون ، والأكثر منهم الذين يتزلزلون ، فأراد الله تعالى أن يميز الثابت من المتزلزل بهذا الاختبار والامتحان لئلا يتأثروا بهم الثابتون في المعركة فاختار لذلك مكاناً مناسباً ووقتاً مناسباً لأن الجهاد يقتضي الصبر والثبات على البلاء والمشقة فمن صبرعليها استحق أن يستمر ومن لم يصبر ولم يثبت لا يستحق أن يستمر في الجهاد وهذا يدل على قلة صبره وسرعة جزعه . (بيان القرآن)

2- في حكمة هذا الابتلاء وجهان الأول : قال القاضي : كان مشهوراً من بني إسرائيل أنهم يخالفون الأنبياء والملوك مع ظهور الآيات الباهرة فأراد الله تعالى إظهار علامة قبل لقاء العدو يتميز بها من يصبر على الحرب ممن لا يصبر لأن الرجوع قبل لقاء العدو لا يؤثر كتأثيره حال لقاء العدو ، فلما كان هذا هو الصلاح قبل مقاتلة العدو لا جرم قال : { فَإِنَّ الله مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ } الثاني : أنه تعالى ابتلاهم ليتعودوا الصبر على الشدائد .(تفسير الرازي)

القول في النـهر

1- إنه نهر فلسطين وهو قول قتادة والربيع . (تفسير الرازي)

2- إنه نهر فلسطين وهو قول ابن عباس والسدي . (تفسير الرازي)

3- إنه نهر الأردن . (تفسير ماجدي)

فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي

قال الآلوسي رحمه الله تعالى:

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن من شرب لم يزدد إلا عطشاً ، وفي رواية : إن الذين شربوا اسودت شفاههم وغلبهم العطش . (تفسير الآلوسي)

فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

1- وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر على ما أخرجه البخاري عن البراء رضي الله تعالى عنه . (روح المعاني)

2- القليل الذي لم يشرب قيل : إنه أربعة آلاف ، والمشهور وهو قول الحسن أنهم كانوا على عدد أهل بدر ثلثمائة وبضعة عشر وهم المؤمنون ، والدليل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاز معه إلا مؤمن ، قال البراء بن عازب : وكنا يومئذٍ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً .

(تفسير الرازي)

الفدائيون

لما شاهد بعضهم قلة عسكرهم وكثرة عدوهم قالوا : { لاَ طَاقَةَ لَنَا اليوم بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ } وقال : الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ [ومعنى يظنون أي يوقنون] والمراد من لقاء الله الموت قال عليه الصلاة والسلام :« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ».

(تفسير الرازي)

وعلى أمثال هؤلاء تنزل رحمة الله ونصره .

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى :

ويحتمل إبقاء الظن على معناه ، والمراد يظنون أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله تعالى.

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ

قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى :

وهذا كما ترى ناشيء من كمال إيمانهم بالله واليوم الآخر وتصديقهم بأنه سبحانه لا يعجزه إحياء الموتى كما لا يعجزه إماتة الأحياء فضلاً عن نصرة الضعفاء . فشجع هؤلاء الجنود كله.

وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ :

المراد منه المعية بالنصر والاحسان . (روح المعاني)

دروس وعبر : إن الآية الكريمة أفادتنا بدروس وعبر نذكر بعضها ما يلي:

1- إنه لا بد للجهاد الاعداد والتربية .
2- إن حب الدنيا واتباع الهوى والنفس سم قاتل .
3- إن النجاح للذين يصبرون على الأذى والبلية لأهداف عالية .
4- لا يتوقف الفتح على القلة والكثرة و إنما يتحقق بنصرالله .
5- إن الشوق وحب لقاء الله يقوي عواطف المسلم الجهادية ويحثه على التضحية بالنفس.
6- إن الواجب على الأمير أن يميز الثابت من الفار عند القتال فيخرج الفار والجبان، ويعين أفراداً ليحرضوا المجاهدين ويرغبهم في القتال أثناء الحرب .
7- لما يخرج أهل الإيمان للجهاد لتأتيهم فتن جذابة فالحذر كل الحذر من أن يقربوها بل ليتقدموا إلى هدفهم الأصلي .

سورة البقرة مدنية الآية (250)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

الملخص:

بعد أن قويت قلوب الضعفاء من أهل طالوت قاموا في ميدان المعركة مقابل جالوت وجنوده ثم التجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء : ربناافرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

أقوال المفسرين :

{ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُوده } أي ظهروا لقتالهم وتصافّوا { قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ } اصبب { عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا } بتقوية قلوبنا على الجهاد . (تفسير الجلالين)

المبارزة في الحروب ، هي أن يبرز كل واحد منهم لصاحبه وقت القتال . (تفسير الرازي)

نكتة :

ورد في السنة الشريفة أن عند القتال يستجاب الدعاء وهكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل المواطن ، وروي عنه في قصة بدر أنه عليه السلام لم يزل يصلي ويستنجز من الله وعده ، وكان متى لقي عدواً قال : « اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأجعلك في نحورهم » وكان يقول : « اللهم بك أصول وبك أجول » . (تفسير الرازي)

أجزاء الدعاء الثلاثة

إن لهذا الدعاء ثلاثة أجزاء :

الصبر : وهو ملاك الأمر فلا يحصل النجاح في الحرب بدونه فسألوا ربهم إفراغ الصبر في قلوبهم ثم ثبات القدم في القتال فلايحصل الثبات بدون قوة القلب لذا سألوا أولاً الصبر وهو حبس النفس ثم سألوه النصر على العدو فلا ينفع الصبر والثبات بدون النصر والفتح وهو بيد الله سبحانه. (المستفاد من التفاسير)

نكتة

إن قلوب هؤلاء امتلأت بأشواق الشهادة وأزال حنينهم إلى لقاء الله كل ضعف ونقص ثم برزوا للقتال وصفوا أمام العدو فاستغلوا فرصة دعا الإجابة والتجأوا إلى الله بالإخلاص والتضرع فاستجيب دعاءهم وفتح الله عليهم النصر .

دروس وعبر

1- على المجاهدين أن يلتجأوا إلى الله بالدعاء دائما.
2- ينبغي أن يدعوا الله قبل بدء القتال .
3- لما برزوا للقتال ويواجههم الأعداء فلا يخافوهم بل ليتوكلوا على الله وليتضرعوا إليه بالدعاء.
4- في تربية الجهاد يجب الاهتمام بثلاثة أمور : (أ) كيف تعلو العزيمة لتثبت النفس في الحرب ولاتضطرب (ب) كيف تزيد الشجاعة ليثبت المجاهد ولا يتزلزل (ج) وليهتم باخلاص النية والالتزام بالأعمال التي ترضي الله وتنزل بها نصر الله .

سورة البقرة مدنية الآية (251)

بسم الله الرحمن الرحيم

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾

الملخص :

وكان في هذه الثلاثة مائة وثلاث عشر رجلاً نبي الله داود وأبوه وستة من إخوته ، فلقي داود ثلاثة أحجار في الطريق ، فنطقت الأحجار وقالت لداؤد خذنا نحن نقتل جالوت ، فلما برز جالوت للمبارزة قال : أنا أكفيكم كلكم ، فاحضروا أمامي ، فدعا نبي الله والد داؤد وقال له أرني أبناءك فأراه أبناءه الستة الذين كانوا طوال القامة ولم يره داود لأنه لم يكن طويل القامة وكان يرعي الغنم ، فدعاه نبي الله وسأله أتقتل جالوت ؟ قال : نعم فبرز داؤد لجالوت ووضع ثلاثة أحجار في المنجنيق ورماه به فأصيب جالوت بجبينه ونفذت فيها الأحجار وكانت الجبين مكشوفة وسائر الجسم كان مغطىً بالحديد . (موضح القرآن)

من الآية الكريمة استفاد بعض الفوائد ومنها ما يلي:

الفائدة الأولى :

فأنكح طالوت ابنته بداؤد وصار داؤد ملكاً بعد طالوت . (موضح القرآن)

الفائدة الثانية :

ومن الناس من يقول بغير علم أن القتال ليس من عادة الأنبياء ، فاستفاد من هذه القصة أن الجهاد لايزال قائماً في كل العهود ولولا الجهاد لأفسد المفسدون الدول والممالك . (موضح القرآن)

خلاصة أقوال المفسرين في هذه الآية:

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ

والمعنى أن الله تعالى استجاب دعاءهم ، وأفرغ الصبر عليهم ، وثبت أقدامهم ، ونصرهم على القوم الكافرين : جالوت وجنوده وحقق بفضله ورحمته ظن من قال : { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله وهزموهم بِإِذُنِ الله } (تفسير الرازي)

{ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ }

1- قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن داود عليه السلام كان راعياً وله سبعة أخوة مع طالوت. (تفسير الرازي)

2- هوابن إيشا . (تفسير القرطبي)

3- عن وهب بن منبه قال لما برز طالوت لجالوت قال جالوت : أبرزوا إليّ من يقاتلني فإن قتلني فلكم ملكي وإن قتلته فلي ملككم فأتى بداود إلى طالوت فقاضاه إن قتله أن ينكحه ابنته وأن يحكمه في ماله فألبسه طالوت سلاحاً فكره داود أن يقاتله بسلاح وقال : إن الله تعالى إن لم ينصرني عليه لم يغن السلاح شيئاً فخرج إليه بالمقلاع ومخلاة فيها أحجار ثم برز له فقال له جالوت : أنت تقاتلني؟ قال داود : نعم قال : ويلك ما خرجت إلا كما تخرج إلى الكلب بالمقلاع والحجارة لأبددن لحمك ولأطعمنه اليوم للطير والسباع فقال له داود : بل أنت عدو الله تعالى شر من الكلب فأخذ داود حجراً فرماه بالمقلاع فأصابت بين عينيه حتى قعدت في دماغه فصرخ جالوت وانهزم من معه واحتز رأسه .

(روح المعاني)

4–داؤد بن يسي بن عويبد (963–1024قبل المسيح) كان نبياً حقاً ذكر في القرآن الكريم كرسول ، وكان جندياً عاماً في جنود طالوت لم يكرم بالنبوة و ما أعطي من الملك .

(تفسير ماجدي)

وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ

إن داؤد عليه السلام كان ثاني ملوك بني إسرائيل ،وهو صهر طالوت فإنه أنكحه ابنته وكان لطالوت عشرة بنين فأخذهم وخرج يقاتل في سبيل الله تعالى حتى قتل هو وبنوه في سبيل الله تعالى(كما في تفسير الآلوسي) فاجتمعت قبيلة يهودا على داود وملكـــوه أمرهم وبعد صراع امتد سنتين اتفقت القبائل الأخرى على حكم داؤد، فجعل عاصمته مدينـــة حـــبرون (الخليـــل) ثم نقلـــه إلى يروشلم بعد ما نزعها من الأعداء ، وغلب داؤد على أعدائه ووسع دائرة بلاده وأحسن تدبير ملكه فصار ضرب مثل في تـــاريخ بني إسرائيل .   (تفسير ماجدي)

{ والحكمة }

المراد بها النبوة وهي أعلى مرتبة الحكمة .   (تفسير ماجدي)

قال الإمام الرازي: فلما توفي أشمويل أعطى الله تعالى النبوة لداود ، ولما مات طالوت أعطى الله تعالى الملك لداود ، فاجتمع الملك والنبوة فيه .

وقال العلامة الآلوسي:

..ولم يجتمع الملك والنبوة لأحد قبله بل كانت النبوة في سبط ، والملك في سبط.(تفسر الآلوسي)

وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ

1– كصنعة اللبوس ومنطق الطير وكلام الدواب .   (تفسر الآلوسي)

قال الرازي :

ففيه وجوه أحدها : أن المراد به ما ذكره في قوله : { وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مّن بَأْسِكُمْ } [الأنبياء : 80] وقال : { وَأَلَنَّا لَهُ الحديد * أَنِ اعمل سابغات وَقَدّرْ فِى السرد }

[سبأ : 10 ، 11] وثانيها : أن المراد كلام الطير والنمل ، قال تعالى حكاية عنه : { عُلّمْنَا مَنطِقَ الطـــير } [النمـــل : 16] وثالثها : أن المراد به ما يتعلق بمصالح الدنيا وضبط الملك ، فإنه ما ورث الملك من آبائه ، لأنهم ما كانوا ملوكاً بل كـــانوا رعـــاة ورابعها : علم الدين ، قال تعالى : { وَءاتَيْنَا دَاوُودُ زَبُوراً } [النساء : 163] وذلك لأنه كان حاكماً بين الناس ، فلا بـــد وأن يعلمه الله تعالى كيفية الحكم والقضاء وخامسها : الألحان الطيبة ، ولا يبعد حمل اللفظ على الكل .

(تفسير الرازي)

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ

1– وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ولولا دفع الله العدو بجنود المسلمين لغلب المشركون فقتلوا المـــؤمنين وخربـــوا الـــبلاد والمساجد .   (تفسير القرطبي)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

2–أي لولا يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني اسرائيل لمقاتلة طالوت وشجاعة داؤد لهلكوا . (تفسير ابن كثير)

3- لفسدت الأرض بلغبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد . (تفسير الجلالين) فعلم بذلك أن غلبة الكفر والشرك هي رأس الفساد في الأرض .

4- علم بهذه الآية أن الجهاد ماض من القدم وفيه رحمة ورأفة بالعباد وضل من قال أن الجهاد ليس من فعل الأنبياء . (تفسير عثمانى)

5- لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض وعن قوم بآخرين لامتلأت الأرض شراً وفساداً ولكن الله أراد حفظها وبقاءها فأوقف المجاهدين مقابل الباطل وأهله ليطهر الأرض من الباطل والفساد ومكائد أهله .(تفسير الفرقان)

وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ

1- يدفع عنهم ببعضهم بعضاً . قاله ابن كثير رحمه الله تعالى .

فائدة:

بلغت بنو إسرائيل على شفا جرف هار وكادت أن تهلك فرحمهم الله بأن هزم عدوهم بالجهاد وأسبغ على بني إسرائيل من نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة حيث جعل فيهم النبوة والحكمة والحكم ، فعلم بذلك أن الجهاد من نعم الله تعالى على الأمم السابقة واللاحقة أجراه الله تعالى لإنقاذ أمة من الأمم وتطهير الأرض من الفساد ففيه رسالة رحمة لا فتنة في الأرض ولا فساد .

نكتة :

يمكن أن يتحير أحد من غلبة داؤد على جالوت أنه كيف انهزم هذا العدو القوي بسبب حرب خفيفة ؟ فليعلم أن أهل الإيمان إذا امتلأت قلوبهم بالإيمان تزداد قوتهم وتعلو هممهم التي تلقي في قلوب الأعداء الرعب والخوف .

إن النبي ﷺ أخذ من الصحابة رضي الله عنهم البيعة على الموت في الحديبية وكان هذا الجند قليل العدد والعدة ولكنه ألقى الرعب في قلوب الأعداء حتى مالوا إلى الصلح وهم في وطنهم وبلادهم والمسلمون في سفرهم وبعيدين من وطنهم المدينة ، بل أكبر من ذلك عند فتح مكة لم يسع المشركون القتال مع المسلمين مع كونهم على أتم استعداد للقتال وفيهم من الشجان والأقوياء ولكنهم رُعبوا بما رأوا من جرأة المسلمين وفدائهم بالنفس والمال في الجهاد وتضحيتهم لذلك .

كذلك ههنا جنود طالوت مع قلة عددهم (وهم كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر) أحبوا لقاء الله وفدؤا بنفسهم ونفيسهم من الجسد والمال فصبروا وثبتوا حتى رُعب العدو وانهزم من أجله وهذا هو سر النجاح في كثير من الحروب التي وقعت بين أهل الإيمان وعدوهم على عبر التاريخ وتليهم الأسباب الأخرى بمرتبة ثانية.

دروس وعبر

1- من أجل النصر والغلبة على الأعداء يجب أن يُستهدف قادة الكفر والطاغوت ورؤسائهم.

2- يجب أن يُشجَّع الشباب الذين يحضرون القتال .

3- استفاد من الآية الكريمة أن الجهاد رحمة و فضل من الله تعالى .

4- على الأمير أن يقرب أهل الشجاعة ويقدرهم بما يستحقون

سورة البقرة مدنية الآية (252)

بسم الله الرحمن الرحيم

تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

الملخص:

إن هذه القصص التي ذكرت في الآيات لحكمة نتلوها عليك يا محمد بالحق والصدق وإنك لمن المرسلين (فلتجدن الغلبة على الأعداء بالجهاد وليؤمنن بالقرآن وبرسالتك في أنحاء العالم)

تِلْكَ آيَاتُ اللَّه

إشارة إلى ما سلف من حديث الألوف وموتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية واهلاك الجبابرة على يد صبي . (روح المعاني للآلوسي)

المستفاد من الآية:

قال الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى:

في هذه القصة نبوءة إلى قيام الدولة الاسلامية وتسلية للنبي ﷺ أنه سيقام له الحكم كما أقيم لبني إسرائيل . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

وقال صاحب تفسير الفرقان:

وفي القصة إشارة إلى أنه سيقام للنبي ﷺ الحكم كما أقيم لبني إسرائيل وكما حارب بنو إسرائيل فسيحارب المسلمون وبالتالي فإن المسلمين سيغلبون وإنك يا محمد ستشعر بضرورة إقامة الحكم لأمتك، لذلك ذكرنا لك هذه القصة وفيها من الحكم والبيان التي يحتاج إليها الحاكم عند قيام الحكم فكما أن داؤد أكرم بالكتاب والحكم والسياسة وهو نبي مرسل فإنك يا محمد ستكرم بهذه الأشياء لأنك نبي مرسل أيضاً .

(تفسير الفرقان)

نكتة :

إن غزوة بدر حدثت وهي صورة تشابه غزوة طالوت من حيث العدد والعدة وفتح أهل الإسلام فيها كما فتح لأهل طالوت من قبل ، وقتل ابوجهل فرعون هذه الأمة بأيدي صغار الصحابة كما قتل داؤد جالوت والله تعالى أعلم بالصواب.

دعاء :

اللهم افتح علينا حكم هذه القصة وأفدنا منها ووحد بين صفوفنا ووفقنا للجهاد في سبيلك واجعل علينا أميراً يجمعنا تحت رايته وانصرنا وافتح لنا فإنك أنت خير الفاتحين . آمين يا رب المستضعفين

سورة البقرة مدنية الآية (261)

بسم الله الرحمن الرحيم

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

الملخص:

1- إن في الإنفاق في سبيل الله لأجراً عظيماً وثواباجزيلاً .

2- إن الله تعالى يضاعف المال الذي أنفق في الجهاد أضعافاً مضاعفاً ويؤتي عليه أجراً عظيماً.

ربط بين الآيات:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :

لما قص الله سبحانه وتعالى ما فيه من البراهين حث على الجهاد واعلم أن من جاهد بعد هذا البرهان الذي لا يأتي به إلا نبي فله في جهاده الثواب العظيم .

في الآيات السابقة بين سبحانه وتعالى أنه قادر على إحياء الموتى ثم تبعه بالترغيب في الجهاد في سبيله وما في الإنفاق فيه من الأجر والثواب ليجعل المسلم الحياة القادمة حياة سعيدة وعيشاً هنيئاً ويدخر بالإنفاق في الجهاد لما بعد الموت .

وفيما سبق إشارة إلى أن في الجهاد ببادئ النظر موتاً ولكنه في الحقيقة فيه حياة كريمة وأن الله تعالى مالك الموت والحياة وخالقهما ، كما إن الآية أفادت أن الإنفاق في سبيل الله ببادئ النظر ينفد المال وينقص ولكنه في الحقيقة يحفظ ويدخر له فيجده يوم الحساب. والله تعالى أعلم بالصواب . (تفسير القرطبي)

سبب نزول الآية الكريمة

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :

1- روى أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حث الناس على الصدقة حين أراد الخروج إلى غزوة تبوك جاءه عبد الرحمن بأربعة آلاف فقال: يا رسول الله، كانت لى ثمانية آلاف فأمسكت لنفسي ولعيالي أربعة آلاف، وأربعة آلاف أقرضتها لربى.فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت).وقال عثمان: يا رسول الله عليّ جهاز من لا جهاز له، فترلت هذه الآية فيهما.

(تفسير القرطبي)

2- وفي تفسير ابن كثير :

وقال مكحول : يعني به الإنفاق في الجهاد من رباط الخيل واعداد السلاح وغير ذلك .

3- عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما إلى سبعمائة ضعف ولهذا قال تعالى : كمثل حبة ..الآية.

3- وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالإنفاق في الآية عام في وجوه الطاعة لله كلها.

وقال القرطبي رحمه الله : وسبل الله كثيرة وأعظمها الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا .

(تفسير القرطبي)

وقال العلامة المفسر أبو حيان رحمه الله تعالى:

وهذا المثل يتضمن التحريض على الإنفاق في سبيل الله جميع ما هو طاعة ، وعائد نفعه على المسلمين ، وأعظمها وأعناها الجهـــاد لإعلاء كلمة الله وقيل : المراد : بسبيل الله ، هنا الجهاد خاصة ، وظاهر الإنفاق في سبيل الله يقتضي الفرض والنفـــل ، ويقتضـــي الإنفاق على نفسه في الجهاد وغيره ، والإنفاق على غيره ليتقوى به على طاعة من جهاد أو غيره .

(تفسير البحر لأبي حيان)

إن في الآية الكريمة فوائد نذكر بعضها فيمايلي:

فائدة أولى:

المفسر ابن كثير رحمه الله تعالى أورد في تفسير هذه الآية الأحاديث التي دلت على مضاعفة الأجر إلى سبعمائة ضعف في الإنفاق في الجهاد .

فنقول : في ضوء هذه الأحاديث أن الآية الكريمة خاصة بالجهاد والله تعالى أعلم.

فائدة ثانية:

إن القرآن الكريم يخبرنا أن من أنفق في سبيل الله فله أجر سبعمائة ضعف وأكثر ولا حد لهذه الأكثرية ولكن تصدقه أحوال الصحابة رضي الله عنهم فأنفقوا مئات في سبيل الله ووجدوا ملايين . (تفسير الفرقان)

فائدة ثالثة:

في تفسير الآية قال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى : وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى أن الغزاة المنفقين قد خبأالله تعالى لهم من خزائن رحمته ما ينقطع عنه علم العباد . (تفسير الآلوسي)

دعاء :

اللهم أنت الذي وفقت صحابة رسولك ﷺ للإنفاق في سبيلك فأنفقوا حتى رضيت عنهم ، فوفقنا لذلك وارض عنا وجنبنا البخل وحب المال فإنك على كل شيء قدير .

آمين يا ذا القوة المتين.

سورة البقرة مدنية الآية (262)

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾

الملخص:

إن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله عن طيب النفس ثم لايتبعونه منّاً ولا أذى لهم أجرعظيم وثواب جزيل وليس لهم هم ولا حزن .

سبب نزول الآية الكريمة :

ذكر الامام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره سبب نزول الآية الكريمة فقال:

قيل: إنها نزلت في عثمان ابن عفان رضى الله عنه.

قال عبد الرحمن بن سمرة: جاء عثمان بألف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول: " ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم اللهم لا تنس هذا اليوم لعثمان ".

وقال أبو سعيد الخدرى: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم رافعا يديه يدعو لعثمان يقول: " يا رب عثمان إني رضيت عن عثمان فأرض عنه " فما زال يدعو حتى طلع الفجر فترلت: " الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى " الآية.

(تفسير القرطبي)

وذكرالعلامة الآلوسي في تفسيره سبب نزول هذه الآية:

وقال أبو سعيد الخدري : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً يديه يدعو لعثمان ويقول : " يا رب عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه فما زال رافعاً يديه حتى طلع الفجر " فأنزل الله تعالى فيه { الذين يُنفِقُونَ } الخ .

(تفسير الآلوسي)

سورة البقرة مدنية الآية (273)

بسم الله الرحمن الرحيم

لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

الملخص:

في الآية ترغيب للإنفاق على ذوي الحاجة مثل الذين لا يكتسبون بانشغالهم في الجهاد ولا يسألون الناس شيئاً بل إن الناس يرونهم أغنياء من تعففهم ، فيا أيها المسلمون ستعرفونهم بسيماهم وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم .

أقوال المفسرين في سبب نزول الآية الكريمة :

1– قال المفسر العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى :

{ الذين أُحصِرُواْ فِى سَبِيلِ الله } أي حبسهم الجهاد أو العمل في مرضاة الله تعالى يوف إليكم ولا يخفى بعده { لاَ يَسْتَطِيعُونَ } لاشتغالهم بذلك { ضَرْبًا فِى الارض } أي مشياً فيها وذهاباً للتكسب والتجارة وهم أهل الصفة رضي الله تعالى عنهم ، قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وكانوا نحواً من ثلثمائة ويزيدون وينقصون من فقراء المهاجرين يسكنون سقيفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(تفسير الآلوسي)

وفي تفسير الجلالين:

{ الذين أُحصِرُواْ فِى سَبِيلِ الله } أي حبسوا أنفسهم على الجهاد . نزلت في أهل الصُّفَّة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا { لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا } سفرا { فِى الأرض } للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد .

2– وفي تفسير الآلوسي:

– عن سعيد بن جبير: هم قوم أصابتهم الجراحات في سبيل الله تعالى فصاروا زمنى .

3– وفي تفسير القرطبي:

– حبسوا أنفسهم عن التصرف في معايشهم خوف العدو .

وفيه أيضاً:

4– وكانوا من المهاجرين الذين يقاتلون مع رسول الله ﷺ غير مرضى ولا عميان .

يعني كانوا أصحاء قادرين على العمل والكسب ولكن الجهاد منعهم عن التكسب والعمل فورد الأجر والثواب في الانفاق على أمثال هؤلاء . والله تعالى أعلم .

5– وقال قتادة : حبسوا أنفسهم للغزو ومنعهم الفقر من الغزو . (البحر المحيط)

فائدة:

إن الجهاد من مهمات الدين يتقاضي أن تفرغ جماعة من المسلمين لهذا العمل المبارك وعلى بقية من المسلمين إكمال حوائج هـــذه الجماعة وسد ضرورياقم وهكذا يتقوى سير عمل الجهاد وبه يقوى المسلمون . والله تعالى اعلم .

دعاء:

اللهم ارحم أمة نبيك ﷺ وأحي العلوم القرآنية واعل راية الجهاد وفق كتابك الكريم وسنة رسولك الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم . آمين يا راحم المساكين .

سورة البقرة مدنية الآية (286)

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

الملخص:

رغبت الآية الكريمة في الدعاء والاستنصار به فندعو الله كما علمنا ربنا جل في علاه :

اللهم أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

أقوال المفسرين في سبب نزول الآية الكريمة :

1- قال الآلوسي رحمه الله :

{ فانصرنا عَلَى القوم الكافرين } أي الأعداء في الدين المحاربين لنا أو مطلق الكفرة .

(تفسير الألوسي)

2-:{أنت مولانا فانصرنا } قال صاحب الكشاف : فمن حق المولى أن ينصر عبيده .

(الكشاف)

3- { أَنتَ مولانا } سيدنا ومتولي أمورنا { فانصرنا عَلَى القوم الكافرين } بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم فإنّ من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء . (تفسير الجلالين)

4- { فانصرنا على القوم الكافرين } قال أبو حيان :

أدخل الفاء إيذاناً بالسببية . لأن كونه تعالى مولاهم ، ومالك تدبيرهم ، وأمرهم ، ينشأ عن ذلك النصرة لهم على أعدائهم ، كما تقول : أنت الشجاع فقاتل ، وأنت الكريم فجد عليّ . أي : أظهرنا عليهم بما تحدث في قلوبنا من الجرأة والقوّة ، وفي قلوبهم من الخور والجبن .

(البحر المحيط)

استفادت من الآية الكريمة عدة فوائد نذكر بعضها فيما يلي :

الفائدة الأولى:

إن سورة البقرة سنام القرآن فيها أحكام الاسلام التفصيلية من العقائد والعبادات والمعاملات وما يتعلق بحياة الانسان من حلال وحرام ومندوب ومباح فيجب على المسلمين أن يعملوا بها ولا يتيسر لهم العمل بما جاء به الاسلام إلا إذا كان لهم حرية في عيشهم ومجرى حياتهم والغلبة على أعدائهم لذلك اختتمت السورة بهذا الدعاء الجامع العظيم. (والله تعالى أعلم)

الفائدة الثانية:

ورد في هذه السورة العظيمة بيان من نعم إلهية وأفضال ربانية ظاهرة وباطنة ، وبقاء هذه النعم يقتضي الغلبة على الأعداء وإلا هم يريدون ويحاولون رد المسلمين عن دينهم ، ولا تحصل الغلبة على الأعداء إلا عن طريق الجهاد فاختتمت السورة بدعاء يوحي إلى الجهاد وأهميته . والله تعالى أعلم .

الفائدة الثالثة:

ماأحسن من ختام هذه السورة وما أبلغ أسلوبه بحيث أوضح هدف الاسلام ومنتهى غايته وهو أن يكون له ولأهله سلطة وصولة في أنحاء العالم كله ولهم حق الحكم على جميع الأقوام والملل ولدين الحق حق أن يظهر على الدين كله ولأن يكون أفراد هذه الأمة شهداء على الناس ولن يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه المرتبة العليا(أي مرتبة الشهادة) إلا بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والعمل بما جاء به النبي العربي ﷺ مع التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات الحميدة من الصبروالثبات والشكر والتوكل والمجاهدة والحمية الدينية إلى غير ذلك ...

فعلى المسلمين أن يستعدوا للجهاد في كل حين وآن ويستعينوا بالله بالدعاء منه والتضرع إليه.

(تفسير الفرقان)

نكتة:

يوحي هذا الدعاء الختامي إلى أنه يجب على المسلمين أن يشمروا عن ساق جدهم لإعلاء كلمة الله وإخفاض كلمة الكفر وكسرقوة الشرك والكفر وهذا مسئولية مناطة بالمسلمين حسب قدراتهم وكفاءتهم فرداً وجماعاً، وليس ذلك هين وأمر سهل لذا علمهم الله تعالى هذا الدعاء ليستعينوا بالله عن طريقه،وختام هذه السورة العظيمة بالدعاء ترغيب في الدعاء للنصرة على الأعداء والغلبة عليهم فنسأل الله تعالى أن يفتح علينا وينصرنا على القوم الكافرين .

(والله تعالى أعلم)

دعاء:

واعف عنا واغفرلنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين . آمين يا أرحم الراحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

سُـــــــــــوْرَةُ

آل عمران

مَـــــــــدنِـــــــــيَّة

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الرسالة جمعنا اثنتين وستين آية من سورة آل عمران مع الشرح والتفسير لها وهي التي تتعلق بالجهاد وها هي فيما يلي:

12 - 13 - 28 - 112-110

129-118 - 175-139 - 200-194

والآيات الآتي ذكرها فيها دلالة على الجهاد باشارة النص .

وهي :

.

14 - 15 - 19 - 26

27 - 55 - 56

81 - 104-100

134-130

والله تعالى أعلم بالصواب

خلاصة مضامين الجهاد المذكورة في اثنين وستين آية من سورة آل عمران

الآية: [12] فيه إخبار لأعداء الاسلام من الكفرة وغيرهم بأنهم سيغلبون فى الدنيا ويحشرون إلى جهنم فى العقبى .

الآية: [13] إن الفتح والنصر على الأعداء لا يتعلق بالقلة والكثرة وإنما هو يحصل بنصر الله وتأييده كما حدث في غزوة بدر وفيها توجيهات مهمة أخرى .

الآية: [28] لا يجوز أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن فعل ذلك فليس من الله شيء.

الآية: [110] إن هذه الأمة خير الأمم لأنها تجاهد في سبيل الله.

الآية: [111] لوقامت هذه الأمة بأداء واجبها أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله لايقاتلهم اليهود والنصارى بل ليولون الأدبار .

الآية: [112] ضربت الذلة والمسكنة على اليهود.

الآية: [118] فيه نصيحة للمسلمين لئلا يتخذوا الكافرين بطانة وأولياء فلن يكون هؤلاء أوليائكم أو نصحاءكم أيها المسلمون.

الآية: [119] إن صداقة المسلمين مع الكفار دائما تكون طرفية فإنكم أيها المسلمون توالونهم ولايوالونكم وتحبونهم ولا يحبونكم .الآية: [120] إن يمسسكم الحسنة أيها المسلمون يسؤ الكفار وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها فهم لا يريدون بكم إلا أذى ، فوسيلة الوقاية من شرهم هي الاستقامة علي الجهاد وتقوى الله عزو جل في السر والعلن لا موالاة الكفار .

الآية: [121] إن النبي ﷺ قاد جنود المسلمين بنفسه في غزوة أحد .(غزوة أحد)

الآية: [122] إن الله تعالى حفظ طائفتين من الأنصار من الفشل .

الآية: [123] إن الله تعالى نصر المسلمين يوم بدر وهم كانوا بقلة وذلة والله أكرمهم بالفتح فاتقوا الله أيها المسلمون وأصلحوا علاقتكم بالله عز وجل .

الآية: [124] إن النبي ﷺ بشر المسلمين بنزول ثلاثة آلاف من الملائكة في غزوة بدر .

الآية: [125] ثم نزل المدد بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

الآية: [126] إن نزول الملائكة للتسكين وإطمئنان قلوب المؤمنين المجاهدين وإلا نصر الله غني عن الملائكة ولا يحتاج إلى شيء [وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم].

الآية: [127] وهذه الغزوات ونصر الله المؤمنين ليقطع طرف الكفار وليكبتهم وتنكسر شوكتهم.

الآية: [128] إن قبول توبة الذين كفروا وحاربوا المسلمين أو تعذيبه إياهم إنما هو بيد الله سبحانه وتعالى وليس لأحد من هذا الأمر شيء .

الآية: [129] جاهدوا في سبيل الله وفوضوا أمر قبول توبة الأعداء أو عقابهم إلى الله تعالى .

الآية : [139] أيها المؤمنون أنتم الأعلون إن بقيتم على إيمانكم.

الآية: [140] في أحداث غزوة أحد حكم منها امتياز أهل الإيمان عن غيرهم ووصول بعضهم إلى درجة الشهادة .

الآية: [141] ومنها تمحيص المؤمنين ومحق الكافرين .

الآية: [142] إن أردتم الجنة ومراتبها العالية فتمسكوا بالجهاد والصبر وعضوا عليهما بالنواجذ .

الآية: [143] لقد كنتم تمنون الشهادة أيها المسلمون فكيف هذا الانهزام ؟

الآية: [144] مهما وقعت كارثة أو حادثة عظيمة لن تتركوا الدين ولا تغفلوا عن الجهاد .

الآية: [145] إن للموت أجلاً مسمى وكتاباً مؤجلاً لا يتقدم بالجهاد ولا يتأخر بتركه .

الآية: [146] إن كثيراً من الناس الربيين قاتلوا مع أنبيائهم فثبتوا وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا فاعتبروا بهم يا أمة الخير .

الآية: [147] فلم يغفل هؤلاء الربيون عن الدعاء والتضرع إلى ربهم في أصعب الأحوال .

الآية: [148] فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وأحبهم الله تعالى .

الآية: [149] يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا في الدين والجهاد لتنقلبوا خاسرين .

الآية: [150] أيها المسلمون توكلوا على الله لا على الكفار لأن الله مولاكم وهو خير الناصرين .

الآية: [151] إن الله تعالى يلقي رعب المؤمنين في قلوب الذين كفروا .

الآية: [152] لقد صدقكم الله وعده أيها المسلمون في غزوة أحد فنصركم ولكنكم فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم ثم عفاعنكم.

الآية: [153] أثابكم أيها المسلمون غماً بغم يوم أحد لتزدادوا إطاعة لرسول الله ﷺ .

الآية: [154] وكان في أصعب اللمحات يوم أحد طائفة من المسلمين قد غشيهم النعاس أمنة لهم وطائفة أخرى من المنافقين كانوا يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .

الآية: [155] من عصى من المسلمين يوم أحد فقد استزلهم الشيطان ولقد عفا الله عنهم .

الآية: [156] يا معاشر المسلمين لا تقولوا مثل ما قال الكافرون والمنافقون إن في الجهاد موتا ولوما ذهبوا وكانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا .

الآية: [157] من قتل في سبيل الله أو مات في الجهاد استحق المغفرة من الله ورحمته وهي خير مما يجمعون .

الآية: [158] سواء يموت أحد أو يقتل لإلى الله يحشر .

الآية: [159] إن من رحمة الله على نبيه الكريم ﷺ بأنه لان لأصحابه ﷺ ومازال ﷺ معهم كذلك حتى بعد وقعة أحد .

الآية: [160] وعلى الله فليتوكل المؤمنون والفتح لا يحصل إلا بالتوكل عليه .

الآية: [161] إن النبي ﷺ أمين والغل خيانة ولا يتصور منه ﷺ الغل أو الخيانة .

الآية: [162] إن من اتبع رضوان الله وأخر أموره الذاتية من أجله لجدير لخدمة الاسلام .

الآية: [163] إن للناس درجات مختلفة عند الله تعالى .

الآية: [164] إن للمسلمين وبالأخص منهم المجاهدين مقرر تعليمي وتربوي : التلاوة ، التزكية، تعليم الكتاب والحكمة .

الآية : [165] وما اصابتكم من مصيبة يوم أحد أيها المسلمون فهي من عند انفسكم .

الآية: [166] وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين .

الآية: [167] وانكشف أمر المنافقين يوم أحد حيث ''قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ'' .

الآية: [168] ومنع هؤلاء المنافقون الآخرين من الجهاد بقولهم ''لواطاعونا ماقتلوا ''قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

الآية: [169] وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ .

الآية: [170] هؤلاء الشهداء فَرِحِينَ مسرورون ''بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ''.

الآية: [171] يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ.

الآية: [172] الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ(لغزوة حمراء الأسد) مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ(يوم أحد) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ .

الآية: [173] الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

الآية: [174] فانقلب هؤلاء المجاهدون بنعمة من الله وفضل ولم يمسسهم سوء .

الآية: [175] إنما ذلك الشيطان يخوف المسلمين من الكافرين فلا تخافوهم .

الآية: [194] إن دعاء '' رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ '' للنصر على الأعداء والفوز بالجنة والنجاة من النار وعدم الخزي يوم الحساب .

الآية : [195] إن الدعاء قد تقبل ولكنكم مطالبون أيها المسلمون بالهجرة وترك الديار لإعلاء كلمة الله والتضحية بالنفس والمال في الجهاد فإذا فعلتم ذلك وهاجرتم،وأخرجتم من دياركم وأوذيتم في سبيله وقاتلتم وقوتلتم لينجزن الله وعده '' لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ''

الآية : [196] لا يغرنكم تقلب الذين كفروا في البلاد وحسن حالهم الدنيوية .

الآية: [197] فإنه ''متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ''.

الآية: [198] وأصل النعم هي نعم الآخرة .

الآية: [199] ومن أراد النجاح والسعادة من أهل الكتاب فليكن كما كان بعضهم الآتي ذكرهم وليتصف بصفاتهم : وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ .

الآية: [200] يأيها الذين ءَامَنُواْ اصبروا } على الدين والطاعة{ وَصَابِرُواْ } الكفار فلا يكونوا أشدَّ صبراً منكم { وَرَابِطُواْ } أقيموا على الجهاد واستعدوا له في كل حين وآن { واتقوا الله } في جميع أحوالكم { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } تفوزون بالجنة وتنجون من النار .

ذكر الجهاد إشارة وكناية في ثمانية عشرة آية من سورة آل عمران وهي كما يلي:

الآية: [14] إن سبب مغلوبية الكفار هو حبهم الدنيا وما فيها من الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث.

الآية: [15] وسبب غلبة المسلمين على الأعداء هو شوقهم إلى لقاء الله وحنينهم إلى الجنة ونعيمها.

الآية: [19] إن الدين عند الله هو الإسلام فلن يقبل دين عنده سواه وهو من أجل الجهاد.

الآيات: [26-27] دعاء للحصول على الغلبة على الأعداء والعزة والخلافة وفيه نبوءتها.

الآيات: [55-56] مغلوبية الكفار وغلبة المسلمين عليهم.

الآية: [81] إخبار عن ما أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق من النبيين لنصرة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

الآيات: [100-104] إن الكفار يريدون أن يردوا المسلمين كفاراً بعد إيمانهم ، فعلى المسلمين أن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولايتفرقوا وليجاهدوا .

الآيات: [130-134] إن الربا يضعف سيرالجهاد والطاعة والتقوى والانفاق في سبيل الله تقويه وتعززه . (والله تعالى أعلم بالصواب)

ملاحظات:

* إن العلامة الشاه عبد القادر رحمه الله تعالى ذهب إلى أن الآيات [104–109] ورد فيها موضوع الجهاد .

* كما إن العلامة الشاه عبد القادر والعلامة التهانوي رحمهما الله تعالى ذهبا إلى أن الآيات [137–138] لهما علاقة وصلة بموضوع الجهاد . (راجع موضح القرآن ، وبيان القرآن)

* عند الإمام فخر الرازي رحمه الله تعالى الآية [176]وما بعدها ذكر فيها موضوع الجهاد. (راجع التفسير الكبير)

سورة آل عمران مدنية الآية (12)

بسم الله الرحمن الرحيم

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾

الملخص:

أخبروا أعداء الإسلام أنهم سيغلبون في الدنيا ويحشرون إلى جهنم ، والاسلام سيعلو في الدنيا وهو يضمن سعادة الآخرة فاستظلوا بظله واقبلوه كدين .

نبوءة فريدة:

إن النبوءة المذكورة في هذه الآية الكريمة ببادئ النظر كانت عجيبة وفريدة لأن عدد المسلمين آنذاك بالمدينة كان قليلاً جداً فيكف يمكن أن يغلب المسلمون على كفار قريش وكفار قبائل العربية الأخرى الذين كانت لهم يد طولى في الشجاعة والجلادة و ميزتهم المعروفة المشهورة هي التسابق إلى الحرب والقتال، وكان لايساويهم المسلمون من حيث العدد والعدة بشيء أضف إليه ما كان من يهود المدينة (وهم ثلاثة قبائل) ولاء مع هؤلاء الكفار ضد المسلمين ووجود دولتين عظيمتين دولة كسرى المجوسية الكبرى الإيرانيه التي امتدت دائرتها إلى الهند وتركستان ودولة قيصر العظيمة النصرانية التي امتدت سعتها أوربا بكاملها وآسيا كوشك والشام وعديداً من الدول في بلاد أفريقيا ، ففي هذا الوقت وفي هذه الحال جاء هذا الاعلان الالهي بلسان سيد العرب والعجم سيدنا محمد ﷺ يهدد العرب والعجم وقوات الكفروالشرك في العالم كله أن الكفر سيزول والكفار سيغلبون ويكون مصيرهم إلى النار ، وشهد التاريخ أنه لم يمض قرن واحد على هذا الاعلان الالهي إلا وقد تحققت هذه النبوءة وانتشر الاسلام في أرجاء المعمورة وحصلت الدولة والصولة للإسلام والمسلمين ، أليس ذلك دليل على صدق خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله الأمين عليه أفضل الصلاة والتسليم ؟ (مستفاد من تفسير حقاني)

سبب نزول الآية:

1- عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر : هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى عليه الصلاة والسلام ونجده في كتابنا بنعته وصفته وأنه لا يرد له راية وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض : لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وقالوا : لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا : لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا إلى المدينة فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. (تفسير الآلوسي والبحر المحيط)

2- عن عاصم بن عمر بن قتادة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قَيْنُقَاع وقال: " يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله ما أصاب قريشًا".
فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم: { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } إلى قوله: { لَعِبْرَةً لأولِي الأبْصَارِ} . (تفسير ابن كثير) وفي الآية إخبار لمصير يهود السيء .

إن العلامة الآلوسي أورد هذه الرواية أيضاً في تفسيره ثم أتبعها بقوله :

وقد صدق الله تعالى وعده رسوله صلى الله عليه وسلم فقتل كما قيل من بني قريظة في يوم واحد ستمائة جمعهم في سوق بني قينقاع وأمر السياف بضرب أعناقهم وأمر بحفرحفيرة ورميهم فيها وأجلى بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية عليهم وهذا من أوضح شواهد النبوة. (روح المعاني للآلوسي)

3- وقال القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره : وفى رواية أبى صالح عنه (أي ابن عباس)أن اليهود لما فرحوا بما أصاب المسلمين يوم أحد نزلت.

4- وقال أبوحيان رحمه الله في تفسيره البحر المحيط: وقيل : نزلت في قريش قبل بدر بسنتين ، فحقق الله تعالى ذلك.

5- وقيل : في أبي سفيان وقومه ، جمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر ، فنزلت . (تفسير البحر لأبي حيان)

أقوال أخرى في الآية الكريمة:

1- الأفضل أن يراد معنى الآية مطلقاً بحيث يشمل كل من صار مغلوباً من اليهود والمشركين بأيدي المسلمين في عهد رسول الله ﷺ . (تفسير ماجدي)

2- الذين عاندوا الكتاب(أي القرآن الكريم)فقد اتبعوا أسلافهم من آل فرعون الذين عاندوا موسى عليه السلام وليس ببعيد ما يصيب بهم كما أصيب بآل فرعون وسيرى أهل الدنيا لمن يكون له الفتح والغلبة . (ترجمان القرآن)

3- حان وقت أن سيجري عليكم (ياكفارقريش) وعلى اليهود والنصارى من الغلبة بأيدي جنود الله وستخضعون أمامه وهذا صغار لكم في الدنيا أما في الآخرة فلكم نار جهنم . وفي بعض الروايات أن رسول الله لما أصاب ما أصاب من بدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله تعالى بما أصاب قريشاً فقالوا : يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تكن مثلنا» فأنزل الله تعالى : { قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ } إلى قوله سبحانه : { لاِوْلِى الابصار }. (أخرجه ابن جرير والبيهقي)

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن يهود أهل المدينة قالوا لما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر : هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى عليه الصلاة والسلام ونجده في كتابنا بنعته وصفته وأنه لا يرد له راية وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض : لا تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا وقالوا : لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا : لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا إلى المدينة فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية . والله تعالى أعلم

(كمافى تفسير الآلوسي)

على كل حال بعد مدة قصيرة تحقق هذا الأمر بحيث لم يبق أحد من المشركين في جزيرة العرب، جرت السيوف في بني قريظة بسب نقض عهدهم ، وأجليت بنو نضير ، وأعطى نصارى نجران الجزية عن يد وهم صاغرون إلى أن اعترفت أقوام العالم العظيمة بشوكة الاسلام والمسلمين نحو ألف سنة فالحمد لله على ذلك .

(تفسير عثماني)

4- قولوا لليهود والنصارى وجميع أعداء الاسلام أنكم تركتم التعليمات الحقة فلن يبقى حكمكم وستغلبون وتعيشون منخضعين للإسلام والمسلمين ثم يكون مصيركم إلى نارجهنم . (تفسير الفرقان)

فائدة:

لو تدبرنا في الآية التي سبقتها والتي تليها لاتضح الأمر وزال هذا الاشكال أن في زمننا نرى الكفار غالبين وليسوا مغلــوبين : إن في الآية السابقة ذكر أن القرآن كتاب محكم آمن به أهل الإيمان عقيدة وصدقوه عمــلاً وهــم دائمــاً يــدعون الله بالاستقامة عليه بينما الكفار لايهمهم إلا دنياهم ودنيا ذريتهم مع أن أموالهم وأولادهم لايغني عنهم من الله شيئاً كما لم يغن فرعون ماله وأهله وحكمه ، والآن سيلتقي الفريقان أهل الإيمان وأهل الكفر فسيغلب أهل الإيمان على أهل الكفر .

قد يشكل على أحد أن أهل الإيمان قليلي العدد والعدة فكيف يكون لهم الغلبة ؟ أجيب بأن انظروا إلى أهل بدر كيف نصر الله أهل الإيمان .

وقد يسأل سائل أن أهل الكفر مع كثرة عددهم وعدتهم كيف ينهزمون ؟ فأجيب أن هدفهم هو الحياة الدنيا وزينتها مـــن النساء والبنين والأموال من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ...الخ بينما هدف المسلم هـــو الســـعادة في الدنيا والفوز بالجنة لذا دائماً هو يفكر في آخرته ، فلا يستطيع طالب الدنيا أن يقوم مقابل طالب الآخرة .

وفي سورة آل عمران [الآيات 7-15] لو تدبر فيها أحد لانكشف صحة ما بيَّنّا من ربط الآيـــات الســـابقة والتاليـــة ، ويتضح سر الغلبة والهزيمة .

إن في زمننا هذا هجر معظم المسلمين كتاب ربهم القرآن وانغمسوا في الحياة الدنيا وجعلها مقصد حياتهم فجُـــلَّ تفكيرهـــم وعملهم في شأن أولادهم وأموالهم وأشغالهم الدنيوية فبالتالي حرموا من الغلبة على الأعداء ، فلو تمسكوا بـــالقرآن إيمانـــا وعقيدة وعملاً ونظاماً في اليوم وفرغوا قلوبهم من حب الدنيا ليحصل لهم الغلبة على الأعداء وليتحقق لهم هـــذا الوعـــد المذكور في هذه الآية الكريمة .

من أجل ذلك ذهب المفسرون إلى أن الآية السابقة والتالية لها صلة قوية بهذه الآية الكريمة لما فيها ذكر مضمون الجهـــاد . والله تعالى أعلم .

دعاء:

اللهم ووفقنا الإيمان الكامل بكتابك وارزقنا العمل بأحكامه واجعلنا من أهل القرآن وجماعته واكرمنا بالغلبة على الأعداء .

سورة آل عمران مدنية الآية (13)

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾

الملخص:

إن في غزوة بدر لآيات للأولي الألباب كانت في ذلك اليوم فئة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى مقابلهم كافرة وكانت آية من الله ذلك اليوم أن كل فريق منهما يرى الآخر ضعفيه ومثليه ولا تحصل القوة والغلبة إلا لمن أيده الله بنصره إن في ذلك لعبرة ودرس للأولي الأبصار .

أشياء مهمة متعلقة بغزوة بدر

إن عدد الكفار كان ألف (وبالتحقيق تسعمائة وخمس وتسعون نفراً كماذكره صاحب تفسير ماجدي) وسبعمائة إبل ومائة من الفرس بينما كان المسلمون بضعة وثلاثمائة (313أو314) وسبعين من الإبل وفرسين و ستة دروع وثمانية سيوف (وكان عدد السيوف حوالي ثمانين وبعضهم حملوا العصايا والأحجار. قاله الحقاني) وقد يرى كل فريق منهم الطرف الآخر ضعفيه ومثليه من أجل ذلك نشأ رعب المسلمين في قلوب الكفار وازداد اعتماد المسلمين على الله وكثر التوكل عليه الذي زادهم يقيناً بوعده حيث قال تعالى" إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين " ولو رأى المسلمون عدد الأعداء الحقيقي وهو أكثر من ثلاثة أضعافهم لاحتمل أن يفزعوا ويخافوا العدو، واعلم أن رؤية المثلين كان في وقت بينما في حين آخر رأى كل فريق منهم الطرف الآخر أقل من طرفه كما ورد في سورة الأنفال فقال تعالى: وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.(سورة الأنفال:آية/14) على كل حال تحقق الفتح في الغزوة للمسلمين و نجاح هذه الفئة القليلة مقابل تلك الفئة العظيمة لايمكن إلا بنصر الله تعالى وفيه عبرة ودرس للمعتبرين ولأولي الأبصار . (تفسير عثماني)

كلام نفيس :

قال الشاه الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى:

في غزوة بدر الكبرى وقد ذكربيانه في سورة الأنفال كان عدد الأعداء ثلاثة أضعاف المسلمين ولكن الله تعالى أرى المسلمين أعداءهم مثليهم لئلا يخافوهم ثم فتح الله على المسلمين فبذلك يعتبر المعتبرون . (موضح القرآن)

ذكر نبوءة فتح المسلمين في هذه الغزوة في العهد المكي

ورد ذكر غزوة ينتصر فيها المسلمون في العهد المكي فقال تعالى : أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ *سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ *بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (سورة القمر:الآيات/44-46) قال صاحب تفسير الفرقان :إنّ المراد بالساعة ههنا ساعة هزيمة الكفرة في غزوة بدر ويدل عليه ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان يدعو الله تعالى في بدر فلما استجيب له خرج من عريشه وهو يقرأ هذه الآية : سيهزم الجمع ويولون الدبر....الآية (تفسير الفرقان)

خلاصة أقوال المفسيرين في هذه الآية الكريمة

في قوله تعالى {يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ} تعددت أقوال المفسرين نذكرها بالإيجاز :

1- الجمهور من الناس على أن الفاعل بيرون هم المؤمنون والضمير المتصل هو للكفار. (تفسير القرطبي)

2- ويحتمل أن يكون الضمير في مثليهم للمسلمين أي ترون أيها المسلمون المسلمين مثلي ما أنتم عليه من العدد . (تفسير القرطبي)

3- يرى الكفار أنفسهم مثلي المسلمين رأي العين (وهم كانوا حقيقتاً أضعاف المسلمين). (تفسير بيان القرآن)

4- كان الكفار يرون المسلمين مثليهم .ومال إليه العلامة الآلوسي نقلاً عن السدي التابعي رحمه الله فقال : والمراد كما قال السدي : ترى الفئة الأخيرة الكافرة الفئة الأولى المؤمنة مثلى عدد الرائين .(تفسير روح المعاني للآلوسي)

فائدة:

وقد يطلق مثلين على مثلين كمايطلق ثلاثة أضعاف أو على الكثرة بدون تعيين وتحديد ، فقال الفراء : إن معنى يروهم مثليهم ثلاثة أمثالهم .(كما في البحر لأبي حيان)

وقال صاحب تفسير ماجدي: المراد بمثلين مطلق الكثرة لا خصوص المثلين .(تفسير ماجدي)

نكتة:

لوكان الإيمان كاملاً في قلب امرء مسلم ونظر إلى رحمة الله لرأى قوة الكفار قليلة وضعيفة دائماً أبداً وهو ينغمس في معارك القتال بدون خوف وخشية وبالعكس لو كان الإيمان ضعيفاً ونيته فاسدة واحتلت محبة الدنيا بالقلب لرأى قوة الكفار أكثر من قوقم أضعافاً مضاعفة.

نكتة:

قد يشكل على أحد أن المفروض أن يقال فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله مقابل ''وأخرى كافرة '' ؟ فأجاب المفسر أبو حيان على ذلك وأزال الاشكال حيث قال رحمه الله :

{ فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة } أي : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ، وفئة أخرى تقاتل في سبيل الشيطان ، فحذف من الأولى ما أثبتت مقابله في الثانية ، ومن الثانية ما أثبت نظيره في الأولى ، فذكر في الأولى لازم الإيمان ، وهو القتال في سبيل الله . وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان ، وهو الكفر . (البحر المحيط لأبي حيان)

فائدة:

إن الله تعالى كرر ذكر غزوة بدر في كتابه الكريم كأنه ضرب مثال الفتح والنصر للمسلمين إلى يوم القيامة وهذه القصة نموذج لهم وقدوة ليضعها المسلمون نصب أعينهم دائماً وأن يستفيدوا بها في حياتهم الاجتماعية فإذا أرادوا النصر والفتح وقد قوي إيمانهم فلينظروا في أحداث هذه الغزوة الكبرى للاستفادة منها .

الشعر: (معناه مايلي)

إذا أردتم النصر والفتح و تنزل الملائكة لنصركم فعليكم أن تقووا إيمانكم كأهل بدر من المسلمين فإذا فعلتم ذلك لتنزلن الملائكة صافين من السماء .

تعين بهذا البيان والشرح في ضوء الأدلة القاطعة أن الآية الكريمة متعلقة بغزوة بدر ، فالذين يفكرون في أسباب فتح الأقوام والملل وانحطاطهم وذلهم أو يبحثون عن العلل والوجوه في رفعة الأقوام وذلهم فليفكروا في أحداث هذه الغزوة لتفتح لهم أسباب الفـــتح والنصر والغلبة وأسباب الانحطاط والذلة فليعتبروا بها يا أولي الأبصار . (تفسير الفرقان)

دعاء :

اللهم أعد على المسلمين مشاهد بدر مرات عديدة وأزمنة مديدة واجعلنا والمسلمين بأجمعهم أهلاً لنصرك الغيبي وفتحك العـــالي . فإنك على كل شيء قدير . آمين يا آخرالآخرين.

سورة آل عمران مدنية الآية (28)

بسم الله الرحمن الرحيم

لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾

الملخص:

لاينبغي لمسلم أن يتخذ الكافر وليه وصديقه دون المسلم ،ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء وحرم من نصرة الله ورحمته إلا أن يتقي منهم تقاة وفي بعض الأحوال يدفع نفسه بحسن خلقه الظاهرة خشية من خسارة فادحة ، يا من توالون الكفار وتتخذونهم أولياء وأصدقاء إن الله يحذركم من ذلك وإلى الله ترجعون ومصيركم إليه .

خلاصة أقوال المفسرين :

1- حان وقت الفصل لذا يتوجه الخطاب إلى المسلمين بأن ينشطوا في العمل ولا يهنوا ، وأهم شيء أن لايؤثروا علاقاتهم الذاتية على المصالح الاجتماعية والمفاد العام ولا يتخذوا الأعداء أولياء وأصدقاء ،فقد حمي الوطيس ،واصطف الطرفان متقابلان فليجب على كل أن يختار أحدهما ويلتزم بأحدهما فلا يتذبذب إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أو يقف في صف فريق ويوالي من في الصف المقابل . (ترجمان القرآن)

2- العلاقة بالكفار تنقسم إلى ثلاثة أنواع (1) الموالاة والصداقة (2) المداراة(3) المواساة حكم هذه الثلاثة فيما يلي: الموالاة يعني صداقة قلبية لاتجوز معهم لأن الله تعالى نهى عن ذلك فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ . (سورة المائدة:الآية/51) وقال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ. (سورة الممتحنة:الآية/1)فظاهر الآيتين دل على حرمة موالاة الكفار . (2) أما المداراة فهي جائزة في الأحوال الثلاثة : (1) لدفع الضرر ، يعني لما قوي الكفار وضعف المسلمون و يخشى من الكفار خسارة أو ضرراً فيجوز معهم المداراة (2) لمصلحة الكفار والنصح لهم طمعاً في إسلامهم .(3) على وجه اكرام الضيف فيجوز اكرام الضيف ولوكان كافراً .أما النوع الثالث وهو المواساة فتجوز بشرط أن لا يكون الكفار من أهل الحرب ولا تجوز المواساة مع الحربيين فهذا هو حكم هذه الأنواع الثلاثة وتفصيلها ، وإن المداراة معهم لاتجوز في صور منها : (1) لمنفعة ذاتية (2) لغرض دنيوي (3) للسمعة والرياء ، وبالأخص إن كان بالمداراة يلحق الضرر بالدين فحرام البتة . والله تعالى أعلم . (مستفاد من بيان القرآن)

3- لوكان زمام الحكم ومهام القيادةكلياً في ضوء الشريعة الاسلامية ويطبق الدين الحنيف في المجتمع ويكون للإسلام دولة وصولة وغلبة وقوة فلايجوز للمسلمين أن يوالوا أعداء الدين من الكفار والمشركين واليهود والنصارى دون إخوانهم من المسلمين ويتخذوا أعداء الإسلام أصدقاء ، فليعلموا أن أعداء الله وأعداء رسوله لن يكونوا أصدقاء هم ومن فعل ذلك من المسلمين فليس من الله في شيء وحرم من محبة الله تعالى ، لأنه ينبغي للمسلم أن يعلق رجاءه ومبتغاه بالله عز وجل ولا يوالي إلا من آمن بالله ورسوله ﷺ ولايستحق موالاة المسلم إلا من كان مثله في الاعتقاد والايمان والتصديق بماجاء به النبي ﷺ من أصول الدين و أحكام الشريعة إلا أن يقي نفسه وعرضه بالموالاة الظاهرة فهو مستثنى من هذا الحكم وهذا من قبيل قول الله عزو جل : {{وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى

فِئَةٍ}} وقوله تعالى:{{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }} فلا يدخل ذلـك في المـوالاة المنهية المحرمة. (تفسير عثماني)

فائدة:

مسئلة الموالاة مسئلة مهمة جداً وماجاء في تفاسير العربية في هذا الموضوع قد ذكرنا خلاصـته نقـلاً مـن تفاسـير مشائخنارحمهم الله تعالى كماأن العلامة الآلوسي رحمه الله بسط هذه المسئلة أكثر من غيره مفصلاً في تفسيره، وصاحب أنوار البيان شرح هذه المسئلة شرحاً وافياً يشمل نصائح قيمة بينما المفسر ابن كثير أورد الآيات التي تشابه هذة الآيـة الكريمة التي نحن بصدده الآن ،وصاحب تفسير الفرقان أيضاً ذكر الكلام بالتفصيل حول هذه الآية الكريمة ، فمن أراد الاستزادة من طلبة العلم فعليه أن يراجع إلى التفاسير المذكورة أعلاه ، وإنا إن شاء الله سنبين هذه المسئلة بالتفصيل في شرح آية المائدة (**51**) .

فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ

1- أي فليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء . (تفسير القرطبي)

2- أي من ولايته أو من دينه . (روح المعاني للآلوسي)

3- يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً، والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان . (الكشاف للزمخشري)

4- فليس من دين الله في شيء . (تفسيرالجلالين)

أسباب نزول الآية :

1- عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالأخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية، ونهى المؤمنين عن مثل **[فعلهم]**

قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحجاج بن عمرو بن أبي الحقيق وقيس بن زيد يباطنون نفراً من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود لا يفتنـونكم عـن دينكم، فأبى أولئك النفر إلا مباطنتهم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

2- وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في عبادة بن الصامت الأنصاري وكان بدرياً نقيباً وكان له حلفاء من اليهود فلمـا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب قال عبادة : يا نبي الله معي خمسمائة من اليهود وقد رأيت أن يخرجوا معي فاستظهر بهم على العدو فأنزل الله تعالى { لاَّ يَتَّخِذِ } الخ

نكتة فريدة :

لوتدبرنا في الآيتين اللتين سبقتاهذه الآية (26-28) لانكشف لنا معانى هذه الآية حتى يزداد به المسلم عقيدة وصلة بالله تعالى .
إن المفسرين ذكروا في تفسير الآية "قل اللهم مالك الملك ....الآية (26)قصة الصخرة يوم الأحزاب عن عمرو بن عوف أنه قال : كنت أنا وسلمان الفارسي وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا فأخرج الله تعـالى من بطن الخندق صخرة مدورة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا : يا سلمان إرق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخـبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعدل عنها أو يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه قال : فرقى سلمان إلى رسول الله صـلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال : يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مدورة من بطن الخندق وكسـرت حديـدنا وشقت علينا حتى يحتك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمر فإنا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع

سلمان الخندق والتسعة على شفير الخندق فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح فكبر المسلمون ثم ضربها صلى الله عليه وسلم الثانية فبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم وكبر صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها عليه الصلاة والسلام الثالثة فكسرها وبرق منها برق كذلك فكبر صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون وأخذ بيد سلمان ورقي فقال : سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم فقال : رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا نعم يا رسول الله قال : ضربت ضربتي الأولى فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروح كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلام وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحفر فقال المنافقون : ألا تعجبون ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا للقتال فأنزل الله تعالى القرآن :

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)

ثم تلتها هذه الآية (أي 28) نهى الله تعالى فيها المسلمين عن ولاء الكفار لأن المسلمين يوالونهم من أجل أن لديهم قوة وحكم ويرون في موالاتهم العزة فنبههم الله تعالى على ذلك أن إيتاء الملك ونزعه بيد الله عز وجل يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ومتى يشاء فلاتوالوا الكفار ولا تخضعوا لهم حاسبين أن لديهم قوة وشوكة فإن الله تعالى متى شاء نزعها عنهم وخذلهم ، كما أن العزة والذلة بيد الله تعالى ، وإن ترون ظلام الكفر مغشياً في كل الجهة فلا تقنطوا ولا تيأسوا فكما أن الله تعالى قادر على أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فإنه لقادر على أن يحييكم ويخرجكم من قعر الذلة إلى مراتب العزة والرفعة وتلك الأيام نداولها بين الناس تأتي اليل ويتلوها النهار والموت والحياة يتداولان فلا ينبغي لكم أيها المسلمون أن تخضعوا للشمس الطالعة وتوالوا الكفار لما عندهم اليوم من العزة والقوة فاتقوا الله واخضعوا له وقووا الصلة به سبحانه في كل حال من الأحوال . (والله تعالى أعلم بالصواب)

نكتة :

إن هناك حكمة عجيبة ونكتة فريدة وهي أن في الآية السابقة دعا المسلمون العزة والرفعة فأجاب عليهم الرب جل في علاه أن اتركوا موالاة الكفار يستجاب لكم .

" ذكر شرط قبول الدعاء أن لايوالوا الكفار وهم أعداء الله ،وصديق العدو عدوه ومن فعل ذلك فليس من الله في شيء ،والله تعالى يحذركم نفسه ويحاسبكم عليه إلا أن تتقوا منهم تقاة وهذا بقدر الضرروة لأن الضروة تبيح المحظورة فكما أن الشيء المحرم أكله يجوز استعماله عند الاضطرار غير باغ ولا عاد فكذلك موالاة الكفار تجوز عند الحاجة الشديدة والضرورة القصوى ولكن بشرط أن يكتفى بقدر الحاجة دون باغ ولا عاد ولوواليتموهم بالحيل التافهة فاعلموا أن الله عليم بذات الصدور وإليه سيكون مصيركم . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

دعاء: يا غفور يا غفار يا تواب يا مالك الملك يا محيي يا مميت ارزق الأمة المسلمة النصر والتمكين على وجه الأرض يا معز أعز الأمة المسلمة وتولّنا فيمن توليت واجعلنا من أولياءك وتجاوز عن ما ارتكبت الأمة باثم موالاة الكفار واحفظنا من موالاة أعداءك . آمين يا ذا القوة المتين .

سورة آل عمران مدنية الآية (110)

بسم الله الرحمن الرحيم

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾

الملخص:

إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الأمم كلها لأنها تأمربالمعروف وتنفذه وتنهي عن المنكر وتزيله، وإن أعظم المعروف و الخير هو الاسلام وأعظم المنكر وأعظم الشر هو الكفر ، وإن ايمان هذه الأمة مقبول عند الله سبحانه فلو آمن أهل الكتاب مثل إيمان المؤمنين لكان خيراً لهم وبعضهم أمنوا مثل إيمانهم ولكن أكثرهم لفاسقون .

خلاصة أقوال المفسرين في هذه الآية الكريمة :

1– قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الاسلام.
(تفسير القرطبي)

2– روى ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية قوله : كنتم خير أمة أخرجت للناس تـأمرونهم أن يشـهدوا أن لا إلـه إلا الله ويقروا بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا إله إلا الله أعظم المعروف والتكذيب هوأنكر المنكر .   (تفسير الرازي) يعـني سـبب خيرية هذه الأمة هو أنها تدعو سائر الأمم إلى الاسلام وتقاتل من لا يقبله ولا يستطيع أحد أن يمنع سير هذه الدعوة فستغشـى كل العالم .

3– وأخرج ابن المنذر وغيره عن ابن عباس في الآية أن المعنى تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقرّوا بما أنـزل الله تعـالى وتقاتلونهم عليهم ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر.

4– وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وشهدوا بدر أو الحديبية وقال عمرابن الخطـاب رضي الله تعالى عنه من فعل فعلهم كان مثلهم .(يعني في الهجرة والجهاد وغيرهما)

5– وميزة هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمراد هذا العمل (أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) باليـد (يعـني بالقوة) وهو أعلى درجته وتمتاز هذه الأمة من بين سائر الأمم لوجهين: أولاً :لمشروعية الجهاد والمقصود به دفع الكفر والفساد .
ثانياً: عموم دعوة الاسلام إلى سائر الأمم ويدل عليه كلمة ''للناس'' بخلاف الشرائع السابقة ففـي بعضـها لم يكـن الجهـاد مشروعاً ولم تكن دعوة الرسل(عليهم السلام) عامة ولكافة الناس . (بيان القرآن)
ولكون هذه الأمة أفضل الأمم لوجهين: أولاً: الجهاد . ثانياً: كون دعوة الاسلام عامة ولكافة البشر ، ولايمكن إبـلاغ الـدعوة بدون جهاد لأن المنكرين ليجعلون العقبات في سبيله فلا بد من إزالتها لذلك شرع الجهاد .

6– عن أبي حازم عن أبي هريرة ''كنتم خير أمة أخرجت للناس،، قال تجرون الناس بالسلاسل إلى الاسلام . (تفسير القرطبي)
يعني تدعون الناس إلى الإسلام بالجهاد ، وليس المراد من ذلك أنكم تجبرون الناس على قبول الإسلام ، لأنه لايجـوز الإكـراه في الدين كما ورد قوله تعالى '' لا إكراه في الدين '' ومن اعتنق الاسلام مكرهاً ولم يقبله عن طيب نفسه فلا عبرة باعتناقه الإسلام ، فالمراد أنكم تكسرون قوة الكفر وتعلون راية الإسلام بحيث يظهر على الدين كله وتنفذ أحكامه وتطبق شريعته العادلة الغـراء ومن أجل ذلك يدخل الناس في دين الله أفواجاً، كما أن كثيراً من الكفار لما يرون شجاعة المسلمين وفداء هم بأنفسهم وأمـوالهم لدين الاسلام يميلون إلى الاسلام ، وأيضاً إذا زالت قوة الكفر والطاغوت في الدنيا وبقى الكفروصمة عار فسرعان مـا يتركـه

الناس لأن الكفر غير فطري وغير طبيعي ، وعامة الناس يتمسكون به للحكم والقوة والغفلة فلما زالت قوته وانهـارت شـوكته يقبل الناس على الفطرة التي فطر الناس عليها وهي الاسلام وهذا هو مفهوم ''تجرون الناس بالسلاسل إلى الاسلام .

إزالة اشكال

ههنا أورد الإمام الرازي رحمه الله تعالى اشكالاً قد يشكل على أحد عند فهم هذه الآية الكريمة ثم أجاب عليه ونذكره بتمامه :

فيقول رحمه الله تعالى:

من أي وجه يقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله كون هذه الأمة خير الأمم مع أن هذه الصفات الثلاثة كانـت حاصلة في سائر الأمم؟ .

والجواب : قال القفال : تفضيلهم على الأمم الذين كانوا قبلهم إنما حصل لأجل أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآكـد الوجوه وهو القتال لأن الأمر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد ، وأقواها ما يكون بالقتال ، لأنه إلقاء النفس في خطـر القتل وأعرف المعروفات الدين الحق والإيمان بالتوحيد والنبوة ، وأنكر المنكرات : الكفر بالله ، فكان الجهـاد في الـدين محمـلاً لأعظم المضار لغرض إيصال الغير إلى أعظم المنافع ، وتخليصه من أعظم المضار ، فوجب أن يكون الجهاد أعظم العبادات ، ولمـا كان أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع ، لا جرم صار ذلك موجباً لفضل هذه الأمة على سائر الأمم ، وهذا معـنى ما روي عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية : قوله { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إلـه إلا الله ويقروا بما أنزل الله ، وتقاتلونهم عليه و «لا إله إلا الله» أعظم المعروف ، والتكذيب هو أنكر المنكـر . (التفسـير الكـبير للرازي)

كلام نفيس :

إن الشيخ المفسر عبد القادر رحمه الله تعالى (وهو إمام في التفسير) يرىالآيات التي تتعلق بالجهاد من (104) إلى ما بعـدها مـن الآيات الكثيرة دون أن يكتفي بهذه الآية فقط والآية (104) هي{{ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}}يقول الشيخ المفسر عبد القادر رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : إن من الواجـب أن تكون في الأمة المسلمة جماعة تقوم بالجهاد والدفاع عن الدين لئلا يختل نظام هذا الدين الحنيف وهؤلاء الـذين قـاموا بهـذا الواجب هم المفلحون والناجحون ، أما القائلون بإنه لا ينبغى لأحد أن يتعرض بدين أحد ولا يدعو أحداً إلى ديـن أو مـذهب فكل يتمسك بدينه الذي ارتضاه لنفسه فاليهودي يقوم على دينه والنصراني يقوم على دينه فهذا يخالف أحكام الشريعة الاسلامية ولايقبله الدين الإسلامي بل يرفضه كلياً .(تفسيرموضح القرآن) وقال تعالى : تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108) فقال المفسر عبد القادر في تفسير هذه الآية : إن الأمر بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر لـيس ظلماً على الخلق بل إن فيهما لتربية للبشرية (موضح القرآن) والآية التي تليها {{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ}} (109) قال المفسر الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى : ببادئ النظر يري الإنسان أن الجهاد سبب ضياع واتلاف النفوس فقال تعالى رداً على هذا: إن كل ما في السماوات وما في الأرض ملك لي فيحق لي أن أتصرف في ملكي ما أشاء وأفعـل ما أريد (تفسير موضح القرآن) ثم الآية التي تليها: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) قال الشيخ رحمه الله تعالى تعليقاً عليهـا : إن هذه الأمة خير الأمم لأن فيهما أمران مهمان لا نظير لهما في ديانة أخرى وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وهويتضـمن الجهاد) والتوحيد . (تفسير موضح القرآن)

نكتة:

إن في الآية الكريمة ورد كلمة ""الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"" يحتمل أن تكون الإشارة إلى أن هذه الأمة ستحصل له القوة والتمكين على الأرض لتقوم بهذا الواجب عليها فلوكانت مغلوبة فكيف تؤدي هذا الواجب ؟ والأمر هو قول القائل لغيره على سبيل الاستعلاء افعل. (والله أعلم بالصواب)

نكتة :

إن في كل حكم من أحكام الله خير ورحمة وكل معصية فيها منكر ونكارة وشر ، ولاتكون أمة خيرالأمم حتى تنشر الخير إلى البشرية كلها وتنهي عن المنكر أينما كان المنكر قد حل ونزل ، ومن الطبيعي أنه كلما تؤدي الأمة هذا الواجب ليضعن أهل المنكر عقبات في سبيلها ومسيرها ، فلوتوقفت الأمة عن أداء هذا الواجب لتتوقف الدعوة وتنحصر في المناطق المحدودة وإن أرادت الأمة أن تتقدم في سير الدعوة لاضطرت إلى مقاومة أهل المنكر فعلم بذلك أن الجهاد والدفاع بالقوة لا غنى عنهما بأي حال كان وبأي زمان ومكان . والله تعالى أعلم بالصواب

فائدة :

إن في هذه الآية بيان عقائد الأمة الإسلامية وأخلاقها و نظام الحياة العملية بأكملها والمقصود من ذلك : أيها المسلمون ! استشعروا بمسئولياتكم ، إن لديكم أمانة التوحيد جعلكم الله خليفته ونائبه في الأرض بعثتم لتنفيذ أوامره وأحكامه ، وتطبيق شريعته وإجراء نظامه ، فاهتموا باصلاح نظامه من أن لا يختل وقفوا أمام نظام الباطل بحيث لا يستمر مسيره ، وكان ظلماً لولم يكن الإذن بالجهاد والمقاومة لهذه الطائفة ، وليس من المعقول أن تلقى مسئولية إجراء النظام الإلهي على الأمة المسلمة بدون أن تسمح لها بالقتال وإجراء الحدود والتعزيرات فلوكان الأمر كذلك لكان مثل ما قيل لأحد مربوط أيديه وأرجله أن يسبح في البحر والنهر .(تفسير ماجدي)

فائدة:

إن الإمام السرخسي رحمه الله تعالى بوَّب الجهاد والسير مبتدئاً بهذه الآية الكريمة في كتابه المبسوط فعلم بأن لهذه الآية صلة قوية بالجهاد .

كلمة ""أخرجت"" من الخروج وهي توحي إلى الجهاد بدلالة الكناية والإشارة .

قول عمر رضي الله تعالى :

إن أكثر المفسرين نقلوا قول الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو: من سره أن يكون من تلك الأمة فليحقق شرط الله منها .(تفسير الجلالين) يعني أن يتصف بالصفات الواردة في الآية الكريمة.

<u>ولو آمن أهل الكتاب</u>

ولو وفى أهل الكتاب شرط الله لوجدوا الخير الكثير وما آمن منهم إلا القليل وفسق منهم الكثير .

دعاء :

اللهم وفقنا لنشر دينك الحق في العالم كله بحيث يخرج الكفرة من مذلة الكفر ويستظلوا بظل كلمة "" لا إله إلا الله محمد رسول الله "" حتى يدخلوا الجنة ، ووفقنا للقيام بدعوة الجهاد واعل راية الإسلام فيدخل الناس في دين الله أفواجاً . آمين يا أرحم الراحمين .

سورة آل عمران مدنية الآية (111)

بسم الله الرحمن الرحيم

لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾

الملخص:

لا شك في أن من أهل الكتاب ما آمن إلا قليلاً وأكثرهم أعدائكم ولكن كثرهم هذه لن تضركم ولن تمنع عداوهم لكم من نشر الدين الحنيف في العالم كله لأنهم لو أرادوا أن يقاتلوكم ليولوكم الأدبار منهزمين ثم لا ينصرون .

سبب نزول الآية الكريمة:

قال مقاتل :إن رؤوس اليهود : كعب وعدي والنعمان وأبو رافع وأبو ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا الى مؤمنيهم عبد الله بن سلام وأصحابه فازوهم لاسلامهم فأنزل الله تعالى لن يضروكم...الآية.   (القرطبي)

أذى : قال صاحب روح المعاني : الضرر اليسير . وفي جامع الأحكام للقرطبي :أي باللسان ، وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : {{لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى }} أي إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك. (كشاف)

خلاصة أقوال المفسرين:

1- قال العلامة المفسرابن كثير رحمه الله تعالى: في قوله تعالى: {{وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ}} وهكذا وقع، فإنهم يوم خَيْبَر أذلّهم الله وأرْغَم آنافهم وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قَيْنُقَاع وبني النَّضِير وبني قُرَيْظَة كلهم أذلهم الله، وكذلك النصارى بالشام كَسَرهم الصحابة في غير ما موطن، وسَلَبوهم مُلْك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين، ولا تزال عِصَابة الإسلام قائمة بالشام حتى يترل عيسى ابن مريم [عليه السلام] وهم كذلك، ويحكم عليه السلام بشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فَيَكْسر الصَّلِيب، ويقتل الخترير، ويَضَع الجزْية، ولا يقبل إلا الإسلام.   (راجع تفسير ابن كثير)

2- لا تعبؤوا بكثرة أهل الكتاب فلا تخافوهم من كثرة عددهم وعدهم ، يا من أكرمت بخيرية الأمم إن ربكم وعدكم أن هذا الجيش الإبليسي لن يضركم شيئاً إلا أن يطعن فيكم ويواجهكم بالسب والشتم أو يضركم بالضرر اليسير فلا يغلبن عليكم ولن يصيبكم بخسارة فادحة وإن قاتلوكم يولوكم الأدبار ولن يكن النصر لهم الذي يمنعهم من الهزيمة ولكن بشرط أن تؤدوا ما يجب عليكم من مسئولية التي أكرمتم من أجلها خيرية الأمم .

وقد تحققت هذه النبوءة القرآنية في عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم فأصيب بأهل الكتاب من الهزيمة والقتل والنفي وإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون مع ما صرفوا من قوة وبذلوا من أموال لكسر شوكة الإسلام وإبادة المسلمين فلم تحقق أمنياقم ولم تتم مقاصدهم بل فروا عند القتال كحمر مستنفرة فرت من قسورة وولوا مدبرين منهزمين فكم منهم قتلوا وكم منهم نفوا وكم منهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة فقبلوا إعطاء الجزية بينما كان النصر مع خير الأمم دائماً أبداً . فلله الحمد والمنة . (تفسير عثماني)

فائدة :

إن ما في هذه الآية من البشارة لصادقة وحقيقة واضحة لا ريب فيها حتى في عصرنا هذا وقد تكالبت اليهود والنصارى على هذه الأمة المسلمة الملقبة بخير الأمم ولكنهم يخشون جهاد المسلمين فيستخدمون قادة المسلمين لإيقافه ، فلو تحقق هذه الأمة سبب خيريتها وقامت بإيصال خيرالإسلام إلى شعوب العالم كلها وتبليغ كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" إلى طبقات البشر والدعوة إليها مع الجهاد إذا اقتضت الأحوال الدعوية إليه لرأت من تحقق البشارة الواردة في هذه الآية الكريمة بأم عينها .

إننا تركنا الشروط المذكورة في الآية الكريمة وانغمسنا في الدنيا ثم قلنا إن الكفار لماذا لا يولون الأدبار ؟ فهذا قول لا يقبله العقـــل فضلاً عن الشريعة . والله أعلم بالصواب.

دعاء :

اللهم وفقنا لإيفاء شروط خيرية الأمم وارزقنا الشجاعة والكرم آمين يا أكرم الأكرمين .

سورة آل عمران مدنية الآية (112)

بسم الله الرحمن الرحيم

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

الملخص :

إن اليهود قد قتلوا الأنبياء عليهم السلام وأشربوا في قلوبهم الفسق والعصيان حتى تعدوا حدود الله ديناً وخلقاًوأعظم من ذلك أهم أنكروا كتاب الله تعالى لذلك ضربت عليهم الذلة والمسكنة ولن ينجوا منها حتى يتوبوا إلى الله أو اللجوء إلى قوم ذي قوة وحبل من الناس ، واستحق هؤلاء غضب الله وباءوا به .

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ

1- أي لا أمان لهم على أنفسهم . (تفسير بيان القرآن)
2- أي ذلة هدر النفس والمال والأهل . (تفسير الآلوسي)
3- ذلة التمسك بالباطل وإعطاء الجزية . (تفسير الآلوسي)
4- الذلة أي ذلة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم قد حلت في قلوب الناس وهان قدرهم عند خلق الله تعالى وقد شهد التاريخ ماقد أصاب اليهود من هذه الذلة والمسكنة لا فقط وقت نزول هذه الآية بل استمرت الذلة إلى قرون طويلة فحلت بهم أينما ثقفوا ونزلوا ويستدل عليه بما قد حدث في ثلث القرن العشرين المسيحي الأول مع اليهود فقد أصابهم ما أصاب من الذلة والمسكنة ووقع عليهم الظلم والشرد في ألمانيا وهنجري وإيطاليا وسيكوسلواكيا وغيرهم من الدول والبلدان مع رخاءهم ورغادة عيشهم وهذا تفسير هذه الآية فقد صدقتها الحوادث الحديثة.
5- قال المفسر الرازي رحمه الله تعالى : وفي المراد بهذا الذل أقوال الأول : وهو الأقوى أن المراد أن يحاربوا ويقتلوا وتغنم أموالهم وتسبى ذراريهم وتملك أراضيهم

{ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المسكنة }

1-الأكثرون من المفسرين حملوا المسكنة على الجزية وهو قول الحسن قال وذلك لأنه تعالى أخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على أنها باقية عليهم غير زائلة عنهم ، والباقي عليهم ليس إلا الجزية .
2- وقال آخرون : المراد بالمسكنة أن اليهودي يظهر من نفسه الفقر وإن كان غنياً موسراً .
3-وقال بعضهم : هذا إخبار من الله سبحانه بأنه جعل اليهود أرزاقاً للمسلمين فيصيرون مساكين . (تفسير الرازي)

نكتة :

إن الذلة هي أن يكون الرجل مهاناً في أعين الناس ، أما المسكنة فهي صفة نفسية سيئة تشمل الجبن والطمع وضعف الهمة والإرادة . (والله أعلم بالصواب)

إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّه وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ

إن المفسرين بسطوا الكلام حول هذه الجملة نذكر ههنا ثلاثة أقوال من المحققين منهم .

1- المراد بحبل من الله هو الأمن من الله تعالى يحصل لمن آمن به أما حبل من الناس فهو العهد والميثاق يأخذه الناس من أتباعهم ومن دونهم .(تفسير حقاني)

2- يمكن أن يكون المراد بحبل من الله معذوري بني إسرائيل الذين قد نهى الله عن قتلهم من الأطفال والنساء والزهاد والأحبار والرهبان ، والمراد بحبل من الناس جماعاتهم التي تحصل الأمن عن طريق المعاهدات والمواثيق . (تفسير ماجدي)

3- إن الذلة قد ضربت على اليهود للأبد فتحل بهم حيثما حلوا ، حتى الأثرياء منهم الذين يملكون المليارات لا يستطيعون أن يحفظوا أنفسهم وأموالهم لما ليس لهم دولة وحكومة في العالم إلا أنهم يعملون ببعض بقايا تعليمات التوراة التي تكون لهم وقاية أو المعاهدات والمواثيق التبعية هي التي يكون لهم سبب حفاظ أنفسهم وأموالهم . (تفسير موضح القرآن)

ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد ب "حبل من الله وحبل من الناس " ذمة الله لهم ومعاهداتهم مع المسلمين ، يعني ليس لهم وقاية إلا عهدهم الذي عاهدهم المسلمون ، وقال الآخرون منهم أن المراد بحبل من الله هو الاسلام ، يعني يمكن لهم أن ينقذوا أنفسهم من الذلة بقبول الاسلام أو بأخذهم الميثاق والعهد مع المسلمين لأن المعاهد يحصل على الأمن والاستقرار للأنفس والأموال من أجل المعاهدة والميثاق . (تفسير عثماني)

الإشكال وإزالته :

قد يشكل على أحد عند قراءة هذه الآية : {{ضربت عليهم الذلة والمسكنة}} وهي للأبد ويستنتج منها أنه لن تقوم لبني إسرائيل دولة وحكومة وهاهي نرى قد قامت دولة إسرائيل ذات قوة عظيمة ؟

1- **الجواب**: يرد على هذا الاشكال الشيخ المفتي ولي حسن رحمه الله تعالى قائلاً:

إن الساعة قد اقتربت وقد أخبر النبي ﷺ بالقتال الفاصل بين اليهود والمسلمين لذا جمع الله تعالى اليهود في مكان واحد وموضع دولة إسرائيل هو المكان الذي سيكون القتال فيه بين الطائفتين .

2- الجواب الثاني الذي يزول الاشكال به أن دولة إسرائيل ليست مستقلة بذاتها بل إنها قامت بحبل من الناس وعمدتها هي النصارى فلو تركت النصارى مساعداتهم لها سرعان ما تنهار هذه الدولة وتتزلزل في مدة قصيرة .

3- ببركة الجهاد ما استقرت هذه الدولة ولم تأمن على وجودها فمامن إسرائيلي إلا وهو خائف مضطرب عليه آثار الذلة والمهانة بينة وواضحة في كل لحظة وساعة . والله تعالى أعلم بالصواب .

على كل حال إن قيام إسرائيل وصمة عار على جبين كل مسلم مؤمن بالقرآن فنعوذ بالله من هذا العار ونسأل الله تعالى أن يحفظ الاسلام والمسلمين في كل آن وحين آمين يا رب العالمين.

نكتة :

إن الله تعالى أخبر في الآية السابقة أن هذه الأمة (أي الأمة المسلمة) خير الأمم يجب عليها أن تبلغ الخير و هو الإسلام إلى البشرية كلها وتنقذها من ظلمات الكفر والشرك ثم في الآية الآتية إثرها أخبرتبارك وتعالى أن أهل الكتاب ليضعون العقبات في سبيل هذه الدعوة ولكن لما يقام الجهاد ضدهم ليولون الأدبار منهزمين .

وهنا قد يرد الإشكال أن قوتهم عظيمة فكيف ينهزمون هؤلاء ؟ فأخبر تبارك وتعالى أن الذلة قد ضربت عليهم بسبب سوء عملهم ، فعلم بأن الله تعالى ذكر أسباب الفتح في الآية:{{كنتم خيرأمة أخرجت للناس}} وبين في هذه الآية أسباب الهزيمة والهلاك ، فمن أسباب النجاح والفلاح والنصر والفتح الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله ومن أسباب الذلة والهزيمة الكفر والشرك والفسوق والعصيان والاعراض عن كتاب الله إلى غيرذلك . والله أعلم بالصواب .

سورة آل عمران مدنية الآية (118)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨

الملخص:

أيها المؤمنون! لا تتخذوا من دونكم بطانة من الكفار والمنافقين لأنهم لايألونكم خبالاً في إيقاعكم في الفساد والهلاك ، فأحياناً قد تظهر البغضاء من أفواههم ولكن ما أخفت صدورهم فهو أكبر مما تبدو البغضاء من أفواهم وقدأخبرناكم من عداوتهم فكونوا على حذرٍ منهم وامتثلوا بأوامر الله في ضوء مما ذكر لكم آنفاً .

كلام نفيس:

لا ينبغي للمسلمين أن يوالوا الكفار لأنهم عدولهم .(موضح القرآن)

كلام حزن وحسرة:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :

وقد انقلبت الأحوال في هذا العصر باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء .

(تفسير القرطبي)

وهذا ما قاله الإمام القرطبي رحمه الله قبل ألف سنة وما في زماننا هذا حكى عنه المفسر الكبير قائلاً: إن التاريخ يشهد أنه كلما أعرض المسلمون عن هذا الأمر فقد باءوا بالخسارة ، ومن جهة أخرى إن العدو يستخدم أفراداً من المسلمين ويغريهم بالمال والمنصب ثم يستعملهم ضد الاسلام والمسلمين وهؤلاء يطلعونهم على الأحوال الخفية للمسلمين،كما أن الأعداء بثوا شبكة التجسس والاستخبار في دول المسلمين من بني جنسهم فلايخفى على الأعداء شيئ من أمور المسلمين وبالتالي تمكنوا من قلب نظم الحكم وتشكيلها حيناً بعد حين حسب رغباتهم وأهوائهم ولا يعبأون في ذلك بقتل قادة المسلمين وأمرائهم وأصحاب البصيرة منهم فهؤلاء من المسلمين الذين استخدمهم الأعداء تسببوا ما قد حل بالاسلام والمسلمين من الضرر والمصائب والخسائر الفادحة وإلى الله المشتكى. (تفسير أنوار البيان)

وهذا ما قاله المفسرآنفاً مضى عليه عدة سنين أما حال المسلمين في شأن ولاء الكفار وأهل الكتاب في زماننا هذا فقد عجز القلم عن وصفه نسأل الله العفو والعافية ونطلب منه الرحمة والغفران.

لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً

1- لاتتخذوا بطانة أي لا تتخذوا أصفياء تطلعونهم على سركم . (تفسير الجلالين)
2- بطانة الرجل خاصته التي يستبطنون أمره . (تفسير القرطبي)
3- نهى الله عز وجل المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم . (تفسير القرطبي)

سبب نزول الآية

اختلفوا في أن الذين نهى الله المؤمنين عن مخالطتهم من هم؟ على أقوال :

الأول :

أنهم هم اليهود وذلك لأن المسلمين كانوا يشاورونهم في أمورهم ويؤانسونهم لما كان بينهم من الرضاع والحلف ظناً منهم أنهم وإن خالفوهم في الدين فهم ينصحون لهم في أسباب المعاش فنهاهم الله تعالى بهذه الآية عنه .

الثاني :

أنهم هم المنافقون ، وذلك لأن المؤمنين كانوا يغترون بظاهر أقوال المنافقين ويظنون أنهم صادقون فيفشون إليهم الأسرار ويطلعونهم على الأحوال الخفية ، فالله تعالى منعهم عن ذلك . **الثالث** : المراد به جميع أصناف الكفار ، والدليل عليه قوله تعالى : { بِطَانَةً مّن دُونِكُمْ } فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من غير المؤمنين فيكون ذلك نهياً عن جميع الكفار .

التشريح:

ونورد هنا خلاصة ما ورد في تفسير الآلوسي وغيره حول هذه الآية فيما يلي:

إن الله تبارك وتعالى صرح بأن لا يتخذ المسلمون بطانة من دون إخوانهم المسلمين ، لأن هؤلاء من اليهود والنصارى والمنافقين والمشركين ليسوا نصحاء للمسلمين بل يستفيدون منهم بالحيل والمكر ويضرونهم كلما أمكن لهم ذلك بكل ما يستطيعونه من المكر والخديعة وما يهمهم إلا مضرة المسلمين بأي طريق كان ، وما في قلوبهم من الحسد والحقد والبغضاء تجاهكم أيها المسلمون فهو أكثر مما يبدون لكم أحياناً بغلبة ما يغيظ في قلوبهم فلا ينبغي لكم ولا لمن له عقل وشعور أن يتخذ هؤلاء الخبثة المكرة بطانة له وصفيه ، وقد بين تبارك وتعالى مسائل الولاء والبراء بياناً شافياً فاعتبروا يا أولي الألباب وتمسكوا بأحكامه. (تفسير عثماني)

قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : ههنا رجل من أهل الحيرة نصراني لا يعرف أقوى حفظاً ولا أحسن خطاً منه ، فإن رأيت أن تتخذه كاتباً ، فامتنع عمر من ذلك وقال : إذن اتخذت بطانة من غير المؤمنين . (كذا في تفسير الرازي والقرطبي و الآلوسي)

هل هذا عصبية دينية ؟

إن الصلات والعلاقات مع منكري الاسلام وأعداءه لها حد معين لا يجوز لفرد مسلم أو حكومة مسلمة واسلامية أن تعداه لما فيه ضرر للإسلام والمسلمين وقول قائل أن تعليمات اسلامية بخصوص هذ1 الشأن مبنية على عصبية دينية محضة باطل لأن التعليمات الاسلامية بهذا الشأن من باب الاحتياط والحذر من المخاطر والدسائس ضد الاسلام والمسلمين وذلك حفاظاً على دينهم وتشخصهم ومثال ذلك كالمريض يلزمه الاحتياط والوقاية مع الدواء ويرونه أهل الطب من أصول الحفاظ على صحة البدن ، ونظام الوقاية في الاسلام والدفاع عنه من الأمر الطبيعي لا ينكره أحد من أهل العقل والفهم ولايخلو نظام قوم أو دولة من الدول من مثل هذه الاحتياطات وأخذ وسائل الوقاية والدفاع ، وليعلم الكل أن كل مافي هذه الشريعة من أحكام وتعليمات فيها صلاح العباد والبلاد إلى أبد الآباد. (تفسير ماجدي)

سورة آل عمران مدنية الآية (119)

بسم الله الرحمن الرحيم

هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

الملخص:

أيها المسلمون ! أنتم تحبون هؤلاء وهم أعداءكم فلايحبونكم وتؤمنون بالكتب السماوية السابقة والقرآن وهم لايؤمنون بكتابكم القرآن فلماذا توالونهم ؟ ولا يغرنكم ظاهرهم فإنهم إذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا حاولوا إيذاءكم وإدباركم وعضوا عليكم الأنامل من الغيظ والحسد والحقد فقولوا لهم : موتوا بغيظكم وحسدكم لا تستطيعون منع تقدم الإسلام و علو كلمته واعلموا أن الله عليم بذات الصدور .

خلاصة أقوال المفسرين :

1- { تُحِبُّونَهُمْ } لقرابتهم منكم وصداقتهم { وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ } لمخالفتهم لكم في الدين . (تفسير الجلالين)
يعني وجهة نظرهم فاسدة وناقصة مع ذلك جعلوها معيار الصداقة والعداوة ووجهة نظركم حق وكامل فتؤثرون عليه قرابتكم منهم وصداقتكم فلا ينبغي لكم ذلك .

2- { وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ } أي: بكتابكم وكتابهم، وبما مضى من الكتب قبل ذلك،وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم، منهم لكم.(تفسير ابن كثير)

3- { قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ } أي: مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم، فاعلموا أن الله مُتمّ نعمته على عباده المؤمنين ومُكَملٌ دينه، ومُعْلٍ كلمتَه ومظهر دينَه، فموتوا أنتم بغيظكم .(تفسير ابن كثير)

4- { قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ } أمراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله أن يهلكوا غيظاً بإعزاز الإسلام وإذلالهم به ، كأنه قيل : حدث نفسك بذلك . (الكشاف للزمخشري)

5- { قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ } هو دعاء عليهم أي قل يا محمد (ﷺ) أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا . (تفسير القرطبي)

6- وكيف هذا الأمر الغريب أنكم أيها المسلمون توالون هؤلاء أهل الكتاب وتحبونهم وهم لا يوالونكم ولا يحبونكم بل يؤذونكم وتؤمنون أنتم بالكتب السماوية كلها أنزلت على أي نبي في أي زمان ومكان بتحديد الكتب التي ذكرت أسماءها في القرآن الكريم وإيماناً مجملاً بالكتب التي لم ترد أسماءها وبالعكس هؤلاء أهل الكتاب لايؤمنون بكتاب ربكم القرآن ولا برسولكم محمد (ﷺ) بل أشد من ذلك أن إيمانهم بكتبهم ليس بصحيح ، فكان من المفروض أن يحبونكم وتعرضون عنهم ولكن الأمر صار بالعكس تماماً . (تفسير عثماني)

7- لما يزور هؤلاء أهل الكتاب المسلمين ويقابلونهم في الحفلات وأماكن الزيارات يحدثون حديثاً يغتربه السذجة من المسلمين ويرونهم نصحاء لهم فليعلم هؤلاء أن ذلك لخديعة ومكر فقط . (تفسير الفرقان)

فائدة :

في زماننا هذه يرى بعض المسلمين في هذه الأحكام غرابة وعجباً (والعياذ بالله) فليعلم هؤلاء أن عندما نزلت هذه الآيـــات والأحكام كان المسلمون بقلة وضعف وكان الكفر مستولياً على العالم كله ولكن المسلمين لم يروا أنفسهم معذورين لأجـــل قلتهم وكثرة عدوهم بل امتثلوا بأوامر الله ونفذوا شريعة الاسلام وبالتالي أثمر شجر الإسلام واتسع نطاقه وتوسعت دائرته حتى وصلت رسالته إلى أقصى أنحاء المعمورية حتى وصلت إلينا وإليكم وذلك من فضل الله ورحمته ثم بجهود المســـلمين الأول وفي ذلك لعبرة لأولي الأبصار والله تعالى أعلم بالصواب .

سورة آل عمران مدنية الآية (120)

بسم الله الرحمن الرحيم

إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا
إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

الملخص:

إن هؤلاء ليبغضونكم ويكرهونكم بحيث إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها فلا ينبغي لكم أن توالوهم للوقاية من شرهم بل طريقة الوقاية من شرهم هي أن تمسكوا بدينكم تمسكاً واجتنبوا معصية الله واتقوه كي تستنصروا نصر الله فلن يضركم كيدهم وعداوتهم شيئاً ومهما تكون لهؤلاء قوة لا يغنيهم من الله شيء والله بما يعملون محيط .

خلاصة أقوال المفسرين في الآية:

1- كان من المحتمل أن يرى المسلمون أن عدم ولاءهم مع أهل الكتاب يثير غيظهم وغضبهم فيمكرون بهم ويؤذونهم إيذاءا شديداً فأخبرهم الله تعالى أن يصبروا بالتمسك بالدين الحنيف والثبات عليه ويتقوه فلن ينجح عدوكم أيها المسلمون في مكره لكم وما يفعلون من عداوة و مكر يعلمه الله ويحيط به علمه سبحانه وهو قادر على أن يهلكهم في كل حين فما عليكم إلاأن تصلحوا علاقتكم بالله عز وجل لتمهد لكم الطرق وتزول العقبات التي تحول بينكم وبين مسير الدعوة . (تفسير عثماني)

2- اذكروا قتالكم مع الكفار وتمسككم حينئذ بالصبر والثبات وتقوى الله فلم يصبكم أذى الأعداء (كما في غزوة بدر) وحيثما اختل الصبر والثبات وانتقصت تقوى الله لأصابكم من الأذى والمشقة كما في غزوة أحد فغلب عليكم الكفار فلما استقمتم وصبرتم في غزوة حمراء الأسد نجحتم بالفوز والفتح على الأعداء مع ما أصابكم في غزوة أحد من الأذى قتلاً وجرحاً.(بيان القران)

3- قال الزمخشري { وَإِنْ تَصْبِرُواْ } على عداوتهم { وَتَتَّقُواْ } ما نهيتم عنه من موالاتهم . أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم . (الكشاف للزمخشري)

4- {وَأَن تَصْبِرُواْ}على أذاهم أو على طاعة الله تعالى ومضض الجهاد في سبيله{وَتَتَّقُواْ } ما حرم عليكم { لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ } أي مكرهم. (تفسير الآلوسي)

5- { وإِن تَصْبِرُواْ } على أذاهم { وَتَتَّقُواْ } الله في موالاتهم وغيرها { لاَ يَضُرُّكُمْ } (تفسير الجلالين)

وصفة قرآنية للحفاظ من مكر الأعداء:

إن في هذه الآية ذكرت وصفة قرآنية للحفاظ على الأنفس والأموال والأعراض وهي الصبروالثبات وتقوى الله وهما يشملان الإيمان والجهاد وعدم ولاء الكفار.

يا ليت تشعر الأمة الإسلامية مسئوليتها وتترك وسائل الرقي والتقدم المزعومة الموجبة بالخزي والخزلان وتعض على هذه الوصفة القرآنية بالنواجذ التي عمل بها السلف الصالح رضوان الله عليهم إلى أن وصل إلينا هذا الدين القيم .والله تعالى أعلم بالصواب.

دعاء:

اللهم يا أهل التقوى و يا أهل المغفرة ارزقنا الثبات والاستقامة والتقوى.آمين يا رب العالمين .

سورة آل عمران مدنية الآية (121)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾

الملخص:

وإذ خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته وكان يرتب الجيش ويعيِّنهم مقاعد وأمكنة ما يناسبهم للقتال والله سميع عليم .

سبب نزول الآية:

والجمهور على أن هذه الآية متعلقة بغزوة أحد . (كذا في القرطبي وروح المعاني للآلوسي)

خلاصة أقوال المفسرين في الآية:

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ

يعني خرجت بالصباح من منزلك من عند عائشة رضي الله تعالى عنها .(تفسيرالقرطبي) من بمعنى عند (تفسير الآلوسي)

مَقَاعدَ للْقتَال

1- فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوّم بهم القدح . إن رأى صدراً خارجاً قال : تأخر . (الكشاف للزمخشري)

2- إن ترتيب الصفوف في ميدان القتال وتعيين المقاعد له من مهمات الحرب حتى عصر الحديث مع ماتطورت وسائل الحرب وتعددت وتنوعت آلاتها كما كان في عهد سكندر ودارا هذا الترتيب والتعيين من المهام الحربية ، إن قائد الأمة الإسلامية أعطي الكمال في كل مجال من مجالات الحياة فهو نبي مرسل في جانب وقائد الجيش منقطع النظير والنموذج الأعلى في القيادة والفن الحربي في جانب آخر (صلوات الله وسلامه عليه دائماً أبداً). (تفسير ماجدي)

استدلال لطيف

يروى أنه عليه السلام غدا من منزل عائشة رضي الله عنها فمشى على رجليه إلى أحد ، وهذا قول مجاهد والواقدي ، فدل هذا النص على أن عائشة رضي الله عنها كانت أهلاً للنبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى : { الطيبات لِلطَّيّبِينَ والطيبون للطيبات } [النور : 26] فدل هذا النص على أنها مطهرة مبرأة عن كل قبيح ، ألا ترى أن ولد نوح لما كان كافراً قال : { إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ } [هود : 46] وكذلك امرأة لوط .

درس وعبرة

إن قادة المسلمين وعلماءهم ورثة النبي ﷺ فيجب عليهم أن يأخذوا التدريب في مهمات الحرب ويتعلموا الفنون الحربية ليقودوا الأمة المسلمة في ميدان القتال والمعارك .

غزوة أحد

كما ذكرها العلامة المولانا محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله تعالى في كتابه ''سيرة المصطفى ﷺ ''

غزوة أحد

شهر شوال 03من الهجرة النبوية:

جبل أحد جبل معروف بالمدينة المنورة يبعد منها حوالي ميلين ، وتسمي أحد لتوحده وتفرده بين الجبال . (البداية والنهاية)

قال الله تعالى: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ......الآية.

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ورجعوا إلى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره وعلموا أن رأس المال مع الربح محفوظ أمانة في دار الندوة ، وقد وقع الحزن على قلب كل منهم إلا أن من أصيب قريبه في بدر كان حزنه وألمه أكثر ممن لم يصبه ونار الثأر مشتعلة في قلوبهم حتى امتلأت نفوسهم غيظاً وغضباً ،فاجتمع أبو سفيان بن حرب ، وعبد الله بن ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وحارث بن هشام ، وحويطب بن عبد العزى ،وصفوان بن أمية[وقدأصيب في بدر ولد أبي سفيان حنظلة ، وأبوعكرمة وأخ حارث بن هشام أبوجهل ،وأبو صفوان بن أمية أمية، وأسلم منهم بعد أبوسفيان وعبد الله بن أبي ربيعه ، وعكرمة بن أبي جهل ، وحارث بن هشام ،وحويطب بن عبد العزى،وصفوان بن أمية رضي الله عنهم وأرضاهم] في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا : يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل أخياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك به ثأرنا بمن أصاب منا ففعلوا وقدر هذا المال خمسون ألف دينار، وفي ذلك نزلت الآية {{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ}} (سورة الأنفال: الآية/36)

واجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت بجدها وجديدها وأحابيشها ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة ،وبعثوا رسلهم يسيرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم، فأوعبوا وتألب من كان معهم من العرب وحضروا.

إخراج قريش نساءهم في هذه الغزوة:

فأجمعوا على إخراج الظعن يعني النساء معهم ليذكرنهم قتلى بدر فيحفظنهم وأن لا يفروا وخرج أبو سفيان وهو قائد الناس بهند بنت عتبة وخرج آخرون بنساء أيضاً فيكون أحد لهم في القتال ، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، والظعن خمس عشرة امرأة فخرج هذا الجيش العظيم بقيادة أبي سفيان بن حرب خمساً من شوال سنة عام ثلاث للهجرة حتى نزلوا بعينين بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة.

إخبار العباس بن عبد المطلب النبي ﷺ بخبر قريش

وكتب العباس بن عبد المطلب بخبرهم كله (أي خبر قريش) إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم،وأرسل لذلك رسولاً وأكد عليه أن يبلغ إلى النبي ﷺ خلال ثلاثة أيام بأي طريق .(الزرقاني ج2/ص21)

استشارة النبي ﷺ من أصحابه رضي الله عنهم

فلما بلغ النبي ﷺ هذا الخبر بعث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عينين له أنسا ومؤنسا ابني فضالة الظفريين، ليلة الخميس لخمس ليال مضين من شوال، فأتيا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بخبرهم ، ثم بعث الحباب بن المنذر بن الجموح إليهم أيضا فدخل فيهم فحزرهم وجاءه بعلمهم، وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة، في عدة ليلة الجمعة، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وحرست المدينة من أطرافها حتى أصبحوا. (طبقات ابن سعد ج/2 ص/ 25)

وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة فأصبح النبي ﷺ وطلب أصحابه للمشورة فأشار عليه كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار أن يمكثوا في المدينة ويقاوموا منها العدو فقال: فتيان أحداث لم يشهدوا بدراوطلبوا من رسول الله، صلى الله عليه وسلم الخروج إلى عدوهم ورغبوا في الشهادة وقالوا: اخرج بنا إلى عدونا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين إنى قد رأيت بقرا فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفى ثلما ورأيت أنى أدخلت يدى في درع حصنة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها .(تاريخ الطبري)

وفي رواية { ورأيت في رؤياي هذه أني هززت سيفا فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين}

وفي طبقات ابن سعد ((ورأى رسول الله، صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كأنه في درع حصينة، وكأن سيفه ذا الفقار قد انفصم من عند ظبته، وكأن بقرا تذبح، وكأنه مردف كبشا، فأخبر بها أصحابه، وأولها فقال: أما الدرع الحصينة فالمدينة، وأما انفصام سيفي فمصيبة في نفسي، وأما البقر المذبح فقتل في أصحابي، وأما مردف كبشا فكبش الكتيبة يقتله الله إن شاء الله))

ونزلت قريش منزلها من أحد يوم الاربعاء فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال وكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأى رسول الله عليه وسلم في ذلك ألا يخرج إليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبى ابن سلول يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فو الله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فدعهم يا رسول اله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا .

(تاريخ الطبري ج/3ص/11)

، فكان رأي رسول الله، صلى الله عليه وسلم أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا، وكان رجال من المسلمين لم يشهدوا بدرا قد ندموا على ما فاتهم من السابقة وتمنوا لقاء العدو ليبلوا ما أبلى إخوانهم يوم بدر، فلما نزل أبو سفيان والمشركون بأصل أحد فرح المسلمون الذين لم يشهدوا بدرا بقدوم العدو عليهم وقالوا: قد ساق الله علينا أمنيتنا،وكنا نتمنى هذا اليوم وندعو الله فقد ساقه الله إلينا وقرب المسيرفلو قاومنا العدو من المدينة لرأى عدونا أن جبنا في سبيل الله وقال حمزة بن عبد المطلب :

والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة .

(البداية والنهاية ج4/ص 12زرقاني ج2/ص23)

وقال نعمان بن مالك أنصاري رضي الله تعالى عنه :

يا رسول الله لا تحرمنا الجنة فو الذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بم ؟ قال: بأني أحب الله ورسوله ولا أفر يوم الزحف، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدقت.واستشهد يومئذ.

وأبى كثير من الناس إلا الخروج إلى العدو ولم يتناهوا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيه ولو رضوا بالذي أمرهم كان ذلك ولكن غلب القضاء والقدر، وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرا، قد علموا الذي سبق لاصحاب بدر من الفضيلة، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد ،وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بالشخوص.

استعداد النبي ﷺ للخروج ولبسه الدرع:

ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا وحضر أهل العوالي، ثم دخل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بيته ومعه أبو بكر وعمر فعمماه ولبساه وصف الناس له ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على الخروج والأمر يترل عليه من السماء فردوا الأمر إليه. فخرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قد لبس لأمته وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من أدم من حمائل السيف، واعتم وتقلد السيف وألقى الترس في ظهره، فندموا جميعا على ما صنعوا وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، فانظروا ما أمرتكم به فافعلوه وامضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم.

خروج النبي ﷺ ومعاينته

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى أحد في ألف رجل بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الحادي عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة راكباً على الفرس وكان أمامه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما لابسا الدرع وبعض الصحابة يمشي يمينه وشماله والبقية وراءه (وهذه التفاصيل مذكورة في طبقات ابن سعد وزرقاني) فلما وصل عند الشيخين(وهما أطمان كان يهودى ويهودية أعميان يقومان عليهما فيتحدثان فلذلك سميا الشيخين وهو في طرف المدينة)

وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة بالشيخين بعد المغرب فأجاز من أجاز ورد من رد .

وكان فيمن رد :

1- أسامه بن زيد رضي الله تعالى عنه	2- زيد بن ثابت رضي الله عنه
3- أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه	4- عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
5- أسيد بن ظهير رضي الله عنه	6- عرابة بن أوس رضي الله تعالى عنه
7- براء بن عاذب رضي الله تعالى عنه	8- زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه

عن الإمام الشافعي أنه قال: عرض على النبي ﷺ ست عشر صحابياً كانوا ما دون خمسة عشر فردهم النبي ﷺ وأجازهم بعد سنة (كذا في الزرقاني ص25/ج2)

وأجاز سمرة بن جندب ورافع بن خديج وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قد استصغر رافعا فقام على خفين له فيهما رقاع وتطاول على أطراف أصابعه فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أجازه .

عن نافع ان عمر بن عبد العزيز سأله هل تدرون ما شهد عبدالله بن عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم من المغازى فقال نعم حدثنا عبدالله بن عمر قال كانت غزوة بدر وانا ابن ثلاث عشرة سنة فلم اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كانت غزوة احد وانا بن اربع عشرة سنة فخرجت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأني استصغرني فردني وخلفني في حرس المدينة في نفر ردهم منهم زيد بن ثابت وعرابة بن اوس ورافع بن خديج وكان رافع أطولنا يومئذ فأنفذه النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرده معنا وكانت غزوة الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة وانفذني فغزوت معه فلما حدث هذا الحديث دعا كاتبه فقال اعجل على كاتبا إلى الامصار كلها فان رجالا يقدمون إلى يستفرضون لابنائهم واخوانهم فانظروا من فرضت له فاسألوهم عن اسنانهم فمن كان منهم ابن خمس عشرة سنة فافرضوا له في المقاتلة ومن كان دون ذلك فافرضوا له في الذرية. (عيون الأثر:ص/333)

كانت أم سمرة بن جندب تحت مرى بن سنان بن ثعلبة عم أبي سعيد الخدرى فكان ربيبه فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر رد سمرة بن جندب وأجاز رافع بن خديج فقال سمرة بن جندب لربيبه مرى بن سنان يا أبت أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج وردني وأنا أصرع رافع بن خديج فقال مرى بن سنان

يا رسول الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرافع وسمرة تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدها مع المسلمين . رضي الله عنهم ورضوا عنه .

انخزال المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول

وانخزل بن أبي من ذلك المكان في كتيبة كأنه هيق يقدمهم وهو يقول: عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له، وانخزل معه ثلاثمائة، ونزلت في هؤلاء المنافقين الآية: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) (سورة آل عمران: 167)فبقي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في سبعمائة وكان في المسلمين مائة دارع ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة نيار الحارثي .(كذا في تاريخ الطبري ج12/3)

ولما رجع عبدالله بن أبي بثلث مائة سقط في أيدى الطائفتين من المسلمين وهما أن يقتتلا وهما بنو حارثة وبنو سلمة كما يقال، ولكن الله عصمهم من أن يضلوا ونزلت فيهم الآية : (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (سورة آل عمران: 122) وغربت الشمس وحانت الصلاة،فأمر بلالا وأذن وأقام فصلى بأصحابه المغرب وبات بالشيخين، واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطيفون بالعسكر

وأدلج رسول الله، صلى الله عليه وسلم في السحر ودليله أبو حثمة الحارثي فانتهى إلى أحد إلى موضع القنطرة اليوم فحانت الصلاة، وهو يرى المشركين، فأمر بلالا وأذن وأقام فصلى بأصحابه الصبح صفوفا .

تجهيز الجيش وترتيبه قبل القتال:

وبعد الانصراف من الصلاة أقبل النبي ﷺ يصف أصحابه ويسوي الصفوف على رجليه، وجعل ميمنة وميسرة وعليه درعان ومغفر وبيضة، وجعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة

وجعل عينين جبلا بقناة عن يساره وجعل عليه خمسين من الرماة، واستعمل عليهم عبد الله بن جبير وأوعز إليهم فقال: قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا.

وفي رواية البخاري وَأَمَّرَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْد اللَّه بْن جُبَيْر عَلَى الرُّمَاة وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلًا وَعَهِدَ إِلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتْرُكُوا مَنَازِلَهُمْ .

وفِي رِوَايَة زُهَيْر " وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ " وَفِي حَدِيث اِبْن عَبَّاس عِنْد أَحْمَدَ وَالطَّبَرَانِيِّ وَالْحَاكِم أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَهُمْ فِي مَوْضِع ثُمَّ قَالَ لَهُمْ " اِحْمُوا ظُهُورَنَا ، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تُشْرِكُونَا " .
(فتح الباري:ج7/ص:270)

حال عسكر قريش:

وكان المشركون قد رأوا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيث راح ونزل، فاجتمعوا واستعملوا على حرسهم عكرمة بن أبي جهل في خيل من المشركين،وأقبل المشركون وعسكروا على شفير الوادي وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، والظعن خمس عشرة امرأة خرجن ليحرضن الرجال على القتال ويشجعنهم بالأشعار .
(زرقاني ج 2/ص 26)

نذكر أسماء بعضهن :

1- هند بنت عتبة بن ربيعة زوجة أبي سفيان
2- أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة زوجة عكرمة بن أبي جهل .
3- فاطمة بنت الوليد ابن المغيرة زوجة حارث بن هشام بن المغيرة.
4- برزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية زوجة صفوان بن أمية
5- ريطة بنت منبة بن الحجاج زوجة عمروبن العاص .
6- سلافة بنت سعد بن شهيد زوجة طلحة بن أبي طلحة
7- خناس بنت مالك أم مصعب بن عمير .
8- عمرة بنت علقمة احدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة

قال الزرقاني إن هؤلاء النسوة كلهن أسلمن ماعدا خناس وعمرة رضي الله عنهن.

وصف المشركون صفوفهم واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، ولهم مجنبتان مائتا فرس، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية، ويقال عمرو بن العاص، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة .

وقد اسلم فيما بعد هؤلاء قادة العسكر الخمسة رضي الله عنهم .

خطاب النبي ﷺ أمام المجاهدين :

لما فرغ النبي ﷺ عن ترتيب الصفوف وتجهيز الجيش أخذ سيفه وقال من يأخذه بحقه ؟ والرواية بتمامها وردت في صحيح مسلم وهي كما تلي : عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُد فَقَالَ مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ أَنَا أَنَا قَالَ فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ قَالَ فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ .

وفي رواية :

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال الزبير بن العوام: عرض النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد سيفاً فقال: من يأخذ هذا السيف بحقه فقام أبو دجانة سماك بن خرشة؛ فقال: أنا. فما حقه؟ قال: " لا تقتل به مسلماً ولا تفر به من كافر " .

(وقد اخرجها الإمام أحمد في مسنده والطبراني في معجمه عن قتادة بن النعمان الأنصاري رضي الله تعالى عنه وفي مسند البزار عن زبير بن العوام رضي الله تعالى عنه)

ولعل النبي ﷺ قد علم عن الوحي أنه لم يؤد أحد حق هذا السيف سوي أبي دجانة رضي الله عنه فأعطاه إياه . والله تعالى أعلم .

فائدة:

وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا كَانَتْ وَكَانَ إِذَا أُعْلِمَ بِعِصَابَةٍ لَهُ حَمْرَاءَ ، فَاعْتَصَبَ بِهَا عَلَى النّاسِ أَنّهُ سَيُقَاتِلُ فَلَمّا أَخَذَ السّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصّفّيْنِ وفعلاً أدى هذا الحق كما سيتضح أمر القتال فيما يأتي قريباً.

* عَنْ رَجُلٍ مِنْ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ حِينَ رَأَى أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ إنّهَا لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللّهُ إلّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ .

بدء القتال والمبارزة بين الفريقين وقتل مبارزي قريش فرداً فرداً

أول من أنشب الحرب أبو عامر وكان في الجاهلية زعيم قومه الأوس معروفاً بالزهد والورع ويسمى بالراهب فلما تنورت المدينة بنور الإسلام أخرجته شقاوته من المدينة وجاء مكة وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ يُسَمّى فِي الْجَاهِلِيّةِ الرّاهِبَ فَسَمّاهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْفَاسِقَ ،وحرض هذا الفاسق قريش مكة على قتال محمد (ﷺ) وجاء معهم في غزوة أحد وظن أنه لما يراه قبيلتـــه الأوس مع قريش ليترك محمداً (ﷺ).

وفي سيرة ابن هشام:

وَقَدْ كَانَ خَرَجَ حِينَ خَرَجَ إلَى مَكّةَ مُبَاعِدًا لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ مَعَهُ خَمْسُونَ غُلَامًا مِنْ الْأَوْسِ ، وَبَعْضُ النّاسِ كَـــانَ يَقُولُ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، وَكَانَ يَعِدُ قُرَيْشًا أَنْ لَوْ قَدْ لَقِيَ قَوْمَهُ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَان.

المبارز الأول:

أول من أنشب الحرب من طرف قريش أبو عامر الفاسق، طلع في خمسين من قومه فنادى:

يا معشر الأوس أنا أبو عامر، فقال: المسلمون: لا مرحبا بك ولا أهلا، يا فاسق! قـــال: لقـــد أصـــاب قـــومي بعـــدي شـــر . (أنظرزرقاني:30/2،ابن هشام 79/2،عيون الأثر336، البداية والنهاية 16/4)

المبارز الثاني:

إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معشر أصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله يعجلنـــا بســـيوفكم إلى النـــار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة أو يعجلنى بسيفه إلى النار فقام إليه علي ابـــن أبي طالـــب رضى الله عنه فقال والذى نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار أو تعجلنى بسيفك إلى الجنة فضربه علـــى فقطـــع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لعلـــى أصحابه ما منعك أن تجهز عليه قال إن ابن عمى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم. (أنظر الطبري والزرقاني)

في رواية ابن جرير ذكرت الضربة الأولى وعند ابن سعد ذكرت الضربة الثانية ولا تعارض بين الروايتين .

المبارز الثالث:

ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة أبو شيبة وهو أمام النسوة يرتجز ويقول:

إن على أهل اللواء حقا ... أن تخضب الصعدة أو تندقا

وحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره وبدا سحره، ثم رجع وهـــو يقول: أنا بن ساقي الحجيج .

المبارز الرابع:

ثم حمله أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فأدلع لسانه إدلا ع الكلب فقتله .

المبارز الخامس:

ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله .

المبارز السادس:

ثم حمله الحارث بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله (وفي رواية قتله زبير بن العوام رضي الله تعالى عنه)

المبارز السابع:

ثم حمله كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير بن العوام .

المبارز الثامن:

ثم حمله الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله .

المبارز التاسع:

ثم حمله أرطأة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب .

المبارز العاشر:

ثم حمله شريح بن قارظ ولايدري من قتله

المبارز الحادي عشر:

ثم حمله صواب غلامهم وقال قائل: قتله سعد بن أبي وقاص، وقال قائل: قتله علي بن أبي طالب، وقال قائل: قتله قزمان، وهو أثبت القول.

وهكذا قتل اثنين وعشرين رجلاً من قريش ذكر أسماءهم ابن هشام في كتابه وأسماء من قتلهم من المسلمين . (أنظر سيرت ابن هشام ج **103/2**)

شجاعة أبي دجانة رضي الله عنه

كان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب وكان له عصابة حمراء يعلم بها عند الحرب يعتصب بها فيعلم أنه سيقاتل، قال: فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فاعتصب بها ثم جعل يتبختر بين الصفين وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي * ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر في الكيول * أضرب بسيف الله والرسول.

وعن رجل من الانصار من بني سلمة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر: انها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

قال ابن هشام: فجعل أبو دجانة لا يلقى أحدا إلا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع جريحا إلا ذفف عليه، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه، وضربه أبو دجانة فقتله ،ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدل السيف عنها فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت انسانا يحمس الناس حمسا شديدا، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اضرب به امرأة . (البداية والنهاية **16/4**)

شجاعة أسد الله وأسد رسوله (ﷺ) حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وشهادته

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ قَالَ خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ قَالَ لِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَدِيٍّ هَلْ لَكَ فِي وَحْشِيٍّ نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ قُلْتُ نَعَمْ وَكَانَ وَحْشِيٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقِيلَ لَنَا هُوَ

ذَاكَ فِي ظِلِّ قَصْرِهِ كَأَنَّهُ حَمِيتٌ قَالَ فَجِئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ بِيَسِيرٍ فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ السَّلَامَ قَالَ وَعُبَيْدُ اللَّهِ مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِهِ مَا يَرَى وَحْشِيٌّ إِلَّا عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ يَا وَحْشِيُّ أَتَعْرِفُنِي قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَدِيَّ بْنَ الْخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِي الْعِيصِ فَوَلَدَتْ لَهُ غُلَامًا بِمَكَّةَ فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الْغُلَامَ مَعَ أُمِّهِ فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ فَلَكَأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ قَالَ فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللَّهِ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَا تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ قَالَ نَعَمْ إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّي فَأَنْتَ حُرٌّ قَالَ فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ فَلَمَّا أَنْ اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ قَالَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ قَالَ وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ قَالَ فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِهِ (وفي رواية الطيالسي: فَجَعَلْت أَلُوذُ مِنْ حَمْزَةَ بِشَجَرَةٍ وَمَعِي حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا اِسْتَمْكَنْت مِنْهُ هَزَزْت الْحَرْبَةَ حَتَّى رَضِيت مِنْهَا ، ثُمَّ أَرْسَلْتهَا فَوَقَعَتْ بَيْنَ ثَنْدُوتَيْهِ ، وَذَهَبَ يَقُومُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ " ١٥)

وفيه أيضاً " فَانْطَلَقْت يَوْمَ أُحُد مَعِي حَرْبَتِي ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ الْحَبَشَةِ أَلْعَبُ لَعِبَهُمْ ، قَالَ : وَخَرَجْت مَا أُرِيدُ أَنْ أَقْتُلَ وَلَا أُقَاتِلَ إِلَّا حَمْزَةَ. زَادَ الطَّيَالِسِيُّ " فَلَمَّا جِئْت عَتَقَتْ " وَابْنِ إِسْحَاق " فَلَمَّا قَدِمْت مَكَّةَ عَتَقْت ، وَإِنَّمَا قَتَلْته لِأُعْتَقَ " . (فتح الباري 202/7)

فائدة:

وبعد فتح مكة جاء الوحشي مع وفد الطائف إلى النبي ﷺ ليسلم وقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا وَحْشِيٌّ ، فَقَالَ : دَعُوهُ فَلَإِسْلَامُ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ أَلْفِ كَافِرٍ " .ثم سأله النبي ﷺ عن قتل حمزة و قَالَ آنْتَ وَحْشِيٌّ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ قُلْتُ قَدْ كَانَ مِنْ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ قَالَ فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي (وفي رواية الطبراني عن وحشي قال لما أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد قتل حمزة تفل في وجهي ثلاث تفلات ثم قال لا تريني وجهك. رواه الطبراني) قَالَ فَخَرَجْتُ فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ قُلْتُ لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ قَالَ فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ قَالَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ قَالَ فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ قَالَ وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.

قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ فَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ . (فتح الباري ج284/7بتغيير يسير)

وفي صحيح البخاري : وَوَثَبَ إِلَيْهِ (أي مسيلمة الكذاب) رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ"

وَهُوَ عَبْد اللَّه بْن زَيْد بْن عَاصِم الْمَازِنِيّ كَمَا جَزَمَ بِهِ الْوَاقِدِيُّ وَإِسْحَاق بْن رَاهْوَيْهِ وَالْحَاكِم ، وَقِيلَ هُوَ عَدِيُّ بْنُ سَهْلٍ جَزَمَ بِهِ سَيْف فِي " كِتَاب الرِّدَّة " وَقِيلَ أَبُو دُجَانَةَ ، وَقِيلَ زَيْد بْن الْخَطَّاب الْأَوَّل أَشْهُر ، وَلَعَلَّ عَبْدَ اللَّه بْن زَيْد هُوَ الَّذِي أَصَابَتْهُ ضَرْبَتُهُ ، وَأَمَّا الْآخَرَان فَحَمَلَا عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَة . وَأَغْرَبَ وَثِيمَةُ فِي " كِتَاب الرِّدَّة " فَزَعَمَ أَنَّ الَّذِي ضَرَبَ مُسَيْلِمَةَ هُوَ شَنٌّ بِفَتْحِ الْمُعْجَمَة وَتَشْدِيد النُّون اِبْن عَبْد اللَّه ، وَأَنْشَدَ لَهُ :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي وَوَحْشِيّهمْ
ضَرَبْنَا مُسَيْلِمَةَ الْمُفْتَن
يُسَائِلنِي النَّاس عَنْ قَتْله
فَقُلْت ضَرَبْت وَهَذَا طَعَن

فَلَسْت بِصَاحِبِهِ دُونَهُ

وَلَيْسَ بِصَاحِبِهِ دُون شَنّ .

وَعِنْدَ الطّبَرَانِيّ " فَقَالَ : يَا وَحْشِيّ ، اُخْرُجْ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَا كُنْت تَصُدّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ " . (مجمع الزوائد ج**121/6**)

قصة شهادة غسيل الملائكة حنظلة رضي الله تعالى عنه

إن حنظلة ابن أبي عامر الفاسق الذي سبق ذكره آنفاً تقياً حضر في أحد مع النبي ﷺ والتقى هو وأبو سفيان ابن حرب فلما استعلاه حنظلة رآه شداد بن الاسود وكان يقال له ابن شعوب قد علا أبا سفيان فضربه شداد فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن صاحبكم إن صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة فسلوا أهله ما شأنه فسئلت صاحبته فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهائعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة .

وَذَكَرَ الحميدي في التفسير قَوْلَ النّبِيّ – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ – إنّ صَاحِبَكُمْ لَتُغَسّلُهُ الْمَلَائِكَةُ يَعْنِي : حَنْظَلَةَ وَفِي غَيْرِ السّيرَةِ [ص **259**] قَالَ رَأَيْت الْمَلَائِكَةَ تُغَسّلُهُ فِي صِحَافِ الْفِضّةِ بِمَاءِ الْمُزْنِ بَيْنَ السّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

وامرأته جميلة صحابية بنت بن أبي بن سلول أخت عبد الله بن أبي رئيس المنافق .

(أنظر: ابن سعد والخصائص الكبرى)

وَكَانَ ابْتَنَى بِهَا تِلْكَ اللّيْلَةَ فَكَانَتْ عَرُوسًا عِنْدَهُ فَرَأَتْ فِي النّوْمِ تِلْكَ اللّيْلَ كَأَنّ بَابًا فِي السّمَاءِ فُتِحَ لَهُ فَدَخَلَهُ ثُمّ أُغْلِقَ دُونَهُ فَعَلِمَتْ أَنّهُ مَيّتٌ مِنْ غَدِهِ فَدَعَتْ رِجَالًا مِنْ قَوْمِهَا حِينَ أَصْبَحَتْ فَأَشْهَدَتْهُمْ عَلَى الدّخُولِ بِهَا خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ فِي ذَلِكَ نِزَاعٌ ذَكَرَهُ الْوَاقِدِيّ.

وَذَكَرَ غَيْرُهُ أَنّهُ اُلْتُمِسَ فِي الْقَتْلَى ، فَوَجَدُوهُ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً وَلَيْسَ بِقُرْبِهِ مَاءٌ تَصْدِيقًا لِمَا قَالَهُ الرّسُولُ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ . (روض الأنف ج **133/2**)

ومن أجله عرف بغسيل الملائكة رضي الله عنه وأرضاه .

وروى ابن شاهين بإسناد حسن إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: استأذن حنظلة بن أبي عامر وعبد الله بن أبي بن سلول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتل أبويهما فنهاهما عن ذلك. (أنظر الإصابة ترجمة حنظلة ابن أبي عامر)

وأنزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لا شك فيها.

قال الزبير والله لقد رأيتنى أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون اخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فاتينا من أدبارنا.

انسحاب الرماة من مكانهم وشهادة أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه وانقلاب دائرة الحرب على المسلمين

وتكلم الرماة الذين على عينين واختلفوا بينهم، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير في نفر يسير دون العشرة مكانهم، وقال: لا أجاوز أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لم يرد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هذا، قد انهزم المشركون فما مقامنا هاهنا؟ فانطلقوا يتبعون العسكر ينتهبون معهم وخلوا الجبل، ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم، وقتل أميرهم عبد الله بن جبير، رحمه الله تعالى، وانتقضت صفوف المسلمين واستدارت رحاهم وحالت الريح فصارت دبورا، وكانت قبل ذلك صبا.

شهادة مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه

وتفرق جمع المسلمين بعد هجوم المشركين من جبل عينين وكان خالد بن الوليد على ميمنة عسكر قريش حتى وصل هؤلاء إلى النبي ﷺ وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤه حتى قتل فأعطى اللواء علياً رضي الله عنه، وكان الذى أصابه ابن قميئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى قريش فقال قتلت محمدا فلما قتل مصعب بن عمير (وفي رواية : ونادى إبليس لعنه الله أن محمدا قد قتل) واختلط المسلمون فصاروا يقتتلون على غير شعار ويضرب بعضهم بعضا ما يشعرون به من العجلة والدهش واشتغل كل واحد منهم بهمه والذب عن نفسه.

شهادة والد حذيفة بن اليمان بأيدي المسلمين شبهة

عن محمود بن لبيد قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وقع حسيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش بن زعوراء في الآطام مع النساء والصبيان فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران لا أبا لك ما تنتظر فو الله إن بقى لواحد منا من عمره إلا ظم ء حمار إنما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله عز وجل يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون وأما حسيل بن جابر اليمان فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه فقال حذيفة أبي قالوا والله إن عرفناه وصدقوا قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا . (تاريخ الطبري:ج26/3،فتح الباري ج279/7،زرقاني ج32/2،ابن هشام ج87/2)

وحملة خالد بن الوليد على الرماة وقتلهم ثم كره بالخيل على المسلمين قد تزلزلت أقدام بعض الصحابة ولكن ثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يزول يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمي بالحجر .

وفي الدلائل للبيهقي:

عن المقداد رضي الله عنه أنه قال: فوالذي بعثه بالحق مازالت قدمه شبراً واحداً وأنه لقي وجه العدو ويفئ إليه طائفة من أصحابه مرة وتفترق مرة فربما رأيته قائماً يرمي عن قوسه ويرمي بالحجر حتى انحازوا عنه .

أسماء الصحابة الذين لازموا النبي ﷺ وحافظوا عليه

إن عصابة من أصحاب النبي ﷺ صبروا معه وثبتوا في هذا الامتحان الشديد وهم أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار :

أسماء المهاجرين :

1- أبو بكر رضي الله تعالى عنه
2- عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
3- َعَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله تعالى عنه
4- سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ رضي الله تعالى عنه
5- َطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ رضي الله تعالى عنه
6- أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرّاحِ رضي الله تعالى عنه
7- الزّبَيْرُ بْنُ الْعَوّامِ رضي الله تعالى عنه

أسماء الأنصار

1- أَبُو دُجَانَةَ رضي الله تعالى عنه
2- الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ رضي الله تعالى عنه
3- عاصِمُ بْنُ ثَابِت رضي الله تعالى عنه
4- الْحَارِثُ بْنُ الصِّمَّةِ رضي الله تعالى عنه
5- سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ رضي الله تعالى عنه
6- سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رضي الله تعالى عنه
7- أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، رضي الله تعالى عنه

ولم يذكر اسم علي رضي الله عنه من ضمن المهاجرين لأن النبي ﷺ أعطاه اللواء بعد شهادة مصعب بن عمير رضي الله عنه فاستمر مشتغلاً بالقتال .

هؤلاء الصحابة الذين صبروا مع النبي ﷺ أربعة عشر رجلاً نقص عددهم حيناً وزاد في حين آخر كما في صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن عددهم كان اثنا عشررجلاً ، وفي سنن النسائي والدلائل للبيهقي عن جابر رضي الله عنه باسناد جيد أنهم كانوا أحد عشر رجلاً ، وفي صحيح مسلم روي عن أنس سبعة .

وهذا الاختلاف باختلاف الأحوال و مشاهدة الراوي ولا تعارض في ذلك . (أنظر للتفصيل فتح الباري ج1277/7، وزرقاني ج35/2)

هجوم الكفار على النبي الكريم ﷺ وفداء الصحابة له بأنفسهم

عَنْ أَنَس بْنِ مَالك أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُد فِي سَبْعَة منْ الْأَنْصَار وَرَجُلَيْن منْ قُرَيْشٍ فَلَمَّا رَهقُوهُ قَالَ مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفيقي في الْجَنَّة فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ منْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتلَ ثُمَّ رَهقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ هُوَ رَفيقي في الْجَنَّة فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ منْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتلَ فَلَمْ يَزَلْ كَذَلكَ حَتَّى قُتلَ السَّبْعَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ لصَاحبَيْه مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا.

(صحيح مسلم ج107/2، ورواه أحمد كما في البداية والنهاية ج26/4)

وفي رواية ابن اسحاق في سيرة ابن هشام :

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَقَالَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ حينَ غَشيَهُ الْقَوْمُ مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ ؟ كَمَا حَدّثَني الْحُصَيْنُ بْنُ عَبْد الرّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْد بْن مُعَاذ ، عَنْ مَحْمُود بْن عَمْرٍو ، قَالَ فَقَامَ زِيَادُ بْنُ السّكَنِ في نَفَرٍ خَمْسَة منْ الْأَنْصَارِ – وَبَعْضُ النّاس يَقُولُ إنّمَا هُوَ عُمَارَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ السّكَنِ – فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ رَجُلًا ثُمّ رَجُلًا ، يُقْتَلُونَ دُونَهُ حَتّى كَانَ آخرُهُمْ زِيَادَ أَوْ عُمَارَةَ فَقَاتَلَ حَتّى أَثْبَتَتْهُ الْجرَاحَةُ ثُمّ فَاءَتْ فئَةٌ منْ الْمُسْلمينَ فَأَجْهَضُوهُمْ عَنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللّه أَدْنُوهُ منّي ، فَأَدْنَوْهُ منْهُ فَوَسّدَهُ قَدَمَهُ فَمَاتَ وَخَدّهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّم . (ابن هشام ج849/2)

حملة عتبة ابن أبي وقاص على النبي ﷺ

ذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ " أَنَّ عُتْبَةَ بْن أَبِي وَقَّاصٍ أخا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رمى حجارة إلى النبي ﷺ فانكسَرَت بها رَبَاعِيَة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السُّفْلَى وَجَرَحَ شَفَتَهُ السُّفْلَى ، وَرَوَى ابْن إِسْحَاق مِنْ حَدِيث سَعْدِ

بْن أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ : " فَمَا حَرَصْت عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ حِرْصِي عَلَى قَتْلِ أَخِي عُتْبَة بْن أَبِي وَقَّاصٍ لِمَا صَنَعَ بِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ. (فتح الباري ج281/7)

حملة عبد الله بن أبي قميئة على النبي ﷺ

عَبْدَ اللَّه بْنَ قَمِيئَةَ كان أحد الأبطال المشهورين هجم على النبي ﷺ بشدة فجرَحَهُ فِي وَجْنَته فَدَخَلَتْ حَلْقَتَان مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَــرِ فِي وَجْنَتِهِ , وعبد الله بن شهاب زهري شجه في جبهته ﷺ (وقد اسلم ابن شهاب زهري فيما بعد وتوفى بمكة زرقاني ج38/2) وجعل الدم يسيل على وجه النبي ﷺ فجاء مَالِكَ بْن سِنَانَ (والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه) و مَصَّ الدَّمَ مِنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ثُمَّ ازْدَرَدَهُ فَقَالَ النبي ﷺ : لَنْ تَمَسَّك النَّارُ " .

" وَفِي الطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيث أَبِي أُسَامَةَ قَالَ : " رَمَى عَبْدُ اللَّه بْنُ قَمِيئَةَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُد فَشَــجَّ وَجْهَــهُ وَكَسَرَ رَبَاعِيَته فَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْن قَمِيئَةَ ، فَقَالَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمْسَح الدَّمَ عَنْ وَجْهه : مَالَك أَقْمَــأَك اللَّهُ ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْه تَيْسَ جَبَلٍ فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَّعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً " . (فتح الباري ج281/7، زرقاني 38/2)

دعامة علي وطلحة رضي الله عنهما نبي الله ﷺ

وَوَقَعَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ فِي حُفْرَة مِنْ الْحُفَر الّتِي عَمِلَ أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فَأَخَذَ عَلِــيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَد رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ وَرَفَعَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْد اللّه حَتّى اسْتَوَى قَائِمًا.

قَالَ ابْنُ هِشَام : وَذَكَرَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمّد الدّرَاوَرْدِيّ : أَنّ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ قَالَ مَنْ أَحَبّ أَنْ يَنْظُــرَ إلَــى شَــهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْه الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْد اللّه .

عَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ أَنّ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرّاحِ نَزَعَ إحْدَى الْحَلْقَتَيْنِ مِنْ وَجْه رَسُول اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ فَسَقَطَتْ ثَنِيّتُهُ ثُمّ نَزَعَ الْأُخْرَى ، فَسَقَطَتْ ثَنِيّتُهُ الْأُخْرَى ، فَكَانَ سَاقِطَ الثّنِيّتَيْنِ .(ودعا له النبي ﷺ قائلاً: رضي الله عنك وأضحك سنه يوم القيامة (واسناد هذه الرواية صحيح أنظر الرزقاني ج38/2، وابن هشام ج84/2)) .

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَائِذ فِي الْمَغَازِي عَنْ الْوَلِيد بْن مُسْلِمٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَن بْن يَزِيد عَنْ جَابِر فَذَكَرَ نَحْوَهُ مُنْقَطِعًــا ، وَسَــيَأْتِي فِــي أَوَاخِرِ هَذِه الْغَزْوَة شَوَاهِدُ لِحَدِيث أَنَسٍ مِنْ حَدِيث أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْره . وَوَقَعَ عِنْدَ مُسْلِم مِنْ طَرِيقِ ابْن عَبَّاس عَنْ عُمَر فِي قِصَّــة بَدْر قَالَ : فَلَمَّا كَانَ يَوْم أُحُد قُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَفَرُّوا وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَهُشِّمَتْ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْســه وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهه . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا) الْآيَة ، وَالْمُرَادُ بِكَسْرِ الرَّبَاعِيَــة وَهِــيَ السِّنُّ الَّتِي بَيْنَ الثَّنِيَّة وَالنَّاب أَنَّهَا كُسِرَتْ فَذَهَبَ مِنْهَا فَلْقَةٌ وَلَمْ تُقْلَعْ مِنْ أَصْلهَا .

كان على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان ، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع ، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة ، قال الزبير : فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أوجب طلحة » (المستدرك للحاكم باب مناقب طلحة بن عبيد الله)

عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتِي وَقَى بِهَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَلَّتْ (كتاب المناقب)

وروى الحاكم في الاكليل أن ذلك اليوم أصب طلحة بخمس وأربعين أو تسع وثلاثين جرحاً .

وروى أبوداؤد الطيالسي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبابكر رضي الله تعالى عنه كلما ذكر غزوة أحد قال كان ذلك اليوم كله لطلحة .

وَفِي حَدِيث جَابِرٍ عِنْد النَّسَائِيِّ قَالَ : " فَأَدْرَكَ الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَنْ لِلْقَوْمِ ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ : أَنَــا " فَذَكَرَ قَتْلَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُمَا مِنْ الْأَنْصَارِ وَقَالَ : " ثُمَّ قَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الْأَحَدَ عَشَرَ حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ فَقَــالَ : حَسَن ، فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ : لَوْ قُلْت بِسْمِ اللَّه لَرَفَعَتْك الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ، قَالَ ثُمَّ رَدَّ اللَّــهُ الْمُشْــرِكِينَ " .(رواه النسائي والبيهقي باسناد جيد كما في فتح الباري ج278/7).

وَفِي مُسْنَد الطَّيَالسيّ مِنْ حَدِيث عَائِشَة عَنْ أَبِي بَكْر الصِّدِّيق قَالَ : " ثُمَّ أَتَيْنَا طَلْحَة – يَعْنِي يَوْم أُحُد – وَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَسَبْعِينَ جِرَاحَة ، وَإِذَا قَدْ قُطِعَتْ إِصْبَعه " (رواه أبو داود الطيالسي كما في فتح الباري ج66/7)

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُجَوِّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ بِجَعْبَةٍ مِنْ النَّبْلِ فَيَقُولُ انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ قَالَ وَيُشْرِفُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ .

سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ يَقُولُ: نَثَلَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِنَانَتَهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي .(صحيح البخاري كتاب المغازي)

وعن عَلِيّ رضي الله عنه قال: " مَا جَمَعَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْر سَعْد بْن مَالِك ، فَإِنَّهُ جَعَلَ يَقُول لَهُ يَوْم أُحُد : ارْمِ فِدَاك أَبِي وَأُمِّي " (صحيح البخاري581)

والصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله للزبير رضي الله أيضاً يوم الأحزاب كما في صحيح البخاري باب المناقب عن الزبير رضي الله عنه أنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ فَانْطَلَقْتُ فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَوَيْهِ فَقَالَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي .(فتح الباري ج66/7)

روى الحاكم في المتسدرك عن الزهري أنه قال :إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سهم » . ((المستدرك كتاب المغازي))

فداء أبي دجانة رضي الله عنه بنفسه للنبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق: وترس أبو دجانة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، يقبع (يقع) النبل في ظهره وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل.

(قال ابن عبد البر إن أبا دجانة رضي الله عنه قاتل مسيلمة الكذاب واستشهد فيه رضي الله عنه وأرضاه)

ملاحظة:

إن النبيﷺ كان خاتم النبيين وانتهت إليه كمالات النبوة كلها كذلك انتهى إليه كمال المحبة ودرجاتها فالصحابة رضي الله عنهم قد أشرب في قلوبهم محبة المصطفى والنبي المجتبى ﷺ بحيث لا نظير لها ولا مثيل لها في عالم المحبة وتستحي أمام هذه المحبة محبة قيس بليلى وأمثالهما .

اظهار تأسفه ﷺ على المشركين

عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ وَجْهُهُ شَجَّةً فِي جَبْهَتِهِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فَنَزَلَتْ { لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ } إِلَى آخِرِهَا قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .(سنن الترمذي تفسير القرآن)

دعاء النبي ﷺ على بعض رؤساء المشركين ونزول الآية

عَنْ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَزَلَتْ { لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِلَى قَوْلِهِ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } (صحيح البخاري كتاب المغازي)

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح : وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السِّرُّ فِي نُزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى : (لَيْسَ لَك مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ) (فتح الباري : كتاب المغازي)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

(صحيح مسلم غزوة أحد ج108/2)

إن الجهل لا يكون عذراً لمن رأى الآيات والبينات ولكن رأفة النبي ﷺ دعته إلى أن دعا ربه وهـــو أرحـــم الـــراحمين وأجـــود الأجودين وأكرم الأكرمين أن يهدي قومه ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن متاهات الشرك إلى مرتبة الاخـــلاص والاحسان ومن قعر الذلة إلى سماء الرفعة في الدارين ويستحقوا دار الأمن والإيمان الجنة التي يخلد فيها من دخلها إلى أبد الآبـــاد واعتذر النبي ﷺ لقومه قائلاً أهم لا يعلمون وهذا غاية شفقته ورحمته ﷺ بأمته وقومه .

فائدة :

يجوز أن يدعوَ لكافر بالهداية والمغفرة قبل موته على الكفر بحيث يسأل الله له الهداية إلى الاسلام ليستحق مغفرة الله ورضوانه ولومات الرجل على الكفر فلا يجوز أن يدعو له بالمغفرة قال تعالى : **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } (التوبة113)**

عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته فأرادوا أن يقطعوها فقالوا لا حتى نستأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأمروه فقال لا ثم دعا به فوضع راحته على حدقته ثم غمزها فكان لا يدري أي عينيه ذهب.

وقال ابن اسحاق :

وكان قتادة من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وشهد بدرا وأحدا ورميت عينه يوم أحد فسالت حدقته على وجنته فأتى رسول الله فقال: يا رسول الله إن عندي امرأة أحبها وإن هي رأت عيني خشيت أن تقذرني، قال فردهـــا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بيده فاستوت ورجعت وكانت أقوى عينيه وأصحهما بعد أن كبر.

(الطبقات لابن سعد)

وفي رواية أن قتادة جاء إلى النبي ﷺ وعينه بيده فقال له النبي ﷺ : لوصبرت فلك الجنة ولو أردت لدعوت لك فأعـــاده الله مكانها ؟ فقال يا رسول الله ! إن عندي امرأة أحبها وإن هي رأت عيني خشيت أن تقذرني فردها النبي ﷺ بيده ودعـــا لــــه : اللهم أعطه جمالاً . (زرقاني ج42/2)

انتشار خبر قتل النبي ﷺ

لما شاع خبرقتل النبي ﷺ بين الناس ثبط بعض الناس وفترت عزائمهم فتركوا القتال حزينين على فـــراق رســـول الله ﷺ و انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقـــد ألقـــوا

بأيديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل محمد رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمى أنس بن مالك .

قصة شهادة أنس بن نضر رضي الله عنه

وردت قصة شهادة أنس رضي الله عنه في صحيح البخاري رواه ابن أخيه أنس بن مالك رضي الله عنه وهي كماتلي :

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ لَئِنْ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ قَالَ سَعْدٌ فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ قَالَ أَنَسٌ فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ : { مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ } (سورة الأحزاب/23)

هذه الرواية رواية المغازي أما في كتاب الجهاد فألفاظ الرواية هي : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها دون الجنة .

(نضر والد أنس ومعنى النضر : البهاء والنضارة ولعله رأى نضرة النعيم وبهاء الجنة فأقسم برب النضر والله سبحانه وتعالى أعلم)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه ''حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ''

وريح الجنة نوعان :

- ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العباد .
- وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها ن وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة من قرب وبعد وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبياءه ورسله ، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الأول والله تعالى أعلم .

وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأنموذجاً منها ، من الرائحة الطيبة ، واللذات المشتهاة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة والنعيم والسرور وقرة العين. (حادي الأرواح ج250/1)

ومن أنكر هذه الحقيقة فهو مخمور الدنيا ومزكوم الآخرة بحيث غلبت عليه الدنيا وخمرها ونسي الآخرة ونعيمها فلا يرى شيئاً حسياً أخروياً ،كما إن رجلاً مزكوماً لا يشم ريحة الورد و الياسمين وتفوح ريحتهما من بعد فلا حجة للرجل المزكوم على السليم .على كل حال لما شم أنس بن النضر ريح الجنة من دون أحد قال : واها لريح الجنة أجده دون أحد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه وقد أصيب بدنه أكثر من ثمانين جرحاً من رمية وسهم وطعنة . وقيل نزلت فيه وفي أمثاله الآية الكريمة:

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . (سورةالأحزاب : الآية/23)

وقد أخرج البخاري هذا الحديث في صحيحه ثلاث مواضع ، في كتاب الجهاد ، وفي كتاب المغازي ،و في كتاب التفسير .

وكان أكبر مصيبة على المسلمين في تلك اللحظة الشديدة أن تغيبت ذات النبي ﷺ عن أنظارهم وأول من عرفه كعب بن مالك فعن أبي بشير المازني، قال: لما صاح الشيطان أزب العقبة إن محمداً قد قتل، لما أراد الله عز وجل من ذلك، سقط في أيدي المسلمين وتفرقوا في كل وجه، وأصعدوا في الجبل. فكان أول من بشرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم سالمٌ كعب بن مالك. قال كعب: فجعلت أصيح، ويشير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم بإصبعه على فيه أن اسكت.

عَنْ كَعْبٍ، قَالَ:"لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُد وَصِرْنَا إِلَى الشِّعْب، كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ عَرَفَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْـه وَسَـلَّمَ، فَأَشَارَ إِلَيَّ بِيَده أَنِ اسْكُتْ، ثُمَّ أَلْبَسَنِي لأْمَتَهُ، وَلَبِسَ لأْمَتِي، فَلَقَدْ ضُرِبْتُ حَتَّى جُرِحْتُ عِشْرِينَ"، أَوْ قَالَ:"بِضْعَةَ عَشَرَ جُرْحًا، كُلُّ مَنْ يَضْرِبُنِي يَحْسبُنِي رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ". (رواه الطبراني في المعجم الكبير باسناد رجاله ثقات)

وقال بن اسحاق حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب ومعه اولئك النفر من أصحابه إذ علت عالية من قريش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنه لا ينبغى لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وقد كان بدل رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهربين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض حتى استوى عليها. (تاريخ الطبري)

قال ابن شهاب الزهري أن كعب بن مالك أخا بنى سلمة قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أنصت فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض نحو الشعب معه علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة في رهط من المسلمين.

قتل أبي بن خلف

فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجوت فقال القوم يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا قال دعوه فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث ابن الصمة قال يقول بعض الناس فيما ذكر لى فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بنا انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وكان أبي بن خلف كما حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحاق عن صالح بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول يا محمد إن عندي العود أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك إن شاء الله فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم قال قتلني والله محمد قالوا ذهب والله فؤادك والله إن بك بأس قال إنه قد كان بمكة قال لى أقتلك فو الله لو بصق على لقتلني فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

(البداية والنهاية ج 35/2،وتاريخ الطبري باب غزوة أحد)

غسل علي وفاطمة رضي الله عنهما جروح النبي ﷺ

قال البخاري: حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب عن أبي حازم أنه سمع سهل بن سعد وهو يسأل عن جرح النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أما والله إني لاعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان يسكب الماء وبما دووي، قال: كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تغسله وعلي يسكب الماء بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها [حتى إذا صارت رمادا] ألصقتها فاستمسك الدم.(كما في البداية والنهاية)

ثم توضأ النبي ﷺ وأم بالناس الظهر وهو جالس وصلى الصحابة رواءه جالسين .

ملاحظة:

في أول الأمر كان إذا صلى الإمام جالسا صلى المقتديون خلفه جالسين ثم نسخ هذا الحكم بحيث لو أم الإمام جالساً وجب على المقتديين القيام في الصلاة كما صلى النبي ﷺ بالناس جالساً وكانت الصحابة رضي الله عنهما قائمين وذلك قبيل وفاة النبي ﷺ وهذا كان آخر عمله ﷺ في هذا الباب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

مثلة قريش بقتلى المسلمين

وجعل المشركون يمثلون بالقتلى من أصحاب النبي ﷺ والنسوة اللاتى معهم شاركنهم في ذلك فيجد عن الآذان والانوف حتى اتخذت هند بنت عتبة (وقد قتل حمزة عتبة أباها يوم بدر) من آذان الرجال وأنفهم خدما وقلائد وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا غلام جبير بن مطعم وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، وأعطت وحشياً حلاها فرحاً بقتله حمزة رضي الله عنه . (تاريخ الطبري :غزوة أحد)

قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سفيان: إنه كان في قتلاكم مثل، والله ما رضيت وما سخطت، وما نهيت ولا أمرت.

صدى أبي سفيان ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه

لما أرادت قريش الرجوع إلى مكة صعد أبو سفيان الجبل وقال: أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه مرتين ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه ثم قال أفي القوم ابن الخطاب ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه ثم التفت إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا لو كانوا في الاحياء لاجابوا . (وفي رواية كتاب المغازي بهذه الألفاظ إِنَّ هَؤُلَاءِ قُتِلُوا فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا ولا توجد هذه الألفاظ في رواية كتاب الجهاد كما إن في رواية كتاب الجهاد نادى أبو سفيان أبابكر وعمر ثلاث مرات بينما في رواية كتاب المغازي نادى مرة واحدة وعدم ذكر لا يدل على ذكر العدم)

فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه أن قال كذبت يا عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك فقال اعل هبل (وفي رواية كتاب الجهاد ذكرمرتين : اعل هبل اعل هبل)فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول ؟ قال قولوا الله أعلى وأجل .قال أبو سفيان ألا لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول؟ قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال . (هذه الرواية أخرجها البخاري في صحيحه) وَزَادَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ " قَالَ عُمَرُ : لَا سَوَاء ، قَتْلَانَا فِي الْجَنَّة وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ .

وقول أبي سفيان ''الحرب سجال '' لم يردعليه لأنه كان حقاً وقال تعالى : وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .(سورة آل عمران :الآية/**140**)

ثم قال أبو سفيان هلم يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إيته فانظر ما شأنه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا فقال عمر اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن فقال أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر (لقول ابن قميئة لهم إني قتلت محمدا) ثم نادى أبو سفيان فقال إنه قد كان في قتلاكم مثل والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت

فلما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى أن موعدكم بدر للعام المقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم هي بيننا وبينك موعدا . (تاريخ الطبري ج**24/3**، ابن هشام ج**89/2**)(وفي رواية الزرقاني بعد موعداً جملة إن شاء الله)

ولَمَّا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ خَرَجَ النِّسَاءُ إِلَى الصَّحَابَة يُعِينُونَهُمْ ، فَكَانَتْ فَاطِمَةُ فِيمَنْ خَرَجَ ، فَلَمَّا رَأَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ اعْتَنَقَتْهُ وَجَعَلَتْ تَغْسِلُ جِرَاحَاته بِالْمَاءِ فَيَزْدَادُ الدَّمُ ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ بِالنَّارِ وَكَمَدَتْهُ بِهِ حَتَّى لَصِقَ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ " . (رواه البخاري والطبراني عن سهل بن سعد) (الزرقاني ج**49/2**)

فائدة:

استفادت من الآية الكريمة فوائدة متعددة

منها:

1- جواز التداوي في المرض .

2- التداوي لا ينافي التوكل.

3- إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ يُصَابُونَ بِبَعْضِ الْعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ مِنْ الْجِرَاحَاتِ وَالْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ لِيَعْظُمَ لَهُمْ بِذَلِكَ الْأَجْرُ وَتَزْدَادَ دَرَجَاتُهُمْ رِفْعَةً ، وَلِيَتَأَسَّى بِهِمْ أَتْبَاعُهُمْ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ، وليعلم الناس أن هؤلاء عباد الله المخلصين وليسوا معاذ الله آلهة ، وليرى الناس أن آياتهم وبيناتهم دلائل وحجج على نبوتهم ورسالتهم فلا يفتتن أحد كما فتنت النصارى في عيسى ابن مريم عليهما السلام .أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وبارك وسلم تسليماً كثيراكثيراً .

4- وَمن فوائد هَذَا الْحَدِيث مَنْزِلَة أَبِي بَكْر وَعُمَر مِنْ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخُصُوصِيَّتهمَا بِهِ بِحَيْثُ كَانَ أَعْدَاؤُهُ لَا يَعْرِفُونَ بِذَلِكَ غَيْرهمَا ، إِذْ لَمْ يَسْأَلْ أَبُو سُفْيَان عَنْ غَيْرِهِمَا، وسيكون هذا الترتيب فيما بعد فأولاً بعد النبي ﷺ أبو بكر رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه .

ذكر شهادة سعد بن ربيع رضي الله عنه

بعد انصراف قريش أمر النبي ﷺ زيدبن ثابت رضي الله عنه بالبحث عن سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه (كما في رواية الحاكم وفي رواية الحافظ ابن عبد البر أنه ﷺ بعث أبي بن كعب رضي الله عنه وفي رواية الواقدي أنه ﷺ بعث محمد بن مسلمة، ولا عجب في أن بعث كلهم تتراً أو أرسلهم كلهم في وقت واحد والله تعالى أعلم(الزرقاني ج49/2)) وقال عليه الصلاة والسلام: إن رأيته فاقرأه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله كيف تجدك؟ قال زيد بن ثابت رضي الله عنه فنظرته فوجدته جريحا في القتلى به رمق وكان على جسمه سبعين جرحاً من سهم سيف فبلغته ما بعثني به النبي ﷺ فقال لي سعد :

على رسول الله السلام وعليك السلام قل له يا رسول الله أجداني أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار لا عذرلكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شفر يطرف ، قال وفاضت نفسه رحمه الله (وفي رواية عين تطرف ، زرقاني ج49/2)

قال الحاكم رحمه الله تعالى :

هذا الحديث صحيح الاسناد ، كما صححه الحافظ الذهبي في التلخيص ، وفي رواية :قال سعد لزيد بن ثابت : أخبر رسول الله ﷺ إني في الأموات واقرأه السلام وقل له يقول : جزاك الله عنا وعن جميع الأمة خيراً . (المستدرك للحاكم ج 201/3ترجمة سعد بن الربيع رضي الله عنه)

وفي رواية ابن عبد البررحمه الله تعالى: أن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: فرجعت وأخبرت النبي ﷺ بما قال سعد رضي الله عنه فقال النبي ﷺ : رحمه الله نصح لله ولرسوله حياً وميتاً . (استيعاب للحافظ ابن عبد البر ج35/2 حاشية الإصابة)

البحث عن حمزة رضي الله تعالى عنه

فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حمزة حين فاء الناس من القتال فخرج يلتمس حمزة بن عبد المطلب فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه فحزن حزناً شديداً بما رآه لو لا أن تحزن صفية أو تكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير حتى بعثت من بطونهم يوم القيامة ولئن أنا أظهرني الله على قريش في موطن

من المواطن لامثلن بثلاثين رجلا منهم فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على ما فعل بعمه قالوا والله لئن ظهرنا عليهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط .(تاريخ الطبري، البداية والنهاية)

وفي المستدرك عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر يوم أحد إلى حمزة وقد قتل ومثل به ، فرأى منظرا لم ير منظرا قط أوجع لقلبه منه ولا أوجل فقال : « رحمة الله عليك ، قد كنت وصولا للرحم ، فعولا للخيرات ، ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تجيء من أفواه شتى » ، ثم حلف وهو واقف مكانه : « والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك » ، فنزل القرآن وهو واقف في مكانه لم يبرح (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)) إلى آخر السورة فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة .

وكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وأمسك عما أراد . (المستدرك للحاكم ج197/3)

قال جابر رضي الله عنه : فلما رأى جبهته (أي جبهة حمزة رضي الله عنه) بكى ، ولما رأى ما مثل به شهق ثم قال : « ألا كفن ؟ » فقام رجل من الأنصار فرمى بثوب ، وقال جابر: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيد الشهداء عند الله تعالى يوم القيامة حمزة ».

قال الحاكم رحمه الله « هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه »، وقد صححه الحافظ الذهبي رحمه الله ، قال العلامة الزرقاني : هذا الحديث رواه الحاكم والبيهقي والبزار والطبراني وقال الحافظ في الفتح باسناد فيه ضعف . اه(الزرقاني ج 51/2) أقول : لكن قال الحافظ بعد ما ذكر للحديث طرقاً عديدة وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً ..الخ (فتح الباري ج282/7)

وفي معجم الطبراني عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب .(وفي نسخ صحيح البخاري المتداولة باب قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وفي نسخة النسفي قتل حمزة سيد الشهداء ولعل الإمام البخاري أشار إليه في ترجمة الباب) ومن أجله لقب حمزة رضي الله عنه بسيد الشهداء . رضي الله عنه وأرضاه .

ذكر شهادة عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه

واستشهد في هذه الغزوة عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه

كَمَا رَوَى الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ " أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ قَالَ يَوْمَ أُحُد تَعَالَ بِنَا نَدْعُو ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ فَأُقَاتِلُهُ وَيُقَاتِلُنِي ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ وَآخُذَ سَلَبَهُ " . (فتح الباري ج282/7)

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقّاصٍ يُحَدّثُ أَنّهُ لَقِيَهُ يَوْمَ أُحُد أَوّلَ النّهَارِ فَخَلَا بِهِ وَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللّهِ يَا سَعْدُ هَلُمّ فَلْنَدْعُ اللّهَ وَلْيَذْكُرْ كُلّ قَالَ سَعْدٌ فَدَعَوْت اللّهَ أَنْ أَلْقَى فَارِسًا شَدِيدًا بَأْسُهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَأَقْتُلُهُ وَآخُذُ سَلَبَهُ فَقَالَ عَبْدُ اللّهِ آمِينَ ثُمّ اسْتَقْبَلَ عَبْدُ اللّهِ الْقِبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ إلَى السّمَاءِ وَقَالَ اللّهُمّ لَقّنِي الْيَوْمَ فَارِسًا شَدِيدًا بَأْسُهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ يَقْتُلُنِي وَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي ، فَإِذَا لَقِيتُك غَدًا تَقُولُ لِي : يَا عَبْدِي : فِيمَ جُدِعَ أَنْفُك وَأُذُنَاك ، فَأَقُولُ فِيك يَا رَبّ وَفِي رَسُولِك ، فَتَقُولُ لِي : صَدَقْت ، قُلْ يَا مُحَمّدُ آمِينَ قَالَ فَقُلْت : آمِينَ ثُمّ مَرَرْت بِهِ آخِرَ النّهَارِ قَتِيلًا مَجْدُوعِ الْأَنْفِ وَالْأُذُنَيْنِ وَأَنّ أُذُنَيْهِ وَأَنْفَهُ مُعَلّقَانِ بِخَيْطٍ وَلَقِيت أَنَا فُلَانًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَقَتَلْته ، وَأَخَذْت سَلَبَهُ .(روض الأنف ج284/2)

وعن سعيد ابن المسيب أن عبد الله بن جحش رضي الله دعا هذا الدعاء :

اللهم إني أقسم عليكم أن القى العدو فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني ثم تسألني بم ذلك فأقول فيك .

قال الحاكم : لولا هذا الحديث مرسلاً لكان صحيحاً على شرط الشيخين ، وقال الـذهبي : مرسـل صـحيح .(المسـتدرك ج 200/3)

ومن أجل ذلك قال الزبير: كان يقال له المجدع في الله . (الإصابة 287/2)

وهذا يكون حال من استغرق في حب الله فيرى فداء نفسه في سبيل الله ويؤثر على حياته الدنوية الآخرة ويحب الموت لما يـراه وسيلة لقاء مع حبيه وهو الله تعالى وذريعة وصوله إلى دار النعيم بعد الخروج من سجن الدنيا .

فائدة:

لما أرادت مشيئة الله تعالى أن يجعل الانسان خليفته في الأرض قالت الملائكة {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الـدِّمَاءَ وَنَحْـنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ }.(سورة البقرة :الآية/30)

إن في الإنسان قوتين : شهوانية وبها يصدر الزنا والفحشاء وعبر عنه الملائكة ب "من يفسد فيها " والثانية هي غضبية يصدر بها القتل والضرب وسفك الدماء عبر عنها ب "ويسفك الدماء " ، إن الملائكة رآى هذين القوتين سبب الفساد والفتنة ولم تـرى أنهما إذا وجههما إلى الله فتظهر من أجلهما فوائد مثمرة يغتبط بها الملائكة بحيث إذا وجهت الشهوانية إلى محبة الله تعالى والتعلـق به لتأتي نتائج ممتعة وفوائد مثمرة كذلك إذا وجهت القوة الغضبية إلى حب الله تعالى لتنتج فوائد هامة تحيرت منها الملائكـة فـلا يغضب إلا لله وفي الله فيفدي الرجل نفسه في سبيل الله وفي القتال مع أعداء الله ، لا شك في أن الملائكة يسبحون الله ليلاً ونهـاراً ولكنهم حرموا من هذه النعمة التي أكرم بها الإنسان وهي فداء النفس في حبة الله ، ولا شك في أن الملائكة معصومون لا يصـدر منهم المعصية والذنوب ولكن أكرم الإنسان بالتوبة ، فلو أذنب ذنباً ثم تاب توبة نصوحاً صار كمن لا ذنب له وبهـا يرفـع لـه الدرجات قد يفوق الملائكة ومن أجل ذلك من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الأنبياء والرسل عليهم السلام أفضل من الملائكـة والصحابة رضي الله عنهم والتابعين والصدقين والشهداء والصالحين أفضل من بقية ملائكة السموات والأرض . (كذا في البحـر الرائق) والمؤمنات الصالحات أفضل الحور العين (كذا في اليواقيت والجواهر)

ذكر شهادة عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله تعالى عنه

إن والد جابر رضي الله عنه عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي الله أستشهد في هذه المعركة ، قال جَابِر بْن عَبْـدِ اللَّـهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ لَـا يَنْهَـانِي فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ .

ورد هذا الحديث في صحيح البخاري في أبواب متعددة مثلاً: (كتاب الجنائز166، ص 172، كتـاب الجهـاد 395، كتـاب المغازي ص 584) .

وفي الحديث بشارة لأهل جابر رضي الله عنه بأن هذا اليوم يوم فرحة لهم وسرور لا يوم حزن وغم لماقد أظلته الملائكة .

* جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا قُلْتُ يَـا رَسُـولَ اللَّـهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا قَالَ أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ قَالَ قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَا كَلَّـمَ اللَّـهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ قَالَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً قَـالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ قَالَ وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا }الْآيَةَ (سورة آل عمران :الآية/169)

قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. (سنن الترمذي كتاب التفسير)

[قال الحافظ ابن حجر في الفتح : رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه. فتح الباري:ج25/6 باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا]

*قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو بْن حَرَامٍ : رَأَيْتُ فِي النّوْمِ قَبْلَ أُحُدٍ مُبَشّرَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ يَقُولُ لِي : أَنْتَ قَادِمٌ عَلَيْنَا فِي أَيّامٍ فَقُلْتُ وَأَيْنَ أَنْتَ ؟ فَقَالَ فِي الْجَنّةِ نَسْرَحُ فِيهَا كَيْفَ نَشَاءُ . قُلْت لَهُ أَلَمْ تُقْتَلْ يَوْمَ بَدْرٍ ؟ قَالَ بَلَى ثُمّ أُحْيِيت فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ هَذِهِ الشّهَادَةُ يَا أَبَا جَابِرٍ . (زاد العاد ج96/2،فتح الباري ج172/3)

ذكر شهادة عمرو بن الجموح رضي الله تعالى عنه

إنّ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلَ الْأُسْدِ يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَشَاهِدَ فَلَمّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ وَقَالُوا لَهُ إنّ اللّهَ عَزّ وَجَلّ قَدْ عَذَرَك ، فَأَتَى رَسُولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فَقَالَ إنّ بَنِيّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ وَالْخُرُوجِ مَعَك فِيهِ . فَوَاَللّهِ إنّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنّةِ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَمّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَك اللّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْك ، وَقَالَ لِبَنِيهِ مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ لَعَلّ اللّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشّهَادَةَ فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ.(ابن هشام ج88/2، البداية والنهاية ج37/4)

وذكر أبو عمر في خبره قال فأخذ سلاحه وولى فلما ولى أقبل على القبلة وقال اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي خائبا. (عيون الأثر ص347)

واستشهد في هذه الغزوة ابنه خلاد بن عمرو بن الجموح ، وكانت زوجة عمرو بن الجموح هندة بنت عمرو ابن حرام (وهي أخت عبد الله بن حرام وعمة جابررضي الله عنه) أرادت أن تحمل جثث الثلاثة أخيها عبد الله بن عمرو بن حرام وابنها خلاد بن عمرو بن الجموح وزوجها عمرو بن الجموح على جمل لتذهب بهم إلى المدينة لتدفن هناك فلما توجه البعير إلى المدينة يبرك وإذا توجه إلى أحد يهرب ، فجاءت إلى النبي ﷺ وأخبرته الخبر وذكره ما دعا عند الخروج : قال . اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلي ،(وفي رواية اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني إلى أهلى خائبا)

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسي بيده ان منكم من لو أقسم على الله لابره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته.

وَذَكَرَ أبو عمروخَبَرَ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ حِينَ أَرَادَ بَنُوهُ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنْ الْخُرُوجِ إلَى آخِرِ الْقِصّةِ وَزَادَ غَيْرُ ابْنِ إسْحَاقَ أَنّهُ لَمّا خَرَجَ قَالَ اللّهُمّ لَا تَرُدّنِي ، فَاسْتُشْهِدَ فَجَعَلُوهُ بَنُوهُ عَلَى بَعِيرٍ لِيَحْمِلُوهُ إلَى الْمَدِينَةِ ، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِمْ الْبَعِيرُ فَكَانَ إذَا وَجّهُوهُ إلَى كُلّ جِهَةٍ سَارَعَ إلّا جِهَةَ الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ يَأْبَى الرّجُوعَ إلَيْهَا ، فَلَمّا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ ذَكَرُوا قَوْلَهُ اللّهُمّ لَا تَرُدّنِي إلَيْهَا ، فَدَفَنُوهُ فِي مَصْرَعِهِ . (زرقاني ج50/2، روض الأنف 139/2، عيون الأثر ص 347)

ذكر شهادة خيثمة رضي الله تعالى عنه

وَقَالَ خَيْثَمَةُ أَبُو سَعْدٍ وَكَانَ ابْنُهُ اُسْتُشْهِدَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ : لَقَدْ أَخْطَأَتْنِي وَقْعَةُ بَدْرٍ وَكُنْتُ وَاَللّهِ عَلَيْهَا حَرِيصًا حَتّى سَاهَمْتُ ابْنِي فِي الْخُرُوجِ فَخَرَجَ سَهْمُهُ فَرُزِقَ الشّهَادَةَ وَقَدْ رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ ابْنِي فِي النّوْمِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يَسْرَحُ فِي ثِمَارِ الْجَنّةِ وَأَنْهَارِهَا وَيَقُولُ الْحَقْ بِنَا تُرَافِقْنَا فِي الْجَنّةِ فَقَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبّي حَقّا وَقَدْ وَاَللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ

أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا إلَى مُرَافَقَته في الْجَنّة وَقَدْ كَبِرَتْ سنّي وَرَقّ عَظْمِي وَأَحْبَبْتُ لقَاءَ رَبّي فَادْعُ اللّهَ يَا رَسُولَ اللّه أَنْ يَرْزُقَنِي الشّهَادَةَ وَمُرَافَقَةَ سَعْدٍ فِي الْجَنّةِ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ بِذَلِكَ فَقُتلَ بِأُحُدٍ شَهِيدًا . (زاد المعاد 96/2)

ذكر شهادة أصيرم رضي الله تعالى عنه

قال محمد بن إسحاق: حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى بن أبي أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل صلاة قط فإذا لم يعرفه الناس يسألونه من هو فيقول: هو أصيرم بني عبد الأشهل: عمرو بن ثابت بن أقيش قال الحصين: فقلت لمحمود يعني ابن لبيد: كيف كان شأن الأصيرم قال كان يأبى الإسلام على قومه فلما كان يوم أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له الإسلام فأسلم ثم أخذ سيفه حتى أتى القوم فدخل في عرض الناس فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينا رجال من عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به فقالوا: إن هذا الأصيرم فما جاء به لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر فسألوه ما جاء به فقالوا له: ما جاء بك ياعمرو أحدبا على قومك أم رغبة في الإسلام فقال: بل رغبة في الإسلام فآمنت بالله ورسوله فأسلمت وأخذت سيفي وقاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابني ما أصابني ثم لم يلبث أن مات في أياديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " إنه لمن أهل الجنة " .

هذا إسناد حسن رواه جماعة من طريق ابن إسحاق.

* عن أبي هريرة أنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل صلاة قط فإذا لم يعرفه الناس يسألونه من هو فيقول: هو أصيرم بني عبد الأشهل . (الإصابة :ترجمة عمرو بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه)

اضطراب أهل المدينة بما بلغهم من خبر المعركة واشتياقهم إلى رؤية النبي ﷺ

إن أهل المدينة قد بلغهم خبر الغزوة وما حل بالمسلمين من القتل والجرح فاشتاق كل من صغارهم وكبارهم ونسائهم لرؤية النبي ﷺ وها هي أمرأة بني دينار تدل قصتها على ما كان في قلوبهم من حب النبي ﷺ وبالتالي أمانيهم في عودة النبي ﷺ من الغزوة سالماً،فقَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ أَبِي عَوْنٍ عَنْ إسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمّدٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ ، قَالَ مَرّ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ بِامْرَأَة منْ بَنِي دينَارٍ ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ بِأُحُد فَلَمّا نُعُوا لَهَا ، قَالَتْ فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ ؟ قَالُوا : خَيْرًا يَا أُمّ فُلَانٍ هُوَ بِحَمْدِ اللّهِ كَمَا تُحِبّينَ قَالَتْ أَرُونِيهِ حَتّى أَنْظُرَ إلَيْهِ ؟ قَالَ فَأُشِيرَ لَهَا إلَيْهِ حَتّى إذَا رَأَتْهُ قَالَتْ كُلّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ.(ابن هشام ج12/1)

غشيان الصحابة رضي الله عنهم النعاس في أثناء المعركة وذلك أمنة لهم

لما أشاع احد الشياطين الخبر أن النبي ﷺ قد قتل ، اضطرب بعض الصحابة رضي الله عنهم وذلك باقتضاء البشرية وانهزم بعضهم حزناً على ما سمعوا من سوء الخبر، واستشهد بعضهم وبقي بعضهم ثابتين على القتال من أهل الاخلاص واليقين والتوكل فغشاهم الله تعالى النعاس رحمة من عنده فعن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة، رضي الله عنه، قال: كنت فيمن تَغَشاه النعاس يوم أحُد، حتى سقط سيفي من يدي مرارا، يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه.

وهذا أثر حسي ظهر من تلك السكينة التي استقرت في قلوب هؤلاء أهل الإيمان واليقين وزالت بها خوف الكفرة والمنافقين الذين قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية فأنزل الله تعالى هذه الآية: {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ

للَّه يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }(آل عمران154)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

يقول تعالى مُمْتَنا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمَنَة، وهو النعاس الذي غشيهم وهم مسْتَلْئمو السلاح في حال هَمِّهم وغَمِّهم، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان كما قال تعالى في سورة الأنفال، في قصة بدر: { إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقْدَامَ} [الأنفال:11].

ثم قال رحمه الله تعالى :

{ ثُمَّ أَنزلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ } يعني: أهل الإيمان واليقين والثبات (6) والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله سينصر رسوله ويُنْجز له مأموله، ولهذا قال: { وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ } يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف { يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ } كما قال في الآية الأخرى: { بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا [وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا] (7) } [الفتح:12] وهكذا هؤلاء، اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنَّها الفيصلة (8) وأن الإسلام قد باد وأهلُه، هذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة.

حضور بعض النساء المسلمات المعركة وما حكم الاسلام في ذلك ؟

وقد اشترك بعض نساء المسلمين في هذه الغزوة كما ورد في صحيح البخاري عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا تَنْقُزَانِ الْقِرَبَ وَقَالَ غَيْرُهُ تَنْقُلَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ثُمَّ تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلَآَنِهَا ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتُفْرِغَانِهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ .

و في صحيح البخاري أيضاً عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَسَمَ مُرُوطًا بَيْنَ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءِ الْمَدِينَةِ فَبَقِيَ مِرْطٌ جَيِّدٌ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْطِ هَذَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عِنْدَكَ يُرِيدُونَ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عَلِيٍّ فَقَالَ عُمَرُ أُمُّ سَلِيطٍ أَحَقُّ وَأُمُّ سَلِيطٍ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُمَرُ فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا الْقِرَبَ يَوْمَ أُحُد .

وعَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسْقِي وَنُدَاوِي الْجَرْحَى وَنَرُدُّ الْقَتْلَى إِلَى الْمَدِينَةِ . (وفي رواية خالد بن ذكوان : ولا نقاتل).0.

(أخرجه الإمام البخاري هذه الروايات الثلاثة في صحيحه /في كتاب الجهاد)

(ومن أراد التفصيل في حكم النساء في باب القتال فليراجع فتح الباري لابن حجر)

وفي سنن ابن ماجه عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ طَلْحَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ قَالَ نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ .

وفي كتاب العيدين من صحيح البخاري عَنْ حَفْصَةَ بِنْتِ سِيرِينَ قَالَتْ كُنَّا نَمْنَعُ جَوَارِيَنَا أَنْ يَخْرُجْنَ يَوْمَ الْعِيدِ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَنَزَلَتْ قَصْرَ بَنِي خَلَف فَأَتَيْتُهَا فَحَدَّثَتْ أَنَّ زَوْجَ أُخْتِهَا غَزَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً فَكَانَتْ أُخْتُهَا مَعَهُ فِي سِتِّ غَزَوَاتٍ فَقَالَتْ فَكُنَّا نَقُومُ عَلَى الْمَرْضَى وَنُدَاوِي الْكَلْمَى ...الخ

علم بهذه الروايات أن النساء حضرن القتال وقمن على المرضى وداوين الكلمى ولكن ورد في بعض الروايات الأخرى أنهن قاتلن لما مستهن الحاجة إليه واقتضاه الحال كما ذكر ابن هشام في كتابه : فقال: وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد، فذكر سعيد بن أبي زيد الانصاري أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي.

قالت: فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور، فقلت لها: من أصابك بهذا ؟ قالت ابن قمئة، أقمأه الله، لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد لا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة.

ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كانت عليه درعان. (البداية والنهاية ج34/4، وابن هشام ج84/2)

وفي هذه الغزوة كانت أم عمارة رضي الله تعالى عنها فقط التي قاتلت ولكن ماكانت تحضر النساء القتال على عهد رسول الله ﷺ عامة سوى العدد القليل منهن في الغزوات كلها ولم يحثهن النبي ﷺ على القتال ولم يرد الترغيب لهن في ذلك عن النبي ﷺ ، فلذلك أجمعت الأمة على أن الجهاد ليس فرضاً على النساء إلا أن يأتي حال الاضطرار الذي يدفعهن إلى حضور القتال ، ولا يخفى على أحد أن المرأة خلقت ضعفاً وهي لطيفة الجسم والبدن لايناسبها القتال وحضورها المعارك وهي معذورة عذرها الله عز وجل فقال تعالى: { لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ } (سورة التوبة:الآية/91)

وكان النبي ﷺ يؤكد على أن لا تقتل المرأة حتى لما رأى أمرأة مقتولة قال: ماكانت هذه لتقاتل.

وفي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ جِهَادُكُنَّ الْحَجُّ .

وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ نِسَاؤُهُ عَنْ الْجِهَادِ فَقَالَ نِعْمَ الْجِهَادُ الْحَجُّ .

وقد أمر الله تعالى النساء بالقرار في البيوت والقرن بها فقال جل شأنه :{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} (سورة الأحزاب :الآية/33) (أنظر السير الكبير ج192)

من أجل ذلك كره النبي ﷺ حضور النساء لجماعة الصلاة بل نهى النبي ﷺ أن تخرج معطرة متزينة متبرجة بل الأفضل أن صلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها فعن عَبْد اللَّهِ بْن سُوَيْد الْأَنْصَارِيِّ عَنْ عَمَّتِه أُمِّ حُمَيْد امْرَأَة أَبِي حُمَيْد السَّاعِدِيِّ أَنَّهَا جَاءَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّ الصَّلَاةَ مَعَكَ قَالَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلَاةَ مَعِي وَصَلَاتُكِ فِي بَيْتِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي حُجْرَتِكِ وَصَلَاتُكِ فِي حُجْرَتِكِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاتِكِ فِي دَارِكِ وَصَلَاتُكِ فِي دَارِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ وَصَلَاتُكِ فِي مَسْجِدِ قَوْمِكِ خَيْرٌ لَكِ مِنْ صَلَاتِكِ فِي مَسْجِدِي . (رواه الإمام أحمد في مسنده)

فالشريعة التي نهت المرأة عن حضورها المساجد لجماعة الصلاة كيف تجيز لها أن تحضر القتال بدون الضرورة .

لذا كره الفقهاء حضور المرأة المساجد للصلاة وخروجها للقتال إلا أن يقتضى الحال فتخرج لإعانة المرضى وتداوي الكلمى ورعاية الجرحى بشرط أن لا تكون حضورهن سبب فتنة بأن تكون عجوزة ويرافقها محرمها لأنه ورد النهي أن تسافر امرأة

مسيرة يوم وليلة بدون محرم ولوكان السفر سفرحج فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ .(سنن الترمذي باب ماجاء في كراهية أن تسافر المرأة وحدها)

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُسَافِرْ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ وَجَاءَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ إِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا وَامْرَأَتِي حَاجَّةٌ قَالَ فَارْجِعْ فَحُجَّ مَعَهَا.(صحيح البخاري/باب حج النساء)

وقال بعض الفقهاء : على المرأة التي يجب عليها الحج وليس لها محرم يرافقها في الحج أن ينكح رجلاً ليحج معها فلا يجوز لها أن تسافر للحج وحدها .

أما حضور النساء المساجد للصلاة فمقيد بأن لا تكون حضورهن سبب الفتنة وإلا فلا يجوز .

كذلك مباشرة المرأة بعمل الممرضة في المستشفيات وخدمتها للأجانب حرام ، وهذا البلاء جاءت من الحضارة الغربية التي أسست على الأهواء النفسية والشهوانية ، بينما أسس الإسلام وشرائع الأنبياء مبنية على الحياء والعفة ، فمن له عقل وشعور يميز بين الهوى والحياء ، ومن تمسك بالهوى فقد غوى فلا تميل نفسه إلى الحياء والعفة بل تختار لها الأهواء النفسانية الشهوانية المحرمة ومثل هؤلاء لا يفرقون بين النكاح الصحيح والزنا المحرم والفاحشة القبيحة ، فيأأسفاه على ما يرى في المجتمعات الإسلامية أن ينقد الحياء والعفة ويترك الهوى فتزداد وتنتشر كالهواء فإلى الله أن يشتكى.

تجهيز وتكفين وتدفين شهداء أحد رضي الله عنهم

وقد استشهد في هذه الغزوة سبعون من صحابة رسول الله ﷺ ولم يتيسرلبعضهم فيما يكفن له فها هو الصحابي الجليل معلم أهل المدينة مصعب بن عميررضي الله تعالى عنه فعَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبْتَغِي وَجْهَ اللَّهِ فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ وَمِنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمِرَةً كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلِهِ الْإِذْخِرَ أَوْ قَالَ أَلْقُوا عَلَى رِجْلِهِ مِنْ الْإِذْخِرِ .(صحيح البخاري : باب غزوة أحد)

وهكذا وقع مع سيد الشهداء حمزة رضي الله تعالى عنه كما أخرج الطبراني في معجمه عن أبي أسيد والحاكم في المستدرك عن أنس رضي الله عنه ورجال الطبراني ثقات .

ولم يتيسر لبعضهم كفن يكفن فيه فدفنوا اثنين وثلاث في نمرة واحدة (ولفظ الثلاث لم يرد في صحيح البخاري بل ورد في السنن وصححه الترمذي أنظر فتح الباري ج169/3كتاب الجنائز) وقّدم أكثر حفظاً لكتاب الله على غيره في اللحد وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة وأمر بدفنهم بدمائهم بدون الغسل، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُغَسِّلْهُمْ . (صحيح البخاري/كتاب الجنائز)

وهذه الرواية تدل على النبي ﷺ لم يصل على هؤلاء الشهداء بينما علماء السير اتفقوا على أنه ﷺ صلى عليهم ويؤيدهم الروايات الأخرى ، ونقل الاجماع على ذلك الحافظ علاء الدين مغلطائي في كتابه قائلاً: الصلاة على الشهداء من غير غسل : وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل وهذا اجماع الأمة إلا ما شذ به بعض التابعين ، قال السهلي لم يرد عنه ﷺ أنه صلى

على شهيد في شيء من مغازيه إلا في هذه وفيه نظر لما ذكره النسائي من أنه صلى على أعرابي في غزوة أخرى .(السيرة لمغلطائي ص50) (ومن أراد التفصيل في هذا الباب فليراجع كتب السنة وشروحها)

وأراد بعض الناس أن يدفنوا أقاربهم من الشهداء بالمدينة فنهى النبي ﷺ عن ذلك وأمر بدفن الشهيد أينما قتل .(أنظر سيرة ابن هشام ج91/2)

فداء النفس على القومية

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أتي لايدرى من هو يقال له: قزمان فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر " إنه لمن أهل النار " قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديدا، فقتل هو وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بني ظفر، قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان، فأبشر.قال بماذا أبشر فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت.

قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته فقتل له نفسه.

وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي إن شاء الله. (البداية والنهاية ج36/4) وفي فتح الباري قال الحافظ .....لَكِنْ جَزَمَ ابْن الْجَوْزِيّ فِي مُشْكله بِأَنَّ الْقِصَّةَ الَّتِي حَكَاهَا سَهْل بْن سَعْد وَقَعَتْ بِأُحُد ، قَالَ : وَاسْم الرَّجُلِ قُزْمَانُ الظَّفَرِيّ ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُد فَعَيَّرَهُ النِّسَاءُ ، فَخَرَجَ حَتَّى صَارَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى السَّيْف فَفَعَلَ الْعَجَائِبَ ، فَلَمَّا انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفه وَجَعَلَ يَقُولُ : الْمَوْت أَحْسَن مِنْ الْفِرَار ، فَمَرَّ بِهِ قَتَادَةُ بْن النُّعْمَان فَقَالَ لَهُ : هَنِيئًا لَك بِالشَّهَادَةِ ، قَالَ : وَاَللَّهِ إِنِّي مَا قَاتَلْت عَلَى دِينٍ ، وَإِنَّمَا قَاتَلْت عَلَى حَسَبِ قَوْمِي . ثُمَّ أَقْلَقَتْهُ الْجِرَاحَةُ فَقَتَلَ نَفْسَهُ .

فائدة:

وإن هذا الرجل كان من المنافقين ولم يقاتل في الغزوة إلا لأجل القومية والشعبية فقاتل بالشجاعة حتى قتل فعد من أهل النار كما ورد في الحديث فعلم بذلك أن الشهيد عند الله هو الذي قاتل لإعلاء كلمة الله لا للقومية والعصبية أو العنصرية ، نعم قد يقال لرجل ''الشهيد'' الذي قاتل للقومية والعنصرية فهو شهيد بين أبناء قومه وأبناء جنسه أما عند الله فليس هو شهيد ، وقد سبق ذكر هذا الرجل قزمان في سياق حقيقة الجهاد في الاسلام .

الملاحظة:

قال ابن كثير وقد ورد مثل قصة هذا في غزوة خيبر كما سيأتي إن شاء الله تعالى . (البداية والنهايةج36/4)

بيان الحكم المستفادة من هذه الغزوة

إن الله تعالى شأنه قد بدأ ذكر هذه الغزوة في القرآن الكريم من الآية { وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ }(سورة آل عمران:الآية/121) إلى ما بعدها من ستين آية ، وعدة آيات منها هي التي تبين علل وحكم انهزام المسلمين في غزوة أحد نذكرها هنا بالإيجاز فيما يلي:

1- تنبيه لمن عصى رسول الله ﷺ واختلف فيما أمربه أنه لوفعل ذلك لتأتي النتيجة بالفشل والهزيمة حينئذ. فقال تعالى : { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا

تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ }(سورة آل عمران:الآية/152)

2- وليميز الله الخبيث من الطيب ويتبين المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب وينكشف الصدق والكذب فلا يبقى للشك والريبة مجال بحيث يعرف الكل الصدق والكذب، والله سبحانه تعالى كان عالم بما كان ، ولكن سنة الله هي التي تجري في الكون أن الثواب والعقاب لا يترتب بعلم الإلهي السابق حتى لا يكون الغيب مشاهداً .

3- ومن حكم هذه الغزوة تكريم الله تعالى بعض عباده بمرتبة الشهادة الذين اشتاقت نفوسهم إلى الجهاد في سبيل الله ، وأخذوا الفدية ببدر راجين أنهم سيجاهدون في سبيل الله في العام القادم ، وهذه النعمة لا يجدها إلا أولياء الله دون الفاسق والفاجر ، قال تعالى: { وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (سورةآل عمران:الآية/140)}

قال الرازي في تفسير الآية:

ليكرم قوماً بالشهادة ، وذلك لأن قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر ، وكانوا يتمنون لقاء العدو وأن يكون لهم يوم كيوم بدر يقاتلون فيه العدو ويلتمسون فيه الشهادة .

4- وليطهر الله تعالى المسلمين من ذنوبهم ويزيلها عنهم بالشهادة والهزيمة ويغسل خطايا التي صدرت منهم بعدم امتثاهم بأمر الرسول ﷺ .

5- وليمحق الله تعالى أعداءه (وهم الكافرون)، لأنه كلما سال دم أولياء الله في الأرض غضب الله تعالى فيهلك الظالمين ويدمر السفاكين تدميراً فقال تعالى : { وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ }(سورة آل عمران:الآية/141)

6- وتلك سنة الله تعالى في الكون فيغلب مرة أولياء الله ويغلب أعداء الله مرة أخرى فقال جل شانه : { وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ} ولكن العاقبة للمتقين ، فلو فتح الله على المسلمين دائماً لدخل في الاسلام كثير من المنافقين ولم يتميز المؤمن من المنافق والمخلص من المرائي وطالب الآخرة من طالب الدنيا ، ولو انهزم المسلمون دائماً لا يحصل مقصد البعثة وهو إعلاء كلمة الله في الأرض ، لذا جرت عادة الله أن تكون الأيام مداولة بين الفريقين ، قال تعالى : { مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} (سورة آل عمران:الآية/179)

7- ولو كان الفتح مع المسلمين دائماً ليخشى على المسلمين أن ينشأ العجب في نفوسهم ويغرهم بالله الغرور وهذا هو أبو بكر الصديق أفضل البشر بعد الأنبياء بالتحقيق لما قيل له لما لا تقرر أكابر الصحابة والبدريين على مناصب عليا ؟ قال: أرى أن لا تدنسهم الدنيا والرواية لعلها في حلية الأولياء أو في كتاب آخر لا يستحضرني الآن . والله تعالى أعلم ، وهذا هو حكمة في الفتح والانهزام والغلبة والضعف والقبض والبسط .

8- ومن حكم الانهزام في الغزوة أن المسلمون يتوجهون إلى الله فيما يهمهم بالتضرع والخشوع والتمسكن والتذلل وسنة الله التي جرت في الكون أن العز والنصرة لا يأتي إلا بعد الذلة والمسكنة كما قال تعالى : {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} (سورة آل عمران:الآية/123) وقال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا} (سورة التوبة :الآية/25) إذا أراد الله تعالى أن يكرم عبداً بالفتح والنصرة ابتلاه بالذلة والمسكنة ليتطهر قلبه وتتزكى نفسه يزول عُجبه ، كذلك تأتي العزة إثر الذلة والفتح والغلبة تلو الهزيمة والبقاء بعد الفناء .

9- ومن حكم الهزيمة في الغزوة ليعلم المسلمون أنهم لا يجدون المنازل العالية بدون المجاهدة وبذل النفس فقال تعـــالى : {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ }(سورة آل عمران:الآية/142)

10- ومن حكم الهزيمة في الغزوة لتزكى النفوس بحيث لا تميل إلى الدنيا وبالأخص إلى الغنيمة ، وأن لا يخالف أمـــر الله ورسوله ﷺ ويستوي وجود متاع الدنيا وعدمه في الأعين ، قال تعالى: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَـــا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (سورة آل عمران: الآية/153) يعني من حكمة الهزيمة الوقتيـــة أن تحصلوا أيها المسلمون على أعلى مراتب الزهد والصبر فلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أصـــابكم . { مَـــا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }(سورة الحديد :الآيـــة/22– 23) وهـــذا أعلى درجة الصبر بأن لا يفرح القلب بمجيئ الدينا وأن لا يحزن على فواتها ، فجاءت الإشارة في هذه الآيـــات إلى أن ما أصابهم في معركة أحد من الهزيمة بعد الفتح لئلا يحزنوا على فوات الدنيا ويستوي وجود متاع الدنيا وعدمـــه في أعينهم وأن يرضوا بالقضاء والقدر وأن لا يظنوا بالله الظنونا أنه لم ينصرهم على عدوهم كما ظن المنـــافقون بالله الظنونا .

11- وفي هذه القصة إشارة إلى وفاة النبي ﷺ وإخبار الصحابة بأنهم تزحزحوا بعد ما سمعوا أن النبي ﷺ قد قتل وإنه سينتقل إلى جوار رحمة ربه في يوم فعليكم أيها المسلمون أن استقيموا على الدين وهو ديـــن قـــيم لـــن يـــزول ، وتزحزحكم هذا ليس من أجل النفاق وإنما كان من غاية حبكم للنبي ﷺ ولذلك عفا الله عنكم { وَلَقَـــدْ عَفَـــا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } (سورة آل عمران:الآية/152) فاحذروا أيهاالمسلمون فيما بعد ولا تنقلبوا على أعقابكم ، وفي الآية إشارة إلى أنه ستكون فتنة الارتداد بعد وفاة النبي ﷺ { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّـــهُ الشَّاكِرِينَ }(سورة آل عمران: الآية/144) وقد تحققت فتنة الارتداد بعد وفاة النبي ﷺ ، فلما جعلـــت قبيلـــة همدان في اليمن ترتد عن الايمان جمع عبد الله بن مالك ارحبي رضي الله عنه أفراد هذه القبيلة وخاطبهم قائلاً: يـــا معشر همدان إنكم لم تعبدوا محمداً عليه السلام إنما عبدتم رب محمد (عليه السلام) وهو الحي الذي لا يموت غـــير إنكم أطعتم رسوله بطاعة الله ، واعلموا أنه استنقذكم من النار ولم يكـــن الله ليجمـــع أصـــحابه علـــى ضـــلالة ....إلى آخر الخطبة. ثم أنشد:

لعمري لئن مات محمد   لمامات يا ابن القيل رب محمد

دعاه إليه ربه فأجابـــاه   فيا خير غوري وياخيرمنجـــد

(الاصابة :ترجمة عبد الله بن مالك ج365/2، وحسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ص312/1)

نظرة عابرة على وقوع الهزيمة بعد الفتح في غزوة أحد وما فيها من الحكم والمصالح

حسب الوعد الإلهي كان للمسلمين في الغزوة كفة راجحة وقد تحقق لهم الفتح والغلبة على الأعداء إلى أن انقلبت الدائرة عليهم فجأة وذلك نتيجة عدم امتثال بعضهم بأمر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، حيث أخلى معظم الرماة المكان الذي أمرهم الـــنبي ﷺ أن يقوموا عليه وهوجبل عينين ونزلوا منه لجمع الغنيمة فدارت دائرة الحرب ضدهم فأصيبوا بالهزيمة بعد الفتح ، ولا يخفـــى على مسلم على أن الله يعاقب عباده المخلصين ومحبيه على أخطاء تافهة ، فكره الله تعالى أن يحيد هؤلاء المخلصون عن أمر الـــنبي ﷺ أدنى حيادة ولوكانت هذه الحيادة مبنية على سوء الفهم ، وهذا لا يتصور من العشاق والمحبين المخلصين لله ولرســـوله ﷺ

أن يترلوا لجمع حطاب الدنيا ويتركوا الامتثال بأمر النبي ﷺ مع أن هذه الغنيمة كانت حلالاً لهم كما قال تعالى {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا}(سورة الأنفال :الآية/69) ولكنه لم يكن مناسباً لهؤلاء المخلصين أن يمدوا أيديهم لأخذها بدون إذن رب العز و الجلال .

وما أصيب المسلمون بهزيمة وقتية كان من أجل التنبيه فقط لئلا ينظروا إلى غير الله ، وقد قدر لهم في الأزل أنهم سيغلبون الأعداء قريباً بفتح مكة وسيكون فتح مكة تداركاً لما أصابهم في أحد ، وبعد فتح مكة ستنكسر شوكة قيصر وقوة كسرى بأيدي المسلمين والخلاصة أن الهزيمة في أحد كانت لتطهير قلوب المسليمن من وساخ الدنيا ودنائتها ، وقد نزلت الآيات في هذا الشأن : {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآَخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}(سورة آل عمران: الآية/152) فقد بين سبحانه وتعالى في هذه الآياية أن الأمر قد انعكس فجأة فجنود الكفار الذي كان يُقتل بأيدي المسلمين بدأ يقتل المسلمين ، ولماذا انعكس الأمر ؟ ففيه وجوه : أولاً : إنكم أيها المسلمون قد عدلتم عن الامتثال بأمر النبي ﷺ.

ثانياً: التفات بعضكم إلى جمع الغينمة التي تسبب هجوم الأعداء من الخلف ، وخطأ البعض تحمل الكل من المسلمين فإنا لله وإنا إليه راجعون.

مع ذلك إن ألطاف الله ونعمه لم تنقطع عن الصحابة رضي الله عنهم فقد ذكر الله تعالى أنه قد عفا عنهم فقال تعالى:{ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين} . وبعد قليل قال تعالى تسلية لهم : {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ }(سورة آل عمران: الآية/155)

وقد عد سبحانه وتعالى نزول الصحابة رضي الله عنهم من الجبل زلة وقد استزلهم الشيطان وقد أرادوا شيئاً وصار شيئاً آخر ما خطرببالهم ، وكان ما كان فلا تيئسوا ولا تحزنوا يا صحابة رسول الله فإن الله عفا عنكم ، وفي نزول هذه الآيات براءة لهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم فلا يجوز لأحد أن يطعن في شخصية الصحابة رضي الله عنهم ولايمسهم بسوء إلى يوم القيامة لأنه تعالى رضي عنهم ورضوا عنه وتجاوز عما صدر منهم من الخطأ والعصيان فأمرهم إلى الله ليس مجال لأحد أن يسبهم ويشتمهم والعياذ بالله .

وهذا هي العلة في نزول العتاب على أخذ الفداء في غزوة بدر فقد آثروا المال على القتال ، كما نزلت بلاء الهزيمة في أحد لما مالوا إلى المال وتركوا القتال ولكن الله تعالى عفا عنهم في كلا الموضعين بعفوه وكرمه والله ذو فضل على المؤمنين .

تتمة ما مضى من الحكم في هذه الغزوة

إن الله تعالى بين في الآيات الآتية ذكرها أحوال أصحاب الأنبياء السابقين بأنهم قاتلوا وقتلوا فصبروا وثبتوا ولم يهنوا لما أصابهم في سبيل الله ولم يعجزوا عن مقاومة الأعداء شيئاً ، واستعانوا بالله فيما أهمهم والتجأوا إليه بالدعاء منه والتضرع إليه فجازاهم الله جزاءاً حسنا وإليكم هذه الآيات :

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (سورة آل عمران:الآيات/146-148) . (منقول من كتاب سيرة المصطفى ﷺ للشيخ محمد إدريس كاندهلوي رحمه الله تعالى).

سورة آل عمران مدنية : الآية {122}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

الملخص:

إن المنافقين لما انخزلوا قبيل الحرب في غزوة أحد مع رئيسهم ابن أبي ابن سلول بثلث الجيش الإسلامي تزلزلت أقدام طائفتين من بني حارثة وبني سلمة وضعفت عزيمتهما ولكن الله أعانهما وأقامهما على الثبات والاستقامة في الحرب ، فيجب على المسلمين أن لا يتأثروا بالأخبار الكاذبة التي يشيعها المنافقون أو الكفار عند الجهاد بل يتوكلوا على الله ويتوجهوا إليه في كل حال من الأحوال.

سبب نزول الآية:

الطائفتان حيان من أنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس لما انهزم عبد الله بن أبي همت الطائفتان باتباعه فعصمهم الله فثبتوا مع الرسول ﷺ . (تفسيرالرازي)

كلام نفيس:

بعد مجيئ النبي ﷺ المدينة وقعت غزوة بدر حوالي سنة ونصف ، وأكرم الله المسلمين بالفتح على الكفار فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين ، وفي العام القادم تجمع الكفار لقتال المسلمين حتى جاؤوا المدينة فاستشار النبي ﷺ أصحابه فرأى الأغلبية منهم أن يبقوا بالمدينة ويقاوموا العدو منها ورأى النبي ﷺ هذا الرأي ، ورأى بعض الصحابة غير هذا الرأي فقالوا هذا عار لنا أن نبقى بالمدينة بل علينا أن نقاوم الأعداء بالميدان فاجتمعوا على هذا الرأي، وكان عبد الله بن أبي من المنافقين من أهل المدينة في بداية الأمر شريكاً في الغزوة ثم انخزل مع أصحابه أثناء الطريق وقال إن محمداً (ﷺ) لم يعمل برأيي وتبعه قبيلتا الأنصار منخدعين بخدعه ففهمهما رؤساءهما وأعادهما إلى الغزوة ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون . (موضح القرآن)

ربط الآية بما قبلها :

قبل هذه الآية بين الله تبارك وتعالى الفرض المنصبي وهو الدعوة إلى الله وهي في الآية الكريمة {كنتم خير أمة أخرجت للناس....الآية} ثم أمر المسلمين أن لا يتخذوا أهل الكتاب والمنافقين أولياء من دون المؤمنين فقال تعالى {لا تتخذوا بطانة من دونكم أولياء} ثم بين أحوال غزوة بدر أن المسلمين لم يتأثروا بإشاعات المنافقين ففتح الله عليهم ، أما في غزوة أحد فكان التذبذب في بعضهم وظهر التخلف من المنافقين وبعلة حدث انهزام المسلمين في هذه الغزوة . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله)

العبرة:

إن من المستحسن أن ينشأ حب الله في قلوب الجنود الإسلامي وعظمته تبارك وتعالى ويجب أن تكون مذاكرة الإيمان والتوكل فيما بينهم ويجنبهم عن إشاعات المنافقين وآرائهم الكاذبة الباطلة .

سورة آل عمران مدنية : الآية {123}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾

الملخص:

أيها المسلمون ! إن في غزوة بدر كنتم في ضعف وقلة وفتح الله عليكم واتصفوا بصفة التقوى واعملوا بأوامر الله واجتنبوا نواهيه ولا تتخذوا أولياء من الكافرين.

والتقوى هي رأس الشكر ، وبها ستنالون رحمة الله ونعمه لتشكروه .

بدر

(1) هي موضع يبعد من المدينة المنورة مائة وأربعين كيلو في جهة الجنوب والغرب ، ومن ساحل البحر على بعد مسافة ولهذا الموضع أهمية استرتيجية في العرب بحيث هو نقطة تجارية وموضع مفترق الطرق الثلاث الشام والمدينة ومكة وتمر من عنده قوافل قريش التجارية إضافة لما توجد المياه الكثير في هذه المنطقة ، وبه وقعت المعركة العظيمة بين أهل الإسلام وأهل الكفر التي عرفت غزوة بدر بتاريخ 17/رمضان 02من الهجرة النبوية (11/مارس 624م) والتي كانت نقطة تحول أحوال العالم كله . (تفسير ماجدي)

(2) بئر لرجل من جهينة يقال له بدر فسميت به . (تفسير الآلوسي)

(3) وقال الواقدي : اسم لموضع وقيل للوادي وكانت كما قال عكرمة متجراً في الجاهلية . (تفسير الآلوسي)

الربط بين الآيات

وذكر الإمام الرازي ربط هذه الآية مما قبلها فقال رحمه الله تعالى:

1- في كيفية النظم وجهان الأول : أنه تعالى لما ذكر قصة أحد أتبعها بذكر قصة بدر ، وذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا في غاية الفقر والعجز ، والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة ، ثم إنه تعالى سلّط المسلمين على المشركين فصار ذلك من أقوى الدلائل على أن العاقل يجب أن لا يتوسل إلى تحصيل غرضه ومطلوبه إلا بالتوكل على الله والاستعانة به والمقصود من ذكر هذه القصة تأكيد قوله { وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً } [آل عمران : 120] وتأكيد قوله { وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون } [آل عمران : 122]

2- الثاني : أنه تعالى حكى عن الطائفتين أنهما همتا بالفشل ثم قال : { والله وَلِيُّهُمَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون } يعني من كان الله ناصراً له ومعيناً له فكيف يليق به هذا الفشل والجبن والضعف؟ ثم أكد ذلك بقصة بدر فإن المسلمين كانوا في غاية الضعف ولكن لما كان الله ناصراً لهم فازوا بمطلوبهم وقهروا خصومهم فكذا ههنا ، فهذا تقرير وجه النظم.

المستفاد من الآية :

(1) إن التقوى سبب أكيد للنجاح في الجهاد . (2) إن المسلمين اليوم في أمس حاجة إلى عواطف البدريين وتضحياتهم .

سورة آل عمران مدنية : الآية {124}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾

الملخص:

في غزوة بدر أنزل الله تعالى ثلاثة آلاف من الملائكة لنصرة المسلمين وذلك كان من ثمرات الاستقامة التقوى التي اتصف بها أصحاب رسول الله ﷺ وبشر النبي ﷺ أصحابه بنزول الملائكة آنذاك .

نزول الملائكة في بدركان أم في أحد ؟

اختلف المفسرون في أن هذه الآية متعلقة بغزوة أحد بأن الله وعد المسلمين بثلاثة آلاف من الملائكة فلما نزل الرماة من الجبل وضعفت عزيمتهم وثباتهم وتقواهم واضمحل صبرهم وهذه الصفات كانت شرطاً لنزول الملائكة .

وقال الآخرون من المفسرين أن هذه الآية متعلقة بغزوة بدر فقال فخرالرازي رحمه الله تعالى: أن هذا الوعد كان يوم بدر ، وهو قول أكثر المفسرين . (تفسير الرازي)

أول غزوة غزاها النبي ﷺ

وكان غزوة بدر أول غزوة غزاها النبي ﷺ كما ذكر الإمام القرطبي في تفسيره :

فقال رحمه الله تعالى :

وكان أول قتال قاتله النبي صلى الله عليه وسلم.وفي صحيح مسلم عن بريدة قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، قاتل في ثمان منهن.

وفيه عن ابن إسحاق قال: لقيت زيد بن أرقم فقلت له: كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال تسع عشرة غزوة.

فقلت: فكم غزوه أنت معه ؟ فقال: سبع عشرة غزوة.

قال فقلت: فما أول غزوة غزاها ؟ قال: ذات العسير أو العشير.

وهذا كله مخالف لما عليه أهل التواريخ والسير.

قال محمد بن سعد في كتاب الطبقات له: إن غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون غزوة، وسراياه ست وخمسون، وفي رواية ست وأربعون، (1) والتي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد والمريسيع والخندق وخيبر وقريظة والفتح والطائف.

قال ابن سعد: هذا الذي أجتمع لنا عليه.

وفي بعض الروايات أنه قاتل في بني النضير وفي وادي القرى منصرفه من خيبر وفي الغابة .

فائدة:

كم كان عدد الملائكة التي قاتلت في غزوة بدر ؟ ألف ، ثلاثة آلاف ، خمسة ألاف ؟ وما هو القول الراجح في ذلك ؟ وهل قاتلت الملائكة أم لا ، وهل نزلت الملائكة في بدر أم نزلت في غزوة أخرى أيضاً سنذكرهذه التفاصيل بإذن الله تعالى في ضمن تفسير سورة الأنفال .

سورة آل عمران مدنية : الآية {125}

بسم الله الرحمن الرحيم

بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾

الملخص:

إن الله تعالى أخبر المسلمين بأنهم لو صبروا وثبتوا واتقوا ليأتينهم المدد من الله بحيث يمددهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

أقوال المفسرين :

كون نزول خمسة آلاف من الملائكة إلى يوم القيامة :

وقال الحسن رحمه الله تعالى :

فهؤلاء الخمسة آلاف ردء للمؤمنين إلى يوم القيامة . (تفسير القرطبي)

{ إِن تَصْبِرُواْ } على مضض الجهاد وما أمرتم به . (روح المعاني)

فائدة:

وخلاصة ما جاء في تفسير هذه الآية من أقوال المفسرين هي كما يلي منقولاً من مشائخنا:

1- إن عدد خمسة آلاف لكم فيه كفاية ولئن صبرتم واتقيتم أيها المسلمون ومال عليكم الكفار ميلة واحدة وآتوكم من فورهم ليترل ربكم خمسة آلاف من الملائكة مسومين ، وفي بدر كان عدد الكفار ألفاً فناسبه وعد ألف من الملائكة كما سيأتي في سورة الأنفال ثم لإزالة الخوف من قلوب المسلمين وتسلية لهم ولتطمئن قلوبهم زيد المدد ثلاثة أضعاف لأن الكفار كانوا ثلاثة أضعاف من المسلمين ، وحسب رواية الشعبي بلغ المسلمين الخبر أن كرز بن جابر يجيئ بالمدد الأكبر للمشركين فاضطربوا وانزعجوا فوعدهم الله تعالى تسلية لهم فقال جل في علاه : إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . ولو جاء مددهم فجاءة لا تترعجوا فالله ينصركم . ولعل حكمة في إنزال خمسة آلاف من الملائكة هي أن للعسكر خمسة أجزاء رئيسية لكل جزء ألف ، وقيل أن كرز بن جابر لم يستطع أن يصل لمدد الكفار فوعد الله بخمسة آلاف لم يتحقق لأنه كان معلقاً ب " يأتوكم من فورهم " وقال البعض أن وعد نزول خسمة ألاف من الملائكة قد تحقق ,والله تعالى أعلم . (تفسير عثماني)

2- {إن تصبروا وتتقوا} أي إن صبرتم واتقيتم ولم تعرضوا في الميدان عن إطاعة الله وإطاعة رسولهﷺ .

وإن للصبروالثبات وإطاعة الرسول ﷺ لأهمية بالغة، ويؤكده ما خاطب قائد الأمة الأعظم النبيﷺأصحابه يوم أحد قبل القتال وهذه الخطبة منقولة ومذكورة في كتب السنة أنه ﷺ أكد هذا الأمر أنكم إن صبرتم لتكونوا منصورين مظفّرين ، فتوكلوا على الله فإنه يفتح عليكم ، وهذا الشرط له أهمية كبيرة وقد تحقق هذا الشرط في غزوة بدر وأحد ، وإن الله لهو الناصر والمعين والمسلمون هم الفقراء إلى الله ، وفي بدر قد أطاعوا الرسول ﷺ كلياً ولم يتكؤا على الأسباب الظاهرة أصلاً فأمدهم الرب تعالى بالملائكة ، وانعكس الأمر في أحد فخالف جزء العسكر أمر الرسول ﷺ واتكأ البعض على الأسباب الظاهرة فتوقف مدد الرب جل في علاه لوقت يسير فانهزموا.ولا شك أن الطاعة الكاملة لله ولرسوله ﷺ والانقياد لهما هي مفتاح نزول البركات والخيرات من السماء . (تفسير ماجدي)

سورة آل عمران مدنية : الآية {126}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

الملخص:

أيها المسلمون ! إنما نزول الملائكة عند القتال لطمانية قلوبكم ولبشارة نفوسكم وما النصر إلا من عند الله وهوالعزيز الحكيم فتوكلوا عليه واعلقوا به ولا توكلوا على من سواه ، وما كسبتم فبرحمة من الله ولن تجدوا شيئاً إلا من عند الله .

أقوال المفسرين:

1- إن نزول الملائكة والمدد الغيبي كان ذلك كله لطمانية قلوبكم ولسكينة نفوسكم وإلا نصر الله لا يتوقف على هذه الأشياء المحدودة ، ولا هو مقيد بشيء فإن الله تعالى هو القادر على كل شيء لو شاء أن ينصركم لنصركم بدون الملائكة ولو أراد أن يخذل الكفار لخذلهم بدونكم ، ولو أراد أن يستعمل ملكاً واحداً بدل أن يستخدم آلافاً من الملائكة لفعل، ومدد الملائكة هو متوقف على مشية الله وقدرته وليس لهم قوة اختيارية بل هم يفعلون ما يؤمرون ولا يعصون الله ما أمرهم ، وهذا من حكمة الله متى شاء استعمل أسباباً ومتى شاء نصر بدونها ومتى شاء استخدم الملائكة لتنفيذ أمره ومتى شاء استعمل غيرهم من خلقه ومن صفته ''كن فيكون'' ولا يحيط أحد بأسراره سبحانه جل في علاه. (تفسير عثماني)

2- قال صاحب الكشاف : { وَمَا جَعَلَهُ الله }. أي : وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تطمئن قُلُوبُكُمْ به كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة قلوبهم .
{ وَمَا النصر إِلاَّ مِنْ عِندِ الله } لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ، ولا من عند الملائكة والسكينة ، ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ، ويربط به على قلوب المجاهدين { العزيز } الذي لا يغالب في حكمه { الحكيم } الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة. (كشاف)

فائدة:

وبتوفيق الله زال مما سبق أعلاه من العبارتين ما يشكل على بعض ناقصي الفهم والمعاندين للإسلام من أن ما هي الحاجة لنزول الملائكة ؟ ولماذا أنزل هذا العدد الكبير منهم ؟ ...إلى غير ذلك من الاعتراضات . والله تعالى أعلم.

سورة آل عمران مدنية : الآية {127}

بسم الله الرحمن الرحيم

لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ١٢٧

الملخص:

إن الله تعالى أمركم بالجهاد ونصركم عليه ليكسر شوكة الكفار ويقطع طرفهم ويكبتهم ويخذلهم بقتل صناديدهم القدماء وبرجوع الباقين خائبين خاسرين.

أقوال المفسرين:

1- { لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أي: أمركم بالجهاد والجلاد، لما له في ذلك من الحكمة في كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهدين. فقال: { لِيَقْطَعَ طَرَفًا } أي: ليهلك أمة { مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ } أي: يخزيهم ويردهم بغيظهم لَمّا لم ينالوا منكم ما أرادوا؛ ولهذا قال: { أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا } أي: يرجعوا { خَائِبِينَ } أي: لم يحصلوا على ما أَمَّلُوا.

2- وقد حدث كذلك فقد قتل سبعون من صناديد قريش بما فيه فرعون هذه الأمة أبوجهل ، وأسر سبعون منهم وما بقي منهم انقلبوا مكة خائبين منخذلين . (تفسير عثماني)

فائدة:

لايزال ذكر غزوة أحد وقد توسط بيان غزوة بدر في خمس من الآيات ليعلم المسلمون أن الله هو ناصرهم فنصرهم في بدر وأما ما وقع في أحد من هزيمة فسببه هو الخطأ الذي ارتكبه بعضهم ، فعلى المسلمين أن يتصفوا فيما بعد بصفات أهل بدر ولا يقعوا فيما وقعوا في أحد، وسيأتي ذكر بدر على حدة في سورة مستقلة وهي سورة الأنفال واسمها الأخرى سورة البدر .

سورة آل عمران مدنية : الآية {128}

بسم الله الرحمن الرحيم

لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾

الملخص:

إن الله هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن سيئاقم وليس بيد أحد سواه هذان الأمران فإنهما بيد الله رب العالمين ، فعلى المسلمين أن يستقيموا على الجهاد ويستمروا فيه ويفوضوا أمر العذاب أو قبول التوبة إلى الله جل في علاه .

سبب نزول هذه الآية الكريمة :

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره:

1- ثبت في صحيح مسلم : أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه ، فجعل يسلب الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله تعالى) فأنزل الله تعالى :{ليس لك من الأمر شيء}.

2- قال الضحاك : هم النبي ﷺ أن يدعو على المشركين فأنزل الله تعالى: ليس لك من الأمر شيء .

3- وقيل استأذن في أن يدعو في استئصالهم ، فلما نزلت هذه الآية علم أن منهم من سيسلم وقد آمن كثير منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم، وروى الترمذي عن ابن عامر قال: وكان النبي ﷺ يدعو على أربعة نفر فأنزل الله عز وجل {ليس لك من الأمر شيء} فهداهم الله للإسلام . ثم قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى بعد ذكر هذه الأقوال المذكورة أعلاه .

قال علماؤنا: قوله عليه السلام: (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم) استبعاد لتوفيق من فعل ذلك به.

وقوله تعالى: " ليس لك من الامر شئ " تقريب لما استبعده وإطماع في إسلامهم، ولما أطمع في ذلك قال صلى الله عليه وسلم: (اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) كما في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الانبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (رب أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

قال علماؤنا: فالحاكي في حديث ابن مسعود هو الرسول عليه الصلاة والسلام،

وهو المحكي عنه، بدليل ما قد جاء صريحا مبينا أنه عليه الصلاة والسلام لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شقا شديدا وقالوا: لو دعوت عليهم ! فقال: (إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة، اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

4- وذكر الآلوسي رحمه الله في تفسيره قول مقاتل رحمه الله حول هذه الآية: فقال:

وعن مقاتل أنها نزلت في أهل بئر معونة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أربعين وقيل : سبعين رجلاً من قراء أصحابه وأمر عليهم المنذر بن عمرو إلى بئر معونة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن والعلم فاستصرخ عليهم عدو الله عامر بن الطفيل قبائل من سليم من عصية ورعل وذكوان فأحاطوا بهم في رحالهم فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني النجار فإنهم تركوه وبه رمق فلما علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد وجداً شديداً وقنت عليهم شهراً يلعنهم فترلت هذه الآية فترك ذلك .

فائدة:

وإليه مال الإمام الرازي رحمه الله تعالى أن هذه الآية متعلقة بغزوة أحد وفي أية قصة نزلت ذكر أقوالاً عديـــدة في هذا الباب ثم قال في آخرها: قال القفال رحمه الله تعالى : هذه الأشياء حصلت يوم أحد فترلت هذه الآيـــة عنـــد الكل فلا يمتنع حملها على كل الاحتمالات . (تفسير الرازي)

مفهوم الآية:

قد استشهد في أحد سبعون من الصحابة رضي الله عنهم بما فيهم سيد الشهداء عم رسول الله ﷺ حمزة رضي الله تعـالى عنـها فمثلوه وجدعوا أنفه وأذنه وبقروا بطنه ولاكت هند كبد حمزة فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها. وسيأتي تفصـيله فيمـا يـأتي ، فالخلاصة أن النبي ﷺ أصيبت رباعيته وشج في وجهه وكلمت شفته وكسرت أنفه فأثقله وتفرق عنه أصحابه والدم يسيل على خديه فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عملها أبـو عـامر ليقع فيها المسلمون فأخذ علي بن أبي طالب بيده ورفعه طلحة بن عبيدالله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان أبو أبي سـعيد الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال من مس دمه دمي لم تمسسه النار قلت: وذكر قتادة أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم لما وقع لشقه أغمي عليه فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح الدم عن وجهه ..رواه ابن جرير وهـو مرسل.(كما في البداية والنهاية لابن كثير)

وأشاع الكفار الخبر أن محمد قد قتل ، فأفاق وهو يقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله (لـيس لك من الامر شئ) الآية.

وأراد النبي ﷺ أن يدعو على أفراد معينين وكان فيه صلى الله عليه وسلم على الحق ولكن الله تعالى أراد غير ذلـك بحيـث أن يرفع مقام نبيه ﷺ فيظلم الناس عليه وهو يصبر عليه ويؤدي فريضة الدعوة والتبليغ إلى البشرية ويفوض أمرهم إلى الله يفعـل بهم ما يشاء ، أليس ذلك خير أن يهتدي هؤلاء الأعداء إلى الاسلام بدل أن يهلكوا بدعاء النبي ﷺ عليهم ؟ وقد تحقـق هـذا الأمر في زمن يسير فهدهم الله تعالى إلى الإسلام وجعلهم محافظين لهذا الدين وأيده بهم ، وإن نزول الآية {ليس لك مـن الأمـر شيء} دلت على أن العبد ليس بيده شيء فالله تعالى محيط بكل شيء علماً يفعل ما يشاء لا شك في أن الكفار أعـدائكم وهـم الظالمون ولكن الله إذا أراد هدايتهم لهداهم وإذا أراد إهلاكهم أهلكهم ولكنكم لا يجوز لكم أن تدعوا عليهم من عند أنفسكم . (تفسير عثماني)

كلام نفيس:

إن الله تعالى ربى نبيه (ﷺ) بأنه لا ينبغي للعبد أن يدعو على الكفار وإن كانوا لكم أعداء فإن الله تعالى يهدي من يشاء منـهم ويعذب من يشاء . (موضح القران)

نكتة:

علم مما سبق أن مقصد الجهاد هو كسر شوكة الكفر ووقمع قوته لا لقتل الكفار فقط ، والمطلـوب مـن الكفـار أن يسـلموا ويدخلوا في دين الله طائعين لله منقادين له .

سورة آل عمران مدنية : الآية {129}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾

الملخص:

إن الله تعالى هو مالك كل شيء وهو المختار الكل يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو الغفور الرحيم .

أقوال المفسرين:

1- إن المقصود من هذا تأكيد ما ذكره أولاً من قوله { لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمر شَيْءٌ } [آل عمران : 28] والمعنى أن الأمر إنما يكون لمن له الملك ، وملك السموات والأرض وليس إلا لله تعالى فالأمر في السموات والأرض ليس إلا لله ، وهذا برهان قاطع . (التفسير الكبير)

2- لعل حكمة ذكر قوله تعالى { وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } في ختام الآية أن الله تعالى أشار به إلى أنه سيهديهم الى الإسلام الذين أراد النبي ﷺ الدعاء عليهم ويجعلهم مستحقي الرحمة والمغفرة من الله تعالى.(تفسير عثماني)

نكتة مهمة :

وفي الآية التي تلي هذه الآية وهي (130) نهى الله تعالى عن أكل الربا ثم أتبعه ذكر صفة الجنة وصفات أهلها وقد ربط بعض المحققين الآيات (130)حتى الآية 138 بموضوع الجهاد وها هي بعض عباراتهم التي تدل على ذلك :

1- ولعله ذكر الربا ههنا لما قد سبق بيان قلة الهمة والضعف في العزيمة والربا يسبب الضعف في قوة الارادة إضافة إليه ما يترتب عليه من عدم التوفيق بأكل الحرام ،والجهاد هو من أكبر الطاعات ، وأخذ الربا دليل على البخل بل هو أكبر درجة البخل ، لأنه كان من المفروض أن يأخذ المقرض من المدين ما أعطاه من المال ولكنه رأى أن المدين استفاد من ماله فلِمَ لا يستفيد هو من هذا المال وهو رب المال فدل ذلك على غاية بخله ومن لا يضحي بماله فكيف يتصور منه أن يضحي بنفسه . (موضح القرآن)

2- إن الكفار مثلوا بالشهداء فجدعوا أنوفهم وآذانهم فاشتعل أصحاب رسول الله ﷺ حتى قالوا ''لنربين '' فنهى الله تعالى عن هذا . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

3- ببادئ النظر يرى ذكر الربا أثناء ذكر غزوة أحد غير مناسب ولعله ما سبق من ذكر الهمة بالفشل في قوله تعالى {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا....الآية} الذي يدل على الجبن والخور ولكن الله عصمهما فقال تعالى {والله وليهما} ومن يكون وليه هو الله فلا يصدر منه الجبن والخور في الجهاد ثم أتبعه سبحانه وتعالى ذكر الربا لأنه ينشأ في الإنسان الجبن والخور فنهى عن أكله ، وذلك من أمرين : الأول : أن أكل مال الحرام يسلب التوفيق من العبد للعمل الصالح والجهاد من أكبر العبادات فلا يستطيع أن يقوم به آكل الحرام . ثانياً: أخذ الربا دليل على بخل الإنسان ، لأن الذي يتعاطي بالربا يريد أن يأخذ على رأس ماله زائداً ، فمن فيه هذا الحرص القبيح أنه لا يعين أحداً بماله لفترة فكيف ينفق في سبيل الله ماله وكيف يتوقع منه أن يضحي بنفسه في الجهاد فناسب ذكر الربا في هذا الموقع.

وقال أبو حيان رحمه الله تعالى في مناسبة ذكر الربا هنا

ومناسبة هذه الآية لما قبلها ومجيئها بين أثناء القصة : أنّه لما نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم ، واستطرد لـذكر قصة أحد . وكان الكفار أكثر معاملاتهم بالربا مع أمثالهم ومع المؤمنين ، وهذه المعاملة مؤدية إلى مخالطة الكفار ، نهوا عن هذه المعاملة التي هي الربا قطعاً لمخالطة الكفار ومودّتهم ، واتخاذ إخلاء منهم ، لا سيما والمؤمنون في أول حال الإسلام ذوو إعسار ، والكفار من اليهود وغيرهم ذو يسار . وكان أيضاً أكل الحرام له مدخل عظيم في عدم قبول الأعمال الصالحة والأدعية ، كما جاء في الحديث : « إن الله تعالى لا يستجيب لمن مطعمه حرام ومشربه حرام إذا دعا » « وأن آكل الحرام يقول إذا حج : لبيك وسعديك . فيقول الله له : لا لبيك ولا سعديك ، وحجك مردود عليك » فناسب ذكر هذه الآية هنا . (تفسير البحر المحيط لأبي حيان كما ذكره صاحب تفسير عثماني)

في الآية الكريمة فوائد منها ما يلي :

فائدة أولى:

إن النظام الربوي دافع قوي لمنع المسلمين عن الجهاد ولذلك يعمِّمُه أعداء الإسلام في المجتمعات الإسلامية ليطفئوا روح الجهاد من عندهم ويزيلوه من قلوبهم وإلى الله المشتكى .

فائدة ثانية:

يجب على المسلمين أن يعزلوا أنفسهم من النظام الربوي ويجعلوا نظامهم النظام الإسلامي لئلا يكونوا عالة على النظام اليهودي ولئلا يضعفوا أمامهم كما ضعفوا اليوم .

فائدة ثالثة:

ذكرت فيما سبق من الآيات إرشادات ربانية لو عمل بها المسلمون لفازوا في الدنيا والآخرة منها الوقاية من الربا، ثم رغّبهم الله تعالى في الجنة وشوّقها إليهم وحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ كما أمرهم بالاعتصام بحبل الله وأن لا يتفرقوا وأن يلزموا بالاستغفار ثم ذكر الجنة ثم استمر بيان ذكر غزوة أحد .

ملاحظة:

إن علاقة الآية من (130) وحتى الآية (138) واضحة وهي أنها تتعلق بالجهاد ومعاني هذه الآيات ومفهومها بينة وواضحة فلذا لم نتعرض لها بالشرح والتفسير . والله تعالى أعلم .

سورة آل عمران مدنية : الآية {139}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

الملخص:

لا تهنوا في الجهاد ولا تضعفوا فيه أيها المسلمون بما أصابكم في غزوة أحد من الهزيمة ولا تحزنوا بل أنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين فلن يغلبكم العدو ، وستظهرون على الأعداء وتفتحون عليهم في المستقبل بشرط إن لم تركتم الإيمان ولا وهنتم ولا ضعفتم في الجهاد.

نكتة:

إن ما يصيب الإنسان بعد الهزيمة في الحرب هو الوهن ثم الحزن وهما يؤديان القوم بأكمله إلى التعطل والخمود ، ففي غزوة أحد قتل من المسلمين سبعون شخصاً ومثل ببعضهم الكفار وأصابهم الجروح وجرح النبي ﷺ شديداً حتى كسرت رباعيته ودخلت حلقتا المغفر في وجنته ﷺ والشهداء لم يتيسر لهم كفن يواري جثثهم ، هذا والكفار كانوا مسرورين مبتهجين والمنافقون في فرح وسرور ففي هذا الحالة الصعبة واللحظة القاسية لم يهن النبي ﷺ ولم يضعف بل أراد أن يتبع الأعداء فأيده النداء الإلهي من فوق سبع سموات {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} مبشرا لهم بما أكرم الشهداء من نعمة وكرامة عند الله بيد الكفرة سينقلبون إلى نار جهنم وهم في ظلام عميق لا فجر له فلا تهنوا ولاتحزنوا على ما أصابكم فلكم العلو والغلبة في المستقبل إن كنتم مؤمنين .

كلام مؤيد

1- {وأنتم لأعلون} ان بقيتم على إيمانكم ، والمقصود بيان أن الله تعالى إنما تكفل باعلاء درجتهم لأجل تمسكهم بدين الاسلام . (التفسيرالكبير)

2- إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا . (روح المعاني) .

3- والحال أنكم أعلى منهم شأناً فإنكم على الحق وقتالكم لإعلاء كلمة الله تعالى وقتلاكم في الجنة وأنهم على الباطل لنصرة كلمة الشيطان وقتلاهم في النار . (روح المعاني)

4- إن هذه الآيات نزلت في غزوة أحد وكان المسلمون في أحوال صعبة بما نالهم في الغزوة من القتل والجرح والهم والحزن فجاء الوحي الإلهي {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين} فيه تسلية لهم وتحفيز هممهم فإن الجلوس والتأثر البالغ عند الشدائد والمكروهات ليس من شيم المؤمن الصادق المتوكل على ربه ، فاعلموا أيها المسلمون أنتم الأعلون لأنكم تجاهدون لإعلاء كلمة الله وإحياء دينه بالأموال والأنفس وستكون عاقبتكم محمودة بحيث تغلبون على الأعداء وتظهرون عليهم وتكرمون بالفتح والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة إن بقيتم على الإيمان بالله والنصح له ولرسوله ولدينه دون تخلف ووهن في طاعته وطاعة رسوله والجهاد في سبيله ، فارتاحت قلوب المسلمين من هذا الخبر الإلهي وابتهجت نفوسهم بما سمعوا من البشارة الربانية حتى رأوا الكفار والمشركين الذين غلبوهم ظاهراً أن ولوا مدبرين وهربوا على أعقابهم خائبين .(تفسير عثماني)

أقوال المفسرين :
{ولا تهنوا}

1- أي لا تضعفوا عن قتال الكفار . (الجلالين)
2- لا تضعفوا همتكم . (بيان القرآن).
3- لا تضعفوا عن الجهاد .والوهن هو الضعف . (تفسير الرازي)
4- أي لا تضعفوا عن قتال أعدائكم والجهاد في سبيل الله تعالى بما نالكم من الجراح . (تفسير الآلوسي)

الوعد للمستقبل:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

وأنتم الأعلون على الأعداء بعد أحد فلم يخرجوا بعد ذلك عسكراً إلا ظفروا في كل عسكر كان في عهد رسول الله ﷺ وفي كل عسكر كان بعد رسول الله ﷺ وكان فيه واحد من الصحابة كان الظفر لهم .

قصة في نزول هذه الآية:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

قال ابن عباس: انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فبيناهم كذلك إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل، من المشركين، يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر).

فأنزل الله هذه الآيات.

وثاب نفر من المسلمين رماه فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم، فذلك قوله تعالى: " وأنتم الاعلون " يعني الغالبين على الاعداء بعد أحد.

وقال أيضاً رحمه الله :

قوله تعالى: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين} عزاهم وسلاهم بما نالهم يوم أحد من القتل والجراح، وحثهم على قتال عدوهم ونهاهم عن العجز والفشل فقال (ولا تهنوا) أي لا تضعفوا ولا تجبنوا يا أصحاب محمد عن جهاد أعدائكم لما أصابكم.

فائدة:

من قاتل وقتل وجاهد لإعلاء كلمة الله فهو غالب وفاتح سواء ظفر في القتال أم لم يظفر وانهزم بشرط أن يكون قائم على دينه متمسك بإيمانه مستمر في الجهاد ، ففي الآية إخبار للمسلمين أن يتمسكوا بدينهم وإيمانهم ويستمروا في الجهاد في سبيل الله فلو متم أو قتلتم أيها المسلمون لينالكم الفتح في الدنيا أو الفلاح في الآخرة ولا شك أن عدوكم منهزم ولو غلبكم وفتح عليكم وسبحان الله ما أعظم التسلية للمسلمين وما أعظم بشارة لهم ولله الحمد أولاً وآخراً والحمد لله رب العالمين هذا والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المآب .

وإن هناك نكت وفوائد مستفادة من الآية الكريمة نذكرها فيمايلي:

نكتة أولى : **كلما أصيب المسلمون من الإنهزام الظاهري ليوسوس الشيطان في النفوس في مثل هذا الحال القاسي ويثير الوهن ويحبب إليهم الدنيا وزينتها مما يؤديهم إلى ركون الكفار بدل أن يصبروا ويستقيموا حتى يرغب بعضهم عن الجهاد والشهادة**

فيميلون إلى الدنيا، ويتأثر قائد العسكر بالحال الشديد بحيث يكون سريع الغضب والانفعال وشديد الاشتعال ويحب الخلاء والعزلة وبالتالي يترك المشاورة ، هذا والمنافقون يثيرون الخلاف ضد الأمير بين أفراد العسكر ويكدرون صفوة قلوبهم تجاه القائد ويشيعون الإشاعات الباطلة والأفكار الهدامة وقد عالج القرآن الكريم هذه الأمراض وأرشد الأمة إلى الخير في مثل هذه الأحوال ففي الآيات من سورة آل عمران ابتداء من (139) وحتى (175) وردت الإرشادات الربانية لهداية هذه الأمة بأن تعض عليها بالنواجد ولا تترك ذيل الصبر والثبات في حال من الأحوال بل ترضى بقضاء الله وقدره وتستقيم على الإيمان بالله ورسوله وتمسك بالعزيمة وقوة الإرادة وتحسب ما تنالها من المصائب نتيجة كسبها وعاقبة فعلها فتلجأ إلى الله بالتوبة والاستغفار وتبتعد من الأخطاء والزلات ولا تتفرق فتفشل وتذهب ريحها ولا تفكرفي ترك الجهاد والانغماس في ملذات الدنيا وملاهيها، بل تذكر شهداءها فوزهم وفلاحهم ، وليذاكروا فيمابينهم قصص استقامة المجاهدين السابقين وما أصابوا من فوائد دينية فيما أبلاهم الله تعالى لما فيه تطهير لذنوبهم وكرامة لشهدائهم وتمييز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق وأن أهمية طاعة الأمير استقرت في القلوب وانكشفت خطورة الكسل وعدم الامتثال بأمر رائد القتال ، وعلى الأمير أن يلين مع رفقاءه وأفراد جنوده فيستشير منهم في كل دقة وجلة وعلى أفراد العسكر أن لا يتأثروا بإشاعات المنافقين وأخبار المفسدين ، وعصارة القول أن الحفاظ على الإيمان والجماعة والجهاد لازم ضروري وله أهمية بالغة بالأخص بعد الانهزام ، وبعد نزول هذه الآيات اعتبرأصحاب رسول الله ﷺ فأصلحوا حالهم وثبتت أقدامهم فلم يتزلزلوا في غزوة الأحزاب مع شدة الأحوال وأصعب الظروف وقلة الوسائل والأفراد وهجوم الأعداء بكثرة العدة والعتاد هذا والله تعالى أعلم بالصواب .

نكتة ثانية :

{أنتم الأعلون} إنكم غالبون ، وهذا الوحي الإلهي نزل بهذه البشارة والمسلمون بين قتيل وجريح والنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم كان الدم يسيل على خديه ففيه درس وعبرة للمعتبرين بأن الله تعالى كيف يقلب الحال من حزن إلى فرح وكيف يسلي أحب عباده ويقوي عزائمهم وأخبرهم أن ما يرونه هزيمة هي تمهيد الفتح والغلبة وصدق الله تعالى {إن مع العسر يسراً} .

فائدة:

إن من عادة المنافقين أنهم يطيلون ألسنتهم بعد الهزيمة في الغزوة وجعلوا يطعنون في المسلمين ويثبطون هممهم ، وفي جانب آخر يرى الكفار الذين حصل لهم الفتح بالظاهر أن فتحهم لكونهم أحباء الله فيزيدون في العداوة والدسائس العنيفة ضد الإسلام والمسلمين . وقد بين الله تعالى هذه الأمور في الآيات التي أشرنا إليها آنفاً ومن أراد التفصيل فليقرأها بتدبر وتفكر .

الملاحظة:

حسب صاحب تفسير موضح القرآن وصاحب بيان القرآن الآية(137-138) لهما صلة بالجهاد وفيهما ارشادات وتوجيهات لما بعد الهزيمة من الأحوال . (أنظر حاشية موضح القرآن وتفسير بيان القرآن)

الدعا :

اللهم إنا نسئلك إيماناًكاملاً لا يرتد ويقيناً صادقاً لاينفد وقرة عين لا تنقطع. آمين ياأرحم الراحمين .

سورة آل عمران مدنية : الآية {140}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾

الملخص:

إن ما حدث في غزوة أحد فيه حكم ودروس وعبر ، فمن حكمته أن الله تعالى يداول الأيام والأحوال بين الناس ،ففي العام الماضي انهزم المشركون في بدر وفي هذا العام مس المسلمين القرح مثل ما أصاب المشركين القرح في بدر.
ومن حكمة الانهزام بينها الله تعالى أنه يميز المؤمن من المنافق ويدل على ذلك قوله تعالى{وليعلم الله الذين آمنوا منكم} .
ومن حكمة الانهزام أن الله تعالى يكرم بعض عباده بمرتبة الشهادة ويدل على ذلك قوله تعالى {ويتخذ منكم شهداء} وبعض الحكم الأخرى سيأتي ذكرها في الآية التالية . والله لا يحب الظالمين فليعلم الكفار أن زعمهم أنهم أحباء الله باطل .

أقوال المفسرين :

1- إن الله تعالى يداول الأيام والأحوال بين الناس ولا يفهم أحد من ذلك أن الله تعالى ينصر المسلمين حيناً وينصر الكفار في حين آخر ، لأن نصر الله تعالى كرامة لا تحصل عليها الكفار قط .(صاحب تفسير بيان القرآن) وقال الإمام فخر الرازي رحمه الله تعالى: واعلم أنه ليس المراد من هذه المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين وذلك لأن نصرة الله منصب شريف وإعزاز عظيم ، فلا يليق بالكافر ، بل المراد من هذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين . (تفسير الرازي)

2- إن المسلمين كانوا كئيبين حزينين منكسري القلوب لما أصابهم في القتال من الخسائر الفادحة قتلاً وجرحاً، فقتل فيها جماعة من المسلمين ، وجرت شدائد حتى قال عبد الله بن أبي وأصحابه : إلى متى تقتلون أنفسكم ، وتهلكون أموالكم؟ لو كان محمد نبياً لما سلط عليكم القتل والأسرفأنزل الله تعالى هذه الآية لتكون فيها سكينة للمسلمين وتسلية لهم بأن مثل هذه الحوادث قد تأتي في هذه الحياة الدنيا وتعترض الأقوام والشعوب، وما مسكم قرح وقتل في هذا القتال فقد مس القوم أي الكفار قرح مثله فكما قتل سبعون منكم وجرح البعض كذلك قتل سبعون منهم وجرح البعض في بدر قبل سنة وقد أصاب هؤلاء الجرح في بداية هذه الغزوة كما يدل عليه قوله تعالى {ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم باذنه} وقد أسر من الكفار سبعون رجلاً بذلة ولم يقدر لكم هذه الذلة أي ذلة الأسر، على كل حال لو قارنتم حالكم بحالهم لن تأسفوا ولن تحزنوا كمالا يسوغ لهم (أي للكفار) الفخر والكبرهنا لأنه لم يتم لهم الفتح الكامل ولم يصب المسلمون في هذه الغزوة كما أصيب الكفار في بدر من قتل وجرح وأسر بذلة ، وإن من عادة الله تعالى أنه يداول الأيام والأحوال بين الناس من فرح وسرور وحزن وهموم لما فيها حكم وأسرار ومنها تمييز المؤمن من المنافق {وليعلم الذين آمنوا} أما قوله تعالى{والله لا يحب الظالمين} إن كان المراد من الظالمين هنا مقاتلي الكفار في هذه الغزوة فالمعنى أن فتحهم الظاهري وغلبتهم البادئة لا يستدل منها على أن الله أحبهم لذلك فتح عليهم بل إن لفتحهم الظاهري أسباباً أخرى ، وإن كان المراد بالظالمين المنافقون الذين انخذلوا من جيش المسلمين قبل القتال فالمعنى أن الله تعالى خذلهم وأبعدهم من مكان الإيمان والشهادة . (تفسير عثماني)

3- وقال الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :

إن يصبكم الخسارة في هذه الغزوة فقد الهزم المشركون في بدر الهزاماً فادحاً و الفتح والهزيمة يتداولان حينا بعد حين ، يحصل الفتح لقوم لأسباب وينهزم آخر لأسباب أخرى نعم يتميز في الهزيمة الطيب من الخبيث والمؤمن المجاهد من المنافق الكسول ، ولا يخفى على مؤمن أن الله تعالى قد يكرم بعض عباده بالشهادة ، وقد يريد الله سبحانه وتعالى بالهزيمة أن يوقظ الأمة الإسلامية من غفلتها العميقة ليحصل لها النشاط والقوة في تنفيذ ما أمرها الله بها واجتناب عن ما نهى الله عنه طاعة لله ولرسوله ﷺ في ضوء الشريعة الإسلامية. (حاشية اللاهوري رحمه الله تعالى)

كلام نفيس:

إن الفتح والهزيمة هما يتناوبان ، وقد يكرم الله تعالى بعض عباده بالشهادة وقد يميز الله الطيب من الخبيث بالهزيمة وقد يريد الله تعالى بها إيقاظ الأمة واصلاح حالها فلذلك أيهاالمسلمون قد أصابكم هذه الهزيمة البسيطة والله لا يحب الظالمين ولم يرض عنهم بحال من الأحوال. (موضح القرآن)

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

والله لا يحب من لا يكون ثابتاً على الإيمان صابراً على الجهاد . (تفسير الرازي)

فائدة:

قد بسط الكلام الإمام فخر الرازي والقرطبي في تفسير هذه الآية وذكر فضائل الشهداء ومايتعلق بهم من المسائل فمن أراد التفصيل فعليه بهما .

نكتة :

إن الله أراد أن يكرم بعضكم بالشهادة لأنه كما تحتاج الزراعة إلى الماء وضوء الشمس كذلك الأقوام والملل تمسهم الحاجة إلى الشهداء الذين يضحون بأنفسهم لرفع مستوى القوم والملة وإزالة عنها الوهن والذلة وإبلاغها إلى الاستقلال والحرية ، وزراعة القوم والملة لا تسقى إلا بالقلوب الصافية والأدمغة الذاكية وبالدم المهراق الطاهرة ، ولا تأتي الحرية إلا بالتضحية وبذل النفس والنفيس ، ولن يعلو قوم ولن تحصل له الحياة التامة الهنيئة الآمنة إلا بالتضحية ، فإذا قام رؤساء القوم وضحوا بأنفسهم تظهر آثار الحياة الهنيئة الآمنة في الملة والقوم فلا تضعف أمام العدو كائناً من كان . (تفسير الفرقان)

سورة آل عمران مدنية : الآية {141}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾

الملخص:

أراد الله تعالي أن يطهر أهل الإيمان من الذنوب (ويرفع درجات لمن لا ذنوب له) و هذا من حكمة هزيمة المسلمين في غزوة أحد ، ومنها: محق الكافرين وإستئصالهم (وذلك من أمرين أولاً: يجترئ الكفار بما حصل لهم الغلبة في هذه الغزوة ويأتون للمقاومة مرة أخرى التي تسبب الهلاك لهم.

ثانياً: يجلب ظلمهم على المسلمين غضب الله ونقمته على هؤلاء الكفار . (مستفاد من بيان القرآن)

أقوال المفسرين :

1- وليمحص الله الذين آمنوا . أي يكفر عنهم ذنوبهم إن كانت لهم ذنوب وإلا رفع لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به . (ابن كثير)

2- ويمحق الكافرين . فإنهم إذا ظفروا بغوا وبطروا فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحقهم وفنائهم . (ابن كثير)

3- إن في الانهزا م يوم أحد لحكماً وعبراً أشار إلى بعضها الرب تعالى في هذه الآية : فمنها : تمحيص المؤمنين واختبارهم ، ومنها إكرام الله تعالى بعض عباده بالشهادة كما سبق في الآية السابقة (ويتخذ منكم شهداء) ومنها: تطهير المسلمين من الخطايا والذنوب، ومنها : محق الكافرين ، وكلما سالت دم الصالحين في سبيل الحق لظهرت آثار الخير وانتقم الله من الأشرار ، فمن كتب لهم الهداية منهم هداهم إلى الإسلام ومن كتب له الهلاك أهلكه واستأصله فلا يبقى له أثر. (تفسير حقاني)

نكتة:

إن ما أصابكم القتل والجرح يوم أحد فذلك للعبرة فحافظوا على أعمالكم ولا تهنوا ولا تنهزموا نفسياً فتفشلوا ،وهذا ميدان القتال يفتح فريق حيناً وينهزم في حين آخر وتلك الأيام والأحوال تتداول بين الناس ففي بدر أصابهم القرح مثل ما أصابكم القرح في أحد ، والأصل الأصيل في الفتح والانهزام الذي يتفكر فيه هو قوة الإيمان ، فلو كان الإيمان على قمة عالية من المستوى فاعلموا أن الدنيا وما فيها من الرفعة والعزة هي لكم إضافة إليها ما تجدون عند الله من رضاه وما أعد لكم من جنات تجري من تحتها الأنهار {ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم}،

وأما ماأصابكم من الهزيمة في هذه الغزوة ففيها حكم ودروس : منها : تمييز الطيب من الخبيث والمؤمن الصادق من المنافق الكاذب ، ومنها : مااستفدتم فيها من تجارب الحرب والقتال فتنتفعون بها في المستقبل ، ومنها أنه كان ببعض الصحابة من الضعف فقد أزاله عنهم هذا الإنهزام وقوي إيمانهم وتقوت عزيمتهم وزادت نفوسهم طهارةً وزكاة.(ترجمان القرآن)

سورة آل عمران مدنية : الآية {142}

بسم الله الرحمن الرحيم

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾

الملخص:

أتحسبون أنكم ستبلغون إلى الجنة ونعيمها بدون شيء ؟ وبدون أن تجاهدوا في سبيله ؟ وبدون أن يمتحنكم الله فيعلم المجاهد و الصابر منكم ويعلم غيرهما ؟ فلا تظنن هذا الظن لأنه لا يبلغ العلى إلى من جهد واجتهد ، و صدق قول قائل : من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب . (مستفاد من التفسير العثماني)

أقوال المفسرين :

1- والمعنى أحسبتم يا من انهزم يوم أحد أن تدخوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وصبروا على ألم الجراح والقتل من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم لا. (تفسير القرطبي)

2- أي لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله والصابرين على مقاومة الأعداء . (ابن كثير)

3- وهل تحسبون أن تدخلوا الجنة و إلى الآن لم يظهرالله الذين جاهدوا وصبروا منكم والمراد بأن تدخلوا الجنة يعنى في أول طليعة وتبلغوا إلى الدرجات العلى وذلك لا يتأتي بدون مشقة وجهد كبيركما يبدو من النصوص الأخرى ، إلا أن يدخل بعض المؤمنين بدونه بفضلٍ من الله ورحمته الخاصة كما قال تعالى {يغفر لمن يشاء}. أماكلمة جاهدوا هنا يدل على قدر كبير من الجهاد إذ القدر القليل من الجهاد قد وقع ، ووجد الصبر في الغزوة إلى حد ولكن المطلوب منهما قدر كبير الذي يؤديكم أيها المسلمون إلى الدرجات العلى من الجنة فلذا جاهدوا واصبروا حقهما في المستقبل لتحصلوا فوائدهما وثمراتهما . (بيان القرآن)

دليل فرضية الجهاد :

لاتحسبوا بأن تدخلوا الجنة بدون الجهاد والصبر وهذا القول الرباني دليل فرضية الجهاد والصبر فقال العلامة أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى :

وفي إنكار الله تعالى على من ظن أن دخول الجنة مع انتفاء الجهاد والصبر عند لقاء العدو دليل على فرضية الجهاد إذ ذاك والثبات للعدو وقد ذكر في الحديث أن التولي عند الزحف من السبع الموبقات .

فائدة:

إن العلامه ابن كثير رحمه الله تعالى جمع الآيات المماثلة لهذه الآية في هذا الموضع فمن أراد التفصيل فليراجع إليه .

كلام نفيس للإمام الرازي رحمه الله تعالى

إن للإمام الرازي كلاماً نفيساً في تفسير هذه الآية نذكره فيما يلي:

واعلم أن حاصل الكلام أن حب الدنيا لا يجتمع مع سعادة الآخرة ، فبقدر ما يزداد أحدهما ينتقص الآخر ، وذلك لأن سعادة الدنيا لا تحصل إلا باشتغال القلب بطلب الدنيا ، والسعادة في الآخرة لا تحصل إلا بفراغ القلب من كل ما سوى الله وامتلائه من

حب الله ، وهذان الأمران مما لا يجتمعان ، فلهذا السر وقع الاستبعاد الشديد في هذه الآية من اجتماعهمـــا ، وأيضـــاً حـــب الله وحب الآخرة لا يتم بالدعوى ، فليس كل من أقر بدين الله كان صادقا ، ولكن الفصل فيه تسليط المكروهات والمحبوبات ، فـــان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء ، فإن بقي الحب عند تسليط أسباب البلاء ظهر أن ذلك الحب كان حقيقيـــاً ، فلهذه الحكمة قال : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة } بمجرد تصديقكم الرسول قبل أن يبتليكم الله بالجهاد وتشديد المحنـــة ، والله أعلم .

إن كلام الرازي مليئ بالحكمة والموعظة فلنفكر فيه ولنحب الله حباً صادقاً لا يتزلزل عند البليات والمكروهات .

دعاء :

اللهم ارزقنا حبك ووفاءً بعهدك وارزقنا الجهاد المقبول والصبر عنده وأدخلنا الجنة بفضل منك ورحمتك مع أول من أدخلته فيه . آمين يا أرحم الراحمين .

سورة آل عمران مدنية : الآية {143}

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾

الملخص:

وقدكنتم تمنون الموت شهداء من قبل أن تلقوه ولما حان وقته وتنظرون إليه بأعينكم فلمَ تهربون منه؟

سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية أنه لما استشهد بعض الصحابة في بدر وسمع الصحابة ما لهم من الفضائل تمنى بعضهم أن لو تيسر لهم موقع مثل بدر ليتشرفوا به كما تشرف أهل بدر فلما وقعت غزوة أحد تزلزلت أقدامهم فنزلت هذه الآية.

تمني الشهادة جائز :

قال الآلوسي رحمه الله تعالى :

فالمراد بالموت هنا الموت في سبيل الله تعالى وهي الشهادة ولا بأس بتمنيها . (تفسير الآلوسي)

فائدة:

إن ما نزلت من الآيات يوم أحد فيها تنوع ، ففي بعضها وعظ ، وفي بعضها توجيه وارشاد وفي بعضها تشجيع وتحفيز وفي بعضها تنبيه ، وفي هذه الآية لون التنبية غالب.

كما إن هذا النوع راجح في التفاسير العربية . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة آل عمران مدنية : الآية {144}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

الملخص:

وإن محمداً رسول الله تعالى قد سبقت من قبله الرسل عليهم السلام فلومات أو قتل شهيداً فهل تنقلبون من الجهاد والإسلام على أعقابكم ؟ ومن فعل ذلك أي انقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً بل يضر نفسه نعم إن الله يجزي الشاكرين الصابرين ، ومعنى الآية أنه مهما وقعت حادثة عظيمة لا يسوغ لكم أن تتركوا الجهاد والإسلام بحال من الأحوال.

أقوال المفسرين :

1- اعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبداً وإنه يجب التمسك بما أتت به الرسل .(تفسير القرطبي)

2- هذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين أي لم يكن لهم الانهزام وإن قتل محمد صلى الله عليه وسلم . (تفسير القرطبي)

كلام نفيس

إن يوم أحد قد تزلزل بعض من كان قوي الإيمان (فانهزم) وذلك لماأشيع الخبر في الكافرين أن محمداً (ﷺ) قد قتل حتى قال بعضهم أني قتلت محمداً (ﷺ)وقد سال منه الدم الكثير حتى وقع في حفرة ، هذا ولم ير الصحابة النبي ﷺ فأيقنوا بالخبر فلما وجدوه تجمعوا و نشطوا في القتال وولى الكفار مدبرين فنبه الله تعالى في هذه اللحظة أنكم أيها المسلمون لا تزلزلوا بل استقيموا على الدين مهما كانت الظروف والأحوال إن نبينا محمدا (ﷺ)قتل أو لم يقتل مايهمكم شأنه (ﷺ).

كما أن في هذه الآية إشارة إلى أن بعد وفاة النبي ﷺ سيرتد بعض الناس عن هذا الدين الحنيف ، ومن استقام عليه فله أجر عظيم وثواب جزيل وحدث ما كان الأمر متوقعاً فقد ارتد الناس حتى قاتلهم الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ . (تفسيرموضح القرآن)

سبب نزول الآية وما كانت الأحوال عند نزولها

إن المفسرين ذكروا الأحوال التي نزلت فيها هذه الآية نذكرخلاصتها هنا فيما يلي:

إن النبي ﷺ قاد العسكر بنفسه وعين الصفوف ورتبه ترتيباً يناسب القتال استراتيجياً وبقي مكاناً فارغاً خاف أن يدخل العدو منه من خلف العسكر فأقام على ذلك المكان وهو جبل عينين خمسين رجلاً من أصحابه بقيادة عبد الله بن جبيررضي الله تعالى عنه وقال له : أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا، فإن كانت لنا أو علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم فإنّا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم.

قال أصحاب المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشّعب من أُحد في سبعمائة رجل، وجعل عبد الله بن جُبير وهو أخو خَوات بن جبير على الرّجالة وكانوا خمسين رجلا ، وبدأ القتال فقاتلوا حتى حميت الحرب فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا فقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن، فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشة الأنصاري فلما

أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها لَمشيةٌ يبغضها الله تعالى إلا في هـذا الموضـع" ففلق به هام المشركين ، وقاتل علي وغيره من الصحابة رضي الله عنهم بالشجاعة والبسالة ، وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين فهزموهم وولوا مدبرين منهزمين،وكانت معهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الأشعار فجعلن يهربن كما قال البراء بن عازب : فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خَلاخِلهنَّ وأسوقهن رافعاتٍ ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة والله لنأتينّ الناس فلَنُصيبنّ من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم.

وقال الزبير بن العوام: فرأيت هندًا وصواحباها هاربات مصعدات في الجبل، باديات خدامهنّ ما دون أخذهن شيء فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحابهم ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب ،فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله من المشركين، ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم، وهم كانوا احد عشر رجلاً مع عبد الله بن جبير رضي الله تعالى عنه وعدد خيل خالد بن الوليد حوالي مائتان وخمسون مقاتلاً فقاتلهم عبد الله ومن معه قتالاً شديداً ودافعوهم عن المسلمين حتى استشهدوا كلهم وحمل خالد وخيله على المسلمين من عقب الجبل فاضطرب حال المسلمين وأحيطوا من الجهات كلها فانهزموا وقتلوا كثير منهم وتزلزلت أقدام بعضهم فانسلوا وتحيز بعضهم لقتال ورمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورَباعيته وشجه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة يعلوها، وكان قد ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحه فنهض حتى استوى عليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أوجَبَ طلحةُ" وأقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم فذبَّ مُصعب بن عمير –وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم –عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة، وهو يرى أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع إلى المشركين وقال: إني قتلت محمدًا وصاح صارخٌ ألا إنّ محمدًا قد قتل، ويقال: إن ذلك الصارخ كان إبليس، فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس: "إلي عباد الله { إليَّ عبادَ الله } فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فَحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقتْ سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته، وقال له: إرم فداك أبي وأمي، وكان أبو طلحة رجلا راميًا شديدا النزع كسر يومئذٍ قوسين أو ثلاثا، وكان الرجل يمر بجعبة من النبل فيقول: انثرها لأبي طلحة، وكان إذا رمى أشرف النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست حين وقَى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حين وقعت على وجنته، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها، فعادت كأحسن ما كانت. قالوا: وفشا في الناس أن محمدًا قد قُتل فقال بعض المسلمين: ليتَ لنا رسولا إلى عبد الله بن أُبي فيأخذ لنا أمانًا من أبي سفيان، وبعض الصحابة جلسوا وألقوا بأيديهم، وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمدا قد قتل فالحقوا بدينكم الأول، فقال أنس بن النضر عمُّ أنس بن مالك: يا قوم إن كان قتل محمد فإن ربَّ محمد لم يُقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومُوتُوا على ما مات عليه ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك، قال عرفتُ عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليّ أن اسكتْ فانحازت إليه طائفة من أصحابه، فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفِرار فقالوا: يا نبي الله فديناك بآبائنا وأُمهاتنا، أتانا الخبرُ بأنك قد قُتلت فرُعبت قلوبنا فولّينا مدبرين فأنزل الله تعالى هذه الآية) { وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ }قوله تعالى: { أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } رجعتم إلى دينكم الأول، { وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ } فيرتّد عن دينه، { فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا } بارتداده وإنّما يضرُّ نفسه، { وَسَيَجْزِي اللَّه الشَّاكِرِينَ } فنبه تبارك وتعالى

المسلمين أنهم لن يتزلزلوا ولا يتزحزحوا بل يستقيموا على الدين ويصبروا له ولا يهمهم شأن النبي ﷺ لأنه سينتقل إلى جـــوار رحمة ربه في يوم ما فهل يرتدون عن هذا الدين القيم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً بل يضر نفسه والله غني فلا يحتاج إليهم بل ينبغي لهم أن يشكروا على ما وفق لهم بخدمة دينه واختارهم لإقامة هذا الدين القويم المتين وذلك فضل الله يؤتيـــه مـــن يشاء . (تفسير عثماني)

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ. أي نعمه بالثبات . (تفسير الجلالين)

نكتة

إن قتل النبي ﷺ لا يجوز لكم أن تتركوا الجهاد قوى هذا القول عزائم أصحاب رسول الله ﷺ قويةً كالصخرة ، لأنه لا تحدث حادثة أعظم من وفاة النبي ﷺ على وجه الأرض فإن لم يجز ترك الجهاد عندئذ، فعند وقوع الحوادث الأخرى من باب أولى لا يجوز . والله تعالى أعلم .

سورة آل عمران مدنية : الآية {145}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

الملخص:

إن تحسبون أن الموت يأتي في الجهاد فهذا باطل لأن للموت وقتاً وأجلاً مسمى ومن أراد الدنيا(أي الغنيمة) في الجهاد يؤته الله تعالى ومن يرد الآخرة وثوابها يؤته منها وقد أعد له ما تقر عينه في الآخرة. (تفسير حقاني)

أقوال المفسرين :

1- إن للموت كتاباً مؤجلاً لا يعلمه إلا الله جل في علاه فلمَ تخافون القتال والجهاد ولا يأتي الموت إلا بأمرالله ولا يأتي إلا على وقت موعود معين فلا يأتي قبله مهما كانت الظروف والأحوال المحاطة بالأخطار ، فلو استحضر المسلم هذه الأمور لزال عنه خوف الموت وحتى الخوف الطبيعي لا يتجاوز حد الاعتدال . (التفسير الماجدي)

2- وسنجزي الشاكرين: أي الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد .(التفسيرالبيضاوي وتفسيرماجدي)

3- (الموت) لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم ، والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة .(تفسير الجلالين).

4- إذ لا يموت أحد بغير إذن الله سواء أحاطه الأخطار وأسباب الموت ، ولكلٍ أجل مسمى فلا يأتي الموت إلا عند حلول وقته وأجله المكتوب مهما كان سببه أيا كان من المرض أو القتل وغيره ، فلا يفزع المسلم المتوكل على الله ولا ييأس بموت أحد صغيراً كان أو كبيراً فيجلس حزينا كئيباً متعطلاً من العمل . (تفسير عثماني)

كلام نفيس :

من أقام على هذا الدين وجد الدنيا والآخرة وذلك لمن عرف قدره . (تفسيرموضح القرآن)

نكتة :

إن في بداية الآية ترغيب للجهاد وللموت وقت معين وأجل مقدَّر فالفرار من الجهاد خوفاً من الموت يدل على قلة الفهم وضعف العقل والشعور ، وفيه خسارة للمسلمين ، وفي الجزء الثاني للآية ترغيب للإخلاص بأن الجهاد ليكنْ لوجه الله تعالى ولإعلاء كلمته وللحصول على الأجر عند الله تعالى وفي الجزء الأخير للآية ثناء على الصابرين وفضل للمجاهدين . والله تعالى أعلم بالصواب.

الترغيب في الجهاد :

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى :

أن يكون المراد(في الآية) تحريض المسلمين على الجهاد بإعلامهم أن الحذر لا يدفع القدر ، وأن أحداً لا يموت قبل الأجل وإذا جاء الأجل لا يندفع الموت بشيء ، فلا فائدة في الجبن والخوف .

(تفسير الرازي)

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى :

وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه .

ثم قال :

حدثنا العباس بن يزيد العبدي قال: سمعت أبا معاوية، عن الأعمش، عن حبيب بن صُهبان، قال: قال رجل من المسلمين –وهو حُجْرُ بن عَدِيّ–: ما يمنعكم أن تعبُروا إلى هؤلاء العدو، هذه النطفة؟ –يعني دِجْلَة–{ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلا } ثم أقحم فرسه دجلة فلما أقحم أقحم الناس فلما رآهم العدوّ قالوا: ديوان، فهربوا.

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

هذا حض على الجهاد وإعلام أن الموت لا بد منه وإن كل إنسان مقتول أو غير مقتول ميت إذا بلغ أجله المكتوب له. (تفسير القرطبي)

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى : قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله } استئناف سيق للحض على الجهاد واللوم على تركه خشية القتل مع قطع عذر المنهزمين خشية ذلك بالكلية . ويجوز أن يكون تسلية عما لحق الناس بموت النبي صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى أنه عليه السلام كغيره لا يموت إلا بإذن الله تعالى فلا عذر لأحد بترك دينه بعد موته . (روح المعاني)

دعاء :

اللهم اجعل عقيدتنا في الموت وفق هذه الآية واجعل قلوبنا فارغة من الثبط وضعف العزيمة آمين يا أكرم الأكرمين.

سورة آل عمران مدنية : الآية {146}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾

الملخص:

وقد سبقكم من الناس الربيون الذين قاتلوا مع أنبياءهم وتحملوا المشاق والمكاره فلم يهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ولم يميلوا إلى الأعداء بل صبروا وثبتوا والله يحب الصابرين الثابتين ، فليكن المسلمون وهم من خير الأمم أن يصبروا على المكاره في الجهاد وغيره ولم يتثبطوا فيه أبداً .

أقوال المفسرين :

1- إنه مر فيما مضى من الأمم السابقة ربيون وهم أولياء الله تعالى فقاتلوا أعداء الله ومخالفي الحق كأصحاب موسى وأصحاب يوشع بن نون وغيرهما وما أصابهم من المشقة وا لمكاره نحو الجرح والقتل والجوع والعطش وصعوبة السفر إلى غير ذلك فتحملوها وصبروا عليها ولم تثبط هذه الأمور عزائمهم وما وهنوا وما ا ستكانوا عند الشدائد ولم يمتنعوا عن الجهاد والقتال ولم يضعفم قوة الأعداء فالله يحب الصابرين مثلهم . (تفسير حقاني)

2- إن المؤمن الصادق هو الذي لا يهن عند الشدائد ولا يضعف عند المكروهات ولايستكان أمام الأعداء ،ومعنى الوهن : ضعف ، واستكانة للخصم أي العجز عند العدو . (ترجمان القرآن).

3- إن الله تعالى بين أن الجهاد سنة متبعة من القديم فقد قام بها الأنبياء السابقون ، والربيون جمع ربي أي مرادف للرباني والمراد منه أولياء الله والعلماء والفقهاء وفي الكشفاف للزمخشري : ربيون أي ربانيون . وفي روح المعاني للآلوسي : أخرج سعيد بن المنصور عن الحسن أنهم العلماء الفقهاء ، وأخرجه ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أيضاً فهو منسوب إلى الرب . (روح المعاني للآلوسي) وقيل معنى الربيون: أي ألوف .وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم وعكرمة والحسن وقتادة والسدي والربيع عطاء الخراساني رحمهم الله تعالى : الربيون : الجموع الكثيرة . (ابن كثير) وقال الشيخ عبد الماجد الدريابادي رحمه الله تعالى في تفسيره تفسر ماجدي: إن الإمام الرازي بيّن الفرق بين هذه الألفاظ الثلاث المترادف المعنى : وهن ، وضعف واستكانة . فقال رحمه الله تعالى : ان الوهن ضعف يلحق القلب . والضعف المطلق هو اختلال القوة والقدرة بالجسم ،والاستكانة هي إظهار ذلك العجز وذلك الضعف،وقال رحمه الله تعالى : ويحتمل أيضا أن يفسر الوهن باستيلاء الخوف عليهم ، ويفسر الضعف بأن يضعف إيمانهم ، وتقع الشكوك والشبهات في قلوبهم ، والاستكانة هي الانتقال من دينهم إلى دين عدوهم ، وفيه وجه ثالث وهو ان الوهن ضعف يلحق القلب . والضعف المطلق هو اختلال القوة والقدرة بالجسم. (راجع تفسير ماجدي وتفسير الرازي)

4- وقال القرطبي: الوهن : انكسار الجد بالخوف .وقوله تعالى : والله يحب الصابرين: يعني الصابرين على الجهاد . وقال العلامة أبو حيان رحمه الله في قوله تعالى { والله يحب الصابرين } أي على قتال عدوهم قاله : الجمهور . (البحر المحيط)

5- قال الشيخ شبير أحمد عثماني رحمه الله تعالى : إن في الآية تنبيهاً وتعريضاً للذين وهنوا وضعفوا يوم أحد حتى قال بعضهم أن يعتضد بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان ، فقيل لهم إن الأنبياء السابقين وأصحابهم ثبتوا واستقاموا عند الشدائد والمكروهات فعلى هذه الأمة وهي خير الأمم يجب أن تثبت وتصبر أكثر من غيرها .(تفسيرعثماني) وهذا يشابه ما قال الإمام الرازي في تفسيره : واعلم أنه تعالى من تمام تأديبه قال للمنهزمين يوم أحد : إن لكم بالأنبياء المتقدمين وأتباعهم أسوة حسنة ، فلما كانت طريقة أتباع الأنبياء المتقدمين الصبر على الجهاد وترك الفرار ، فكيف يليق بكم هذا الفرار والانهزام . (تفسير الرازي)

وللآية الكريمة معنيان:

إن الكبار من المفسرين ذكروا للآية معنين هما كالآتي:

1- أن كثيرا من الأنبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم ، بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم ، فكان ينبغي أن يكون حالكم يا أمة محمد هكذا فيأيها المسلمون لماذا تضعفون بإرجاف قتل النبي ﷺ وتهنون ؟.

2- وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى : لم يقتل نبي في حرب قط .فالمراد بقتل من كا ن مع الأنبياء من أصحابهم وكأين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون ولا استكانو لقتل من قتل من إخوانهم ، بل مضوا على جهاد عدوهم ، فقد كان ينبغي أن يكون حالكم كذلك أيها المسلمون .

نكتة :

إن الانهزام يخلف وراءه الوهن ، ويسبب ترك الجهاد ويحرم الناس من الشهادة فينغمسون في ملذات الدنيا وهذا أي الوهن يؤدي المسلمين إلى الضعف والعجز فيستكينون ويخضعون أمام الأعداء ، لذلك نبه الله تعالى على هذه الثلاثة ليجتنب المسلمون عنها مع الاستغفار والتوبة إلى الله تعالى بدل أن يسب ويشتم أحده غيره ويخضع أمام الكافر ولوفعلوا ذلك أي لزموا الاستغفار وأنابوا إلى الله واستعانوا به لسلم من هذه الثلاثة (أي الضعف والوهن والاستكانة) . والله تعالى أعلم

والوصفة الكاملة ذكرت في سورة آل عمران رقم الآية(**147**)

{استكانوا}

والعلامة أبو حيان رحمة الله عليه ذكر أقوالاً عديدة في كلمة {استكانوا}.

1- قال ابن إسحاق : ما قعدوا عن الجهاد في دينهم.

2- وقال السدي : ما ذلوا .

3- وقال عطاء : ما تضرعوا .

4- وقال مقاتل : ما استسلموا .

5- وقال أبو العالية : ما جبنوا .

6- وقال المفضل : ما خشعوا .

7- وقال قتادة والربيع : ما ارتدوا عن نصرتهم دينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بربهم .

ثم قال رحمه الله تعالى : وكل هذه أقوال متقاربة .

فائدة :

استفاد مما سبق من التفسير أن :

1- الأنبياء عليهم السلام كانوا يقاتلون في سبيل الله .

2- حواري الأنبياء السابقين والصحابة رضي الله عنهم أجمعين والأولياء والصلحاء والعلماء والفقهاء كلهم كانوا يشتركون في الجهاد .

3- وقد كان يطرأ عليهم الحال من انهزام واضطراب ومكروه وابتلاء فلم يتزلزلوا وماضعفوا وما استكانوا . فلو تفكر اليوم في هذه الأمور المذكورة أعلاه لزالت الاعتراضات التي أثيرت حول الجهاد اليوم .والله تعالى أعلم .

سورة آل عمران مدنية : الآية {147}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧

الملخص:

الربيون الذين جاهدوا مع الأنبياء السابقين ثبتوا وصبروا عند الشدائد والمكروهات مع ذلك كانوا ينوبون إلى الله ويدعونه بهذا الدعاء الآتي ذكره :

1- ربنا اغفرلناذنوبنا .
2- واسرافنافي أمرنا . أي استغفروا عما وقع منهم الخطأ أو الاسراف .
3- وثبت أقدامنا .
4- وانصرنا مع القوم الكافرين .

نكتة :

أولاً تطهروا من الذنوب بالاستغفار ثم ربطوا علاقتهم بالرب عن طريق الدعاء للثبات ثم طلبوا النصر على الأعداء . والله تعالى أعلم .

ملاحظة: استفادت من الآية فوائد عديدة نذكرها فيما يلي:

فائدة أولى:

يعني عند الشدائد ووهجوم المكروهات لم يفزعوا ولم يتزلزلوا وما استكانوا بل أنابوا إلى الله وتوجهوا إليه طالبين الاستغفار عـــن الذنوب والتجاوز عن الاسراف والاستعانة بالثبات والنصر على الأعداء .

فعلموا أن للمعصية والذنوب دخلاً في إتيان المصائب والمكروهات ، ومن الذي يستطيع أن يدعي أنه معصوم عن الخطأ والذنب ، فعلى المسلم أن يتوب إلى الله في كل ما أهمه من صغير وكبير دون أن يلتفت إلى غيره من بني جنسه . (تفسير عثماني)

فائدة ثانية: نذكر ضمنها بعض الفوائد الأخرى .

1- عند حدوث الشدائد في الجهاد يفكر عامة الناس في وقاية حياتهم بينما أولياء الله يفكرون في إيمانهم ويلتجأؤون إلى ربهم بالدعاء والاستغفار .
2- عند الانهزام في الجهاد يبحث عامة الناس عما يكون لهم عماد في الدنيا بينما المجاهدون المخلصون يلتجـــأون إلى الله ويطلبون النصر منه .
3- عند الانهزام في الجهاد يطعن بعض الناس في بعض الآخرين ويتبادلون بالسب والتهمة بينما المجاهدون المخلصـــون ينظرون إلى أخطاء نفوسهم فيستغفرون عنها .

4- عند حدوث الانهزام في الجهاد يرى عامة الناس أنهم لن يغلبوا على الأعداء بينما المجاهدون المخلصـــون يعتمـــدون على نصر الله ويثقون في ذاته تبارك وتعالى ويرجون من الله النصر والغلبة على الأعداء فيدعونه . والله تعالى أعلـــم بالصواب .

دعاء:

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين . آمين يا رب العالمين .

سورة آل عمران مدنية : الآية {148}

بسم الله الرحمن الرحيم

فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

الملخص:

ببركة دعاءهم واستقامتهم وثباهم عند الشدائد جزاهم الله تعالى في الدنيا حسناً وآتاهم حسن ثواب الآخرة وهي الجنة والله يحب المحسنين أمثالهم .

فائدة:

فالله تعالى أكرمهم بالنصر والفتح والتمكين في الأرض مع ما أعد لهم في الآخرة من حسن الثواب ومقعد صدق عند مليك مقتدر ، فمن أصلح حاله مع الله تعالى وأحسن عمله إن الله يحب أمثالهم .(تفسير عثماني)

<u>ثواب الدنيا</u> **يعني النصر والظفر على عدوهم . (تفسير القرطبي)**

فائدة:

إن في الآية بعد ذكر سعي لهؤلاء الربيين وذكر ثمرة جهودهم ترغيباً من الله سبحانه وتعالى في الجهاد بأنه كيف آتاهم في الدنيا حسن الثواب بترع الحكم من أعدائهم وإعطائهم إياه فبعهد نبي الله يوشع بن نون عليه السلام مكّن الله تعالى لبني إسرائيل الحكم في الشام وسيكون لهم في الآخرة حسن الثواب ، وفي الحقيقة لهم في الآخرة ما لايتصوره العقل ولا يخطر ببال أحد من البشر.(تفسير عثماني)

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ :

إن المفسر أبا حيان رحمه الله تعالى ذكر معنيين ل المحسنين:

1- **وهو من أحسن ما بينه وبين ربه في لزوم طاعته .**
2- **أو من ثبت في القتال مع نبيه حتى يقتل أو يغلب . (البحر المحيط)**

نكتة فريدة :

إن مع الدنيا ذكر الثواب(أي ثمرة العمل وجزاءه) فقط بينما عند ذكر ثواب الآخرة زيد كلمة ''حسن'' فيستفيد من ذلك أن للدنيا ليس لها حسن في الحقيقة وإنما هي ظاهرة فانية لا بقاء لها . والحسن الحقيقي والجزاء الأصلي محله الآخرة. (تفسير ماجدي)

نكتة لطيفة :

قال الإمام فخر الرازي رحمه الله تعالى :{والله يُحِبُّ المحسنين } وفيه لطيفة دقيقة وهي أن هؤلاء اعترفوا بكونهم مسيئين حيث قالوا:{ رَبَّنَا اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا } فلما اعترفوا بذلك سماهم الله محسنين ، كأن الله تعالى يقول لهم : إذا اعترفت باساءتك وعجزك فأنا أصفك وأجعلك حبيبا لنفسي ، حتى تعلم أنه لا سبيل للعبد الى الوصول الى حضرة الله الا باظهار الذلة والمسكنة والعجز . (تفسير الرازي)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {150/149}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾
بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

الملخص:

عند حدوث الانهزام المؤقت قد ينتهز العدو (من الكفرين والمنافقين) هذه الفرصة بإغواءكم عن الحق فلا تطيعوهم وإلا تخسرون خسارة فادحة وليس لكم أية حاجة إلى مساعدة هؤلاء فالله يكفيكم وهو مولاكم وناصركم وهو خير الناصرين.

مناسبة الآية مما قبلها:

ذكر حال الربيين فيما مضى لتطئمن القلوب وتتعظ النفوس عند الانهزام ، والآن ترشد الأمة بأن لا تطيع الكافرين والمنافقين بل تسير مسيرة الربيين الربانيين لأن في مثل هذه المواقع يحاول المنافقون والكفار أن يصدوا المسلمين عن دينهم وجهادهم ضدهم . والله تعالى أعلم.

أقوال المفسرين:

(1)

واعلم أن هذه الآية من تمام الكلام الأول ، وذلك لأن الكفار لما أرجفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل ، ودعا المنافقون بعض ضعفة المسلمين الى الكفر ، منع الله المسلمين بهذه الآية عن الالتفات الى كلام أولئك المنافقين . فقال : { ياأيها الذين ءامَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الذين كَفَرُواْ } الآية.

ذكر الإمام فخر الرازي أربعة أقوال حول هذه الآية :

1- { إِن تُطِيعُواْ الذين كَفَرُواْ } المراد أبو سفيان ، فإنه كان كبير القوم في ذلك اليوم، وعند الانهزام قال بعضهم أن يعتضد بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان ، فنزلت الآية .

2- المراد عبدالله بن أبي وأتباعه من المنافقين ، وهم الذين ألقوا الشبهات في قلوب الضعفة وقالوا لو كان محمد رسول الله ما وقعت له هذه الواقعة ، وإنما هو رجل كسائر الناس ، يوما له ويوما عليه ، فارجعوا الى دينكم الذي كنتم فيه .

3- المراد اليهود لأنه كان بالمدينة قوم من اليهود ، وكانوا يلقون الشبهة في قلوب المسلمين ، ولا سيما عند وقوع هذه الواقعة .

4- ثم قال الإمام الرازي: والأقرب أنه يتناول كل الكفار ، لأن اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع من عموم اللفظ .

بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ

والمعنى أنكم إنما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا جهل ، لأنهم عاجزون متحيرون ، والعاقل يطلب النصرة من الله تعالى ، لأنه هو الذي ينصركم على العدو ويدفع عنكم كيده . (تفسير الرازي)

وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ :

وإنما كان تعالى خير الناصرين لوجوه :

1- أنه تعالى هو القادر على نصرتك في كل ما تريد .

2- والعالم الذي لا يخفى عليه دعاؤك وتضرعك .

3- والكريم الذي لا يبخل في جوده .

4- أنه ينصرك في الدنيا والآخرة ، وغيره ليس كذلك. (تفسير الرازي)

أقوال المفسرين :

(1) كلام نفيس:

لما انهزم المسلمون يوم أحد وتكالبت عليهم الشدائد وانكسرت قلوبهم وضعفت نفوسهم جعل المنافقون والكافرون ينتهزون هذه الفرصة بإغواء المسلمين وتضليلهم بطريقة نصحية لئلا يجترئ المسلمون على القتال فيما بعد فنبههم الله تعالى على أن لا يطيعوا هؤلاء . (موضح القرآن)

فعلم بذلك أن المنافقين والكافرين يترصدون بمثل هذه الفرص ليرجفوا بينهم ويفسدوا الأذهان ضد الإسلام والجهاد ، فنزلت الآية الكريمة لتوجيه المسلمين بأن لا يسمعوا لهؤلاء ولا يطيعوهم بل يتعظوا بما قد سبق حال الربيين الربانيين من الشجاعة والبسالة والثبات والصبر وليتوجهوا إلى ربهم بالاستغفار والدعاء وطلب الثبات لترتفع عنهم آثار الهزيمة وتعلو هممهم والله خير الناصرين .والله تعالى أعلم .

(2) إن هؤلاء الكفرة ليسوا أصدقائكم بل الله هو مولاكم وهو خير الناصرين فاكتفوا بولايته وتوكلوا عليه ولا تطيعوا العدو مهما يظهر لكم النصيحة معصية بأمر الله تعالى . (بيان القرآن)

(3) إن أعداء الحق يريدون إغوائكم عند حدوث هذا الانهزام بأن تعرضوا عن الحق ويرهبونكم بكثرة العدو ،لكنكم لوصبرتم واستقمتم وتوكلتم على الله دون غيره لترتجف قلوب هؤلاء من رعبكم عاجلاً غير آجل. (ترجمان القرآن)

(4) إن الله مولاكم وهو خير الناصرين فامتثلوا بأمره وتوكلوا عليه ، ومن هو وكيله فلا يحتاج إلى مساعدة الأعداء والاستكانة لديهم ، وقد ورد في الحديث أن أبا سفيان قال يوم أحد اعل هبل أعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبونه؟ قالوا: يا رسول الله بماذا نجيبه؟ قال: قولوا الله أعلى وأجل. قال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبوه؟ قالوا: وبماذا نجيبه يا رسول الله؟ قال: قولوا الله مولانا ولا مولى لكم. (تفسير عثماني)

سورة آل عمران مدنية : الآية {151}

بسم الله الرحمن الرحيم

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

الملخص:

إن الله تعالى هو مولى المسلمين وخير الناصرين لهم فألقى بفضله رعب المسلمين في قلوب الذين كفروا (وهذا النصر لا يقدرعليه أحد سواه) وذلك بما يشركون بالله أشياء لم يترل بها سلطاناً ، وإن الشرك لظلم عظيم فيكون مصير المشركين النار وهي بئس مثوى الظالمين .(وعلم بذلك أن بالتوحيد يتقوى الإنسان وبالشرك يضعف وينهار).

مناسبة الآية مما قبلها :

ذكر الإمام فخر الرازي ربط هذه الآية بما قبلها فقال رحمه الله :

1- اعلم أن هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره ، فإنه تعالى ذكر وجوها كثيرة في الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار ، ومن جملتها ما ذكر في هذه الآية أنه تعالى يلقي الخوف في قلوب الكفار ، ولا شك أن ذلك مما يوجب استيلاء المسلمين عليهم .

2- وقال صاحب تفسير بيان القرآن : في الآية السابق ذكرها قال سبحانه وتعالى إنه مولى المسلمين وناصرهم فأثبت جل في علاه هذا الشيء في هذه الآية الكريمة . (بيان القرآن)

أقوال المفسرين:

2- إن المفسر العلامة الألوسي رحمه الله تعالى ذكر في نزول هذه الآية سببين:

الأول:فقد أخرج ابن جرير عن السدي قال : «لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلق أبوسفيان حتى بلغ بعض الطريق ثم إنهم ندموا فقالوا : بئس ما صنعتم إنكم قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوا فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب فانهزموا فلقوا اعرابياً فجعلوا له جُعْلاً فقالوا له إن لقيت محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخبرهم بما قد جمعنا لهم فأخبر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد فأنزل الله تعالى في ذلك هذه الآية يذكر فيها أمر أبي سفيان وأصحابه .

الثاني:وقيل : إن الآية نزلت في يوم الأحزاب . (روح المعاني للآلوسي)

2-وقد أورد الرازي هنا قولي المفسرين في هذه الآية الكريمة أن الوعد المذكور فيها هل كان مختصاً بيوم أحد أم كان عاماً ؟ وها هو ماقال رحمه الله في هذا الباب : اختلفوا في أن هذا الوعد هل هو مختص بيوم أحد ، أو هو عام في جميع الأوقات؟ قال كثير من المفسرين : إنه مختص بهذا اليوم ، وذلك لأن جميع الآيات المتقدمة إنما وردت في هذه الواقعة ، ثم القائلون بهذا القول ذكروا في كيفية إلقاء الرعب في قلوب المشركين في هذا اليوم وجهين : الأول : أن الكفار لما استولوا على المسلمين وهزموهم أوقع الله الرعب في قلوبهم ، فتركوهم وفروا منهم من غير سبب ، حتى روي أن أبا سفيان صعد الجبل ، وقال : أين ابن أبي كبشة ، وأين ابن أبي قحافة ، وأين ابن الخطاب ، فأجابه عمر ، ودارت بينهما كلمات ، وما تجاسر أبو سفيان على الترول من الجبل والذهاب إليهم ، والثاني : أن الكفار لما ذهبوا إلى مكة ، فلما كانوا في بعض

الطريق قالوا : ما صنعنا شيئاً ، قتلنا الأكثرين منهم ، ثم تركناهم ونحن قاهرون ، ارجعوا حتى نستأصلهم بالكلية ، فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم .

والقول الثاني : أن هذا الوعد غير مختص بيوم أحد ، بل هو عام . قال القفال رحمه الله : كأنه قيل إنه وإن وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد إلا أن الله تعالى سيلقي الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر الكفار ، ويظهر دينكم على سائر الأديان . وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الإسلام قاهراً لجميع الأديان والملل ، ونظير هذه الآية قوله عليه السلام « نصرت بالرعب مسيرة شهر » . (تفسير الرازي)

وذهب إلى هذا القول الثاني المحققون من أهل التفسير بالأردية فقالوا أن هذا الوعد عام وقد حدث ظهوره بعد غزوة أحد مباشرة بأن الكفار لم يرجعوا وقد ظهر هذا الوعد فيما بعد على عبر التاريخ وإليك بعض نصوص التفاسير :

- قال جل في علاه في الآية الكريمة : إننا نلقي الرعب في قلوب الكفار وذلك من أجل الشرك ، ولا ينفعهم شوكتهم وقوتهم فقد وقع رعب الصحابة رضي الله عنهم في جنود قيصر وكسرى مع كون الصحابة حفاة لم يستووهم عدة ولا عتاداً . (تفسير حقاني)
- ولن ينس التاريخ ما قد حدث رعب المسلمين في قلوب الكفار يوم أحد بحيث لما فتح الكفار وانهزم المسلمون بادئ النظر فكان المفروض أن يهاجم الكفار على المدينة و كانت المسافة ليست بعيدة ولكنهم لم يجترؤا على ذلك بل انقلبوا على أعقابهم خائبين بينما المسلمون المنهزمون نشطوا وتعاقبوا الكفار تحت لواء القائد العظيم عديم النظير سيد المرسلين ﷺ حتى بلغوا إلى حمراء الأسد على بعد ثماينة أميال من المدينة وعسكروا بها ثلاثة أيام وأسروا رجلاً من المشركين . (تفسير ماجدي)
- المشرك مهما تكثر قوته وشوكته لايزال ضعيف النفس وذلك لأنه يعبد مخلوقاً ضعيفاً مثله فصار العابد مثل المعبود في الضعف والعجز وصدق جل جلاله في محكم التنزيل : {ضعف الطالب والمطلوب : سورة الحج الآية/73} ، والأصل الأصيل في القوة هي قوة الله سبحانه وتعالى التي يستحق أن يتعمد عليهاوتأييده جل في علاه وقد حرم منها الكافرون والمشركون، وقد ألقى الرب تعالى رعب المسلمين في قلوبهم إلى متى كان المسلمون منقادين لله ولرسوله ﷺ في كل صغير وكبير فيفزع الكفار منهم ، وإننا نشاهد اليوم أن العدو يخاف المسلمين مع تشتت شملهم وتفرق جمهم ودائماً يفكر العدو في شأن المسلمين ويخاف وعيه واستيقاظه من الغفلة كما يخاف الرائي الأسد النائم ، ويلاحظ هذا الرعب في محادثات جدلية والحوارات بين المذاهب ، وصدق المصطفى ﷺ (نصرت على عدوي بالرعب يرعب مني مسيرة شهر) وقد وصل إلى أمته ﷺ منه حظاً بقدر ما. فلله الحمد على ذلك وله المنة . (تفسير عثماني)

نكتة :

وإن المسلمين اليوم الذين لا يخضعون أمام الكفار ويرون الله مولاهم فيتوكلون عليه قد غشي رعبهم قلوب الكفار فيخافون المسلمين الذين ليس عندهم عدة ولا عتاد مع ما كان عند الكفار من القوة والوسائل الحربية.

كلام نفيس:

إن مثال الكفار كالسارق فإنه ضعيف النفس يسرق خفية فيخاف من كل حركة يسمعها كذلك الكفرة تكون ضعاف النفس لأنهم حرموا من الإيمان بالله والتوكل عليه فيخافون من كل دقة وجلة والكفر والشرك سببا الضعف والانهيار والخوف في قلوب اصحابهما لذا ينبغي للمسلمين أن يتنبهوا لهذا السبب فلا يهنوا أمامهم بل يقفوا أمامهم موقف الثبات والصبر.

(تفسير موضح القرآن)

فائدة:

إن النبي ﷺأعطي الرعب مسيرة شهر وذلك من خصائص المصطفى ﷺ وقد أورد ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره بعض الأحاديث في هذا الشأن فمن أراد الاستزاد فليراجع إليه والله ولي التوفيق .

سورة آل عمران مدنية : الآية {152}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

الملخص:

إن المنافقين كانوا يحذرونكم بالهزيمة يوم أحد لئلا تجترؤوا على قتال الأعداء وأنتم تعلمون ما هو سبب مصيبتكم آنذاك ، وقد صدق الله وعده حينئذ إذ تقتلونهم بإذنه حتى تزلزلت أقدام المشركين ولكنكم لما عصيتم أمر رسوله ﷺ وتنازعتم في الأمر ففشلتم وانهزمتم ، وماذلك إلا نتيجة عدولكم عن الامتثال بأمر النبي ﷺ دون أن يكون فيه دخل العدو أوكثرة عدده وعتاده كما يخوّفكم المنافقون ، وقد عفا الله عنكم والله ذو فضل على المؤمنين . (ترجمان القرآن)

سبب نزول الآية الكريمة:

1- قال محمد بن كعب القرظي: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد أحد وقد أصيبوا قال بعضهم لبعض: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر ! فنزلت هذه الآية.وذلك أنهم قتلوا صاحب لواء المشركين وسبعة نفر منهم بعده على اللواء، وكان الظفر ابتداء للمسلمين غير أنهم اشتغلوا بالغنيمة، وترك بعض الرماة أيضا مركزهم طلبا للغنيمة فكان ذلك سبب الهزيمة.(تفسير القرطبی)

2- سبق في الآية الآنف ذكرها أن الله تعالى مولاكم وهو خير الناصرين ، وقد وعد الله المسلمين بالفتح والنصر بعموم البيان فلما انهزموا يوم أحد ورجعوا المدينة قال بعض المنافقين للمسلمين أين وعد الله لكم بالنصر والفتح ؟ فرد الله تعالى عليهم في هذه الآية وأفحمهم بأن المسلمين في بادئ القتال كانوا يحسون الكفار بالقتال بإذن الله تعالى فلما عصوا أمر رسول الله ﷺ انقلب الأمر وانهزم المسلمون وهذا هو سبب الانهزام .(تفسير حقانی)

وما هو الوعد ؟

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ

ذكر المفسرون في ذلك أقوالاً عديدة .

1- هذا الوعد ذكر في الآية . {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة مسومين} . فجعل مجيء خمسة آلاف من الملائكة مشروطة بثلاثة أشياء ، الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور ، فلما لم توجد هذه الشرائط لا جرم لم يوجد المشروط . (تفسير الرازي والآلوسي)

2- والمراد بهذا الوعد ما وعدهم سبحانه من النصر بقوله عز اسمه :{ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ }[آل عمران : 25] الخ وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم حيث قال للرماة : «لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم .وفي رواية أخرى : «لا تبرحوا عن هذا المكان فإنا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان» .(تفسير الرازي والآلوسي)

3- قال بعضهم كان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين يوم أحد ، وقتل بعده تسعة نفر على اللواء فذاك قوله : { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ الله وَعْدَهُ } يريد تصديق رؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم .

4- يجوز أن يكون هذا الوعد هو قوله : { وَلَيَنصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ } [الحج :40] إلا أن هذا أيضاً مشروط بشرط .

5- يجوز أن يكون هذا الوعد هو قوله : { سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الذين كَفَرُواْ الرعب } [آل عمران : 151]وقد هرب المشركون خائفين مرعوبين. (التفسير الكبير بتغيير يسير)

مكانة الصحابة رضي الله عنهم :

1- استفادت من الآية الكريمة فوائد عديدة ومنها : مكانة الصحابة رضي الله تعالى عنهم لدى رب العالمين ، ففي التنبيه وردت السلوى والطمانينة لهم ، وفيه (أي في الانهزام)كان لهم مصالح أخرى: منها {ليبتليكم} ثم إن الله تعالى أغناهم عن فكر المؤاخذة في الآخرة فقال تعالى {ولقد عفا عنكم} ، ومن يستحق مثل هذه النعم والبركات لن يكونوا طالبي الدنيا بذاتها وإنما كان طلبهم للدنيا من أجل الآخرة ونسبتهم إلى طلب الدنيا في قوله تعالى {منكم من يريد الدنيا} نسبة ليست ذاتية لأنهم ليسوا طالبين لها للدنيا فقط وإنما ليتقووا بها ضد الأعداء والدليل على ذلك استحقاقهم الغنيمة وفق الشريعة بعد الفتح فرأوا أنهم انتهى عملهم للوقوف على هذا المكان والآن يترلوا لترهيب الكفار وجمع أموالهم ليستحقوا هذا الأجر أيضاً ولذلك قال بعض العارفين في هذه الآية : منكم من يريد الدنيا للآخرة ومنكم من يريد الآخرة الصرفة . ولكن طريقهم هذا كان مخالفاً لأمر الرسول ﷺ فلم يكن محموداً . (بيان القرآن)

2- كان هدف الكفار يوم أحد هو النبي ﷺ فاجتمع عنده طائفة من الصحابة رضي الله عنهم ولم يتزحزح أحد من هؤلاء مع ماكان يصيبهم من السهام والنبال والأحجار والسيوف حتى قطعت يد أبي طلحة رضي الله ولم يتزلزل ، وتقدم ابن قميئة ليقتل النبي ﷺ فدافعه أبو طلحة رضي الله عن النبي ﷺ حتى قتله ابن قميئة ، وقد ترّس أبو دجانة رضي الله عنه على النبي ﷺ وحاول أن لا يصيب النبي ﷺ السهام وشهد التاريخ ما للصحابة رضي الله عنهم تضحيات نفسية ومالية لأجل الدين ولحب الله وحب رسوله ﷺ ولاينكرها إلا العنيد الجهول. (تفسير الفرقان)

3- قيل للمسلمين في هذه الآية أنكم لما عصيتم أمر الرسول ﷺ ابتليتم بالهزيمة بأن نزل الرماة وحمل الكفار على ما بقي منهم على الجبل فقتلهم وهاجموا المسلمين من الخلف ، وقد ظهر من ذلك الابتلاء من كان قوي الإيمان ومن كانه عكسه ، وفي هذه الوقعة دليل أن للنبي ﷺ صحابة لايوجد لهم نظير في التاريخ الإنساني . (تفسير الفرقان)

فائدة :

قوله تعالى {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ } كأن سبب الفشل هو التنازع وسبب التنازع هو العصيان .(تفسير عثماني) يعني نشأ ضعف الارادة من أجل الخلاف فيما بينهم ، وسب الخلاف هو عصيانهم لأمر النبي ﷺ .

دعاء : اللهم يا ذا الفضل العظيم نسئلك من فضلك ورحمتك آمين يا ذا الفضل العظيم .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {153}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

الملخص:

وذلك من فضل الله عليكم أيها المسلمون بأنه عفا عنكم وكنتم تهربون ولا تلوون على أحد وكان النبي ﷺ يدعوكم من وراءكم فأثابكم غماً بغمٍ لكيلا تحزنوا على مافاتكم بل تقووا للمستقبل .

أقوال المفسرين:

1- إنكم كنتم تهربون وتصعدون وبالفزع ما كنتم تنظرون إلى من وراء كم وكان النبي ﷺ ثابتا صابراً يمنعكم من هذا الفرار ويدعوكم إليه فما أجبتم على نداءه ، وأول من عرف النبي ﷺ هو كعب بن مالك رضي الله عنه فقال: رأيت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم [إلي] أن انصت.قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين. وقوله تعالى {فأثابكم غماً بغم} يعني تسببتم بتضايق قلب النبي ﷺ فأصابكم ما أصابكم من الغم والهم فعليكم أيها المسلمون أن تطيعوا الله ورسوله دائماً مهما كانت الظروف والأحوال . (تفسير عثماني)

ملاحظة : إن معظم المفسرين قالوا إن الله تعالى أثابهم غماً على غم يعني الغم الأول هو الانهزام في القتال والثاني ما أصابهم من القتل والجرح وإرجاف قتل النبي ﷺ، وقال البعض الغم الأول هو فوات الفتح وذهاب الغنيمة وعدم الحصول عليها والغم الثاني وهو أكبرهما ما أرجفوا قتل النبي ﷺ بين الناس الذي أدهشهم وذهب بشعورهم حتى لم يسمعوا نداء النبي ﷺ كرجل التفت إلى جانب منهمكاً وذهل عما في جانبه الآخر . (تفسير عثماني)

2- قوله تعالى {والرسول يدعوكم} كان يقول إلى عباد الله أنا رسول الله من كر فله الجنة . (كما في تفسير الرازي)

3- {والرسول يدعوكم} كان النبي ﷺ شجاعاً وحيداً فريداً في شجاعته مع إتصافه ﷺ بالصفات الأخرى العالية ، وقد اعترف المسلم المعاصر المؤرخ العسكري بشجاعة المصطفى ﷺ بالألفاظ التالية :

لم ينتكس العَلَمُ الإسلامي في غزوة أحد بحال ما ، وقد استمات أصحاب رسول الله ﷺ للحفاظ على العَلَم و على حياة النبي ﷺ بحيث فدوا بأنفسهم لأجل ذلك وبذلوا أقصى ما كان في وسعهم من تضحية نفسية لن ينساها التاريخ ولا يأتي لها المثيل وتذكر على مرور الأيام ومضي الأزمان، والنبي ﷺ مع ما أصابه من الجراحات الشديدة في وجهه ورأسه لم يتزلزل شيئاً بل لم يزل يقاتل ثابتاً في حال قد تزلزلت أقدام كثير من الشجعان والأبطال وتفرق جمع المسلمين خاصة بعد نزول الرماة من جبيل عينين ولكن النبي ﷺ كان ثابتاً صابراً كالصخرة فلم يتزحزح ولم يتزلزل قيد شبر . صلوات ربي وسلامه عليه .(تفسير ماجدى)

4- إن الكفار حملوا على المسلمين بشدة وقوة ومالوا عليهم ميلة واحدة من وراء عينين فاندهش المسلمون وانتشر جمعهم وتشتت شملهم بحيث لا يلوي بعضهم على بعض من شدة الهرب ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يدعوهم بقوله : إلي عباد الله . إلى عباد الله إني رسول الله ، وكان عليه الصلاة والسلام ثابتاً قائماً صابراً يُذكِّر المسلمين ويدعوهم إليه فلما عرفوه وسمعوا صوته اجتمعوا عليه ، وهكذا وقع في غزوة حنين لما انتشر المسلمون لم يزل النبي ﷺ قائماً ثابتاً صابراً يدعو المسلمين ويتقدم إلى الكفار قائلاً: أنا النبي لا كذب (ولا ينبغي لنبي أن يتزحزح قيد شبر فراراً من القتل)أنا ابن عبد المطلب (ولا يخفى من شجاعته وبسالته على أحد من العرب فلا يمكن أن يفر ولد مثل هذا الباسل الشجاع من ميدان القتال) .وفي ذلك أسوة حسنة لقادة الجيش أن يكونوا مثل ما كان النبي ﷺ شجاعاً باسلاً بطلاً فليقدموا أنفسهم في المخاطر ليتبعهم أفراد الجيش بالشجاعة لما يرون في قادتهم الشجاعة والبطالة . (تفسير الفرقان)

5- فأثابكم غماً بغم . قد سبق عديد من المعاني المتعلقة بهذه الجملة نقلاً من تفسير عثماني وهنا نذكر ملخص ماقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في هذه الآية الكريمة.

الباء في قوله : { غَمّاً بِغَمّ } يحتمل أن تكون بمعنى المعارضة ، كما يقال : هذا بهذا أي هذا عوض عن ذاك . وفيه وجوه .

الأول : وهو قول الزجاج أنكم لما أذقتم الرسول غماً بسبب أن عصيتم أمره ، فالله تعالى أذاقكم هذا الغم ، وهو الغم الذي حصل لهم بسبب الانهزام وقتل الأحباب ، والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم .

الثاني : قال الحسن : يريد غم يوم أحد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين ، والمقصود منه أن لا يبقى في قلبكم إلتفات إلى الدنيا ، فلا تفرحوا بإقبالها ولا تحزنوا بإدبارها.

الثالث : يجوز أن يكون الضمير في قوله { فأثابكم } يعود للرسول ، والمعنى أن الصحابة لما رأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه ، اغتموا لأجله ، والرسول عليه السلام لما رأى أنهم عصوا ربهم لطلب الغنيمة ثم بقوا محرومين من الغنيمة ، وقتل أقاربهم اغتم لأجلهم ، فكان المراد من قوله { فأثابكم غَمّاً بِغَمّ } هو هذا .

أما أن تكون الباء في قوله : { غَمّاً بِغَمّ } بمعنى «مع» أي غما مع غم ، أو غما على غم ، فهذا جائز لأن حروف الجر يقام بعضها مقام بعض ، تقول : ما زلت به حتى فعل ، وما زلت معه حتى فعل ، وتقول : نزلت ببني فلان ، وعلى بني فلان .

واعلم أن كل واحد من المفسرين فسر هذه الآية بواحد من هذه الوجوه ونحن نعدها :

الوجه الأول : أن الغم الأول ما أصابهم عند الفشل والتنازع ، والغم الثاني ما حصل عند الهزيمة .

الوجه الثاني : أن الغم الأول ما حصل بسبب فوت الغنائم ، والغم الثاني ما حصل بسبب أن أبا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعاً عظيما .

الوجه الثالث : أن الغم الأول ما كان عند توجه أبي سفيان وخالد بن الوليد عليهم بالقتل والغم الثاني هو أن المشركين لما رجعوا خاف الباقون من المسلمين من أنهم لو رجعوا لقتلوا الكل فصار هذا الغم بحيث أذهلهم عن الغم الأول .

والوجه الرابع : أن الغم الأول ما وصل اليهم بسبب أنفسهم وأموالهم ، والغم الثاني ما وصل اليهم بسبب الإرجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر هذه الوجه مفسرآخر باختلاف يسير:

بادئ الأمر كان المسلمون كئيبن حزينين على فوات العدو وعدم الحصول على الغنيمة فلما رأوا النبي ﷺ وما أصيب من الجراحات الشديدة في وجهه ورأسه نسوا ما أصيبوا من الشدائد وأدهشهم ما رأوا النبي ﷺ من الحال ، فها هي امرأة من

بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبو ها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، قال: فأشير لهـــا إليـــه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل.

وغيرها كثيرون وكثيرات الذين لم يحزنوا على ما فاتهم من أقاربهم من الأزاوج والابناء والإخوان لما رأوا النبي ﷺ على قيد الحياة . (وهذا كانت غاية حبهم للنبي ﷺ فرضي الله عنهم أرضاهم)

و بعد ما ذكر الإمام الرازي الوجوه المذكور أعلاه قال رحمه الله تعالى :

وفي الآية قول ثالث اختاره القفال رحمه الله تعالى قال : وعندنا أن الله تعالى ما أراد بقوله : { غَمّاً بِغَمّ } اثنين ، وإنما أراد مواصلة الغموم وطولها ، أي ان الله عاقبكم بغموم كثيرة ، مثل قتل إخوانكم وأقاربكم ، ونزول المشركين من فوق الجبل عليكم بحيث لم تأمنوا أن يهلك أكثركم ، ومثل إقدامكم على المعصية ، فكأنه تعالى قال : أثابكم هذه الغموم المتعاقبة ليصير ذلك زاجرا لكم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله تعالى .

لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ :

قال الإمام الرازي : وفيه وجهان : الاول :أنها متصلة بقوله : { وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ } [آل عمران : 152] كأنه قال : ولقد عفـــا عنكم لكيلا تحزنوا ، لان في عفوه تعالى ما يزيل كل غم وحزن ، والثاني : أن اللام متصلة بقوله : { فأثابكم } .

كلام نفيس :

تسببتم أيها المسلمون بتضايق صدره ﷺوانكسار خاطره فأثابكم غماً بغم ، فعليكم أن امتثلوا بأمر رسولنا (ﷺ) في كل دقة وجلة في كل حال من الأحوال . (تفسير موضح القرآن)

لِكَيْلَا تَحْزَنُوا

إن الله تعالى أثابكم غماً بغم ليخرج هم الدنيا من القلوب واستقرت بها طاعة الرسول (ﷺ)، ولا شك في أن من أهمته هموم الدنيا أضر بآخرته وابتعد عن طاعته (ﷺ) ، والتدبر في الآية التالية يزيد القارئ فهماً لهذا التفسير . والله تعالى أعلم

لِكَيْلَا تَحْزَنُوا : فالمعنى لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا على نفع ما فات أو ضر آت.(روح المعاني)

فائدة:

إن المفسر ابن كثير رحمه الله تعالى قد أورد الأحاديث الصحيحة حول أحداث غزوة أحد ضمن تفسير هذه الآية ، فجـــزاه الله تعالى خيراً ومن أراد الاستزاد في هذا الباب فليراجع إليه.

سورة آل عمران مدنية : الآيات {154}

بسم الله الرحمن الرحيم

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

الملخص:

4- وذلك فضل الله ورحمته أنه سبحانه وتعالى غشّى المجاهدين المخلصين النعاس في الأحوال الصعبة لتسكن نفوسهم وتطئمن قلوبهم ، ولاشك من فكر في دين الله واشتغل بخدمته أكرمه الله بالسكون والطمانية في الحياة .

5- إلا أن المنافقين الذين أهمتهم الحياة كانوا في خوف وفزع وحرموا من هذا النعاس المؤدي إلى السكينة وظنوا بالله الظنونا.

6- وكان المنافقون يقولون {لوكان لنا من الأمر..} وكان الأمر كذلك ماكان بأيديهم شيء ولكنهم أخفوا معناً باطلاً لهذه الجملة أنهم لو قبل رأيهم قبل بدء الحرب ما قتلنا ههنا .

7- ليعلم هؤلاء ا لمنافقين أن الأمر كله بيد الله أما قولكم {لوكان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا} باطل لأن المرء يموت حيثما قدر له الموت ومتى كتب له الأجل فلو جلستم في بيوتكم لأخرجكم إلى مكان قدر لكم فيه موتكم .

8- وما حدث يوم أحد تميز به المؤمن الصادق من المنافق الكاذب وتطهرت القلوب وزكت به النفوس .

أقوال المفسرين:

1- ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ .

غشّى الله تعالى المؤمنين المخلصين النعاس فجعلوا ينعسون قائمين ، فسقط السيف من أبي يد أبي طلحة عدة مرات ، وهذا أثر حسي أداهم إلى الطمآنية والسكون في الحالات الصعبة أكرمهم الله تعالى بها، وزال بها خوف الكفار وكان نزول النعاس وقت تشتت شملهم وتفرق جمعهم فمنهم من كان يتقلب على الأرض مضطرباً مجروحاً ومنهم كان على آخر لحظة من حياته ومن كان مندهشاً مما يشاهد من أسوء الحال ومنهم من فقد شعوره بما سمع من إرجاف قتل النبي ﷺ فلما نزلت هذه السكينة وطرأ عليهم النعاس انتبهوا فوراً وتجمعوا حول النبي ﷺ فنشطوا في القتال حتى اضطر العدو إلى الفرار .

ملاحظة: قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : النعاس في القتال من الله . (تفسير عثماني)

2- عن عبد الله بن مسعود قال: النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان. (ابن كثير)

عن أبي طلحة، رضي الله عنه، قال: كنت فيمن تَغَشاه النعاس يوم أحُد، حتى سقط سيفي من يدي مرارا، يسقط وآخذه، ويسقط وآخذه. (ابن كثير)

3- وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ

وهذه الطائفة من المنافقين الذين ما أهمهم الاسلام ولا الرسول ﷺ كان همهم فقط حياتهم فخافوا من أن لو حمل أبو سفيان فماذا يكون مصيرهم ؟ وحرموا هؤلاء من النعاس الإلهي .(تفسير عثماني)

4- قال القرطبي رحمه الله تعالى : يعني المنافقين معتب بن قشير وأصحابه ، وكانوا خرجوا طمعاً في الغنيمة وخوف المؤمنين فلم يغشهم النعاس وجعلوا يتأسفون على الحضور . (القرطبي)

5- ما بهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله ﷺ والمسلمين . (البحر المحيط)

6- إن وقاية الحياة من الخطر ليس أمراً مذموماً بشرط أن لا يتجاوز حد الاعتدال (وأن لا يصير نظرية عقلية محضة) والمذموم في مثل هذا الحال أن لا يرى الإنسان إلا نفسه وذاته وينسى ما سواه من المسؤليات الأخرى أهم من الحياة ، فحياة النبي ﷺ والدفاع عن الدين كان أهم وأسمى هدف من وقاية حياتهم ولكن المنافقين ما كان بهم إلا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله ﷺ ولا هم المسلمين . (تفسيرماجدي)

7- يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ :

وظنوا أين وعد الله بالفتح والنصر ؟ لعل الإسلام قد طوي بساطه ولن يرجع الرسول ولا المؤمنون إلى أهليهم أبداً كما في قوله تعالى {بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً}(سورة الفتح). (تفسير عثماني)

8- يظنون أن أمر محمد (ﷺ) باطل وأنه لا ينصر . (تفسير القرطبي)

9- يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

يعني ظنوا هل بقي لنا من أمرنا شيء أو لم يبق بأيدينا شيء وقد عاونا محمداً (ﷺ) وأصحابه فلم يظفروا ؟ أو ظنوا أن الله فعل ما أراد وليس بيد أحد من الأمر شيء ، وهذا ما يدل عليه ظاهر الألفاظ ولكن ما كان في قلوبهم سيأتي ذكره في الجمل الآتية ذكرها. (تفسير عثماني)

10- لفظه الاستفهام ومعناه الجحد . هل لنا . (تفسير القرطبي)

11- قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ : يعني قول المنافقين {هل لنا من الأمر شيء} كلمة حق أريد بها الباطل ، لأنه لا شيء من الأمر بيدكم أو بيد أحد فالله الذي جعل غالباً من شاء ومغلوباً من أراد ،أنزل رحمته على من شاء ونقمته على من شاء ، جعل فائزا ناجحاً من أراد وقدر الخسارة والمصيبة لمن شاء فهو على كل شيء قدير ولكنكم أيها المنافقون أردتم بكلمتكم هذه أمراً باطلاً وهو سيأتي ذكره . (تفسير عثماني)

12- وذكر الإمام قرطبي لها معنين : (1) أي النصر بيد الله ينصر من يشاء ويخذل من يشاء (2) يعني القدر خيره وشره من الله تعالى . (تفسير القرطبي)

13- يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا : وهذا هو مرادهم الخفي بما سبق من قولهم {هل لنا من الأمر من شيء} كانوا يقولون هذا القول في المسلمين الصادقين ثم لما انفصلوا عنهم قالوا لم يقبل رأينا وعصانا وقبل رأي الغلمان فأصاب ماأصاب ،فلو قبلوا رأينا ماقتلوا وماخسروا وكان نسب معظم المنافقين ينتهي إلى أنصار المدينة ، ومعنى آخر هو : لوكان الظفر والغلبة للمسلمين كما يزعم محمد (ﷺ) لما حل بنا ما حل من القتل والجرح والانهزام .

يبدوا أن هذه الأقاويل قالوها في المدينة لأن المنافق عبد الله بن أبي انخزل مع أصحابه يوم أحد من وسط الطريق ، فالإشارة (ههنا) إلى أحد لقربه ، وحسب بعض الروايات الأخرى هذا قول المنافق معتب بن قشير في ميدان القتال كما في البداية والنهاية لابن

كثير: ومعتب هو الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا، فيمكن أن بعض المنافقين لم يرجعوا مع رئيسهم عبد الله بن أبي لمصلحة ما . والله تعالى أعلم . (تفسير عثماني)

14– قال الزبير أرسل علينا النوم ذلك اليوم وإني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول: لوكان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا . (القرطبي)

15– إن المنافقين قالوا لوكان لنا عقل ما خرجنا لقتال أهل مكة ولما قتل رؤساءنا. (تفسير القرطبي)

16– قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ...الآية. فلا فائدة في مثل هذا الحال من طعن وتشنيع ، وما قدر لكل امرء من أجل مسمى ووقت معين لن يتقدم ولن يتأخر فلو كنتم في بيوتكم وقدر لكم الموت عند أحد لجئتم إلى هذا المكان ومتم بها وقتلتم ، وهذا فضل من الله أنه أماتكم في سبيله وأكرمكم بمرتبة الشهادة العالية وموت الشجعان والأبطال يغتبط به العقلاء فلا ينبغي أن تأسفوا على ذلك ولا تقيسوا أولياء الله على أنفسكم أيها المنافقون . (تفسير عثماني)

17– وليبتلي الله ما في صدوركم : فرض الله عليكم القتال والحرب ولم ينصركم يوم أحد ليختبر صبركم وليمحص عنكم سيئاتكم ان تبتم وأخلصتم . (تفسير القرطبي)

18– والله عليم بذات الصدور . يعني أراد أن يمتحنكم لتطهر قلوبكم وليميز الطيب من الخبيث والمؤمن من المنافق وتنكشف أحوال المنافقين أمام الناس لئلا يتضرروا بهم فيما بعد . (تفسير عثماني)

19– وفيها تنبيه على أن الله تعالى غني عن الابتلاء وإنما يبرز صورة الابتلاء لحكم يعلمها كتمرين المؤمنين أو اظهار حال المنافقين ، لأنه عليم بذات الصدور . (تفسير الآلوسي)

دعاء :

اللهم إنا نعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الأخلاق . آمين يا أرحم الراحمين .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {155}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٥٥﴾

الملخص:

والذين هربوا وتولوا منكم يوم أحد فقد استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من عصيان أمر النبي ﷺ، ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم . (تفسير حقاني)

أقوال المفسرين:

1- استزلهم الشيطان : ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فأخروا الجهاد حتى يصلح أمرهم ويجاهدوا على حال مرضية.(تفسيرالرازي، كشاف).

2- واعلم أن المراد : أن القوم الذين تولوا يوم أحد عند التقاء الجمعين وفارقوا المكان وانهزموا قد عفا الله عنهم. (تفسير الرازي)

3- وقد يصدر من المخلصين الخطأ والزلة ، وكما إن حسنة تجلب أخرى كذلك معصية يستغلها الشيطان فيؤدي بها الإنسان إلى معاصي أخرى ، وما زلت أقدام بعض المسلمين يوم أحد يحتمل أن يكون سببه بما كسبت أيديهم في ماضيهم فاستغلها الشيطان وأداهم إلى هذه الزلة أي الفرار يوم أحد ، ومن الزلة ما صدر منهم عصيان أمر النبي ﷺ فنزلوا من جبل عينين ولم يمتثلوا بأمره ﷺ وذلك فضل الله عليهم أنه قد عفا عنهم فلا يجوز لأحد أن يطعن فيهم أبداً ، ولم يبتلهم بالهزيمة التامة وهي فضل آخر. (تفسير عثماني)

4- إن الله غفور حليم . هنا ذكرت صفتا الله تعالى شأنه . غفور : وتظهر هذه الصفة بتمامه يوم الآخرة وصفة حليم : يكون ظهورها في هذه الدنيا على وجه الاستمرار بأنه لا يؤاخذ الله الناس بما كسبوا بل يمهلهم ويعطيهم فرصة التوبة والإنابة إليه سبحانه وتعالى . (تفسير ماجدي)

5- كلام نفيس :

استفادت من هذه الآية أن الذين تولوا يوم أحد لم يبق عليهم شيء من الذنب والعصيان .

(تفسير موضح القرآن)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {156}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾

الملخص:

إن في الآية توجيه لأهل الإيمان أن لا يكونوا كالذين كفروا فيقولون لإخوانهم إذا سافروا أو خرجوا للجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا (أي في الجهاد) كأنه في رأيهم لايأتي الموت إلا في الحرب فقط ، وهذا القول يدل على عدم إيمانهم بالله تعالى وقد يتأثر بكلامه مؤمن فيحزن وتكون الحسرة في قلوبهم والحقيقة لا يرد قضاء الله وقدره شيء إن الموت والحياة كلتيهما بيد الله سبحانه وتعالى فلا يخاف المؤمن الصادق الموت ولا يتخلف عن الحرب والجهاد من أجله .

تنبيه غريب:

إن أسوأ فتنة تنشأ في العسكر بعد الانهزام هي أن المنافقين (وهم يعدون من المسلمين لما يظهرون أنفسهم مسلمين) يقولون :إن الذين قتلوا لوكانوا معنا في البيوت ولم يخرجوا للجهاد ما قتلوا ، وقد يتأثر بقولهم هذا بعض من سذجة المسلمين ، فورد التنبيه على ذلك في هذه الآية فقيل للمسلمين : لا تكونوا مثل هؤلاء الكفار الذين يشيعون هذه الأقاويل الباطلة التي تدل على كفرهم ونفاقهم ومن فهم أن في القتال لموتاً فقط فهو منافق وكافر يعتقد ما يخالف عقيدة الاسلام ولم يفهموا إلى الآن أن الحياة والموت بيد الله عز وجل وأن للموت أجلاً مسمى ووقتاً معيناً وذلك لتكون في قلوبهم حسرة فلا تقولوا مثل ماقالوا .

وهذا ما نزل من الآية الكريمة المذكور أعلاه أصلح عقيدة المسلمين وقوى إيمانهم بشأن الموت والحياة والقدر المكتوب في العلم الالهي سابقاً ،ولذا نشاهد اليوم لما يهزم المسلمون في وقعة ما يقول المسلمون أن الموت والحياة كلاهما بيد الله لا يأتيان إلا في وقتهما الموعود ،والمقدر، ومن قتل في سبيل الله في شهيد أكرمه الله بها ، أما من ضعف إيمانه يترعج و يقول ياحسرتاه ! فإن فلاناً أوقع قريبنا في الهلاك لولم يأخذه لم يقتل .

اللهم احفظ المسلمين من تقول الأقاويل الباطلة مثل الكفرة . آمين والله تعالى أعلم بالصواب .

أقوال المفسرين:

1- إن أسباب الموت والحياة كلها بيد الله تعالى ، فمن صرف النظرعن مسبب الأسباب والعلة الحقيقية و نظر إلى الأسباب الظاهرة نحو السفر أو الجهاد ورآها سبب الموت فقد أخطأ وجهل .إن بأمريكة كان رجلاً ماهراً بالعمرانيات "ديني سن" كتب في كتابه : إن عقيدة المسلمين في القدر بأنهم يفوضون أمرهم التكويني إلى الله وعقيدتهم في الشهادة بأن الشهيد يدخل الجنة على الفور ويجد عند الله من الكرامة وسبعين من الحور العين و للأكل أواني الذهب وغيرها ما أعد له من العزة والكرامة والشرف وهذه العقيدة عززت المسلمين وقواهم في كل مهامهم وبالأخص مواقع الحرب والقتال .(ص206) إن الأمريكي المذكور لا يؤمن بالقدر ولا يؤمن بعقيدة الشهادة مع ذلك أدى اكتشافه إلى بيان محاسن الإسلام وبيان فوائد عقائده . (تفسير ماجدي)
[ومن أجل ذلك تجري المحاولات لتضعيف هذه العقيدة الإسلامية]

2- كلام نفيس : لما تخرجون للعمل الصالح ومات بعضكم أو قتل فلا تأسفوا عليه لأن فيه إنكار للقدر،واعلموا أن حب الدنيا وعدم الرغبة في الآخرة من خصائص الكافرين . (تفسير موضح القرآن)

3- ولا يخطرن ببالكم من الظنون الواهية كظنون الكفار أنكم لو جلستم في البيت لما قتلتم .(تفسير عثماني)

4- قال المنافقون في شأن الذين قتلوا في الجهاد : {لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا (في البيوت ورفضوا الخروج للجهاد ولم يخرجوا في الجهاد لما قتلوا)مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا }.وفي الحقيقة حدث ما حدث ولكن استقرت الحسرة في قلوبهم وهي التي جعلتهم حزينين كئيبين دائماً وسيموتون على ذلك ، أما أمر الحياة والموت فهما بيد الله تعالى ولم يقدرعليهما أحد في الكون فلو تعطلت القوات المادية والجسمانية لقدر سبحانه وتعالى أن يرزقنا الحياة بالقوات الروحانية ، فلا ينبغي للمسلم أن يفكر في قضية الحياة والممات بل ليستعد دائماً لتضحية النفس والنفيس في سبيل الله تعالى .

5- هؤلاء المنافقون يقولون في شأن الذين قتلوا في سبيل الله { لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا} يعني خرجوا للجهاد فلو رفضوا ولم يخرجوا لكان خيراً لهم فلم يموتوا مثل ما ماتوا ، وكان هدفهم من ذلك أن تكون حسرة في قلوب السامعين من المسلمين ويتأسفوا على فعل الشهداء بأنهم فعلاً غلطوا في الخروج وخرجوا بدون أن يتفكروا في المصيروالمآل وحضروا في القتال فأصيبوا ما أصيبوا .

ولكن المسلمين كانوا قوي الإيمان فلم يتأثروا بما قالوا من ''قيل وقال'' بل انكشف عليهم ما أبطن المنافقون من الكيد والخداع . وذهب بعض المفسرين أن اللام في {ليجعل الله...} للعاقبة والمعنى أنه جرت هذه الأقاويل على ألسنة المنافقين ليجعلهم الله محترقين في نار الحسرة والأسف ، إضافة إلى حسرتهم بعدم كون المسلمين مثلهم فلم يقبلوا رأيهم وفي هذا المعنى يحتمل أن يتعلق {ليجعل} ب {لاتكونوا} (تفسير عثماني).

سؤال:

إن في الآية {لوكانوا عندنا ما ماتوا} من قول المنافقين ولم يقله الكفار بينما إن الله سبحانه وتعالى نهي من أن يكون المسلمون كالذين كفروا وقالو لأخوانهم ....الآية يعني نسب نسبة القول إلى الكفار دون المنافقين ؟

الجواب: أجاب على ذلك الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى حيث قال: فالآية تدل على أن الايمان ليس عبارة عن الإقرار باللسان ، كما تقول الكرامية إذ لو كان كذلك لكان المنافق مؤمناً ، ولو كان مؤمناً لما سماه الله كافراً .

وقال بعضهم : هو على إطلاقه ، فيدخل فيه كل كافر يقول مثل هذا القول سواء كان منافقا أو لم يكن.(تفسيرالرازي)

نكتة :

إن في تعيين معنى قوله تعالى {ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم} أورد الإمام الرازي في تفسيره كلاماً لطيفاً مع ذكره أقوالاً ووجوهاً تتعلق بذلك . فقال رحمه الله تعالى :

قال تعالى : { لِيَجْعَلَ الله ذلك حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ } وفيه وجهان :

الأول : أن التقدير أنهم قالوا ذلك الكلام ليجعل الله ذلك الكلام حسرة في قلوبهم ، مثل ما يقال : ربيته ليؤذيني ونصرته ليقهرني ومثله قوله تعالى : { فالتقطه ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً } [القصص : 8] إذا عرفت هذا فنقول : ذكروا في بيان أن ذلك القول كيف استعقب حصول الحسرة في قلوبهم وجوها :

الوجه الأول : أن أقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام ازدادت الحسرة في قلوبهم ، لان أحدهم يعتقد أنه لو بالغ في منعه عن ذلك السفر وعن ذلك الغزو لبقي ، فذلك الشخص انما مات أو قتل بسبب أن هذا الانسان قصر في منعه ، فيعتقد السامع لهذا الكلام انه هو الذي تسبب إلى موت ذلك الشخص العزيز عليه أو قتله ، ومتى اعتقد في نفسه ذلك فلا شك أنه تزداد حسرته وتلهفه ، أما المسلم المعتقد في أن الحياة والموت لا يكون إلا بتقدير الله وقضائه ، لم يحصل ألبتة في قلبه شيء من هذا النوع من الحسرة ، فثبت أن تلك الشبهة التي ذكرها المنافقون لا تفيدهم إلا زيادة الحسرة .

الوجه الثاني : ان المنافقين إذا ألقوا هذه الشبهة إلى اخوانهم تثبطوا عن الغزو والجهاد وتخلفوا عنه ، فاذا اشتغل المسلمون بالجهاد والغزو ، ووصلوا بسببه إلى الغنائم العظيمة والاستيلاء على الاعداء . والفوز بالأماني ، بقي ذلك المتخلف عند ذلك في الخيبة والحسرة .

الوجه الثالث : أن هذه الحسرة إنما تحصل يوم القيامة في قلوب المنافقين إذا رأوا تخصيص الله المجاهدين بمزيد الكرامات واعلاء الدرجات ، وتخصيص هؤلاء المنافقين بمزيد الخزي واللعن والعقاب.

الوجه الرابع : أن المنافقين إذا أوردوا هذه الشبهة على ضعفة المسلمين ووجدوا منهم قبولا لها ، فرحوا بذلك ، من حيث إنه راج كيدهم ومكرهم على أولئك الضعفة ، فالله تعالى يقول : إنه سيصير ذلك حسرة في قلوبهم إذا علموا أنهم كانوا على الباطل في تقرير هذه الشبهة .

الوجه الخامس : أن جدهم واجتهادهم في تكثير الشبهات وإلقاء الضلالات يعمي قلوبهم فيقعون عند ذلك في الحيرة والخيبة وضيق الصدر ، وهو المراد بالحسرة ، كقوله : { وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيّقاً حَرَجاً } [الأنعام : **125**] .

الوجه السادس : أنهم متى ألقوا هذه الشبهة على أقوياء المسلمين لم يلتفتوا إليهم فيضيع سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الحسرة في قلوبهم .

والثاني: أن اللام في قوله : { لِيَجْعَلَ الله } متعلقة بما دل عليه النهي ، والتقدير : لا تكونوا مثلهم حتى يجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم ، لأن مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغيظهم .

دعوة الفكر

إن معنى الآية الكريمة بين وواضح وقد ذكرت العبارات والنصوص من التفاسير حول هذه الآية مستهدفة إلى أن تحفظ عقيدة المسلم اليوم من الكفر والنفاق ، فعلينا المسلمين أن نصحح عقيدتنا ولن نعتقد عقيدة الكفار والمنافقين أن الموت في الجهاد فلو تركنا الجهاد تبقى حياتنا ،بل لنجعل عقيدتنا وفق الآية الآتي ذكرها وهي {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} ولنتيقن نحن أن للموت وقتاً محدداً وأجلاً مسمىً ومكانا معيناً لا يتبدل ولا يتغير أبداً.

وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ

1- أي يقدر على أن يحيى من يخرج إلى القتال ويميت من أقام في أهله . (تفسير القرطبي)

2- وفيه منع المؤمنين عن التخلف في الجهاد لخشية القتل . (تفسير الآلوسي)

دعاء :

اللهم احفظنا والمسلمين من عقائد المنافقين والكافرين ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .آمين يا رب العالمين .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {157}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

الملخص:

إن القتال والموت في الجهاد شيء عظيم النفع لما فيه مغفرة من الله ورحمة وهما خير من متاع الدنيا الذي يجمعه أهل الدنيا بشوق ورغبة .

ودر من قائل : فإن الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرء بالسيف والله أفضل

الرد على شبهة المنافقين

واعلم أن هذا هو الجواب الثاني عن شبهة المنافقين ، وتقريره أن هذا الموت لا بد واقع ولا محيص للانسان من أن يقتل أو يموت ، فاذا وقع هذا الموت أو القتل في سبيل الله وفي طلب رضوانه ، فهو خير من أن يجعل ذلك في طلب الدنيا ولذاها التي لا ينتفع الانسان بها بعد الموت ألبتة ، وهذا جواب في غاية الحسن والقوة ، وذلك لأن الانسان إذا توجه الى الجهاد أعرض قلبه عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، فاذا مات فكأنه تخلص عن العدو ووصل الى المحبوب ، وإذا جلس في بيته خائفا من الموت حريصاً على جمع الدنيا ، فإذا مات فكأنه حجب عن المعشوق وألقي في دار الغربة ، ولا شك في كمال سعادة الأول ، وكمال شقاوة الثاني .

إن الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى ذكر كلاماً نفيساً حول هذه الآية نذكره فيما يلي:

وأما وجه الخطاب فالمعنى أنه تعالى كأنه يخاطب المؤمنين فيقول لهم مغفرة الله خير لكم من الأموال التي تجمعونها في الدنيا .

وأضاف قائلاً :

إنما قلنا : إن رحمة الله ومغفرته خير من نعيم الدنيا لوجوه :

أحدها : أن من يطلب المال فهو في تعب من ذلك الطلب في الحال ، ولعله لا ينتفع به غدا لأنه يموت قبل الغد وأما طلب الرحمة والمغفرة فإنه لا بد وأن ينتفع به لأن الله لا يخلف وعده ، وقد قال:{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ }[الزلزلة:

وثانيها : هب أنه بقي إلى الغد لكن لعل ذلك المال لا يبقى إلى الغد ، فكم من انسان أصبح أميرا وأمسى أسيرا ، وخيرات الآخرة لا تزول لقوله : { والباقيات الصالحات خَيْرٌ عِندَ رَبّكَ } [الكهف : 46] ولقوله : { مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ الله بَاقٍ } [النحل : 96]

وثالثها : بتقدير أن يبقى إلى الغد ويبقى المال إلى الغد ، لكن لعله يحدث حادث يمنعك عن الانتفاع به مثل مرض وألم وغيرهما ، ومنافع الآخرة ليست كذلك .

ورابعها : بتقدير أنه في الغد يمكنك الانتفاع بذلك المال ، ولكن لذات الدنيا مشوبة بالآلام ومنافعها مخلوطة بالمضار ، وذلك مما لا يخفى ، وأما منافع الآخرة فليست كذلك .

وخامسها : هب أن تلك المنافع تحصل في الغد خالصة عن الشوائب ولكنها لا تدوم ولا تستمر ، بل تنقطع وتفنى ، وكلما كانت اللذة أقوى وأكمل ، كان التأسف والتحسر عند فواها أشد وأعظم ، ومنافع الآخرة مصونة عن الانقطاع والزوال .

وسادسها : أن منافع الدنيا حسية ومنافع الآخرة عقلية ، والحسية خسيسة ، والعقلية شريفة ، أترى ان انتفاع الحمار بلـــذة بطنه وفرجه يساوي ابتهاج الملائكة المقربين عند إشراقها بالأنوار الإلهية ، فهذه المعاقد الستة تنبهك على ما لانهاية لها من الوجوه الدالة على صحة قوله سبحانه وتعالى : { لَمَغْفِرَةٌ مّنَ الله وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مّمَّا يَجْمَعُونَ } .

فإن قيل : كيف تكون المغفرة موصوفة بأنها خير مما تجمعون ، ولا خير فيما تجمعون أصلا .

قلنـا : إن الذي تجمعونه في الدنيا قد يكون من باب الحلال الذي يعد خيرا ، وأيضا هذا وارد على حسب قولهم ومعتقـــدهم أن تلك الأموال خيرات ، فقيل : المغفرة خير من هذه الأشياء التي تظنونها خيرات . (تفسير الرازي)

1- اعلم أن المنافقين كانوا يعيرون المؤمنين في الجهاد مع الكفار بقولهم : لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، ثم إنه لما ظهر عـــن بعض المؤمنين فتور وفشل في الجهاد حتى وقع يوم أحد ما وقع وعفا الله بفضله عنهم ، ذكر في هذه الآية ما يدل على النهي عـــن أن يقول أحد من المؤمنين مثل مقالتهم فقال : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لمن يريد الخروج الى الجهاد : لو لم تخرجوا لما متم ومـــا قتلتم فان الله هو المحيي والمميت ، فمن قدر له البقاء لم يقتل في الجهاد ، ومن قدر له الموت لم يبق وإن لم يجاهد ، وهو المراد مـــن قوله : { والله يُحْيِي وَيُميتُ } وأيضا الذي قتل في الجهاد ، لو أنه ما خرج الى الجهاد لكان يموت لا محالة ، فاذا كان لا بد مـــن الموت فلأن يقتل في الجهاد حتى يستوجب الثواب العظيم ، كان ذلك خيرا له من أن يموت من غير فائدة ، وهو المراد من قوله : { وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ الله أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مّنَ الله وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مّمَّا يَجْمَعُونَ } .(تفسيرالرازي)

دعاء :

اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك آمين يا الله يا شهيد.

سورة آل عمران مدنية : الآيات {158}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

الملخص:

لا تفكروا في الحياة ووقايتها فقط بل انظروا إلى مصيركم وهو لقاءكم بالله تعالى في يوم ما(فيكرم هناك من ضحّى بالنفس والنفيس)

أقوال المفسرين:

1- وقوله تعالى: (لإلى الله تحشرون)وعظ.وعظهم الله بهذا القول، أي لا تفروا من القتال ومما أمركم به، بل فروا من عقابه وأليم عذابه، فإن مردكم إليه لا يملك لكم أحد ضرا ولا نفعا غيره.والله سبحانه وتعالى أعلم. (تفسير القرطبي)

2- قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى : كأنه قيل إن تركتم الجهاد واحترزتم عن القتل والموت بقيتم أياما قليلة في الدنيا مع تلك اللذات الخسيسة ، ثم تتركونها لا محالة ، فتكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ، أما لو أعرضتم عن لذات الدنيا وطيباتها ، وبذلتم النفس والمال للمولى يكون حشركم إلى الله ، ووقوفكم على عتبة رحمة الله ، وتلذذكم بذكر الله ، فشتان ما بين هاتين الدرجتين والمنزلتين .

3- ولو فرضتم أنكم تركتم الجهاد واحترزتم عن القتل والموت فلا محالة تموتون أو تقتلون وتحشرون إلى الله لترون الذين قتلوا في سبيل الله ما لهم من المغفرة والكرامة وهي خير مما تجمعون من حطام الدنيا ،فالحاصل لو قبلتم قول المنافقين وماخرجتم للجهاد وبقيت حياتكم لخسرتم خسارة فادحة لأنكم حرمتم من موت يفدي عليه مئآت آلاف من الحياة الأبدية . ولله در من قائل : إن الفناء في الله سر الحياة ،فمن أراد الحياة ليستعد للموت. (تفسير عثماني)

4- وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ : يعني لو متم أو قتلتم في الجهاد أو في السفر فلن تنعدموا بل تلقون حياة أبدية بعد هذه الحياة الدنيوية وستحشرون إلى الله الذي نور السماوات والأرض وبه أشرقت الأرض والسماء ومن فيهما ، وقد قدم الموت على القتل في هذه الآية كأنه قيل أن الموت في رضا الله تعالى سبب الفلاح والفوز . ولحياة الإنسان ثلاثة أحوال : الأول : حياة الغفلة والعصيان، فلصاحبها الشهادة سبب المغفرة والرضوان، والحالة الثانية : حياة الصلاح والطاعة ولصاحبها الشهادة سبب الرحمة ورفع الدرجات ، والحالة الثالثة : حياة العشاق إلى الله ومن يحن قلبه إلى وصل ربه جل في علاه فالشهادة لصاحبها سبب التقرب إلى الله تعالى وهذا ما يستفاد من {لإلى الله تحشرون} (تفسير حقاني)

فائدة:

وما ذكر صاحب تفسير حقاني النكتة المذكور أعلاه نلخصها فيما يلي:

إن في الآيتين اللتين سبق ذكرهما بيان ثلاث نعم الله بالترتيب يحصل عليها الشهيد :

(1) المغفرة من الله .(2) الرحمة من الله تعالى (3) حضورهم وحشرهم إلى رب العالمين .

ولا يخلو الإنسان المسلم من ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى : هي كون حياة المسلم حياة المعصية والذنوب. فمثل هذا الإنسان المسلم تكون الشهادة سبب المغفرة من الله .

الحالة الثانية : وإن كان الإنسان المسلم مطيعاً لله يحصل على رحمة من الله من أجل الشهادة (وقال العلامة الآلوسي رحمه الله وإن الرحمة اسم الجنة).

الحالة الثالثة : وإن كان المسلم المحب لله تعالى يشتاق إلى لقاء الله وزيارته ويحن إلى وصله جل شأنه فيحصل بالشهادة مرتبة لقاء الله .

وقد بسط الإمام الفخر الرازي هذه النكتة كما يلي:

واعلم أنه سبحانه وتعالى رغب المجاهدين في الآية الأولى بالحشر الى مغفرة الله ، وفي هذه الآية زاد في إعلاء الدرجات فرغبهم ههنا بالحشر الى الله فإنه قال في الآية الأولى : { لَمَغْفِرَةٌ مّنَ الله } وهو إشارة الى من يعبده خوفا من عقابه ، ثم قال { وَرَحْمَةً } وهو إشارة الى من يعبده لطلب ثوابه ، ثم قال في خاتمة الآية : { لإِلَى الله تُحْشَرُونَ } وهو إشارة الى من يعبد الله لمجرد الربوبية والعبودية ، وهذا أعلى المقامات وأبعد النهايات في العبودية في علو الدرجة ،فبين أن هؤلاء الذين بذلوا أنفسهم وأبدانهم في طاعته ومجاهدة عدوه يكون حشرهم إليه ، واستئناسهم بكرمه ، وتمتعهم بشروق نور ربوبيته .   (ملخص من تفسير الرازي)

5- من خرج لعمل ديني ومات في سبيله فيكون موته كفارةً له من معاصيه وإن لم يكمل عمله الذي خرج لأجله ويؤجر على نيته على أبد الآباد ، ولوأنكم ما خرجتم إلى الجهاد لتموتن ولتحاسبن في يوم ما ، وإذا كان الأمر كذلك فلمَ لا يموت في عمل خيري ؟ (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

(وفي هذه العبارة إشارة لطيفة إلى مفاهيم مختلفة حول المغفرة والرحمة والموت والقتل فيلتدبر فيها طلبة العلم)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {159}

بسم الله الرحمن الرحيم

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

الملخص:

يوم أحد وقع الخطأ والقصور من بعض الصحابة رضي الله عنهم فلو غلظ عليهم النبي ﷺ لحُقَّ له أن يغلظ ويشدَّد ولكن كان النبي ﷺ لين الجانب ورقيق القلب وذلك برحمة من الله معه ، (وكون لين الجانب ورقيق القلب رحمة من الله لأنه من حسن الخلق وهو عبادة ، والتوفيق للعبادة لا يحصل إلا برحمة من الله) ولوكان النبي ﷺ فظاً غليظ القلب لانتشروا ممن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم (ولم يتسير لهم هذه البركات والخيرات) فاعف عنهم أيها النبي عما وقع منهم التقصير تجاه أمرك ،(وأما ما قصروا من الامتثال بأمر الله) فاستغفر الله لهم في ذلك، واستغفارك لهم يكون المزيد من شفقتك عليهم فيفرحون بها ، و شاورهم (بالاستمرار) في أمور خاصة (نحو الجهاد والقتال) لتجري سنة المشورة في الأمة وتنضبط جماعة المسلمين ، وبعد المشورة لما عزمت في أمر فتوكل على الله (سواء كان عزمك لأمر موافقاً لهم أم مخالفاً) والله يحب المتوكلين .

(مستفاد من بيان القرآن وتفسير الجلالين)

فائدة:

ابتداءً من الآية رقم (159) وحتى (164) من هذه السورة الكريمة ذكر بيان صفات قائد المسلمين وأميرهم وما يلزمه من الميزات ، وفيها توجيهات يحتاج إليها القائد لجمع قوات العسكر وتوحيدها بعد الانهزام ، كما إن فيها ارشادات ربانية لما بعد الانهزام وبالأخص عند حدوث الكدرة والانقباض بين الأمير والمأمورين ، وتوجيه للأمير أن يكون صدره سليماً تجاه المأمورين وعليه أن يليّن الجانب معهم ويتمسك بالمشورة كما كان يشاورهم قبل الانهزام ، وعلى المأمورين أن لا يتأثروا بإرجافات المنافقين والمخالفين تجاه أميرهم وقائدهم بل ليقدروا أميرهم أكثر من قبل سيسهل لهم طاعته وتتقوى جماعتهم . (والله تعالى أعلم بالصواب)

أقوال المفسرين:

1- بعد ذكر التنبيه للمسلمين على ما حدث منهم واعلان العفو عنهم ، قيل للمسلمين أن لا يتأثروا بأقاويل المنافقين ، ولا شك يوم أحد حدث من المسلمين خطأ كبير ، ومن ذلك يحتمل أن خطر ببال النبي ﷺ أن لا يشاورهم في ما بعد بما انقبض صدره مما وقعوا فيه من الخطأ وعدم امتثال أمره، فالله سبحانه وتعالى شفع لهم إلى حبيبه ﷺ بطريقة لطيفة كريمة بحيث أولاً أعلن عفوهم ، لأن الله تعالى يعلم أن سخط نبيه ﷺ كان لأجله جل في علاه لا لغيره ،فأعلن أنه عفا عن هؤلاء ، ثم قال أيها النبي إن فضلنا كان عليك كبيراً ، ومنه : (مايأتي ذكره) فبما رحمة من الله لنت لهم .

وهذا كان من لينه ﷺ أنه صبر ما أصابه وما أصاب أصحابه يوم أحد من المصائب والابتلاءات فلو كان غيره مكانه لفعل ما ماشاء في مثل هذه الحالة الصعبة ، وهذا رحمة الله على المسلمين أن نبيهم ورسولهم لين الجانب ورقيق القلب ، فلو كان النبي ﷺ غليظاً لانتشروا وتفرقوا من حوله ، ولو كان النبي ﷺ شدَّدَ على ما حدث منهم من الخطأ ما اقترب إليه ﷺ أحد منهم فحرموا من خير كثير وتشتت شملهم وتفرق جمعهم ولكن الله تعالى جعل نبيه ﷺ لين الجانب ، فأعرض عنهم اعراضاً كريماً وعفا عنهم (كما أمر الرب جل في علاه به حيث قال: فاعف عنهم) ولمزيد من الاحسان إليهم وتسكين خاطرهم (قال لنبيه

ﷺ)استغفر لهم مني يا أيها النبي ليكونوا هؤلاء منبسطين فرحين بما آتاهم الله من النعم، وليس العفو فقط بل استمر معهم في المشاورة والمفاوضة الكلامية معهم وإذا عزمت فتوكل على الله ، والله يحب المتوكلين . (تفسير عثماني)

ملاحظة:

روى ابن مَرْدُويه، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العَزْم؟ قال "مُشَاوَرَةُ أَهْلِ الرَّأْيِ ثُمَّ اتِّبَاعُهُمْ" . (ابن كثير)

وفي مجمع الزوائد عن علي قال: قلت يا رسول الله إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهي فما تأمرني قال: شاوروا فيه الفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه رأي خاصة. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون من أهل الصحيح. (تفسير عثماني)

2- ما هي حدود اللين والرفق ؟

قال المفسر الدريابادي رحمه الله تعالى :

إن لِلِّين والرفق لحداً في الشريعة الإسلامية فلا ينبغى اختيار اللين عندما يتمسخر بالدين ويستهزأ به فلا بد من الشدة والغلظة عندئذ .اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله فأما إذا أدى إلى ذلك لم يجز .(تفسير الرازي) [تفسير ماجدي]

3-إن النظام الإسلامي السياسي يختلف عن النظام الشخصي والجمهوري والشعبي وأساسه على المشاورة التي ذكرت في هذه الآية وقد ذكر المفسر ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية قولي الفقهاء حول المشاورة فقال : وقد اختلف الفقهاء هل كان واجباً عليه أو من باب الندب تطييباً لقلوبهم على قولين (ابن كثير) ظاهر الأمر للوجوب فقوله شاورهم يقتضي الوجوب وحمل الشافعي رحمه الله ذلك على الندب .(ابن كثير)

وعلى كل حال كان النبي ﷺ كثير المشاورة كما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: مارأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من رسول الله ﷺ (معالم للبغوي) (تفسير ماجدي)

4-هل يكون القول الفيصل على أساس الأكثرية ؟

استفاد من هذه الآية الكريمة أنه لا أصل لقاعدة الأكثرية في الإسلام إذ لوكان كذلك لكان العزم المذكور في الآية مقيداً بأن لايخالف كثرة الرأي .(بيان القرآن)

5-إن لين الأمير ورفقه أمر مندوب ومطلوب

وقال عليه الصلاة والسلام : " لا حلم أحب إلى الله تعالى من حلم إمام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله من جهل إمام وخرقه ".(تفسير الرازي)

6- سبب حسن الخلق :

إن سبب حسن الخلق هو أنه لما تفيض الأنوار القدسية على الروح تتغير قوته النظرية والعلمية يعني قوة العقيدة والعمل فتكتملان، فما يصيب الإنسان بعد ذلك من الصدمة والابتلاء يراها من الله تعالى فلا يغضب على أحد ولا ينتقم من أحد لنفسه ولا يحسد على آخر ، وعلى هذا القياس يزول منه كل الصفات الرذيلة ، حتى يتلذذ بالروحانيات فيرى الجسمانيات ولذائذ الدنيا حقيرة دنيئة فلا تنقاد للشهوة ولا تميل لدواعي الغضب ، ولا تتأثر من حب المال والجاه ،وهذه الثلاثة رأس المفاسد والبليات ، ومن أجل ذلك تكون أخلاق الأخيار الأتقياء عالية لأنهم لا يلتفتون إلى هذه الأمور الرذيلة ، وكان خلق النبي ﷺ على أعلى قمة منه فالرب جل في علاه أثنى على خلقه فقال: وإنك لعلى خلق عظيم . (تفسير حقاني)

7- الغلظة في بعض الأمور مطلوب

إنه تعالى منعه من الغلظة في هذه الآية ، وأمره بالغلظة في قوله : { واغلظ عَلَيْهِمْ } فههنا نهاه عن الغلظة على المؤمنين ، وهناك أمره بالغلظة مع الكافرين ، فهو كقوله : { أَذِلَّةٍ عَلَى المؤمنين أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين } [المائدة : 54] وقوله : { أَشِدَّاء عَلَى الكفار رُحَمَاء بَيْنَهُمْ } [الفتح : 29] وتحقيق القول فيه أن طرفي الإفراط والتفريط مذمومان ، والفضيلة في الوسط ، فورود الأمر بالتغليظ تارة ، وأخرى بالنهي عنه ، إنما كان لأجل أن يتباعد عن الافراط والتفريط ، فيبقى على الوسط الذي هو الصراط المستقيم ، فلهذا السر مدح الله الوسط . (تفسير الرازي)

8- أهمية المشاورة للأمة

قال عليه السلام: ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم .(عزاه القرطبي إلى الحسن)

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : قال الحسن وسفيان بن عيينة إنما أمر بذلك ليقتدى به غيره في المشاورة ويصير سنة في أمته . (كذا في تفسير الرازي)

9- هل كان أمر المشاورة خاصاً بالجهاد ؟

أمر النبي ﷺ بالمشاورة مع أصحابه رضي الله عنهم ، فهل كان هذا الأمر خاصاً بأمور الجهاد أم في كل الأمور التي لم يتزل فيها وحي ؟ أورد الإمام الفخر الرازي قولي العلماء في هذا الباب مع الأدلة والبراهين فمن أراد التفصيل فليراجع إلى تفسيره .

10- دلت الآية على أنه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه كما يقوله بعض الجهال وإلا لكان الأمر بالمشاورة منافياً بالتوكل بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق . (تفسير الرازي)

11- قال قتادة أمر الله تعالى نبيه عليه السلام إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ويتوكل على الله لا على مشاورقم .(تفسير القرطبي) (يعني المشورة أمر مندوب ومستحسن ولكنه سبب من الأسباب لا يعتمد عليه كلياً بل ليكن التوكل على الله مع اختيار الأسباب كغيره)

12- أقوال تتعلق بالمشورة

- قال ابن عطية : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشيرأهل العلم والدين فعزله واجب
- وكان يقال ما ندم من استشار .
- وكان يقال من أعجب برأيه ضل .
- وقال بعضهم شاور من جرب الأمور فإنه يعطك من رأيه ما وقع عليه غالياً وأنت تأخذه مجاناً .
- قال البخاري رحمه الله تعالى: وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها .
- وقال سفيان الثوري :ليكن أهل مشورتك أهل التقوى والأمانة ومن يخشى الله تعالى.

(نقلت الأقوال المذكورة من تفسير القرطبي)

صفات الأمير في ضوء هذه الآية :

1- لين الجانب ،حسن الخلق .

2- يعفو عن رفقاءه وفق ضوابط الشريعة .
3- يستغفر لأصحابه ورفقاء الجماعة .(والاستغفارلنفسه والتوبة من باب أولى)
4- يهتم بالمشاورة في أمور الجماعة .
5- ليكن صاحب العزيمة .
6- لا يتوكل إلا على الله تعالى . والله تعالى أعلم بالصواب .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {160}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

الملخص:

إن الفتح والهزيمة بيد الله تعالى لو أراد الفتح لايمنعه شيء ولو قدر الهزيمة لا ينفع نصر أحد شيئاً فعلى أهل الإيمان أن يتعلقوا بالله وليتوكلوا عليه .

أقوال المفسرين:

1- **الترغيب فى الإطاعة:** قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى : المقصود من الآية الترغيب في الطاعة والتحذير عن المعصية .(تفسير الرازي)

2- **إزالة الهم والحزن.** وعند بعض أئمة التفسير المقصود من هذه الآية إزالة ما كان في قلوب الصحابة رضي الله عنهم من الحزن والحسرة من أجل الهزيمة كالمفسر أبي حيان رحمه الله تعالى ، وقال صاحب تفسيرالبيان : وحاصل إزالة الهم أن الغالب والمغلوب كلاهما من أمر الله، جعل الله غالباً من أراده و مغلوباً من أراده و ليس بأيديكم منه في شيء ، فإذا كان الأمر كذلك فلا تحزنوا ،لأنه كان ماكان، فتوبوا من المعصية و توكلوا على الله واسألوا منه التوفيق ليقيكم من المعصية في المستقبل. (بيان القرآن)

3- يجب على المسلمين أن لايفكروا في عقبات تأتي في الجهاد ليصيبهم الفوز والنجاح . (تفسير الفرقان).

فائدة:

استفاد من هذه الآية أنه يجب على الامير أن يتصف بصفة التوكل بحيث لا ترتبط نفسه إلا بالله في كل الأحوال من الفــتح والهزيمة ويجمع شمل الجماعة ويحث جمع المسلمين على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ليترل نصر الله وأن لايتكل على الأسباب أو العدة والعتاد بل يفوض أمره إلى الله العزيز الوهاب الكبير المتعال ويستمر في الجهاد والله تعالى أعلم بالصواب .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {161}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾

الملخص:

إن مرتبة النبي ﷺ عالية جداً وإنه لفي مقام عال من الأمانة والديانة لا يتصور منه الغل و الخيانة لأن الخيانة اثم كبير ومن يغلل ويخن يأتي بما غل وخان يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت (وبالأخص من خانت وغلت) ولا يُظْلَم أحد يوم القيامة .

فائدة:

1- إن في هذه الآية الكريمة درساً مهماً لجماعة المسلمين بعد الانهزام خاصة بأن لايظنوا في ذات النبي ﷺ وأن لايقل فيهم جانب الأدب والاحترام تجاه ﷺ من أجل التأثربأقاويل المنافقين ، وهذه الفتنة تقع بعد الانهزام بالعموم فيطعنون في ذات الأمير ،فتضعف قوة المسلمين وبالتالي يقل رعبهم في المخالف.

وقال صاحب تفسير حقاني : وفي ذلك إشارة إلى أن يلاحظ النبي ﷺ المصلحة في تقسيم الغنائم، فله أن يجمع جزءاً منها في بيت المال، ولا ينبغي للمسلمين أن يظنوا في نبيهم بما قد يؤخر تقسيم الغنائم لوجه ما وذلك من أجل أقاويل المنافقين، إن عبد الله بن أبي المنافق كان يثير الشبهات في قلوب المسلمين ضد النبي ﷺ ، ومن الأمر البديهي إذا أشيع سوء الظن في القوات العسكرية وأفراد الجماعة تجاه الأمير لظهرت الثورة فيما بينهم فتتفرق الجماعة وتتشتت شملها حتى تذهب ريحها ، لذا يجب على المسلمين أن يتأدبوا مع أميرهم وقائدهم . (تفسير حقاني)

2- أمر النبي ﷺ بحسن الأخلاق مع أصحابه والرفق بهم في الآية السابق ذكرها ، وفي هذه الآية درس للمسلمين فلا يؤديهم رفق النبي ﷺ بهم إلى قلة الأدب معه (ﷺ) فتجري على ألسنتهم أقاويل المنافقين ، لأن النبي ﷺ يرفق بهم ابتغاءً لوجه الله فأنتم أيها المسلمون تحترموا مقامه العالي وشأنه الرفيع فعاملوا معه ما يليق بشأنه ومقامه ﷺ.

3- تضعف جماعة المسلمين بعد الانهزام فنزلت فضائل المصطفى ﷺ لما فيها إزالة ما أصيبوا من الضعف والوهن ،وليزيد الصحابة في شخصية النبي ﷺ محبةً وقربةً ولتنضبط أمور الجماعة فتوحد صفوفهم .

مفهوم الآية:

في هذه الآية إما تسكين خاطر المسلمين لئلا يتوسوسوا في شخصية النبي ﷺ أنه عفا عنهم بالظاهر ولكنه ساخط بالباطن فإذا وجد الفرصة لينتقمن منهم(والغلول هو الخيانة ، وأصله أخذ الشيء في الخفية يعني كأن النبي ﷺ قال شيئاً باللسان خلاف ما أخفى) وهذا مستحيل لأنه لا يليق بشأن الأنبياء عليهم السلام .

أوفيها إفهام للمسلمين أن يستحضروا عظمة النبي ﷺ في قلوبهم فلا يظنوا ظناً فيه ﷺ مثلاً : إنه ﷺ يغل (والعياذ بالله) ولعله قال تعالى ذلك لما ترك الرماة مكانهم ونزلوا من الجبل ، فهل لا يعطهم النبي ﷺ من الغنيمة قسمتهم ؟ أو يخفى عنهم شيئاً ؟ وعن الكلبي ومقاتل أن الرماة حين تركوا المركز يومئذٍ طلباً للغنيمة قالوا : نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم

من أخذ شيئاً فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ظننتم أنا نغلّ ولا نقسم لكم» ولهذا نزلت الآية (كذا في تفسير الآلوسي)

أو فيها تتريهه صلى الله عليه وسلم عما اتهمه به بعض المنافقين يوم بدر ، فقد أخرج أبو داود والترمذي وابن جرير وحسناه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال : نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها .

على كل حال في الآية الكريمة درس للمسلمين أن النبي ﷺ كما يرفق بكم ويتلطف معكم ويعفو عنكم ، كذلك عليكم أن تحترموه احتراماً يليق بشأنه ومقامه وأن لا تظنوا فيه شيئاً من سوء الظن .

الملاحظة: معنى الغلول الخيانة في الغنيمة وقد يطلق على الخيانة ، وقد يطلق على إخفاء شيء .كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : غلوا مصاحفكم . (تفسير عثماني)

إن الأنبياء معصومون:

ماكان لنبي أن يغل : والمعنى أنه لا يمكن ذلك منه لأن الغلول معصية والنبي ﷺ معصوم من المعاصي . (البحر المحيط)

قال العلماء: والغلول كبيرة من الكبائر، بدليل هذه الاية وما ذكرناه من حديث أبي هريرة: أنه يحمله على عنقه.وقد قال صلى الله عليه وسلم في مدعم : (والذي نفسي بيده أن الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا) قال: فلما سمع الناس ذلك جاء رجل بشراك أو شراكين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (شراك أو شراكان من نار).أخرجه الموطأ.

فقوله عليه السلام: (والذي نفسي بيده) وامتناعه من الصلاة على من غل دليل على تعظيم الغلول وتعظيم الذنب فيه وأنه من الكبائر . (تفسير القرطبي)

مكانة النبي في الإسلام:

إن المشركين كانوا لا يعرفون مرتبة النبي ﷺ ومنصبه العالى وما يكون له من خلق عظيم إلا أن اليهود والنصارى كان لديهم علم ومعرفة بالأنبياء ومناصبهم وأسماءهم ولكنهم أيضاً حطوا قدرهم وشأنهم ونسوا أخلاقهم وصفاهم ولا يرون النبي ﷺ إلا رجلاً كاهناً يخبر النبوءات فقط ،ففي هذه الآية ذكر مقام النبي وشأنه لتصح عقائد المسلمين وغيرهم تجاه النبي ﷺ . (تفسير ماجدي)

وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في هذه الآية: أن يأتي به حاملاً له على ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله ومرعوباً بصرته وموبخاً باظهار خيانته على رؤوس الأشهاد . (القرطبي)

فائدة:

ذكر الإمام الرازي في هذه الآية قراءتين وهما:أن قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو (يغل) بفتح الياء وضم الغين ، أي ما كان للنبي أن يخون ، وقرأ الباقون من السبعة «يغل» بضم الياء وفتح الغين ، أي ما كان للنبي أن يخان .

واختلفوا في أسباب النزول ، فبعضها يوافق القراءة الأولى وفيها ستة أوجه.

وبعضها يوافق القراءة الثانية ، وأما ما يوافق القراءة الثانية : فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن في يده يوم حنين ، غل رجل بمخيط فترلت هذه الآية . ومن أراد التفصيل في هذا الباب فليراجع إلى تفسير الرازي.

نكتـة: إن في الآية السابق ذكرها كان بيان قصة أحد بأن النبي ﷺ كيف جمع شمل المسلمين المتفرق آنذاك ، فورد السؤال أنه من يقوم بالجهاد والأعمال ؟ فقيل لهم أن يقوم به من اتصف بصفات النبي ﷺ وجعله قدوة له فلا يخونـون ويغلـون فأمثـال هؤلاء يكونون نائبوه ﷺ . (حاشية الشيخ اللاهوري)

فائدة:

استفاد من الآية أن طاعة الإمام و الأمير لازم ولا بد أن يكون الأمير أميناً لا خائناً ومن كان أميناً لا يغلب عليـه حـب الـدنيا ومتاعها . والله تعالى أعلم بالصواب .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {162}

بسم الله الرحمن الرحيم

أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢

الملخص:

إن النبي ﷺ يكون تابعاً لرضا الله تعالى لا يفعل شيئاً إلا ما يُرضي ربه ، ومن غل وخان فقد باء بسخط من الله ومأواه جهنم فلن يستوي النبي ﷺ (وهو الأمين) ومن باء بسخط من الله (وهو الخائن) وبئس المصير للخائن .

أقوال المفسرين:

1- {أفمن اتبع رضوان الله} يريد بترك الغلول والصبر على الجهاد {كمن باء بسخط من الله } يريد بكفر أو غلول أو تول عن النبي ﷺ في الحرب . (تفسير القرطبي)

2- وقال الزجاج أيضاً رضوان الله الجهاد والسخط الفرار . (البحر المحيط)

3- إن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ذكر أقوالاً في تفسير هذه الآية ، والإمام الرازي أيضاً أورد عدة أقوال حول تفسير الآية وبعد ذكرها ختم بقوله :

وقال القاضي : كل واحد من هذه الوجوه صحيح ، ولكن لا يجوز قصر اللفظ عليه لأن اللفظ عام ، فوجب أن يتناول الكل . لأن كل من أقدم على الطاعة فهو داخل تحت قوله { أَفَمَنِ اتبع رضوان الله } وكل من أخلد الى متابعة النفس والشهوة فهو داخل تحت قوله : { كَمَن بَاء بِسَخطٍ مّنَ الله } أقصى ما في الباب أن الآية نازلة في واقعة معينة ، لكنك تعلم أن عموم اللفظ لا يبطل لأجل خصوص السبب . (تفسير الرازي)

فائدة:

إن خلق النبي ﷺ عظيم رفيع ويستحيل وقوع الخيانة منه ﷺ لأنه ﷺ تابع لرضوان الله تعالى ، ولا يفعل إلا ما يُرضي ربه ، وهذا الإخلاص لله تعالى وترك رضا نفسه يُزيِّن الإنسان بزينة حسن الخلق وصفة الأمانة ، ومن هذا يستفاد أن الإمام لا يكون تابعاً لهوى نفسه بل يكون تابعاً لرضوان الله تعالى . والله تعالى أعلم بالصواب .

قال الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى:

إنما يليق بخدمة الإسلام من يقدر على تأجيل مقاصده لإتمام مرضات الله تعالى . (حاشية اللاهوري)

نكتة :

الشخصية الذي يستحق أن يترل عليه التجليات الروحانية وقد عصم من الكدرات والأوساخ البشرية يستحيل أن يصدر منه الغل أو المعصية ومن هذا علم أن النبي ﷺ كان معصوماً من الآثام .(تفسير حقاني)

دعاء :

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ونعوذ بك منك جل وجهك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {163}

بسم الله الرحمن الرحيم

هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣

الملخص:

إن لكل منهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون .

أقوال المفسرين:

1- **كلام نفيس** : إن النبي ﷺ وغيره من الخلق لا مساواة بينهما إن الطمع لا يتصور وقوعه من الأنبياء عليهم السلام. (موضح القرآن)

2- لايمكن التساوي بين{مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ} وبين {مَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّه} ولنيابة النبي ﷺ يجب أن يكون ممن{اتبع رضوان الله}. (حاشية اللاهوري رحمه الله).

3- وللناس ممن{اتبع رضوان الله} درجات متفاوتة من حيث السعادة والكمال حسب استعداد نفوسهم .(تفسير حقاني)

نكتة :

ولما اتضح أن الناس عند الله ليسوا بدرجة واحدة ففي الدنيا تتفاوت درجات الناس فيما بينهم فدرجة النبي ﷺ لا تساوى درجة رجل ، لذلك لابد من تقدير الناس على قدر منازلهم ولا ينقص قدر النبي ﷺ ولا يقلل طاعته ، وإن الله تعالى جعل هذا التفاوت بين الناس ، وفي الآية ترغيب في طاعة الأمير.

وأورد أبو حيان قول مجاهد وقتادة رحمهما الله تعالى في تفسير هذه الآية {هم درجات عند الله} أي ذو درجات فإن بعض المؤمنين أفضل من بعض . (البحر المحيط) واعتراف الإنسان بدرجة إنسان آخر يُسَهِّل له طاعته وبذلك يتقوى الدين وتعزز الجماعة .

4- **وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُون**: فيه تنبيه للعباد أن الله سبحانه وتعالى يبصر أعمالهم ، لذلك عليهم أن يخشوه في كل لحظة وآن (وفيه جانب التخويف لئلا يخان أحد ، والجملة تتمة ما سبق من موضوع الغل) . (تفسير حقاني)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {164}

بسم الله الرحمن الرحيم

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

الملخص:

إن الله تعالى أحسن إلى المؤمنين ومن عليهم بحيث بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله ويزكيهم (من كل دنيئة وسيئة) ويعلمهم الكتاب والحكمة وهم كانوا من قبل في ضلال مبين .

ربط الآية بما قبلها :

قد سبق في الآيات ذكر غزوة أحد وما يتعلق بها من الابتلاءات والأحداث فما هو صلة هذه الآية مما قبلها ؟ فالجواب على هذا السؤال يأتي في أقوال المفسرين فيما يلي:

1- **كيف يمكن وقوع الغل من شخصية وجودها منة الله على العالمين كلها ، والذي يقوم بأعمال القراءة والتلاوة والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة ، وقد كنتم قبل مجيئه في ضلال مبين ، وما لكم من درجات ومقامات من أجل تعليمه إياكم يمكن بها أن تقدروا ما للنبي ﷺ من فضيلة ومكانة لدى رب العالمين ، فهل يتصور من مثله أن يغل ويخون ؟ وهل يمكن أن يقصر في أداء الأمانة من الله رب العالمين ؟ (ملخص مما جاء في تفسير الرازي وتفسير بيان القرآن من وجوه ربط الآية مما قبلها).**
2- **أنه لما كان في الشرف والمنقبة بحيث يمن الله به على عباده وجب على كل عاقل أن يعينه بأقصى ما يقدر عليه ، فوجب عليكم أن تحاربوا أعداءه وأن تكونوا معه باليد واللسان والسيف والسنان ، والمقصود منه العود الى ترغيب المسلمين في مجاهدة الكفار . (تفسيرالرازي)**

استفاد من الآية فوائد عديدة نذكرها فيما يلي :

فائدة أولى : **في الآية الكريمة تسلية للمؤمنين بأن لا ييأسوا من الانهزام لأن أغلى متاعكم موجود وهو ذات النبي ﷺ ، وما به من القرآن والسنة والتعليم والتزكية موجود فاستفيدوا منها وعززوا أنفسكم بها . والله تعالى أعلم بالصواب .**

فائدة ثانية:

إن أكثر ما تثور بعد الهزيمة فتنة الأقاويل والظنون الباطلة ضد الأمير فذكر علاجها بحيث قيل لهم: إن النبي ﷺ أميركم وقائدكم موجود وله عليكم من المنن والاحسانات كثيرة عظيمة .والله تعالى اعلم بالصواب.

فائدة ثالثة:

إن بعد الهزيمة يتفرق الجمع و تتقطع الوحدة ، فكأن في الآية الكريمة نداء إلى أصحاب رسول الله ﷺ أن يجتمعوا حوله ويسمعوا منه القرآن ، ويطهروا قلوبهم من الذنوب وينوروها بالعلم تنتهي به حالة الانتشار والافتراق وتندمل جروحات الهزيمة . (والله تعالى أعلم بالصواب)

فائدة رابعة: إن الجماعة تحتاج إلى التربية والتزكية بعد الانهزام لئلا يقعوا في الخطأ والعصيان يسبب الفشل والانهزام ، ففي الآية تذكير للمسلمين مرة أخرى وبيان ما يناسب لهم من الوسائل كل من (1) تلاوة القرآن (2) تزكية النفس (3) تعليم كتاب الله (4) تعليم الحكمة .

فائدة خامسة:

إن بعد الانهزام يرى ضعاف الناس أن عملهم قد انتهى و طوي بساط جماعتهم وهذا بعينه ما يفهمه المخالف من أن الاسلام أوشك أن ينتهي وسينهار المسلمون قريباً ، كما كان هذا الوضع يوم أحد ، فرأى الكفار والمنافقون بعد غزوة أحد أن المسلمين انتهى دورهم فلن يقوموا مرة أخرى ، فجاء الرد عليهم أن الإسلام دين قيم جاء به النبي ﷺ وسيبقى إلى قيام الساعة ، ونظام جماعة المسلمين مبني على أساس الكتاب والسنة وتعليم الحكمة والقيام بالتربية والتزكية، والنظام يكون أساسه هذه المبادئات لن تنعدم ولن تزول .

نكتة :

قال الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:
إن النبي ﷺ أرسل للقيام بهذه الأمور العظيمة (أي تلاوة الكتاب وتعليمه وتعليم الحكمة والتزكية) وسيختبر من الله كل من كان على نهجه ﷺ . (حاشية اللاهوري رحمه الله تعالى)
يعني من كان فيهم التلاوة والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة فهؤلاء أتباع النبي ﷺ حقيقة ومن نقص فيهم هذه الأمور الأربعة فبقدر نقصهم ابتعدوا من نهج المصطفى ﷺ . (والعياذ بالله)

فائدة :

اتضح مما سبق من الآية وتفسيرها أن من صفات الأمير أنه يهتم بنفسه بهذه الأمور الأربعة ويحث أتباعه في العمل بها. والله تعالى أعلم بالصواب.

فائدة :

إن ذكر هذه الآية الكريمة وسط الآيات الجهادية ترغيب للمجاهدين خاصة أن يهتموا بالأمور المذكور أعلاه وليقتدوا بالنبي ﷺ .

دعاء :

اللهم ارحمنا بالقرآن العظيم واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {165}

بسم الله الرحمن الرحيم

أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥

الملخص:

إن ما أصابكم من المصيبة يوم أحد فقد أصاب المشركين مثليها وضعفيها يوم بدر ، مع ذلك يقول بعضكم : أنى هذا ؟ أي كيف وقعت الهزيمة ونحن مسلمون و فينا نبي الله ﷺ ؟ قل : هو من عند أنفسكم وبما كسبت أيديكم والله على كل شيء قدير .

اعلم أنه تعالى لما أخبر عن المنافقين أنهم طعنوا في الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نسبوه إلى الغلول والخيانة ، حكى عنهم شبهة أخرى في هذه الآية وهي قولهم : لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار في يوم أحد : وهو المراد من قولهم : { أنى هذا } ، وأجاب الله عنه بقوله : { قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ } أي هذا الانهزام إنما حصل بشؤم عصيانكم فهذا بيان وجه النظم . (تفسيرالرازي)

أقوال المفسرين :

قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا :

1- يوم بدر بأن قتلتم منهم سبعين وأسرتم سبعين . (تفسير القرطبي) قال ابن عباس ، والضحاك ، وقتادة ، والربيع ، وجماعة : قتلهم يوم بدر سبعين ، وأسرهم سبعين ، فالمثلية وقعت في العدد من إصابة الرجال . وقال الزجاج : قتلهم يوم بدر سبعين وقتلهم يوم أحد اثنين وعشرين ، فهو قتل بقتل ، ولا مدخل للأسرى في الآية ، لأنهم فدوا فلا مماثلة بين حالهم وبين قتل سبعين من المؤمنين.(البحر المحيط)

2- **قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا** : أن المسلمين هزموا الكفار يوم بدر ، وهزموهم أيضاً في الأول يوم أحد ، ثم لما عصوا هزمهم المشركون ، فانهزام المشركين حصل مرتين ، وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة ، وهذا اختيار الزجاج . (وطعن الواحدي في هذا الوجه) (تفسيرالرازي)

3- قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا : قلتم متعجبين (لا على سبيل الاعتراض) (تفسير الجلالين)

4- قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا : أي من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ونحن مسلمون وفينا النبي والوحي وهم مشركون. (تفسير القرطبي)

5- **قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ** : يعني مخالفة الرماة وما من قوم أطاعوا نبيهم في حرب إلا نصروا لأنهم إذا أطاعوا فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون .(تفسير القرطبي).

6- قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ: قال قتادة والربيع بن أنس : يعني سؤالهم النبي أن يخرج بعد ما أراد الإقامة بالمدينة .(تفسير القرطبي).

7- قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ: هو اختيارهم الفداء يوم بدر على القتل. (تفسير القرطبي) وفي تأويله ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، فقال : يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الأسارى ، وقد أمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا الأسارى فيضربوا أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء على أن تقتل منهم عدتهم ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لقومه ،

فقالوا : يا رسول الله عشائرنا وإخواننا نأخذ الفداء منهم ، فنتقوى به على قتال العدو ، ونرضى أن يستشهد منــا بعددهم ، فقتل يوم أحد سبعون رجلا عدد أسارى أهل بدر ، فهو معنى قوله : { قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِــكُمْ } أي بأخذ الفداء واختياركم القتل . (راجع تفسير الرازي وتفسير القرطبي)

كلام نفيس :

يعني يوم بدر قد قتلتم من الكفار سبعين وأسرتم سبعين منهم ، وقد قتل منكم سبعون رجلاً في هــذه الغــزوة فلــمَ تحزنــون ؟ وماأصابكم من المصيبة إلا بمعصيتكم لأمر الرسول ﷺ ، أو ماتركتم أسارى بدر وأخذتم منهم الفداء وقد قال النبي صــلى الله عليه وسلم في الاسارى يوم بدر: (إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستمتعتم بالفداء واستشهد مــنكم بعــدهم).(رواه البيهقي عن علي رضي الله تعالى عنه) وقلتم: يا رسول الله عشائرنا وإخواننا نأخذ الفداء منهم ، فنتقوى به على قتــال العــدو ، ونرضى أن يستشهد منا بعددهم. (موضح القرآن)

نكتـة: وردت في هذه الآية الكريمة كلمة مصيبة وقد أطلقوها على قتل السبعين من الصحابة رضي الله عنهم لكن ذكــر أبــو حيان لها معنى آخر وهو : كفهم عن الثبات للقتال. (موضح القرآن)

9- إن الله على كل شيء قدير . ونبه بذلك على أن ما أصابهم كان لوهن في دينهم لا لضعف في قدرة الله . (البحر المحيط) .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {166}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾

الملخص :

ما حدث يوم أحد كان من المقدَّرات (وفيه حكم وأسرار منها) ليميز الله المؤمنين (يعني يعلن ويكشف من هو المؤمن ومـــن هـــو المنافق؟)

أقوال المفسرين :

1- **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ : يعني يوم أحد من القتل والجرح والهزيمة . (تفسير القرطبي)**

2- **وما حصل يوم أحد فبإذن الله ومشيئته وكان سببه أنتم ، ومن حكمه أن الله أراد أن يكشف المؤمن المخلص والمنـــافق الكاذب ولا يلتبس أمرهما على أحد . (تفسير عثماني)**

سورة آل عمران مدنية : الآيات {167}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

الملخص :

أصيب المسلمون يوم أحد ما أصيبوا من الهزيمة والفشل في الحرب وذلك لأن يكشف الله عن حال المسلمين وحال المنافقين على الناس ،وقد دعا المسلمون المنافقين في هذه الغزوة وقال لهم إنكم تقولون أنكم مسلمون فأتوا معنا وجاهدوا، وإن لم تريدوا الجهاد فادفعوا ، فقال المنافقون : لوكان التوازن بين الطرفين لمشينا معكم ولكن نرى الخروج لقتال العسكر العظيم انتحاراً محضاً وكان المنافقون يومئذ أقرب للكفر منهم للإيمان كانوا يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون .

سبب نزول الآية :

والاشارة بقوله (نافقوا (وقيل لهم) هي إلى عبد الله بن أبي وأصحابه الذين انصرفوا معه عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا ثلاثمائة.

فمشى في أثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري، أبو جابر ابن عبد الله، فقال لهم: اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم، وقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، ونحو هذا من القول.

فقال له ابن أبي: ما أرى أن يكون قتال، ولو علمنا أن يكون قتال لكنا معكم.

فلما يئس منهم عبد الله قال: اذهبوا أعداء الله فسيغني الله رسوله عنكم.

ومضى مع النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد رحمه الله تعالى. (تفسير القرطبي)

أقوال المفسرين :

1- وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا : أي ليميز ،وقيل : ليرى ، وقيل : ليظهر إيمان المؤمنين بثبوتهم في القتال و ليظهر كفر المنافقين بإظهارهم الشماتة . (تفسير القرطبي)

2- قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا .

ومعنى قاتلوا في سبيل الله واضحة ولكن ما المراد ب" أو ادفعوا" ؟ ذكروا فيه أقوالا عديدة .

* قال السدي وابن جريج : ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا معنا.

* يعني إن كان في قلبكم حب الدين والاسلام فقاتلوا للدين والاسلام،وإن لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم .(تفسير الرازي)

* إنما هو استدعاء إلى القتال حمية . (تفسير القرطبي)

3- لو نعلم قتالاً لاتبعناكم . وفي ذلك أيضاً أقوال عديدة نذكرها فيمايلي:

* قال الفخر الرازي رحمه الله تعالى:وهذا هو الجواب الذي ذكره المنافقون وفيه وجهان :

الأول: أن يكون المراد أن الفريقين لا يقتتلان ألبتة ، فلهذا رجعنا.

* الثاني : أن يكون المعنى لو نعلم ما يصلح أن يسمى قتالا لاتبعناكم ، يعني أن الذي يقدمون عليه لا يقال له قتال ، وإنما هو إلقاء النفس في التهلكة (أمام العسكر العظيم)

* إنا لا نحسن القتال ولا نقدر عليه لأن رأي عبدالله كان في الاقامة بالمدينة ، وما كان يستصوب الخروج .

وعلى كل حال فإن في كل التوجيهات المذكورة لهذا الجواب دلالة على غاية خزيهم ونفاقهم.

4- هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ : أي بينوا حالهم ، وهتكوا استارهم وكشفوا عن نفاقهم لمن كان يظن أنهم مسلمون . (القرطبي)

* كان المنافقون يظهرون الإسلام بألسنتهم ويبطنون الكفر، ومن أجل اظهارهم الإسلام كان الاختلاط بينهم وبين المسلمين ، فلما انخذلوا من الطريق وتركوا النبي ﷺ وأصحابه واتخذوا الحيل الباطلة والأعذار الكاذبة انكشف أمرهم على المسلمين فصاروا أقرب إلى الكفر في ظاهر الحال وأضروا المسلمين بفعلهم الشنيع هذا وأفادوا الكافرين. (تفسير عثماني)

قصة مباركة فيها درس و عبرة للمعتبرين:

وقال أنس بن مالك: رأيت يوم القادسية عبد الله بن أم مكتوم الاعمى وعليه درع يجر أطرافها، وبيده راية سوداء، فقيل له : أليس قد أنزل الله عذرك ؟ قال: بلى ! ولكني أكثر سواد المسلمين بنفسي. رضي الله تعالى عنه وأرضاه . (تفسير القرطبي)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {168}

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

الملخص :

إن من جرائم هؤلاء المنافقين أنهم لم يحضروا القتال وقعدوا في البيوت فلم يكتفوا بذلك بل طعنوا في الشهداء فقالوا : {لو أطاعونا ما قتلوا} فقيل للنبي ﷺ : {قل} (لهم يا محمد !) {فادرءوا أنفسكم الموت إن كنتم صادقين} في أن القعود ينجي منه .

أقوال المفسرين :

1- من شبهات المنافقين التي كانوا يصدون بها المسلمين من الخروج للجهاد في سبيل الله هي قولهم في الذين قتلوا في سبيل الله {لوأطاعونا ما قتلوا} والحياة شيء مرغوب والخوف من الموت أمر طبيعي لذا أرادوا بقولهم هذا تثبيط عزائم المسلمين فرد عليهم الرب جل في علاه { قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين } (تفسير حقاني) هذه العبارة موافقة لما ذكره الإمام الرازي في تفسيره وهي كما يلي:

فائدة :

وصفهم الله تعالى بأنهم كما قعدوا واحتجوا لقعودهم ، فكذلك ثبطوا غيرهم واحتجوا لذلك ، فحكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا لاخوانهم إن الخارجين لو أطاعونا ما قتلوا ، فخوفوا من مراده موافقة الرسول صلى الله عليه وسلم في محاربة الكفار بالقتل لما عرفوا ما جرى يوم أحد من الكفار على المسلمين من القتل ، لأن المعلوم من الطباع محبة الحياة فكان وقوع هذه الشبهة في القلوب يجري مجرى ما يورده الشيطان من الوسواس . (تفسير الرازي)

2- هؤلاء الحمقاء (أي المنافقون) لم يكتفوا بالقعود عن الجهاد فقط بل لإظهار رأيهم الباطل و اغترار برأيهم الفاسد وتثبيط عزائم المسلمين قالوا في شأن الشهداء {لو أطاعونا ما قتلوا} قيل للنبي ﷺ {قل} لهم إن لا يموت الإنسان بطاعتكم {فادرءوا عن أنفسكم الموت} ولن تستطيعوا أيها المنافقون فلا فائدة في كلامكم وموت المسلم في الجهاد في سبيل الله خير من الموت الذي ليدركه أينما كان.(تفسيرالفرقان)

3- وَقَعَدُوا : قالوا هذا القول وقعدوا بأنفسهم عن الجهاد . (تفسير القرطبي) ومعنى هذا القعود القعود عن الجهاد . (تفسير الرازي)

4- قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ : أي قالوا لأجل إخوانهم . (تفسير الرازي)

5- قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ : وهم الشهداء المقتولون من الخزرج وهم إخوة نسب ومجاورة لا إخوة الدين.(تفسير القرطبي) وقيل لأشكالهم من المنافقين. (تفسير القرطبي)

نكتة :

إن معاملة غزوة أحد كانت حداً فاصلاً للمنافقين الذين كانوا مختلطين في المعايش مع المسلمين ، فانكشف حالهم ونفاقهم يومئذ ، فلم يتركوا فرصة من بداية مشورة الحرب إلى نهايتها إلا انتهزوها لإضرار المسلمين وإيذاءهم ، فلما اتفقوا على القتال خارج المدينة ، قالوا : القتال خارج المدينة إلقاء النفس إلى التهلكة ، فلما قيل لهم : ادفعوا عن المدينة قالوا {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} فلما وقعت الهزيمة قالوا {لو أطاعونا ما قتلوا}، وقالوا : ما الفائدة في هذه القتال يوماً بعد يوم الأفضل أن يرضي العدو ، والمقصود من ذلك كله إنشاء اليأس في قلوب المسلمين وتنفير المجاهدين عن الجهاد ، وما ورد في هذه الآيات من أحوال المنافقين

لا يختص بهم بل هذا هو حال المنافقين في كل الأزمنة والأمكنة فيضعفون المسلمين ويشككون في دينهم ويفرقون جمعهم وينفرونهم عن الجهاد .

(ترجمان القرآن)

6- {قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ} يعني حسب زعمكم لو قعدتم لا يأتيكم الموت فادفعوه فلا يدخل بيوتكم ؟ وإن كان الأمر ليس كما ترون ولا بد من الموت ، فاعلموا أن موت الشجعان في الميدان أفضل من غيره . (تفسير عثماني)

7- وقال أبو الليث السمر قندي : سمعت بعض المفسرين بسمر قند يقول : لما نزلت الآية: {قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ} مات يؤمئذ سبعون نفساً من المنافقين . (تفسير قرطبي).

نكتة :

الرواية المذكور أعلاه ذكروها بلا سند فقال من قام بالتعليق على تفسير القرطبي: تفرد بذكره أبو الليث وهو معضل لا حجة فيه ولو صح لجاء مسنداً .(حاشية القرطبي)

نكتة :

لم يبق شهداء أحد و لا من اعترض عليهم من المنافقين فقد تركوا الدنيا كلهم ، والدنيا فانية ، لا نفس إلا وتذوق ذائقة الموت ، إلا أن شهداء أحد سعدوا وفازوا فوزاً عظيماً والمنافقون خابوا وخسروا في الدنيا والآخرة ، ما من نفس إلا والموت وراءها ولكن يسعد البعض بالموت ويشقى آخر ولكل نصيب وقسمة ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الشهادة والسعادة ويحفظنا من النفاق .

في الآية إخبار بأن هؤلاء المنافقين ليموتون ومات من يعترض عليهم هؤلاء المنافقون ولكن هم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {169}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

الملخص :

أيها المخاطب ! إن الذين قتلوا في سبيل الله من أجل الدين لا تحسبهم أمواتاً كغيرهم من الموتى بل إنهم أحياء في حياة طيبة ومقربون عند الله يرزقون . (مأخوذ من تفسير بيان القرآن)

سبب نزول الآية:

1- لما لقي الشهداء عند الله من عزة وكرامة ودرجات عالية ورزق طيب وفرحة وسرور قالوا يا ليت وصل هذا الخبر إلى المسلمين ليزداد فيهم شوق الجهاد فبلغ رب العالمين خبرهم إلى المسلمين بإنزال هذه الآية .

2- قال الذين شهد أقاربهم في الغزوة عند الفرح : نحن في فرحة وسرور وإخواننا في القبور، فنزلت هذه الآية وقيل لهم إن أولئك في فرحة أصلية وسرور دائم لا يزول ولا يفني . وهل سبب ذلك قول من استشهد ، وقد دخل الجنة فأكل من ثمارها من يبلغ عنا إخواننا إن في الجنة نرزق فلا تزهدوا في الجهاد فقال الله أنا أبلغ عنكم فنزلت ، أو قول من لم يستشهد من أولياء الشهداء إذا أصابتهم نعمة نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وإخواننا في القبور فنزلت .(تفسير القرطبي، والبحر المحيط واللفظ له).

شهداء أحد بدر أو بئر معونة:

وقال أبو الضحى : نزلت هذه الآية في أهل أحد خاصة ، وقال بعضهم نزلت في شهداء بدر، وقيل نزلت في شهداء بئر معونة . (تفسير القرطبي)

كلام نفيس للإمام الرازي حول هذه الآية:

هذه الآية واردة في شهداء بدر وأحد ، لأن في وقت نزول هذه الآية لم يكن أحد من الشهداء إلا من قتل في هذين اليومين المشهورين ، والمنافقون إنما ينفرون المجاهدين عن الجهاد لئلا يصيروا مقتولين مثل من قتل في هذين اليومين من المسلمين ، والله تعالى بين فضائل من قتل في هذين اليومين ليصير ذلك داعيا للمسلمين الى التشبه بمن جاهد في هذين اليومين وقتل ، وتحقيق الكلام أن من ترك الجهاد فربما وصل الى نعيم الدنيا وربما لم يصل ، وبتقدير أن يصل اليه فهو حقير وقليل ، ومن أقبل على الجهاد فاز بنعيم الآخرة قطعا وهو نعيم عظيم ، ومع كونه عظيما فهو دائم مقيم ، واذا كان الأمر كذلك ظهر أن الإقبال على الجهاد أفضل من تركه . (تفسير الرازي – (ج **4** / ص **466**)

ربط الآية بما قبلها:

1- إن ربط الآية بما قبلها واضح ، إن المنافقين كانوا ينفرون الناس من الجهاد بقولهم إن الجهاد يفضي إلى الموت والقتل كما قتلوا في أحد فلو أطاعونا ما قتلوا ، فنزل الردعلى هؤلاء المنافقين أن للموت وقتاً معيناً وأجلاً مسمىً فلو جلستم في البيوت ليأتينكم الموت .

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى:اعلم أن القول لما ثبطوا الراغبين في الجهاد بأن قالوا : الجهاد يفضي إلى القتل ، كما قالوا في حق من خرج إلى الجهاد يوم أحد ، والقتل شيء مكروه ، فوجب الحذر عن الجهاد ، ثم إن الله تعالى بين أن قولهم :

الجهاد يفضي إلى القتل باطل ، بأن القتل إنما يحصل بقضاء الله وقدره كما أن الموت يحصل بقضاء الله وقدره ، فمن قــدر الله لــه القتل لا يمكنه الاحتراز عنه ، ومن لم يقدر له القتل لا خوف عليه من القتل ، ثم أجاب عن تلك الشبهة في هذه الآية بجواب آخر وهو أنا لا نسلم ان القتل في سبيل الله شيء مكروه ، وكيف يقال ذلك والمقتول في سبيل الله أحيــاه الله بعــد القتــل وخصــه بدرجات القربة والكرامة ، وأعطاه أفضل أنواع الرزق وأوصله الى أجل مراتب الفرح والسرور؟ فأي عاقل يقول إن مثل هــذا القتل يكون مكروها ، فهذا وجه النظم .

2- إن ما ذكر في الآية الكريمة فيه تسلية وطمآنية للمسلمين فلا يحزنوا على ما أصيبوا يوم أحد ، وفيه تشــجيع لهــم للجهــاد وللموضوع صلة بما قبله . والله تعالى أعلم بالصواب.

حديثان في شأن سبب النزول:

(1) أخرج الإمام أحمد وجماعة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما أصيب إخوانكم بأحد جعــل الله تعالى أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظــل العــرش فلمــا وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى لنا " وفي لفظ «قالوا مــن يبلــغ إخواننا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل هؤلاء الآيات . (روح المعاني للآلوسي)

(2)وأخرج الترمذي وحسنه . والحاكم وصححه ، وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال : لقيني رسول الله صلى الله عليــه وســلم فقال : " يا جابر مالي أراك منكسراً فقلت يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وديناً فقال : ألا أبشرك بما لقــي الله تعــالى بــه أباك؟ قلت : بلى قال : ما كلم الله تعالى أحداً قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحاً وقال : يا عبــدي تمــن علــيَّ أعطك قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية قال الرب تعالى : قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال : أي ربي فأبلغ من ورائي فــأنزل الله تعالى هذه الآية . (روح المعاني للآلوسي)

بَلْ أَحْيَاءٌ

1- **كلام نفيس :** إن للشهداء حياة لا تماثل حياة الموتى الآخرين ، الأكل والشرب،العيش والراحة كل ذلك موفر لهم من عند رب العالمين ولا يجدونها غيرهم إلا بعد قيام الساعة .(موضح القرآن)
2- من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ويجوز أن يقال في شأنه أنه مات ، ولكن الإعتقاد بأن موته مثل موت غيره من الموتى منهي عنه ،ولا شك في أن بعد الموت لكل نفس حياة برزخية وبها يتعلق جزاء الثواب والعقاب ولكن الشهيد له حياة برزخية يمتاز بها عن غيره من الموتى وتكون آثار هذه الحياة أقوى من غيره سوى الأنبياء لأن حياة الأنبياء أقــوى مــن حياة الشهداء ثم تلي حياة الشهيد حياة عامة الموتي البرزخية لا يعلم كنهها إلا الله . (بيان القرآن)
3- لا تحسبوا الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل هم أحياء عند ربهم ، ولا تحسبوا أن هذه الحياة رمزية فقط كمــا يجــري على ألسنة الناس أن فلاناً حي لأن ذكره باقي وتذكاره مسموع وعمله مشاهد فهو حي ،كلا بل إن حياة الشــهداء حياة حقيقية فيرزقون عند رب العالمين ،وذهب أبو القاسم المعتزلي إلى أن المراد بحياة الشهداء أنهم يحيون يوم القيامــة ، ورأى أهل السنة هذا القول باطلاً لأن الله تعالى قال : {بل أحياء}، والأحاديث التي وردت في حياة الشهداء بلغــت حد التواتر أخرجها أصحاب الستة وغيرهم، وقد مال بعض من لا دراية له في العلم الشرعي أن المراد بالحيــاة حيــاة مجازية لا حقيقية يعني أن اسمهم حي لما فدوا أنفسهم للقوم والملة وهذا القول باطل أيضاً لأنه مخالف ما ورد في الكتاب والسنة وما عليه إجماع الأمة . (تفسير عثماني)

كلام نفيس:

لو قيل أن روح الشهداء حية فهذا يصدق على الموتى الآخرين لأن روحهم حية أيضاً ، ولو قيل أن للشهداء حياة برزخية ، فللموتى الآخرين أيضاً حياة برزخية ، فما الفرق بين حياة الشهداء وحياة الموتى الآخرين ؟ فبين القرآن الكريم أن حياة الشهداء تختلف عن حياة الموتى الآخرين وبينهما بون شاسع وفرق عظيم ، ففي القرآن الكريم {بل أحياء} فلو كان حياتهم مثل حياة الموتى الآخرين فما هي ميزة الشهداء على الآخرين ؟ والحقيقة أن حياة الشهيد تبدأ منذ شهادته مباشرة دون أي تأخير فإنه ينتقل من حياة إلى حياة عن طريق عبوره جسر الموت ، أما ما هي حقيقة حياته وما هي كيفيتها ؟ فنقول : لا يعلم كنهها إلا الله ولا يسع علم الإنسان إلى حقيقتها وكيفيتها إلا أن بعض المفسرين والفقهاء الكرام بسطوا الكلام في هذا الباب نذكر بعض عباراتاهم التي تشرح الإشارات البليغة .

إن صاحب تفسير حقاني رد على المعتزلة الذين ينكرون حياة الشهداء . (والله أعلم بالصواب)

وقال الشيخ اللاهوري : إن الذين قتلوا في سبيل الله يتمتعون بنعم الله كالإنسان الذي يتمتع في الدنيا بلذاتها . (حاشية اللاهوري رحمه الله تعالى)

كلام نفيس

إن الشهداء أحياء لهم قربة عند الله ، يرزقون لديه ، وهذا ما يجب على المسلم أن يؤمن به ، وهذه الفضائل تحث المسلم الصادق على الجهاد والشوق إلى الشهادة وفيه رد قوي على كل الارجافات التي يشيعونها المنافقون في كل زمان ومكان، ويرون الشهادة قتلاً وهلاكاً لأنهم يرون أن الشهادة تفضي إلى حرمان متاع الدنيا ولذاتها وهي مقصودهم . والعياذ بالله . والله تعالى أعلم بالصواب .

عِنْدَ رَبِّهِمْ : عند هنا تقتضي غاية القرب . (تفسير القرطبي)

مقرّبون عنده ذو و زلفى ، كقوله : { فالذين عِندَ رَبّكَ } [فصلت : 38] . { يُرْزَقُونَ } مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون .. (تفسير الكشاف)

وقد ورد في الأحاديث الشريفة كيف يجدون الرزق هؤلاء الشهداء فتكون أرواحهم في قناديل معلقة تحت العرش وتسقي من أنهار الجنة وتأكل من أثمارها وقد أخرج الأحاديث الإمام أحمد في مسنده وأبو داود ووالحاكم عن ابن عباس مرفوعاً كذا في لباب النقول.

وقد أجاب سؤال سائل صاحب تفسير البيان : وهو أنهم لما دخلوا الجنة فيكف يخرجون منها لأن من دخل الجنة فلن يخرج منها ؟ قال رحمه الله تعالى : يحتمل أن رزقهم من الطعام والشراب يصل إليهم من مكان يتعلق بالجنة لا من الجنة مباشرة. (تفسير بيان القرآن)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {170-171}

بسم الله الرحمن الرحيم

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾

الملخص :

أولئك الشهداء فرحون بما آتاهم الله تعالى من فضله نحو الدرجات العالية والزلفى والقربة عنده والرزق الحسي من الطعام والشراب والرزق المعنوي من الفرحة والسرور ، وكذلك هم الذين لم يقتلوا حتى الآن فلم يصلوا إلى الشهداء بل بقوا في الدنيا يفرحون عليهم الشهداء بأنهم لو قتلوا في سبيل الله لينالون ما نلنا ولا يكون عليهم خوف ولاهم يحزنون ، وهؤلاء الشهداء يفرحون بما آتاهم الله من فضله ويفرحون أيضاً على ما رأوا وشاهدوا عند الله من كرامة ونعم أكرموا بها وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، وأنه يعطي الأجر حسب العمل وإن الشهادة من أفضل الأعمال استحق صاحبه أفضل الأجر ومن لوازمه عدم الخوف والحزن . (بيان القرآن)

وقال الإمام الرازي في تفسيره:

لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش " { وَيَسْتَبْشِرُونَ ب } إخوانهم المجاهدين { الذين لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم } أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم { مّنْ خَلْفِهِمْ } يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم . وقيل : لم يلحقوا بهم ، لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم { أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } بدل من الذين . والمعنى : ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين ، وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة . بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به . وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة ، والجد في الجهاد ، والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم ، وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله ، وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب .

التفسير الجامع بالإيجاز

من قعد في بيته لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الموت إلا أنه يحرم من الموت الذي هو حياة دائمية في الحقيقة ، إن الشهداء يحصلون على حياة خاصة لا يجدونها الموتى الآخرون ، فإن الشهداء لهم زلفى وقربة عند الله تعالى ولهم درجات عالية ومقامات فاضلة ، يصل إليهم رزق الجنة ، وبدون تشبيه كما إننا نركب في الطيارات وتوصلنا إلى حيثما أردنا، والشهداء أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ ، حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ. أما كيفية هذه الطيور لا يعلمها إلا الله وأشياء تلك الدار الآخرة لا تقدر على أشياء هذه الدنيا الفانية و إن هناك نعماً لا يخطربابال أحد من البشر، والشهداء يستبشرون بما آتاهم الله من فضله وأكرمهم بالنعم التي لا يكاد يتصورها أحد من البشر، كما إنهم يستبشرون بما رأوا بأعينهم صدق ما وعدهم الله بلسان نبيه ﷺ وأن الله لا يضيع أجرالمحسنين بل يعطي أكثر مما يتوقع الإنسان ، ولا يفرح هؤلاء الشهداء بحالهم فقط بل يستبشرون بتصور إخوانهم الذين تركوهم مشغولين في

أعمال البر ووجوه الخير بأنهم لو قتلوا مثل ماقتلنا في سبيل الله أو على الأقل ماتوا ليجدون عند الله من الكرامة والنعم والرضوان فلا يخافون ولا هم يحزنون يتمتعون برحمة من الله ورضوان .

وتمنى بعض الشهداء أن يبلغ خبر ما وجدوا عند الله من كرامة وشرف إلى قومهم فتكفل الله تعالى بنفسه هذا الإبلاغ كما في رواية أنس رضي الله عنه أنه قال: فقرأنا، فيهم (أي في شهداء بئر معونة) قرآنا، ثم إن ذلك رَفع: "بَلِّغُوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا" ثم نسخت(فرفع بعدما قرأناه) زمانا وأنزل الله تعالى: { وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا } الآية.(أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة: 7 / 385 ومسلم في المساجد باب استحباب القنوت)

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُد جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَاف طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّة، وتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَب فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ ، وَمَأْكَلِهِمْ، وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِم قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ لَنَا، لِئَلا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَاد، وَلا يَنْكُلُوا عَنْ الْحَرْب" فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ. فَأَنزلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاءِ الآيَاتِ: { وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } وما بعدها".

أقوال المفسرين :

1- ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم .

* قال السدي : يؤتى الشهيد بكتاب فيه من يقدم عليه من إخوانه فيستبشركما يستبشر أهل الغائب بقدومه . (تفسير القرطبي)

* وقال قتادة وابن جريح والربيع وغيرهم: استبشارهم بأنهم يقولون: إخواننا الذين تركنا خلفنا في الدنيا يقاتلون في سبيل الله مع نبيهم، فيستشهدون فينالون من الكرامة مثل ما نحن فيه، فيسرون ويفرحون لهم بذلك. (تفسير القرطبي)

* وقيل: إن الاشارة بالاستبشار للذين لم يلحقوا بهم إلى جميع المؤمنين وإن لم يقتلوا، ولكنهم لما عاينوا ثواب الله وقع اليقين بأن دين الاسلام هو الحق الذي يثيب الله عليه، فهم فرحون لانفسهم بما آتاهم الله من فضله، مستبشرون للمؤمنين بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ذهب إلى هذا المعنى الزجاج وابن فورك.

* وقال سعيد بن جبير: لَمّا دخلوا الجنة ورَأوْا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا: يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة، فإذا شهدوا للقتال باشروها بأنفسهم، حتى ويُستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير، فأُخبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم -أي ربهم-[أني] قد أنزلت على نبيكم وأخبرته بأمركم، وما أنتم فيه، فاستَبْشروا بذلك، فذلك قوله: { وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ } الآية. (تفسير ابن كثير)

2- إن هؤلاء الشهداء يتمتعون بنعم كثيرة وهم في فرحة وسرور ، وهم يرون في أقاربهم وأصدقائهم الذين لم يقتلوا معهم بل بقوا في الدنيا ماذا سيكون مصيرهم كرجل قطع طريقاً ذا شوكة وبلاء حتى بلغ مترله ووجد فيه راحة وطمآنية وقد بقي له أصدقاء أو أقارب في خلفه لم يصلوا إليه فيفكر في شأنهم ، وهكذا هؤلاء الشهداء يفكرون في شأن أقاربهم وأصدقاءهم فأخبرهم ربهم أن لا يهمكم شأنهم فإنهم سيأتون إليكم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون واعلموا أن الله لا يضيع أجر المؤمنين، وقد اديتم ما كلفتم فلكم الأجر والثواب. (تفسير حقاني)

3- يستبشرون بنعمة من الله :

والمراد بالنعمة جزاء أعمالهم وهو الجنة والمغفرة ، والمراد بالفضل المزيد من النعمة لا يعلمها إلا الله .

- أي بجنة من الله ويقال: بمغفرة من الله وفضل هذا لزيادة البيان، والفضل داخل في النعمة ، وفيه دليل على اتساعها وانها ليست كنعم الدنيا . (تفسير القرطبي)

- {بنعمة من الله}أي ثواباً لأعمالهم {وفضل}أي زيادة عليه كقوله تعالى : { لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الحسنى وَزِيَـادَةٌ }. (بيضاوي ، تفسر ماجدي)

حديث متعلق بتفسير هذه الآية الكريمة

روى الترمذي عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (للشهيد عند الله ست خصال - كذا في الترمذي وابن ماجه " ست "،وهي في العدد سبع - يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه) قال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وهذا تفسير للنعمة والفضل والآثار في هذا المعنى كثيرة وروي عن مجاهد أنه قال: السيوف مفاتيح الجنة . قاله القرطبي رحمه الله تعالى (تفسير القرطبي)

دعاء:

اللهم يا ربنا يا ربنا ياربنا يا ربنا يا ربنا ارزقنا الشهادة في سبيلك .

إن الآيات من سورة آل عمران من 172 وحتى 175 تتعلق بغزوة حمراء الأسد وغزوة بدر ، فمن المناسب أن يتعرف أولاً على قصة هاتين الغزوتين قبل بدء تفسير هذه الآيات .

غزوة حمراء الأسد

16/شوال يوم الأحد سنة 03هـ

إن مشركي مكة رجعوا من أحد حتى بلغوا بالروحاء (وهي على ثمانية أميال من المدينة) فتشاوروا وقالوا : قد فعلنا ما فعلنا فيهم (أي في المسلمين) من القتل والجروج والقروح وتركناهم ولم نستأصلهم فلوا نرجع إلى المدينة ونكرّ عليهم كرة شديدة وهم في جروح وقروح وحالة انهزام ليتم لنا الفتح والغلبة عليهم كاملاً ، فقال صوان بن أمية : إن خير ماأرى أن ترجعوا إلى مكة لأن أصحاب محمد يتحرقون عليكم فلو حملتم عليهم يحتمل أن لا أصبتم منهم شيئاً .

وكان وصولهم بالروحاء مساء السبت خمسة عشر من شوال ، وتشاوراوا بليلة الأحد ، فما مضت الليلة إلا وقد وصل الخبرإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث قدم رجل من أهل مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن أبي سفيان وأصحابه فقال: نازلتهم فسمعتهم يتلاومون ويقول بعضهم بعضاً : لم تصنعوا شيئا أصبتم شوكة القوم وحدهم، ثم تركتموهم ولم تبتروهم ، فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يعلن بالمدينة أن يتجزوا للخروج بطلب العدو وقال: لا ينطلقن معي إلا من شهد القتال.

وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر حين ذكر أن أباه أمره بالمقام في المدينة على أخواته ، قال وطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم العدو حتى بلغ حمراء الاسد.

قال ابن إسحاق: وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع إلى المدينة.

قال ابن هشام: وقد كان استعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، أن معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة، صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بحمراء الاسد فقال: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم، ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا: اصبنا حد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم.

فلما رأى أبو سفيان معبدا قال: ما وراءك يا معبد ؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط.

قال ويلك ما تقول ؟ قال: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل.

قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل شأفتهم، قال فإني أنهاك عن ذلك،

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه.

ونزلت فيه الآية { الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ }(سورة آل عمران:الآية/172)

(البداية والنهاية 48/4 فتح الباري 387/7، زرقاني 59/2 كذا في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم مؤلفه/الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي رحمه الله تعالى)

غزوة بدر الموعد

فِي شَعْبَانَ سَنَةَ أَرْبَعٍ

قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَلَمّا قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ الْمَدِينَةَ مِنْ غَزْوَةِ الرّقَاعِ أَقَامَ بِهَا بَقِيّةَ جُمَادَى الْأُولَى وَجُمَادَى الْآخِرَةِ وَرَجَبًا ،ثُمّ خَرَجَ فِي شَعْبَانَ إلَى بَدْرٍ ، لِمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ حَتّى نَزَلَهُ . فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَمَانِي لَيَالٍ يَنْتَظِرُ أَبَا سُفْيَانَ وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ فِي أَهْلِ مَكّةَ حَتّى نَزَلَ مَجَنّةَ ، مِنْ نَاحِيَةِ الظّهْرَانِ ، وَبَعْضُ النّاسِ يَقُولُ قَدْ بَلَغَ عُسْفَانَ ، ثُمّ بَدَا لَهُ فِي الرّجُوعِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّهُ لَا يُصْلِحُكُمْ إلّا عَامٌ خَصِيبٌ تَرْعَوْنَ فِيهِ الشّجَرَ وَتَشْرَبُونَ فِيهِ اللّبَنَ وَإِنّ عَامَكُمْ هَذَا عَامُ جَدْبٍ فَسَمّاهُمْ أَهْلُ مَكّةَ جَيْشَ السّوِيقِ ، يَقُولُونَ إنّمَا خَرَجْتُمْ تَشْرَبُونَ السّوِيقَ .

إن أبا سفيان وعد يوم أحد أنه سيكون القتال العام القادم ببدر ولكن في نفسه كان مرعوباً ولم يرد أن يأتي النبي ﷺ إلى بدر لئلا يكون له ندامة ويقع الاتهام على المسلمين أنهم لم يأتوا بدراً ولم يفوا الوعد ، وكان رجلاً منهم نعيم ابن مسعود يقدم على المدينة أغروه بالمال على أن يشيع الخبر في المدينة أن أهل مكة تجمعوا لاستئصال المسلمين ، فالخير للمسلمين أن لا يخرجوا للقتال مع قريش ، ولم يرد أبو سفيان بذلك إلا التخويف بين المسلمين فلا يخرجون للقتال، فلما سمع المسلمون بذلك زادوا إيماناً ويقيناً بالله وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وخرجوا إلى بدر حسب الوعد ، وبدركانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام،وانهج الله عز وجل للمسلمين بصائرهم فخرجوا بتجارات فأصابوا للدرهم درهمين ولم يلقوا عدوا وهي بدر الموعد .

وفي ذلك نزلت الآية: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * (سورة آل عمران:الآيات/**172-175**).

ملاحظة: وأوضح ابن حجر رحمه الله أن نعيم بن مسعود قد أسلم بعد وحسن إسلامه .(رضي الله عنه) (أنظر فتح الباري ج97/9)

فائدة :

إن الله تعالى سمى الشيطان الذي يشيع الأخبار الكاذبة فقال:﴿ إن ذلك الشيطان يخوف أولياءه﴾ ودل على علاج لمثل هذه الدعايات وهو التوكل على الله ، كأنه قال تعالى: يا أيها المسلمون أعدوا للقتال والجهاد بقدر ما استطعتم ثم توكلوا على الله وقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا تفعلوا كما يفعل هؤلاء الشياطين بأن تشيعوا الدعايات الكاذبة ، وليعلموا أن الإسلام لا يبيح الكذب ولو كان ضد الأعداء . (مقتبس من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله تعالى)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {172}

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾

الملخص :

الذين استجابوا لله والرسول بعد غزوة أحد و خرجوا للجهاد طائعين فلهؤلاء المحسنين أجر عظيم .

سبب نزول الآية:

إن الآية المذكور أعلاه نزلت في شأن مجاهدي غزوة حمراء الأسد كما قال القرطبي رحمه الله .

هذا تفسير الجمهور لهذه الآية.(تفسير القرطبي)

إلا أن بعض المفسرون ذهبوا إلى أنها تتعلق بغزوة بدر الصغرى ولكنه قول شاذ ، فقال القرطبي :

وشذ مجاهد وعكرمة رحمهما الله تعالى فقالا: إن هذه الآية إنما نزلت في خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر الصغرى . (تفسير القرطبي).

وقد اختار هذا القول الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى : فقال: إن أبا سفيان يوم أحد كان قائد العسكر، فقال: موعدنا بدر من العام المقبل.فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (قولوا نعم) فخرج النبي صلى الله عليه وسلم قبل بدر، فالذين رافقوه ﷺ لهم هذه البشارة العظمى بأنهم خرجوا مع الانهزام يوم أحد ومع ما أصيبوا فيه من القتل والجرح والقرح. والله أعلم.(موضح القران)

كلام نفيس للإمام الرازي حول هذه الآية:

اعلم أن الله تعالى مدح المؤمنين على غزوتين ، تعرف احداهما بغزوة حمراء الاسد ، والثانية بغزوة بدر الصغرى ، وكلاهما متصلة بغزوة أحد ، أما غزوة حمراء الاسد فهي المراد من هذه الآية .

1- **عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها كان أبواك – تعني الزبير وأبابكر– من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح . (تفسير القرطبي)**
2- **فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين . (تفسير القرطبي)**
3- **استنفر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لطلب الكفار فاستجاب له تسعون . (البحر المحيط).**
4- **لما كان في يوم الأحد وهو الثاني من يوم أحد نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس باتباع المشركين وقال : لا يخرج معنا إلا من شهدها بالأمس فنهض معه مائتا رجل من المؤمنين .(وقد وقع الخلاف في عدد هؤلاء والقول الراجح في ذلك هو أنهم كانوا سبعين رجلاً بينما صاحب سيرة الحلبية ذكر أن كل من كان في غزوة أحد غير الشهداء خرج إلى حمراء الأسد) والله تعالى أعلم .**
5- **قصة غريبة :**

وقيل : إن الآية نزلت في رجلين من بني عبد الأشهل كانا مثخنين بالجراح يتوكأ أحدهما على صاحبه .

6- **قال أبو بكر الأصم : نزلت هذه الآية في يوم أحد لما رجع الناس اليه صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم ، وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنها بعد أن مثلوا بحمزة .**
7- **مآثر المجاهدين : قال الإمام الرازي رحمه الله :**

وروي أنه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ، ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة أخرى ، وكـــان كـــل ذلك لإثخان الجراحات فيهم ، وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ، ويتوكأ عليه صـــاحبه ســـاعة . (تفســـير الرازي)

8- وقال القرطبي رحمه الله : فربما كان فيهم المثقل بالجراح لا يستطيع المشي ولا يجد مركوبـــا، فربمـــا يحمـــل علـــى الاعناق، وكل ذلك امتثال لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبة في الجهاد. (تفسير القرطبي)

شرح اللغة :

استجاب بمعنى أجاب قال: صاحب الكشاف ''من '' في قوله تعالى :للذين أحسنوا منهم '' للتبيين لأن الذين اســـتجابوا لله والرسول قد أحسنوا واتقوا كلهم لا بعضهم . (تفسير الرازي)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {173-174}

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

الملخص :

إن هؤلاء مع بطالتهم وشجاعتهم مخلصون لأنهم لما قيل لهم أن العدو قد تجمع لكم وتجزلكم بالعدة والعتاد وقيل لهم اخشوهم فلم يخشوا بل هذا القول زادهم إيماناً فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وخرجوا مع ما أصيبوا من الجروح والقروح والقتل ، ورجعوا بنعمة من الله سالمين لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم.

أقوال المفسرين :

1- إن قائد المشركين أبا سفيان اختار وسيلة مؤثرة ضد المسلمين وهي الدعاية كوسيلة الحرب ، فأغرى بعض المسافرين البدويين في حمراء الأسد ، واستعمل نعيم بن مسعود الثقفي فى البدر الصغرى وأغراه بالمال ليخّوف المسلمين من مشركي مكة ، وكان أبو سفيان على علم أن ما لقي هو وأصحابه من الفتح يوم أحد،كان أمراً اتفاقياً لما شاهد بأم عينيه بسالة المسلمين وبطالة المجاهدين في بداية الحرب وبعدها فتثبط من المقاومة ، فاختار هذه الوسيلة أي إشاعة التخويف والترهيب بين المسلمين لئلا يتجرؤا على القتال فيما بعد، ولكن باء مكره هذا بالفشل فزاد الخوف المسلمين إيماناً ويقيناً بربهم فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. والله تعالى أعلم بالصواب.

2- فقدم (أي نعيم بن مسعود) على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفزع الناس وخوفهم اللقاء ، فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي » فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فتجهز للقتال وقال : حسبنا الله ونعم الوكيل . (البحرالمحيط)

نكتة فريدة :

إن من كان همه الدنيا ومتاعها فقط وغرض حياته الاستمتاع بلذات الدنيا ليخافن من قوة العدو ومكائده ، ومن كان هم حياته وهدف عيشه رضا الله وإعلاء كلمته لا يخاف أحداً سوى الله ويشتد غضبه على ما للأعداء من قوة ومكائد لئلا يتأثر الدين من أجل عداوتهم فتحثه غيرته للحق على قتال الأعداء وترغب في الجهاد في سبيل الله . والله تعالى أعلم بالصواب.

نكتة :

لِيَعْلَمْ من جعل همه الدنيا ولذائذها أنه لما يسمع هجوم العدو الشديد يخاف ويرى نفسه قد هلك ويخشى من انقطاع حياته من الدنيا ، بينما يكون رجال يشتاقون إلى لقاء الله تعالى ويرغبون في الشهادة فلما يسمعون النداء إلى القتال يلبون عليه ويتسابقون فيه . والله تعالى أعلم بالصواب.

3- **كلام نفيس :** أراد أبو سفيان أن لا يأتي النبي ﷺ على الميعاد ،ليكون طعن عدم وفاء الوعد على المسلمين ، واستعمل أبو سفيان رجلاً كان يتجه إلى المدينة فأغراه بالمال على أن يشيع خبر التخويف والترهيب بين المسلمين ليخافوا ولا يخرجوا للقتال، فلما وصل الرجل المدينة قال للمسلمين : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ولا

يناسبكم القتال معهم ، فأجاب المسلمون قائلين : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فخرجوا إلى بدر ومكثوا بها ثلاثة أيـــام وتاجروا بالسوق فربحوا ورجعوا إلى المدينة رابحين سالمين . (تفسير موضح القرآن)

4- **حسبنا الله ونعم الوكيل :** روى البخاري عن ابن عباس قال في قوله تعالى: " الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم – إلى قوله: – " وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " قالها إبراهيم الخليل عليه السلام حـــين ألقـــي في النار.وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم.والله أعلم. (تفسير القرطبي)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حســـبنا الله ونعم الوكيل . (ابن كثير) وقد أورد الإمام ابن كثير روايات في فضائل ‟ حسبنا الله ونعم الوكيل" فمن أراد المزيد فليراجع إليه .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتد غمه مسح بيـــده على رأسه ولحيته ثم تنفس الصعداء وقال : حسبي الله ونعم الوكيل . (روح المعاني)

نكتة :

علم مما سبق من التفسير أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا هذه الجملة المباركة أي ‟ حسبنا الله ونعم الوكيل" بمناســـبة الجهاد ،فأحبها الله تعالى وأنزل القرآن بها ، فينبغي للمجاهدين أن يهتموا بها غاية الاهتمام .

5- فانقلبوا بنعمة من الله وفضل.

ما هو المراد بالنعمة والفضل ؟ فيها عدة أقوال للمفسرين:

منها : أن المراد بالنعمة : زيادة إيمانهم ، والمراد بالفضل : هو الأرباح الدنيوية.

وقد ظهرت النعمة والفضل بهذه المناسبة بالأشكال الآتية ذكرها:

(1) إزداد إيمانهم بالله تعالى (2) وفقهم الله تعالى للخروج في سبيله (3) ما رُعبوا من شوكة العدو وقوته بل تجرؤوا على مقاومتهم (4) حصلوا على منافع تجارية (5) بُشِّروا بالأجر العظيم . (تفسير ماجدي)

قال القرطبي : قال علماءنا : لما فوضوا أمورهم إليه ، واعتمدوا بقلوبهم عليه أعطاهم من الجزاء أربعة معان : النعمة ، والفضل ، وصرف السوء واتباع الرضا فرضاهم عنهم ، ورضي عنهم . (تفسير القرطبي)

أليس ذلك فضل من الله أنهم أعطوا من الأجر العظيم والثواب الجزيل مع عدم قتالهم ؟ إضافة إليه ما حصـــلوا علـــى المنـــافع في التجارة ،وألقوا الرعب في الكفار ورجعوا سالمين برضوان من الله .(تفسير عثماني)

سورة آل عمران مدنية : الآيات {175}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

الملخص :

يا أيها المسلمون ! اسمعوا ووعوا : أن الذي يخوفكم أولياءه (وهم الكفار) فإنه شيطان ، فلا تخافوهم فتجبنوا في القتال بل خافوا الله واخرجوا في الجهاد إن كنتم مؤمنين .

أقوال المفسرين :

يخوف أولياءه :

1- أي بأولياءه يعني يخوف المومن بالكافر . (تفسير القرطبي)

2- إن المراد هذا الذي يخوفكم بجمع الكفار شيطان من شياطين الإنس .(تفسير القرطبي)

3- إن الذي يشيع الأخبار المخيفة بين المسلمين هو شيطان أو يفعل ذلك بإغواء الشيطان، ليخيفكم أولياءه من الكفرة ويلقي الرعب في قلوبكم بهم ، فاعلموا إن كنتم مؤمنين (وقد تحقق إيمانكم لدي بجهادكم في سبيلي) أن لا تخافوا هؤلاء بل وخافوني دائماً. (تفسير عثماني)

4- قال الرازي: القول الثالث : أن معنى الآية : يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين ، والمعنى الشيطان يخوف أولياءه الذين يطيعونه ويؤثرون أمره ، فأما أولياء الله ، فالهم لا يخافونه إذا خوفهم ولا ينقادون لأمره ومراده منهم ، وهذا قول الحسن والسدي. (تفسير الرازي)

إن الشيطان لا يأتي بصورته الأصلية بل يأتي ويفعل كل ما يريد من الشر في قالب الإنسان ، وهؤلاء الذين يأتي بقالبهم الشيطان يسمون بأولياء الشيطان ، وهنا كان قائدهم نعيم بن مسعود الثقفي .(تفسير ماجدى)

5- **كلام نفيس:** والذي كان يشيع الخبر يعلمه الشيطان . (تفسير موضح القرآن)

6- **فلا تخافوهم:** فتقعدوا عن القتال وتجبنوا . (تفسير الرازي)

7- **وخافون:** فجاهدوا مع رسولي وسارعوا لى ما يأمركم به . (تفسير الرازي)

8- **إن كنتم مؤمنين**: يعني أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس. (تفسير الرازي)

فائدة:

رأى بعض المفسرين أن موضوع غزوة أحد قد انتهى على هذه الآية المذكورة وما بقي من السورة ففيه مضامين أخرى . (تفسير الفرقان) بينما ذهب بعضهم إلى أن ما بقي من السورة هي أيضاً متعلقة بما سبق من ذكر غزوة أحد . (أنظر تفسير الرازي) والله تعالى اعلم .

فائدة : ولعل في الآية الأخيرة من هذا الموضوع تنبيه على أن تقييم مستوى الجماعة بعد الانهزام لا يتأتى إلا أن لا يسمع إلى ارجافات الكفار والمنافقين ودعايتهم الكاذبة وهم أولياء الشيطان، بل لتتطهر القلوب من رعب هؤلاء الأنجاس وتتنور بعظمة الله وخوفه تعالى. والله تعالى أعلم .

نكتة:

وإن هناك نكتة لطيفة في ذكر غزوة حمراء الأسد إثر ذكر غزوة أحد مفصلاً أن بدء العمل خاصة بعد الانهزام يقوي الجماعة ويعزز قوتها فتنتظم الأمور ، لأنه لو أخذوا الراحة بعد الهزيمة تنتشر القوة وتنتشرالجماعة وبالتالي تضـعف وتنـهار الوحـدة الجماعية، ففي ذكر غزوة الحمراء إشارة إلى أن بعد الانهزام الظاهري يجب أن يعاد عمل الجهاد ، لأن من قعـد في البيـت لأخذ الراحة بعد الهزيمة شق عليه العودة في ميدان الجهاد وقد يتأثر بأقاويل الشياطين من الكفار والمنافقين فينقبض صدره من الجهاد ويتوقف من الخير العظيم ، فلا بد من الاستقامة على سير الجهاد دون الفرار منه بأعذار الجـروح والقـروح وأن لا يغفل منه بحال ما . والله تعالى أعلم بالصواب.

فائدة أخرى:

إن في عصرنا اليوم يواجه المسلمون الهزيمة المؤقتة كما حصل لهم في أفغانستان مع القوات الكفرية ولكـن في مثـل هـذه الهزيمات دروس وعبر للمسلمين وسيكون لهم دور الفتح والغلبة على الأعداء بإذن الله .

إن من بداية الآية (139) من سورة آل عمران وحتى الآية(175) منها ذكر علاج ضعف المسلمين وما بهم مـن الـوهن ، كما إن فيها إزالة الشبهات التي أثيرت حول الإسلام والمسلمين من قبل الأعداء .

وذلك منة الله على هذه الأمة بأن أنزل لها هذا الكتاب العظيم وبين فيها التوجيهات والارشادات النافعة والمفيـدة في كـل زمان ومكان وتناسبهما.

ينبغي أن تكون مذاكرة هذه الآيات المذكورة أعلاه في أوساط المسلمين مرات وكرات ،ويعمل بمـا فيهـا مـن هـدايات وارشادات لتصلح أحوال المسلمين وتصح أوضاعهم . والله تعالى أعلم.

سورة آل عمران مدنية : الآيات {194}

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

الملخص:

اللهم ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك من الفتح والغلبة والنصر على الأعداء ،وقنا من خزي الدنيا والآخرة ، إنك لا تخلف الميعاد .

أقوال المفسرين:

1- يعني الوعد الذي وعدته بلسان الرسل على تصديقهم من النصر على الأعداء والجنة والرضوان في الآخرة فارزقنا بها يا ربنا من غير أدنى خزي بيوم القيامة . (تفسير عثماني)

2- الوعد هو أن من اشتغل بديني أنصره في الدنيا والآخرة . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله)

3- ففسر هذا الموعود بالجنة ، قال ابن عباس ، وقيل: الموعود به النصر على الأعداء . (البحر المحيط).

4- والموعود هو الثواب ، وقيل النصرة على الأعداء . (الكشاف).

5- إن الله تعالى وعد المؤمنين بأن ينصرهم في الدنيا ويقهر عدوهم فهم طلبوا تعجيل ذلك . (تفسير الرازي)

6- لا تخزنا: لا تخزنا في الدنيا بغلبة العدو علينا فكأنهم قالوا: لا تخزنا في الدنيا ولا تخزنا في الآخرة . (تفسير الآلوسي)

فائدة:

ذهب الشيخ عبد القادر والشيخ اللاهوري رحمهما الله تعالى إلى أن سورة آل عمران تهدف إلى إصلاح النصارى خاصة وهو المقصود بالذات فيها ، وقد سبق في الآية السابق ذكرها قول المؤمنين أنهم لَبُّوا على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا: {{رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا} } ودعوا في هذه الآية بالنصر على الأعداء فقالوا{{ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ}}، وهذا وعد طلبه الأنبياء السابقون عليهم السلام فانجزه لنا يا رب العالمين.

وقال الآلوسي رحمه الله تعالى:

وقيل : إن الموعود به هو النصر لا غير ، والقوم قد علموا ذلك لكنهم لم يوقت لهم في الوعد ليعلموه فرغبوا إلى الله تعالى في تعجيل ذلك لما فيه من السرور بالظفر ، فالموعود غير مسؤول والمسؤول غير موعود ، فلا إشكال وإلى هذا ذهب الطبري وقال : إن الآية مختصة بمن هاجر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واستبطأوا النصر على أعدائهم بعد أن وعدوا به .

(روح المعاني للآلوسي)

إن في ختام سورة البقرة كان الدعاء للغلبة على الأعداء {فانصرنا على القوم الكافرين} وكان المقصود الأساسي في تلك السورة هو إصلاح اليهود ، وقد جاء الدعاء في ختام هذه السورة (أي آل عمران) للنصر على الأعداء وفيها ذكر النصارى و إصلاحهم هوالمقصود الأساسي فيها فما الحكمة في ذلك ؟

نقول وبالله التوفيق : من قبل الإسلام من اليهود والنصارى نجح وفاز ومن قام وقاتل منهم ضد الإسلام والمسلمين يكون مغلوباً بنصر الله تعالى للمسلمين مع ما يجد عند الله يوم القيامة من العذاب الأليم .

الأمر الثاني أن للمسلمين يحصل لهم الغلبة بشرط أن يفعلوا ما أمروا بفعله وهو مذكور في الآية الآتي ذكرها (195) منه : أن عليهم أن يحيوا عمل الهجرة والجهاد لأجل الدين .

نعم قد يشكل على أحد أن الكفار لهم قوة عظيمة وصولة بارزة، والأرض كلها بأيديهم يتقلبون فيها أينما يشاؤون فجاءت الإزالة لهذا الاشكال في الآيات (196–197–198) فقيل : {لا يغرنك ...} الآية. فينبغي للمسلمين أن لا ينظروا إلى أحوال الكفار الراقية وتقلباتهم في الحياة الدنيا بل لينظروا إلى الآخرة ونعمها ليفوزوا في الدنيا والآخرة.

وقد يشكل على أحد أن عدد الكفار كثير جداً فكيف يمكن مقاوتهم وكيف يمكن الحرب من جميعهم ؟ فإزيل هذا الاشكال في الآية (199) فقيل:إن العدد الكثير من أهل الكتاب ليدخلون في الإسلام وسيجدون الأجر العظيم من عند الله .

وقد حدث فعلاً أن الكثير من النصارى اعتنقوا الإسلام .

ورأى بعض المفسرين أن الآية (199) فيها تفهيم للمسلمين بأن الله تعالى أعطى النصارى الغلبة والنصر على الأعداء في الماضي وذلك لما كان فيهم من الصفات (وهي التي ذكرت في الآية (199) لذا ينبغي للمسلمين أن يتصفوا بها للحصول على الغلبة والفتح على الأعداء ، وهذا هو ربط بين الآيات (194–وحتى 199) وبين موضوع الجهاد ، أما معنى الآية (200) وربطها بموضوع الجهاد فهو واضح وبين .

وعصارة القول أن هذه السورة تحتوي على فضائل الإيمان والجهاد ووعد الغلبة للمسلمين ، وختمت السورة بالآية التي تبين للمسلمين طريقة الحفاظ على الإيمان والغلبة بحيث أن يحفظ الإيمان بالصبر و حفظ الغلبة لا يتأتى إلا بالجهاد المستمر والرباط في سبيل الله ، وسر النجاح في الأمور كلها هو التقوى .

كأن المسلمين قالوا : إننا سعدنا بسعادة الإيمان وحصلنا الغلبة على الأعداء فكيف نحافظ على هاتين النعمتين ؟ فقيل لهم { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } اتصفوا بهذه الصفات لتجدُنَّ الفتح والغلبة على الأعداء . والله تعالى أعلم بالصواب.

فائدة:

كان المسلمون بالمدينة وأُعلن في القرآن أن الله تعالى تقبل ما دعا المسلمون للإستيلاء والغلبة على الأعداء ،فكان فيه بشارة لمستقبل الإسلام وأهله ونبوءة لهم أن الكفر سينهار في الدنيا وشوكة الكفار ستزول وحان وقت قيام الحكم الإسلامي وقد تحققت هذه النبوءة فانهار حكم قيصر فلا قيصر بعده وتمزقت قوة كسرى فلا كسرى بعده وانتشر الإسلام على وجه الأرض وحصل له القوة والغلبة فلله الحمد والمنة ، أما ماحصل للكفار من القوة والإستيلاء في عصرنا هذا ، فذلك لا يدل على أن الله راض عنهم بل سبب ذلك هم المسلمون الذين تركوا طرق العزة والغلبة ألا وهي الاعتصام بحبل الله المتين .(والله تعالى أعلم بالصواب).

سورة آل عمران مدنية : الآيات {195}

بسم الله الرحمن الرحيم

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

الملخص:

إن الله تعالى قبل دعاءهم لأنه لا يضيع أجر عمل عامل سواء كان ذكراً أو أنثى ولا فرق بين الذكر والأنثى في العدل الإلهي فمن هاجر في سبيل الله أو أخرج من دياره وبيته أو الذين أوذوا في سبيل الله فجاهدوا وقاتلوا حتى قتلوا لن يضيع أجورهم ، وأن الله يكفر عنهم سيئآتهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار وذلك ثواباً من عنده ، و الجزاء الأصلى لهذه الأعمال عند الله تعالى (ولعله هو رؤية الله تعالى)

أقوال المفسرين:

1- يعني من لا يضيع عنده أجر رجل عامي فما بالك من أجور هؤلاء الأتقياء والأصفياء ؟ والذين تركوا الكفر والعصيان بل تركوا ديارهم وأوطانهم ، وأهلهم وأقاربهم ،وأموالهم و تخلَّوا عن كل ماكان لهم من مال ومتاع ونفس ونفيس ، وهجروا إلى دار الإسلام ، وتوطنوا بدار الهجرة فلم يتيسر لهم بها القرار فآذوهم الكفار أشد العذاب ، وذلك تحملوا كله من أجل الدين ورضا الله تعالى كما قال تعالى {يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم } (الممتحنة) وقال جل في علاه { وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} (تفسيرابن كثير)

وهؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي حتى قتلوا فقد تجاوزت عن سيئآتهم والجنة تحن إليهم . (تفسير عثماني)

2- وهذا ما ذكر من الصفات بيان حال حواري عيسى عليه السلام وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وترغيب للمسلمين بأنهم لو صار حالهم مثل حالهم لانخضع لكم أيها المسلمون دول النصارى وتُنْصَرون عليها. (حاشية الشيخ اللاهوري)

(يعني إن أحواري عيسى عليه السلام هاجروا وتحملوا المشاق فقاتلوا وقتلوا أولاً ثم حصل لهم الغلبة والنصرة والحكم على البلاد ثانياً فوعد الله لهم الفلاح والفوز في الآخرة ثالثاً ، والآن ابتعد النصارى من دينهم الأصلي ولم يقبلوا دين الإسلام ، فلو اتصف المسلمون بمثل صفاتهم (وهي المذكورة في الآية) لنصرهم الله على النصارى ويغلبهم عليهم .(و هنيئاً للصحابة رضي الله عنهم بأنهم اتصفوا بهذه الصفات فمكن الله لهم الخلافة في الأرض)

3- اختتمت سورة البقرة بالدعاء {فانصرنا على القوم الكافرين} فقد استجيب هذا الدعاء في هذه السورة أي آل عمران (بقوله تعالى :فاستجاب لهم ....}الآية وقُضِي للمسلمين أنهم سيحصل لهم الحكم على دول اليهود والنصارى والمشركين بشرط أن لا يكتفي المسلمون بالدعاء فقط بل عليهم مع الدعاء أن يتحركوا وينشطوا في التضحية بالأموال والأنفس في سبيل ذلك ، ولو فعلوا ذلك ليرون ثمرات جهادهم وتضحيتهم ونتائج أعمالهم التي تقر أعينهم في هذه الدنيا . (تفسير الفرقان)

4- وقد فرَّق الإمام الرازي رحمه الله بين المعنيين أي {الذين هاجروا} و الذين {أخرجوا من ديارهم} فقال رحمه الله : قال تعالى : { فالذين هاجروا وَأُخْرِجُواْ مِن ديارهم وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وقاتلوا وَقُتِلُواْ لأُكَفّرَنَّ عَنْهُمْ سيئاتهم وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار ثواباً من عندالله } والمراد من قوله : { فالذين هاجروا } الذين اختاروا المهاجرة من أوطانهم في خدمة الرسول صلى

الله عليه وسلم ، والمراد من الذين أُخرجوا من ديارهم الذين ألجأهم الكفار الى الخروج ، ولا شك أن رتبة الأولين أفضل لانهم اختاروا خدمة الرسول عليه السلام وملازمته على الاختيار ، فكانوا أفضل وقوله : { وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى } أي من أجله وسببه{ وقاتلوا وَقُتِلُواْ } لان المقاتلة تكون قبل القتال. (تفسير الرازي)

5– وما سبق من ذكر الهجرة والجهاد وغيرهما من الأعمال في هذه الآية وعدهم الله عليها ثلاث جوائز : فقال الرازي رحمه الله كما يلي:

ثم ان الله تعالى وعد من فعل هذا بأمور ثلاثة :

أولها : محو السيئات وغفران الذنوب وهو قوله : { لأُكَفّرَنَّ عَنْهُمْ سيئاهم } وذلك هو الذي طلبوه بقولهم : { فاغفر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفّرْ عَنَّا سيئاتنا } **[** آل عمران : **193]**.

وثانيها: إعطاء الثواب العظيم وهو قوله : { وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار } وهو الذي طلبوه بقولهم : وآتنا ما وعدتنا على رسلك .

وثالثها : أن يكون ذلك الثواب ثوابا عظيما مقرونا بالتعظيم والاجلال وهو قوله : { مِنْ عِندِ الله } وهو الذي قالوه : { وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القيامة } لانه سبحانه هو العظيم الذي لا نهاية لعظمته ، واذا قال السلطان العظيم لعبده : اني أخلع عليك خلعة من عندي دل ذلك على كون تلك الخلعة في نهاية الشرف . (تفسير الرازي)

أخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقي وغيرهم عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ثلاثة يدخلون الجنة الفقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره إذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض حتى يموت وهي في صدره وإن الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفتها وزينتها فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي أدخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون : ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك ما هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟ فيقول : هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب » { سلام عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عقبى الدار } **[** الرعد : **42]** (تفسير الآلوسي)

6–وقوله: { وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا } وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله، فيُعْقَر جَواده، ويعفَّر وجهه بدمه وترابه .(تفسير ابن كثير)

فائدة:

أولاً قال تعالى {لا أضيع عمل عامل منكم } ثم أتبعه الأعمال التي يحبها الله تعالى من الهجرة والجهاد والشهادة ، وهذه الأعمال تقتضي التضحية والمجاهدة ، فيثيب الله تعالى عليها .

فالحاصل مما سبق أن قبول الدعاء يلزمه العمل ، ومن الأعمال التي يحصل عليها المسلم الأجر والمثوبة يقينياً هي الهجرة والجهاد والتضحية .

وبهذه الأعمال ينتفع المسلمون اجتماعياً وانفرادياً وبها يحصل للإسلام والمسلمين التمكين والغلبة . والله تعالى أعلم بالصواب.

دعاء :

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . آمين.

سورة آل عمران مدنية : الآيات {196-197}

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٩٧﴾

الملخص:

إن تقلب الذين كفروا في الدول والبلدان وبلوغهم إلى أعلى قمة من الرقي لا يغرنكم أيها المسلمون لأنه رقيهم هذا لوقت محدود يزول عاجلاً ثم يكون مصيرهم جهنم وهي بئس المصير. (مستفاد من تفسير بيان القرآن)

أقوال المفسرين:

1- إن الكفرة الذين يجولون هنا وهناك لكسب عرض الدنيا بالتجارة وغيرها ويترفعون بها على غيرهم لا ينبغي للمسلمين أن ينخدعوا بهم لأن متاعهم ذلك قليل وسريع الزوال ، ومثال ذلك رجل محبوس قضى عليه المحكمة بالإعدام و يقدم إليه ما تشتهي نفسه من المأكولات والمشروبات فاغتر بها وفرح عليها فكيف يكون فرحه ؟ وإلى متى يكون سروره ؟ كذلك هؤلاء الكفرة الذين يغترون بدنياهم التي ستزول عاجلاً غير آجل ، بل السرور الحقيقي والفرحة الأصلية هي فرحة الآخرة التي لاتزول ولا تبيد ، فليتنافس إليها المتنافسون ولوكان على مشقة وتعب . (تفسير عثماني)

[وفي الآية ترغيب في الهجرة والجهاد والحصول على أعلى مراتب الشهادة كما كان في الآية السابق ذكرها].

2- لا تخيلوا أن لدى الكفار مالاً ومتاعاً وهم في عيش هنيء وما عندكم مثله .(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

فائدة:

إن الكافر مايهمه إلا الدنيا وعيشها يجتهد لها صباحاً ومساءاً ، ويكون له الاستدراج من الله فيجمع الدنيا ورغادها في كل زمان ومكان (من جد وجد) فلو التفتت أنظار المسلمين إلى متاع الدنيا ولذائذها لخسروا خسراناً مبيناً وابتعدوا عن جادة الحق ابتعاداً صريحاً ، ويحتمل أن يحيدوا عن الجهاد فيحرموا من الغلبة والنصر على الأعداء وبالتالي ينعكس حالهم بحيث يؤثرون على الحياة على الآخرة فيتركون الدين لأجل الدنيا لذلك دعا القرآن الكريم الأمة المسلمة إلى الجهاد وعدم الالتفات إلى متاع الدنيا أو رقي الكفار وعدم الانخداع بأحوالهم وأن لا يجعلوا الدنيا ومتاعها مقصود حياهم ومطلوب عيشهم بل ليكن فكرهم دائماً في أمور الآخرة ونعمها وسعادها وهذا هو المصطفى سيد الأولين والآخرين صلوات ربي وسلامه عليه لم يعد الأنصار على نصرهم له إلا الجنة ، فلو جعل المسلمون عقيدهم وفق الهداية القرآنية لسهل عليهم الهجرة إلى الله ورسوله ﷺ و لقبلوا التعب والمشقة برحابة الصدر وحلاوة النفس . والله تعالى أعلم بالصواب .

فائدة:

ولاشك أن المؤمن الصادق الذي لا يلتفت إلى متاع الدنيا وعيشها بل يهمه الآخرة فهي(أي الدنيا) تأتي إليه راغمة ذليلة ومثال ذلك ما شهد التاريخ من أحوال الصحابة رضي الله عنهم وأحوال السلف الصالح رحمهم الله فقد آثروا الآخرة على الدنيا فأتت إليهم راغمة وهم عنها معرضون ، وعكس ذلك إذا طمع المسلم في الدنيا وحطامها ونسي رسالة القرآن أصابه الخزي والخسارة والخضع للأعداء كما هو حال المسلمين اليوم . (والله تعالى أعلم)

إن الموضوع المذكور تكرر في القرآن الكريم كما إن الأحاديث الشريفة تكلم عنه مرات وكرات وذلك لتتفتح الأعين وتعي القلوب وتتعظ الصدور وتعتبر النفوس .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {198}

بسم الله الرحمن الرحيم

لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨

الملخص:

لِيَكُنْ التفات المسلمين إلى النعم التي أعدها الله للمتقين من جنت تجري تحتها الأنهار وما لهم من نزل من عند الله .

فائدة:

إن هذا لهو سر النجاح لمسلم من آثر آخرته على دنياه وأهمه سعادة الآخرة دون متا ع الدنيا وحطامها وليجتهد المسلم إلى حصول سعادة الآخرة بامتثال أوامر الله من الجهاد وغيرها وليتقدمْ في رضوان الله بلا خوف لومة لائم ، ولا شك أن الشوق إلى الجنة والرغبة في الآخرة هما يقويان المسلم ويجعلانه شدة وصلابة أمام العدو كالصخرة التي لا تتزلزل ولا تتحرك فلا ينخضع لقوة ولاحكم ولا يستطيع أن يقاومه أحد ، وبالعكس لو ابتلي المسلم بحب الدنيا لهان أمره على العدو وانحط قدره فيذوب للعدو وينقاد له حتى غلب عليه من عاداه وقهره من خالفه ودسه من عاداه . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة آل عمران مدنية : الآيات {199}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾

الملخص:

وإن من أهل الكتاب سعداء يؤمنون بالله وبالقرآن وبما أنزل إليهم من الكتب السابقة السماوية ، قلوبهم خاشعة لله وخاضعة لعظمته وجلاله فلا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً من الدنيا، أولئك لهم أجرهم عند الله ،والله سريع الحساب .

فائدة:

إنه يجب على المسلمين أن يتصفوا بالصفات المذكورة في الآية الكريمة ، فالصحابة رضي الله عنهم اتصفوا بها وسعوا لها سعياً مشكوراً فوجدوا عليها جزاءً موفوراً ، ومن أراد اليوم من أهل الكتاب النجاح والسعادة فعليه أن يجعل هذه الصفات نصب أعينه وجزء حياته ليفوز كما فاز من عمل بها ممن مضى من سلفه وسلف غيره . والله تعالى أعلم بالصواب (ومن أراد التفصيل في هذا الباب فليراجع إلى حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى .

سورة آل عمران مدنية : الآيات {200}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

الملخص:

هذا هو المنهج المذكور في الآية للحفاظ على الإيمان والنجاح في الدنيا والآخرة : (1) صبر يعني الاستقامة والثبات على الدين (2) المصابرة أي الثبات على القتال (3) المرابطة وهي الاستعداد للجهاد في كل حين وآن (4) تقوى الله وهي الاجتناب عن معصية الله ابتغاءً لوجه الله .

أقوال المفسرين:

1- اختمت السورة المباركة بنصيحة جامعة للمسلمين كأنها خلاصة السورة كلها ، يعني من أراد أن يفوز بالنجاح ويحصل على مبتغاه فليصبر على المكاره وليستقم عند الشدائد وليجتنب من المعاصي والمآثم وليثبت عند الحرب والقتال وليرابط بحدود دار السلام ولْيَسُدَّ منافذ المخاطر ، وصدق جل في علاه {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . (سورة الانفال) (اتقوا الله في كل وقت و عمل فإن فعلتم ذلك فقد أفلحتم). (تفسير عثماني)

2- **كلام نفيس:** {اصبروا} يعني على الدين {وصابروا} أي اثبتوا على القتال {ورابطوا} أي استمروا للدفاع عن الاسلام والاستعداد للكفار. (تفسير موضح القرآن)

3- يا أهل الإيمان افدوا بنفسكم ونفيسكم وأعِدُّوا الآخرين على التضحية للدين ، وتربصوا للأعداء مع اصلاح الحال بالله لتنجوا من كل هم وغم ويصيبكم النجاح والفلاح . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

4- يا أهل الإيمان اصبروا على المكاره واثبتوا عند القتال ، واستعدوا للقتال ، وخافوا الله في كل حين وآن، ولا تتجاوزوا حدود الله لتفلحون في الآخرة فلاحاً كاملاً وفي الدنيا غالباً. (بيان القران)

فائدة : الصبر والمصابرة ، والمرابطة، والتقوى ، هي اصطلاحات أربعة : وقد ذكرنا معانيها فيما سبق من مقتبسات أهل العلم فمن أمعن النظر فيها لانكشف عليه دقائق معاني هذه الكلمات وحكمها العالية ونكتها الغالية.

5- يأأيها الذين ءَامَنُواْ اصبروا } على الطاعات والمصائب وعن المعاصي { وَصَابِرُواْ } الكفار فلا يكونوا أشدَّ صبراً منكم { وَرَابِطُواْ } أقيموا على الجهاد { واتقوا الله } في جميع أحوالكم { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } تفوزون بالجنة وتنجون من النار . (تفسير الجلالين)

6- وقال الأصم : لما كثرت تكاليف الله في هذه السورة أمرهم بالصبر عليها ، ولما كثر ترغيب الله تعالى في الجهاد في هذه السورة أمرهم بمصابرة الأعداء . (تفسير الرازي)

7- ومعنى المرابطة هي الإعداد لمقاومة الأعداء (مبارأة الأعداء) ويدخل في ضمنه جميع وسائل الحرب الحديثة المتطورة يمكن استخدامها ضد أعداء الإسلام. (تفسير ماجدى)

8- {اصبروا} أي استعدوا للتضحية في سبيل مقصود الحياة {وصابروا} أي حرِّضوا المؤمنين على القتال و رغِّبوهم فيه، وحثُّوهم على فداء النفس والنفيس لأعلى هدف وأسمى غرض {ورابطوا} أي تفقدوا بأحوال المخالفين وحركاتهم وتربصوا لهم كل مرصد لتكونوا على استعداد تام لكل دسائسهم ومكائدهم .(تفسير الفرقان)

9- اصبروا على الدين وتكاليفه { وَصَابِرُواْ } أعداء الله في الجهاد ، أي غالبوهم في الصبر علـــى شـــدائد الحـــرب لا تكونوا أقل صبراً منهم وثباتاً والمصابرة : باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه ، تخصيصاً لشدته وصعوبته { وَرَابِطُواْ } وأقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها ، مترصدين مستعدين للغزو . قال الله عـــز وجـــل : { وَمِن رِّبَاطِ الخيل تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ } [الأنفال : 60](الكشاف)

10- ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الوصاية التي جمعت الظهور في الدنيا على العدو ، والفوز بنعيم الآخـــرة ، فـــأمره تعالى بالصبر والمصابرة والرباط . (البحرالمحيط)

11- وقال الحسن ، وقتادة ، والضحاك ، وابن جريج : اصبروا على طاعة الله في تكاليفـــه ، وصـــابروا أعـــداء الله في الجهاد ، ورابطوا في الثغور في سبيل الله . أي : ارتبطوا الخيل كما يرتبطها أعداؤكم . (البحرالمحيط)

12- وقال أُبي ومحمد بن كعب القرظي : هي مصابرة وعد الله بالنصر ، أي : لا تسأموا وانتظروا الفرج . (البحرالمحيط)

13- والمرابط في سبيل الله عند الفقهاء هو الذي يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما. (البحرالمحيط)

14- (ورابطوا) فقال جمهور الامة: رابطوا أعدائكم بالخيل، أي ارتبطوها كما يرتبطها أعداءكم . (تفسير القرطبي)

15- قال ابن عطية: والقول الصحيح هو أن الرباط [هو] الملازمة في سبيل الله.أصلها من ربط الخيل، ثم سمي كل ملازم لثغر من ثغور الاسلام مرابطا، فارسا كان أو راجلا. (تفسير القرطبي)

فائدة :

نذكر ههنا ما يتضح معنى الرباط في ضوء الروايات:

(1) الرباط هو الحفاظ على حدود الدولة الإسلامية والحفاظ على أفراد العسكر .

(2) التمسك بالجهاد .

(3) الاستعداد للجهاد .

(4) التربص للأحوال الأعداء ، والتفقد بحركاتهم ومكائدهم .

(5) انتظار الصلاة بعد الصلاة .

(6) ربط القلب بالمسجد.

ذكر ما ورد من فضائل الرباط :

إن الرباط في سبيل الله ، يعني مع الإستعداد الكامل للحرب من سلاح وعدة وعتاد والقيام بالحدود للحفاظ عليها والحراسة بها ، أو الحراسة في العسكر الإسلامي أو حراسة قائد الجهاد إلى غير ذلك من المعاني والمفاهيم شاملة لمعنى الآية الكريمة وتـــدل علـــى جميعها ، وهذا عمل جليل الشأن عظيم القدر وأعلى مراتب الجهاد ، وقد ورد له فضائل كثيرة في الأحاديث المباركة لو جمعـــت كلها لحوت كتاباً كاملاً وههنا نذكر بعضاً منها كالإشارة إليها دون الخوض في تفاصيلها واستيعابها .

1- روى البخاري عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: رباط يوم في ســـبيل الله خـــير عند الله من الدنيا وما فيها).

2- وفي صحيح مسلم عن سلمان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (رباط يوم وليلة خير من صـــيام شهر وقيامه .

3- وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه. (قطعة الحديث من صحيح مسلم المذكور آنفاً)

4- وأمن الفتان) (قطعة الحديث من صحيح مسلم المذكور آنفاً)

5- وروى أبو داود في سننه عن فضالة ابن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة.

6- ويؤمن من فتان القبر). (قطعة الحديث من سنن أبي داو المذكور آنفاً)

7- وفي هذين الحديثين دليل على أن الرباط أفضل الاعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت، كما جاء في حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا مات الانسان انقطع عنه عملــه إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) وهو حديث صحيح انفرد بإخراجه مســلم، فإن الصدقة الجارية والعلم المنتفع به والولد الصالح الذى يدعو لابويه ينقطع ذلك بنفاد الصدقات وذهاب العلــم وموت الولد.

والرباط يضاعف أجره إلى يوم القيامة، لانه لا معنى للنماء إلا المضاعفة، وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه، بل هــي فضل دائم من الله تعالى إلى يوم القيامة.

وهذا لان أعمال البر كلها لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منه بحراسة بيضة الدين وإقامة شعائر الاسلام.

وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الاعمال الصالحة، خرجه ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبي هريــرة عــن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من مات مرابطا في سبيل الله أجرى عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليــه رزقه وأمن من الفتان.

8- وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع). (قطعة الحديث من سنن ابن ماجه المذكور آنفاً)

(مقتبس من تفسير القرطبي ومن أراد التفصيل فعليه به)

الدعاء :

اللهم ارزقنا الإيمان والصبر والمصابرة والرباط والتقوى والفلاح . آمين يا أرحم الرحمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

سُــــــــــوْرَةُ

النساء

مَــــــــــدنِــــــــــيَّة

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذه الرسالة جمعنا اثنتين و أربعين آية من سورة النساء مع الشرح والتفسير لها وهي التي تتعلق بالجهاد وها هي فيما يلي:

75-69	91-88
104-94	147-138

خلاصة اثنتين وأربعين آية التي ذكر فيها الجهاد
من هذه السورة

الآية (69) و (70) إن الله تعالى قد أنعم على الشهداء إنعاماً خاصاً.

الآية (71) يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً. (في الآية حث وترغيب لإعداد الجهاد والدفاع مـــع الحذر) .

الآية (72) إن المنافق يكون محروماً من الجهاد ويراه منة الله عليه .

الآية (73) لوحصل المسلمون على الغلبة جعل المنافق يقول: يليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيما .

الآية (74) ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف يؤتيه الله أجراً عظيماً .

الآية (75) وما لكم لا تقاتلون في سيل الله لأجل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ؟ .

الآية (76) إن الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت .

الآية (77) لا تخشوا الكافرين ولا تعلقوا قلوبكم بالحياة الدنيا بل جاهدوا للآخرة لأن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى .

الآية (78) يا من يفروا من الموت ، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة .(وكان المنافقين طعنوا في ذات النبي صلى الله عليه وسلم من أجل الهزيمة)

الآية (79) لا تتهموا النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الهزيمة .

الآية (80) أطيعوا الرسول ﷺ لأن إطاعته إطاعة الله ولا تنخدعوا بتقولات المنافقين .

الآية (81) أعرضوا عن المنافقين وتوكلوا على الله فإن المسلمين في غني عن نصرة المنافقين في الجهاد

الآية (82) ألا من يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويخالف الجهاد لِمَ لا يتدبر القرآن ؟

الآية (83) لا بد من الحفاظ على الجماعة والجهاد وذلك عن طريق سد إرجافات المنافقين وأخبارهم الكاذبة فلو جـــاءكم منـــه شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولي الأمر منكم .

الآية (84) يا أيها النبي قاتل في سبيل الله ولو كنت فرداً وحيداً وحرِّض المؤمنين على القتال وبذلك الله يكف بأس الذين كفروا

الآية (85) في هذه الآية بشارة عظمى لمن قام بالدعوة إلى الجهاد .

الآية (88) لا تكونوا فريقين في قتال المنافقين .

الآية (89) من أظهر نفاقه وارتد علناً فاقتلوه حيث وجدتموه حتى يتوب ويهاجر في سبيل الله .

الآية (90) من صالح معكم من الكفار فلا تقاتلوهم .

الآية (91) من أراد بكم الضر خداعاً فقاتلوهم .

الآية (94) يجب على المجاهدين أن يتبينوا ويتحققوا الأمور وأن لا يقتلوا قتلاً خطأً .

الآية (95) لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم .

الآية (96) فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه ومغفرة ورحمة

الآية (97)عقوبة من لا يهاجر بحيلة الضعف ورضى بالسكون بدار الكفر.

الآية (98-99) عسى الله أن يعفو عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً .

الآية (100) ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله .

الآية (101) وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة . (مسئلة القصر في الصلاة أثناء السفر الشرعي أى للجهاد وغيره)

الآية (102) بيان صلاة الخوف أي طريقة الصلاة عند القتال.

الآية (103) ذكرالله فى الجهاد .

الآية (104) لا تهنوا في ابتغاء القوم (يعني لا تكاسلوا في الجهاد)

الآية (138) بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً.

الآية (139) إن المنافقين يتخذون الكافرين أولياء للعزة ولأمان.

الآية (140) لا تسمعوا شيئاً يخالف أمر الله وأمررسوله ﷺ .

الآية (141) إن المنافقين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وإن كـــان للكـــافرين نصـــيب قـــالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين.

الآية (142) إن المنافقين يخادعون الله و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً.

الآية (143) إن المنافقين يذبذون بين هؤلاء وهؤلاء ، فلا إلى هؤلا وإلى هؤلاء .

الآية (144) لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، واتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين دليل على النفاق .

الآية (145) إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار .(ويكون لهم نصيب من العذاب أشد من الكفار)

الآية (146) إذا أراد المنافقون النجاة من العذاب الأليم فعليهم أن يكونوا مع المؤمنين وذلك بالتوبة والإصلاح والاعتصام بـــالله واخلاص الدين له.

الآية (147) ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم (فاتركوا النفاق).

ويرى الإمام الرازي رحمه الله تعالى الآيات التي قبل الآية (69) من سورة النساء متعلقة بالجهاد .(أنظر تفسير الرازي)

كما يرى الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى: الآيات (85) و (110) و(150) من سورة النساء لها صلة بموضوع الجهاد . (أنظـــر حاشية اللاهوري رحمه الله تعالى)

سورة النساء مدنية : الآيات {69-70}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ
أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ﴿٧٠﴾

الملخص:

إن جائزة من أطاع الله ورسوله أنه يكون حشره مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ونعمت الرفاقة وما أحسن الصحبة ، وذلك الفضل من الله .

من هم الفائزون بالجائزة وأصحاب الفلاح والنجاح ؟

علَّم الله تعالى في سورة الفاتحة أن يَدعوَ منه ب {إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم} وبيَّن الرب تبارك وتعالى في هذه الآية الطبقات الذين أنعم الله عليهم وهم أربعة : (1) الأنبياء عليهم السلام (2) الصديقين (3) الشهداء (4) الصالحين.
والله تعالى أعلم بالصواب.

الشهداء الكرام:

أحد من الطبقات الأربعة الفائزة هم الشهداء الكرام :

1- والشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله . (تفسير المدارك)
2- إن الشهداء هم الذين قاتلوا الأعداء لإعلاء كلمة الله ثم قُتلوا بأيدي الكفرة فهؤلاء هم المقربون عند الله ولهم درجات عالية عنده سبحانه وتعالى. (أنوار البيان)
3- والشهداء هم الذين أيقنوا بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى فدوا أنفسهم به . (موضح القرآن)
4- والشهداء : القتلى في سبيل الله . (تفسير الجلالين)
5- أما الشهيد : فهو المقتول في سبيل الله ، والمخصوص بفضل الميتة وفرق الشرع حكمهم في ترك الغسل والصلاة لأنهم أكرم من أن يشفع فيهم . (البحر المحيط)

[وعند الأحناف يصلى على جنازة الشهداء كما صلوا على شهداء أحد وقد اختار المفسر أبو حيان قول الشافعي رحمه الله تعالى]

فضل عظيم:

لو يُتدبر في دعاء الفاتحة ثم يُتدبر في هذه الآية لكفى بالشهادة فضلاً وكرامة . (والله تعالى أعلم بالصواب)

قول مهم

قال القرطبي رحمه الله تعالى : والمراد هنا بالشهداء عمر وعثمان وعلي والصالحين سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. ثم قال:
قلت: واللفظ يعم كل صالح وشهيد . (تفسير القرطبي) [يعني لم يرد به الصحابة رضي الله عنهم دون غيرهم]

وقد أطلق صاحب تفسير ماجدي معنى كلمة " الشهداء " فقال: كون المقتول ليس باختيار أحد ، والجواب على ذلـــك : أن الإنسان ليس بيده أمر شيء ولكنه مكلف بالسعي والدعاء .

الدعاء:

اللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يا ذا الفضل العظيم .
آمين يارب العالمين.

سورة النساء مدنية : الآية {71}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١

الملخص:

يا أهل الإيمان خذوا الأسلحة الحربية والوسائل الدفاعية ثم انفروا ثبات متفرقة أو انفروا جميعاً وفق الحكمة الحربية .

ربط الآية :

إن المفسرين ذكروا ربط الآية وصلتها مما قبلها نذكره فيما يلي :

1- **[إن الجهاد أعظم الأمور]** واعلم أنه تعالى عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة رسوله إلى ذكر الجهاد الذي تقدم ، لأنه أشق الطاعات ، ولأنه أعظم الأمور التي بها يحصل تقوية الدين . (تفسير الرازي)

2- **[إن الجهاد أصل من الأصول]** لما استقر أمر طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بدأ أهم الأمور يتأكد فيها إطاعة الله وإطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها أصل الأصول الجهاد في سبيل الله فبعد التمهيد هذا أمر سبحانه وتعالى للمؤمنين بهذا القول {يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات ....} الآية (ملخص من تفسير حقاني).

3- **[إن الجهاد ضروري للمعية مع الأنبياء عليهم السلام والصدقين رضي الله عنهم]**

من هنا بدأ ذكر الجهاد وقد سبق في الآية السابق ذكرها {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، ولا ريب في أن الجهاد أمر صعب في أوامر الله وشاق على الأنفس خاصة على المنافقين الذين مضى ذكرهم فيما سبق ، لذا ورد حكم الجهاد لئلا يطمع كائن من كان في المرافقة مع النبيين والصديقين وغيرهم ، وقد نُقل أن في بداية الإسلام دخلوا فيه بعض ضعاف الإيمان به فلما نزل أمر الجهاد تزلزل وتذبذب بعضهم ، ولحق بعضهم مع الكفار وجعلوا يخالفون النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية الكريمة .

والمعنى : يا أهل الإيمان قد علمتم منافقة المنافقين فيم سبق ، فلا خير لكم إلا أن {خذوا حذركم فانفروا ثبات أوانفروا جميعاً} حسب الحال والوضع .(تفسير عثماني)

4- ولا غنى عن خلفية هذه الآية لفهما كالآى الأخرى ، إن المسلمين قد أصيبوا يوم أحد بالهزيمة المؤقتة وتجرأ العدو مرة أخرى وما ازدات جرأة قريش مكة فقط بل اتحدت القبائل التي كانت حوالي مكة وضواحيها ،واستعدوا لمقاومة الإسلام وأهله ، فنزلت هذه الآية في هذه الأحوال فيها تحريض لهم على القتال وترغيب فيه .إن مفهوم{خذوا حذركم} واسع جامع يتضمن كل شيء يمكن استخدامه لمقاومة الأعداء والدفاع عن الإسلام سواء من الأسلحة أو غيرها من التدابير(وقس على ذلك) يعني كأنه قيل لهم أعدوا لمقاومة الأعداء من صغير وكبير يستعان به في الجهاد . (تفسير ماجدي)

ولفهم ربط الآية بماقبلها ينظر في معنى {خذوا حذركم}

1- {خذوا حذركم} قال الواحدي رحمه الله تعالى : فيه قولان: أحدهما : وقال الواحدي رحمه الله فيه قولان :

أحدهما : المراد بالحذر ههنا السلاح ، والمعنى خذوا سلاحكم ، والسلاح يسمى حذرا ، أي خذوا سلاحكم وتحذروا .

(تفسير الرازي)

2- { يأيها الذين ءامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ } من عدوّكم أي احترزوا منه وتيقظوا له.

(تفسير الجلالين)

3- قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) هذا خطاب للمؤ منين المخلصين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر لهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحماية الشرع.

ووجه النظم والاتصال بما قبل أنه لما ذكر طاعة الله وطاعة رسوله، أمر أهل الطاعة بالقيام باحياء دينه واعلاء دعوته، وأمر هم ألا يقتحموا على عدوهم على جهالة حتى يتحسسوا ألى ما عندهم، ويعلموا كيف يردون عليهم، فذلك أثبت لهم فقال: (خذوا حذركم) فعلمهم مباشرة الحروب. (تفسير القرطبي)

4- **كلام نفيس:** يعني قوا أنفسكم بلبوس الدرع والترس أو بتدبير آخر وهذا ليس بمنهي عنه .

خلاصة الأقوال:

لو تدبرنا في هذه الأقوال الأربعة لاتضح لنا نظام الدفاع ، وليعلم أن أهم شيء في الجهاد هي فكرة قطع دابر العدو والإضرابه أشد الضرر ووقاية نفسه والمسلمين من أي ضرر ، فالتربص بالأعداء والتجسس عنهم وحصول معرفة الطرق ، وتحري الوقت المناسب للهجموم عليهم ، وتحري المكان المناسب للهجوم منه ، والإطلاع على حركات العدو، واعداد الأسلحة والعدة ضد العدو بمثل أسلحته بل أرقى وأحدث منها ،ولبس الدروع للحفاظ على الجسم والقتال بحزم وحكمة وحذر إلى غير ذلك من التدابير واختيار الوسائل المناسبة كل ذلك يدخل في نظام الدفاع . والله تعالى أعلم بالصواب.

نكتة :

معنى الحذر : الوقاية .وليس المراد منه أن يفر الإنسان من الجهاد والحرب بل المراد منه اختيار الوسائل الحربية أكثر مايمكن للدفاع عن العسكر كما هو اضح من الآية الكريمة . والله تعالى أعلم بالصواب.

{فانفروا ثبات} أنهضوا لقتال العدو . (تفسير القرطبي)

{ثبات} كناية عن السرايا. (تفسير القرطبي)

{جميعاً} معناه الجيش الكثيف. (تفسير القرطبي)

وقد وردت هذه المعاني لدى المفسرين الآخرين.

1- { ثُبَاتٍ } متفرّقين سرية بعد أخرى { أَوِ انفروا جَمِيعاً } مجتمعين .(جيشسا واحدا) (جلالين)

2- { فانفروا ثُبَاتٍ أَوِ انفروا جَمِيعاً } معناه : انفروا إلى العدو إما ثبات ، أي جماعات متفرقة ، سرية بعد سرية ، وإما جميعا ، أي مجتمعين كوكبة واحدة . (تفسير القرطبي)

خلاصة الأقوال :

وخلاصة هذه الأقوال هي ما سبق ذكره من تفسير القرطبي أن الله تعالى أمر المسلمين أن لا يقتحموا على عدوهم جهالة حتى يتحسسوا إلى ما عندهم وقد بين تبارك وتعالى بألفاظ جامعة {خذوا حذركم} نظاماً دفاعياً كاملاً ثم أتبعه بتعليم الخروج للقتال

بقوله تعالى {انفروا ثبات أو انفروا جميعا} كأنه سبحانه وتعالى علّم المسلمين أن مقصود قتالهم هو إعلاء كلمة الله فاختاروا طرقاً ووسائل يخسر بها الأعداء أكثر فأكثر ويكون بها دفاع الجيش أقوى وافضل، فإذا ناسبكم العمليات الفدائية ف{انفروا ثبات} وإن كان المناسب هجوماً جماعياً ف{انفروا جميعاً} (والله تعالى أعلم) يمكن أن يقال: بعد تأكد نظام العين والرقابة والتدابير اللازمة تناسب الغارات الفدائية في ضوء {انفروا ثبات} فيخرج فرد واحد أو اثنان أو فريق صغير وينغمس في صفوف الأعداء ويضر بهم ويضيق عليه الطريق ويدمر وسائله ثم إذا احتاجوا إلى أن يهاجم جمع الجيش على العدو فليفعلوا وليتكالب أفراد العسكر على الأعداء تكالب الأكلة على القصعة وذلك في ضوء {انفروا جميعاً} لكن في هذا المعنى استبعاد لوجود لفظ "" أو "" .والله تعالى أعلم

فائدة:

قال الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى: إن الله تعالى خلق الإنسان خليفة له في الأرض وأنزل له شريعة ومنهاجاً ليعش حياته في ضوءه ، وأوجب عليه أن يتحاكم بالعدل ، فمن الطبيعي أن من قام بتنفيذه يجد أمامه من العقبات من مخالفيه، وبالعموم يختار التحاكم بالعدل الفقراء من الناس وضعفاءهم ،وعلى مركز الرئيسي للجماعة أن يساعدوا هؤلاء الضعفاء وينقذوهم من تسلط الأعداء ، وذلك لا يمكن إلا بالقتال ضد الأعداء ، وقد سبق بيان تكميل وتدريب مبلغي الحق ، وابتدأ في هذه الصفحة بيان السفر للتبليغ. اهـ

وأضاف الشيخ قائلاً : يا أيها المسلمون ! إذا خرجتم لنشر رسالة الإسلام وتبليغ تعاليم القرآن فكونوا حذرين ،واخرجوا متسلحين . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

فائدة :

إن أعظم عمل يؤدي إلى طاعة النبي ﷺ الحقيقية ولحصول على رفاقة الأنبياء (عليهم السلام) هو الجهاد في سبيل الله ، فإن الصحابة رضي الله عنهم وفّوا متطلبات الجهاد ، فجاهدوا جمعاً وفرادى وبالأخص أهلكوا من طعن في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأئمة الكفر في ضوء {انفروا ثبات}وفي ضوء {انفروا جميعاً} هاجموا بالجيش العظيم وهزموا الأعداء من الأقوام والأجناس المتعددة ، فيجب على المسلمين أن لا يغفلوا عن هذين الطريقين بل عليهم إحياءهما في كل زمان ومكان وأن لا يغفلوا عن أمر {خذوا حذركم} أيضاً. والله تعالى أعلم .

فائدة جليلة:

إن العلامة آلوسي وضح معنى السرية والجيش كما يلي:

{ أَوِ انفروا جَميعاً } أي مجتمعين جماعة واحدة ، ويسمى الجيش إذا اجتمع ولم ينتشر كتيبة ، وللقطعة المنتخبة المقتطعة منه سرية ، وعن بعضهم أنها التي تخرج ليلاً وتعود إليه وهي من مائة إلى خمسمائة ، أو من خمسة أنفس إلى ثلثمائة وأربعمائة ، وما زاد على السرية منسر كمجلس ومنبر إلى الثمانمائة فإن زاد يقال له : جيش إلى أربعة آلاف ، فإن زاد يسمى جحفلاً ويسمى الجيش العظيم خميساً وما افترق من السرية بعثاً وقد تطلق السرية على مطلق الجماعة .

دعاء:

اللهم وفق الحكومات الإسلامية والجماعات الدينية لإحياء هذه التوجيهات الربانية.آمين يا أرحم الراحمين.

سورة النساء مدنية : الآيات {72-73}
بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ
مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾

الملخص:

أيها المسلمون ! إن فيكم أناساً لا يخرجون للجهاد بل ويصدون الآخرين عن الخروج فيه فإن أصابتكم مصيبة في الجهاد يقولون لكم : قد أنعم الله علينا إذ لم نكن معكم شهيداً، وإن حصل لكم الغلبة والفتح ووجدتم فضلاً من الله في الجهاد يتحسرون ويقولون يليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً. (فلو كان هؤلاء مخلصين معكم لفرحوا بما نلتم من الفوز والفضل ولم يحسدوا عليكم ولكنهم طماعون وحريصون على الدنيا ومتاعها ولا يعروفون قدر الجهاد ومقاصدها العالية).

فائدة:

أول ما أُمر المسلمون بالجهاد أخبرهم الله تعالى عن هؤلاء المنافقين (الأعداء الداخليين)بأنهم ينغمسون بين صفوف المسلمين عن طريق إظهارهم الإسلام ثم يلحقون بالمسلمين الضرر بضعف هممهم وخمود عواطفهم وقلة جسارتهم وعدم وفاءهم بالعهد وإيثارهم المصالح الشخصية على المصالح العامة وهي التي تخرب نظام الجهاد والدعوة وترتيبهما ، لذا فليحذر المسلمون من هؤلاء المنافقين . (والله تعالى أعلم)

أقوال المفسرين:

1- من هم الذين يصدون الآخرين عن الجهاد ؟:

وقوله:{ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ } قال مجاهد وغير واحد: نزلت في المنافقين، وقال مقاتل بن حيان: { ليبطئن } أي: ليتخلفن عن الجهاد.

ويحتمل أن يكون المراد أنه يتباطأ هو في نفسه، ويبطئ غيره عن الجهاد، كما كان عبد الله بن أبي بن سلول –قبحه الله–يفعل، يتأخر عن الجهاد، ويُثَبِّط الناس عن الخروج فيه. وهذا قول ابن جُرَيْج وابن جَرِير.

2- جهالة المنافق عن مقاصد الجهاد:

(انفروا) ، أي: اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم وأصل "النفر"، مفارقة مكان إلى مكان لأمرٍ هاجه على ذلك. ومنه: "نفورًا الدابة". غير أنه يقال: من النفر إلى الغزو: "نَفَر فلان إلى ثغر كذا ينْفِر نَفْرًا ونَفيرًا" (قاله ابن جرير) ويقال "النفير" لمجموعة من الناس الذين يريدون الغزو . والمراد بالآية الكريمة أنه تنفر السرية أو الجيش حسب الحاجة والضرورة وما يقتضي إليه الحال، أما المقصود من القتال هو كسر قوة الأعداء والتسلط على ملكه وماله وذلك لتنفيذ شريعة الله تعالى في الخلق، ولو كان ذلك على حساب الجرح والقتل ويحتمل فيه الفتح والانهزام ، وليس المقصود في الإسلام مجرد الفتح والحصول على الملك والمال دون غيره كفتوحات الملوك ، فهم يغزون البلاد التي يمكن فتحها ولا يتعرضون ببلد يحتمل فيها هزيمتهم وفشلهم ، كلا إنه غزو ديني وجهاد شرعي نزل أمره من فوق سبع سموات ، مقصوده تنفيذ أوامر الله تعالى على وجه الأرض كلها وبذلك (أي بأمر الجهاد) بعث الأنبياء عليهم السلام مثل يسعيا عليه السلام ، داود عليه السلام ، دانيال عليه السلام ، عيسى مسيح عليه السلام وغيرهم ، والمقصود بالجهاد الإسلامي هو كسر شوكة الوثنية وإزالة قوتها وإستئصال قوة من حارب التوحيد وأهله وألقى العقبة في سبيله وصد

الناس عن دين الإله الواحد الأحد ، واعلموا أن الفتح في الجهاد الإسلامي فتح والانهزام فيه فتح بحيث يجد من استشهد فيه حياة سرمدية، وحياة كريمة سعيدة يغتبط بها الخلق ولهم في الجزاء جنات نعيم ، فلا يظن أحد أن انهزامه عذاب الله وغضبه أو هو مصيبة وبلاء فيتكاسل فيه المتكاسلون ، كلا إنه(أي الجهاد) أمر إلهي وله مقاصد عالية وأهداف غالية فليتنافس فيه المتنافسون وليتسابق إليه المتسابقون.

إنه كان بالمدينة من المنافقين ومن ضعاف الإيمان الذين يأتون بالحيل الكاذبة لئلا ينفروا ، وإذا حل بالمسلمين من الهزيمة أو البلاء شيء قالوا : {قد أنعم الله علينا إذ لم نكن معهم شيهداً} وقد نجونا من البلاء الذي ابتلي هؤلاء ، فيرون عدم الخروج نعمة من نعم الله عليهم ، أما إذا حصل للمسلمين من النصر والغلبة ووجدوا أموال الغنيمة قال هؤلاء بالحسرة والتأسف على مافاتهم من الغنيمة : {يليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيماً} ويدل حالهم ومقالهم كأن لم تكن بينهم وبين المسلمين مودة سابقة. والغرض من هذه الآية أن الله تعالى نبه المسلمين على أن لا يكونوا مثلهم فيتكاسلوا في الأمور الخيرية وبالأخص منها الجهاد فإنه سبب الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة . (مستفاد من تفسير حقاني بتغيير يسير)

فائدة:

إن ما سبق من كلام الشيخ الحقاني رحمه الله تعالى يقتضي أن ينظر فيه ويتذاكر به لما فيه فلسفة الجهاد وغاية مراده،وهويسهِّل على القاري فهم معنى الجهاد ومقصود القتال فيستقيم على أمر الله وينجو من النفاق وآثاره . والله تعالى أعلم بالصواب

3- غاية نظر المنافق هى الدنيا:

كلام نفيس:

إنه لمنافق الذي لا يتبع بأمر الله بل يرى في كل شيء منفعة حياته ، فإذا أصيب المسلم من البلاء يرى نفسه سعيداً ويختال بحياته وإذا أصابه شيء من المال والغنيمة حسد عليه وتأسف على حاله وعدم خروجه معه في الجهاد (موضح القرآن

فائدة:

في الآية عبرة لمن يعد نفسه من المجاهدين في أطيب الأحوال ، ويفتخر بحياته عندما لا يخرج في أضيق الأحوال ويرى أنه نجا من البلاء . (والله تعالى أعلم بالصواب)

4- ضعفاف الهمة واليقين:

لا تخلو جماعة ممن حُرموا من اليقين والإيمان قليلوا الهمم والعزائم إذا رأوا التقدم في عمل العزيمة يتخلفون بأنفسهم ويُثبِّطون الآخرين عن عزيمتهم ، فلما رأوا أن جهدهم لا يجديهم نفعاً انعزلوا من الجماعة وجعلوا يرون نشاطها من بُعدٍ كأن لم تكن بينهم وبين الجماعة صلة ، فإذا أصيب أهل الجماعة ببلاء يفرحون وإن نجحوا بأهدافهم انقبضوا حسداً من عند أنفسهم ويتحسرون على ما فاتهم من فرصة الغنيمة ، كأنه لا علاقة لهم من الجماعة نفعاً وخسارة. (ترجمان القرآن)

5- تمسخر المنافقين من الشهداء :

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى : والشهيد هنا الحاضر معهم في معترك الحرب ، أو المقتول في سبيل الله ، يقوله المنافق استهزاء ، لأنه لا يعتقد حقيقة المشهادة في سبيل الله .

الدعاء:اللهم إنا نعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، اللهم طهر قلوبنا من النفاق وارزقنا شهادة في سبيلك . (آمين يا أرحم الراحمين) .

سورة النساء مدنية : الآية {74}

بسم الله الرحمن الرحيم

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

الملخص:

من هو طالب الآخرة فليقاتل في سبيل الله ، ومن قاتل في سبيل الله فقتل أو غلب فسوف يؤتيه الله أجراً عظيماً .

فائدة:

إن المنافقين لا يفهمون فلسفة الجهاد الإسلامي ولا يتفقهون كنهها وحقيقتها فكانوا يتأثرون بالفتح الظاهري والانهزام الموقت بينما يرى المسلمون الجهاد الإسلامي طاعة الله ، وهو الطريق الموصل إلى رضوان الله ، وإن فيه لفوزاً عظيماً وفلاحاً مبيناً واعلموا أن عمل الجهاد الإسلامي لا يهمه الهزيمة والفتح فإن سيره يسير على طبيعته مهما كانت الظروف والأحوال ، ومن قتل في سبيل الله فله أجر عظيم والغالب سعيد ونجيح . والله تعالى أعلم بالصواب.

وللآية الكريمة ثلاث معاني:

إن المفسرين بينوا لهذه الآية ثلاث معاني يبين كل معنى منها جانباً من جوانب الجهاد المختلفة وأهدافه المتنوعة وإليك كالآتي.

المعنى الأول:

فليقاتل في سبيل الله الذين يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة (قاله الشيخ عبد القادر وشيخ الهند والشيخ اللاهوري رحمهم الله تعالى) فسروا معنى يشرون ب يبيعون ، وجعلوا فاعل يقاتلون {الذين يشرون} والمخاطب هم أهل الإيمان ولهم فيها تذكير بأن يبيعوا الحياة الدنيوية الفانية بالآخرة ويطلبوا على حسابها الحياة الأخرة.

قال الإمام الرازي : فكان معنى الآية : فليقاتل في سبيل الله الذين يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ، وهو كقوله : { إِنَّ الله اشترى مِنَ المؤمنين أَنفُسَهُمْ وأموالهم } إلى قوله : { فاستبشروا بِبَيْعِكُمُ الذى بَايَعْتُمْ بِهِ } [التوبة : 111] .

المعنى الثاني:

إن الذين يختارون الحياة الدنيا على حساب الآخرة عليهم أن يقاتلوا في سبيل الله . (تفسير أنوار البيان وغيره)

يعني الخطاب إلى طالبي الدنيا وهم المنافقون بأن قيل لهم : إنكم تركتم الآخرة وجعلتم الحياة الدنيوية مقصود عيشكم وذلك غلط فاحش فعليكم بالتوبة والإيمان بالله والجهاد في سبيل الله لئلا تحرموا من سعادة الآخرة ، وفي هذه الصورة يكون معنى {يشرون} يشترون.

قال الرازي : والقول الثاني : معنى قوله : { يَشْرُونَ } أي يشرتون قالوا : والمخاطبون بهذا الخطاب هم المنافقون الذين تخلفوا عن أحد.

وفي البحر المحيط: قيل نزلت في النافقين الذين تخلفوا عن أحد ويشرون بمعنى يشترون.

المعنى الثالث:

فليقاتل في سبيل الله من الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة . (تفسير بيان القرآن) يعني الخطاب متوجه إلى المؤمن ويكون {الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة} مفعول ل {فليقاتل}والمراد هم الكفار لأنهم الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة .

وفي تفسير ابن كثير: { فَلْيُقَاتِلْ } أي: المؤمن النافر { فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ } أي: يبيعون دينهم بعَرَض قليل من الدنيا، وما ذلك إلا لكفرهم وعدم إيمانهم. (تفسير ابن كثير)

جوانب الجهاد المتنوعة :

سبق ثلاث معاني لهذه الآية الكريمة وقد انكشف بها ثلاثة جوانب للجهاد نذكرها بالإيجاز فيما يلي:

الأول: إن في الآية ترغيب في القتال وهذا ظاهر وبين ، ولا يخفى على من له إلمام باللغة العربية أن صيغة الأمر تدل على الوجوب لذلك في الآية دليل على فرضية الجهاد .

وقد استفاد من المعنى الأول للآية الكريمة أن الجهاد تجارة رخيصة رابحة مع الله تعالى ، فمن إيمانه كامل وسليم وشعوره ووعيه يقظ باع دنياه الفانيه بآخرته الباقية ودرجاتها العالية بالرضا والرغبة ، فلما خرج للجهاد أثبت صدق هذه التجارة وأيدها بعمله فلا يدري متى يقبل حياته .

وانكشف من المعنى الثاني أن الجهاد كفارة للذنوب والسيئآت الكبيرة ، فمن تخلف من المنافقين يوم أحد قيل لهم : أن يتوبوا من النفاق وجرمه العظيم واحضروا القتال يغفرلكم ذنوبكم ولكم أجر كريم وفيه إشارة إلى أن من أراد أن يكفر سيئآته فليحضر القتال.

واتضح من المعنى الثالث : أن الكفار الذين جعلوا الحياة الدنيا مقصود حياتهم وغاية عيشهم هم خطر عظيم على الإنسانية ، لأنهم انغمسوا في ملذات الدنيا ومتاعها وأظهروا لمعها وزينتها فينخدع بها الكثير من الناس فلا يؤمنون من أجلها ويؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ، لذلك يتحتم أن يُستأصل هؤلاء الكفرة الذين تسببوا بضلالة الآخرين بحيث تنكسر شوكتهم وتذهب ريحهم لأنهم قاتلوا الإنسانية بأجمها. والله تعالى أعلم بالصواب.

كلام مفيد حول الآية:

إن الإمام القرطبي ذكر هنا مسئلة أن من قاتل ثم غلب على العدو وحصل له الغنيمة لا ينقص من أجره شيء ، وهذا نصه :

الثالثة – ظاهر الآية يقتضي التسوية بين من قتل شهيدا أو أنقلب غانما. ثم أورد الأحاديث التالي ذكرها تتعلق بجانبي هذه المسئلة.

فقال رحمه الله تعالى:

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد ،في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي ، فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة) وذكر الحديث.

وفيه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة ويبقى لهم الثلث وإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم).

فقوله: (نائلا ما نال من أجر أو غنيمة) يقتضي أن لمن يستشهد من المجاهدين أحد الامرين .

وذهب ابن كثير رحمه الله إلى ما ذهب إليه القرطبي رحمه الله فقال في تفسيره : أي كل من قاتل في سبيل الله سواء قتل أو غلب فله عند الله مثوبة وأجر جزيل كما ثبت في الصحيحين : وتكفل الله للمجاهدين في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه ما نال من أجر أو غنيمة. (تفسير ابن كثير)

كلام نفيس :

قال المفسر الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى في هذه الآية:

ينبغي للمسلمين أن لا يكون همهم الدنيا ومتاعها بل ليكنْ همهم الآخرة وسعادتها وليعلموا أن في كل أمر من الأوامر الإلهية نفعاً وثمرة . (تفسير موضح القرآن)

يعني أنتم مأمورون بامتثال أوامر الله تعالى سواء أصابكم الفتح أو الهزيمة ، ترون نتائج القتال مثمرة أم غير مثمرة على كل حال امتثلوا بأمر الله وآثروا الآخرة على الحياة الدنيا .

فلو نظر المسلم في هذه العبارة لزال كل ما يريبه في شأن الجهاد وينعدم جميع الإشكالات أو الاعتراضات.

إلى دعاة الحق :

من يريد أن يشتري الآخرة بالحياة الدنيا فعليه أن يحمل رسالة الحق إلى جميع الخلق مواجهاً لجميع المشاكل والمتاعب في طريق تبليغها ، فمن جاهد في سبيله وقتل فاستحق الأجر العظيم ومن رجع سالماً غانماً استحق الثواب الجزيل أيضاً وفي كلتي الحالتين للمجاهد نفع وثمرة . (حاشية الشيخ اللاهوري)

سورة النساء مدنية : الآية {75}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

الملخص:

وأي عذر لكم بأنكم لا تقاتلون في سبيل الله ولا تنقذون المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من براثن الظالمين ، وهؤلاء الضعفاء يتضرعون إلى الله داعين منه : {ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً ولا نصيراً} .

أقوال المفسرين:

1- الجهاد فرض :

قوله : { وما لَكُمْ لاَ تقاتلون } يدل على أن الجهاد واجب ، ومعناه أنه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين إلى ما بلغ في الضعف ، فهذا حث شديد على القتال ، وبيان العلة التي لها صار القتال واجبا ، وهو ما في القتال من تخليص هؤلاء المؤمنين من أيدي الكفرة ، لأن هذا الجمع إلى الجهاد يجري مجرى فكاك الأسير . (قاله الرازي في تفسيره).

2- تخليص الأسارى والمستضعفين واجب:

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله) حض على الجهاد.

وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب، ويفتنونهم عن الدين، فأوجب تعالى الجهاد لاعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده، وإن كان في ذلك تلف النفوس.

وتخليص الاسارى واجب على جماعة المسلمين إما بالقتال وإما بالاموال، وذلك أوجب لكونها دون النفوس إذ هي أهون منها.

قال مالك: واجب على الناس أن يفدوا الاسارى بجميع أموالهم.

3- سبب فرضية الجهاد :

قال الرازي رحمه الله تعالى: فهذا حث شديد على القتال وبيان العلة التي لها صار القتال واجباً . (تفسير الرازي)

4- سببا فرضية الجهاد :

قال صاحب الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى :

وجب عليكم الجهاد لأمرين (1) لإعلاء كلمة الله تعالى (2) لإنقاذ المسلمين المضعفاء من براثن الكافرين والظالمين، وكان بمكة أناس لم يقدروا على الهجرة إلى المدينة فأُظلموا بأيدي أقاربهم الذين أرادوا أن يردوهم عن دينهم الإسلام.

5- أهداف الجهاد : قال الدريابادي رحمه الله تعالى: إن إعلاء كلمة الله باعث قوي وهدف مستقل للجهاد ، وإنقاذ المظلومين من أيدي الظالمين ونصرة المستضعفين وإعانتهم هدف ثاني عظيم القدر وجليل الغاية من أهداف الجهاد .(تفسير ماجدي)

6- متبع الحق الضعيف :

ويجب على المجاهدين والغزاة أن ينصروا إخوانهم الضعفاء من أهل الحق . (حاشية اللاهوري رحمه الله تعالى)

نكتة :

إن الظلم ظلمة ولكن الضوء لا يظهر إلا بعد الظلمة والنهار لا تشرق إلا بعد سواد الليل فالنور والظلمة يتلازمان يتناوبان ،كذلك هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم الذين بقوا بمكة ولم يهاجروا منها ظُلِموا واضطهدوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت واشتدت البلاء منتهاها وبلغت المحنة أقصاها فجاء النصر و نزلت الرحمة من عند الله تعالى من فوق سبع سموات فكتب عز وجل لأجلهم الجهاد على المسلمين وأدام ذكرهم بإنزال الوحي المبارك في القرآن الكريم وقَسَّم هَمَّهم وغمَّهم بين أفراد الأمة أجمعين، ولا يخفى على أحد أن الثبات على الحق أمام العدو الظلوم وعند الحال الشديد ومواجهة الأحوال القاسية ليس الأمر بميسور إلا من يسَّر الله عليه من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه واستقاموا على دينهم وإيمانهم لما يرون أن لهم أجراً ومثوبة عند الله يوم القيامة ،كما إن هذا الأمر معلوم أن الصداقة مع الكفار وولايتهم وإغراءهم المسلمين بالمال والجاه والمنصب يوقع المسلمين في الخسارة الفادحة والمضرات العظيمة ، والآية هذه تبين أن الله مع المسلمين الذين يوفون بعهدهم مع الله تعالى ويستقيمون على دينه وليس مع الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا ويتبرؤن عن دينهم لإرضاء الكافرين وينعزلون عن ملتهم لاستمالة إليهم وجوه المنافقين وأعداء دين الله المتين . والله تعالى أعلم بالصواب.

7–المسلمون المظلومون :

المراد بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان قوم من المسلمين بقوا بمكة وعجزوا عن الهجرة إلى المدينة ،وكانوا يلقون من كفار مكة أذى شديدا. قال ابن عباس : كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان.(تفسير الرازي)

8– مظلومون آخرون:

وهم المعنيون بقوله عليه السلام : اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والمستضعفون من المؤمنين . (رضي الله عنهم) (تفسير القرطبي) وقد ذكر الآلوسي رحمه الله من ضمن هؤلاء أبو جندل بن سهيل رضي الله عنه . (تفسير الآلوسي)

9- استجابة الدعاء :

والجمهور على أن الله تعالى استجاب دعاءهم ، فجعل لهم من لدنه خير ولي وناصر ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، فتولاهم أحسن التولي ، ونصرهم أقوى النصر ، ولما خرج من مكة ولي عليهم عتاب بن أسيد وعمره أحد وعشرون سنة فرأوا منه الولاية والنصر كما سألوا .(تفسير البحر المحيط)

10- ولاية مكة بيد شاب :

ثم استعمل عليهم عتاب بن أسيد وكان ابن ثماني عشرة سنة فحماهم ونصرهم حتى صاروا أعز أهلها . (تفسير الآلوسي)

(علماً بأنه سبق عمر عتاب في البحر المحيط احد وعشرون سنة والله تعالى أعلم بالصواب).

11- صار الظالم مغلوباً ومخذولاً:

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان (عتاب ابن أسيد) ينصرالضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة . (تفسير المدارك)

سورة النساء مدنية : الآية {76}

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

الملخص:

إن مَنْ هو من أهل الإيمان واليقين (إذا سمعوا هذه الآيات) بدأوا يقاتلون في سبيل الله ، أما الذين كفروا فهم يقاتلون في سبيل الطاغوت والشيطان ، فإذا كان الأمر كذلك فقاتلوا أيها المسلمون أولياء الشيطان فإنهم لا يضرونكم بشيء لأن مكائد الشيطان ضعفية .

يعني المسلمون هم أولياء الله وجيشه والكفار هم جيش الشيطان وأعوانه وأنصاره ، فالقتال في سبيل الله من أعمال المسلمين والقتال لصالح الشيطان وأعوانه من أعمال الكافرين.

أقوال المفسرين:

1- طريقة بديعة لترغيب المسلمين:

اختار الله تعالى طريقة بديعة لترغيب المسلمين في الجهاد وهي : أن الكفار يقاتلون في سبيل الطاغوت ويكونون أنصار الشيطان وأعوانه فيصدون الناس عن الصالحات ويؤذون خيار الناس (أي أهل الإيمان) فمالكم أيها المسلمون لِمَ لا تقاتلون في سبيل الله ؟ ، اعلموا أن من شأن أولياء الله والذين آمنوا به إيماناً صادقاً لا يتخلفون عن الجهاد بحال من الأحوال بل يتسابقون فيه ، فقاتلوا أولياء الشيطان ولا تحذروا مكائده فإن كيده ضعيف .

استحضروا عاقبة أعوان الشيطان الماضيين من فرعون ونمروذ فأين فرعون وجيشه ؟ وما هو مصير نمروذ ؟ وأين الذين آذوا نبي الله عيسى عليه السلام ؟ (مستفاد من تفسير حقاني).

2- تحريض الله المؤمنين على القتال :

قال الآلوسي رحمه الله تعالى:

{ الذين ءامَنُواْ يقاتلون فِى سَبِيلِ الله } كلام مستأنف سيق لتشجيع المؤمنين وترغيبهم في الجهاد أي المؤمنون إنما يقاتلون في دين الله تعالى الموصل لهم إليه عز وجل وفي إعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة . { والذين كَفَرُواْ يقاتلون فِى سَبِيلِ الطاغوت } فيما يبلغ بهم إلى الشيطان وهو الكفر فلا ناصر لهم سواه { فقاتلوا } يا أولياء الله تعالى إذا كان الأمر كذلك . { أَوْلِيَاء الشيطان } جميع الكفار فإنكم تغلبونهم . { إِنَّ كَيْدَ الشيطان كَانَ ضَعِيفاً } في حد ذات

3- إن الجهاد واجب مطلوب :

لما اتضح أن المسلمين يقاتلون في سبيل الله والكفار يقاتلون في سبيل الشيطان والطاغوت فأوجب ذلك على المسلمين أن يقاتلوا مع الكفار أعوان الشيطان ولا يهمهم ذلك لأن الله تعالى هو ناصرهم بلا ريب ودون شك واعلموا أيها المسلمون أن كيد عدوكم الشيطان ضعيفاً فلا يغلب كيده على المسلمين .

والمقصود من هذه الآية هو ترغيب المسلمين في الجهاد وتشجيع لهم على ذلك وسيأتي ذكره في الآى الآتي ذكرها بالصراحة والوضوح . (تفسير عثمانى)

4- الفرق بين المؤمن والكافر:

قال المفسر أبو حيان رحمه الله تعالى :

لما أمر تعالى المؤمنين أولاً بالنفر إلى الجهاد ، ثم ثانياً بقوله : { فليقاتل في سبيل الله } ثم ثالثاً على طريق الحث والحض بقولــه : { وما لكم لا تقاتلون } أخبر في هذه الآية بالتقسيم أن المؤمن هو الذي يقاتل في سبيل الله ، وأن الكافر هو الذي يقاتل في ســبيل الطاغوت ، ليبين للمؤمنين فرق ما بينهم وبين الكفار ، ويقويهم بذلك ويشجعهم ويحرضهم .

معنى الطاغوت:

لعل مفهوم الآية الكريمة قد اتضح مما سبق من الشرح وأقوال المفسرين وسيأتي مزيد بيانها ، ولكن ههنا نقف وقفة في فهم معنى الطاغوت بالإيجاز : قيل في الآية الكريم : {الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت} وإليكم ما قال أهل اللغة والأدب في معنى الطاغوت :

قال صاحب مصباح اللغة : إن طاغوت كلمة وسيع المحمل وهو تطلق على كل من تجاوز الحد ، كما يقــال لِلشِّــرِّير طــاغوت وتطلق على الشيطان، وتطلق أيضاً على الآلهة الباطلة يعني كل معبود من دون الله . (أنظر قاموس مصباح اللغة ص511)

الطاغوت:

1- الظالم والمتمرد (2) كل ضال مضل من الطريق المستقيم، وكل من طَغَى في الكُفرِ وجاوَزَ الحَدَّ .

(3) الشيطان (4) الكاهن (5) الساحر (6) كل معبود باطل من الجن والإنس أو الصنم. (القاموس الوحيد ص100).كلُّ رأْسٍ في الضلالِ طاغوتٌ .

إن ترجمة كلمة طاغوت أو نقلها من العربية إلى الأردية أمر صعب لأن ليس لها مرادف باللغة الأردية إلا أن كلمة شيطان هي أقرب مرادف لها وأوضح دلالة على معناها وهي تطلق بالعربية على كل معبود باطل ومتمرد. (تفسير ماجدي)

قال أبو إسحاق : كل معبود من دون الله جبت وطاغوت . (لسان العرب)

قال الراغب: الطاغوت عبارة عن كل معبد ومعبود من دون الله .(مفردات القرآن)

قال مالك ابن أنس :الطاغوت: كل ما عبد من دون الله تعالى . (تفسير الآلوسي)

وفي البحر المحيط : ما عبد من دون الله تعالى قاله الطبري. (البحر المحيط)

وهو كل ما تكون عبادته والإيمان به سبباً للطغيان والخروج عن الحق من مخلوق الله يعبد ، ورئيس يقلد وهو يتبع .(تفسير ماجدي)

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله وسئل عن الطاغوت التي كانوا يتحاكمون إليها فقال: كانت في جهينة واحدة وفي أسلم واحدة وفي كل حي واحدة . (تفسير القرطبي)

خلاصة القول:

عُلم مما سبق من الشرح والبيان أن الطاغوت اسم كل قوة معادية للإسلام ، والطاغوت هو كل من صد الناس عن دين الحق ، وكل من أضل الناس عن الصراط المستقيم ، وكل نظام مخالف للإسلام وكل منهاج يلتف حوله أعداء الإسلام فيكيدون به وبأهله للإيذاء والمحاربة والمكر بهم وكل مؤسسة وشركة ومركز وإدارة يخطط فيها أعداء الإسلام ضد الدين الحنيف .

الدرس والعبرة :

والمثال على ما قيل آنفاً في الماضي القريب هو الحكم البريطاني فقد برزت قوته الطاغية برعب وجلال وعلى حساب الظلم والعدوان حتى قضت على الخلافة الإسلامية واستولت على الدول الإسلامية ، وأفتى علماء المسلمين آنذاك بحرمة الحصول على الوظيفة في جيش الأفرنج لئلا يقاتلوا في سبيل الطاغوت وأن لا يتعاونوا بالإثم والعدوان، فامتنع معظم المسلمين عن العمل في دوائر الحكم الإنجليزي بينما ارتبط بعضهم بهذه الطاغية الظالمة حتى توظفوا في جيشهم الطاغوتي وهجروا فتوى العلماء الربانيين الذين كانت فتواهم مستنبطة من آيات القرآن وطبقاً لتعاليم الدين الإسلامي.

وفي عصرنا اليوم قد برز عديد من قوات الطاغوت من ضمنها أمريكة فيحاربون الإسلام والمسلمين ولا يتركون فرصة من الفرص إلا وينتهزونها في عداوة الإسلام وأهله وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، فيا من بلغ إليه هذه الآيات القرآنية وسمعت أذناه هذه الرسالة الإلهية السماوية عليه أن لا يقترب من الطاغوت و لا يعمل لصالحه وصالح كلابه وليصغ إلى ما يقول ربه تعالى في آيات القرآن التي هي هدى للناس والفرقان وفيها حكمة وبيان { الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت}، وليتذكر المسلم أن كل نفس ذائقة الموت ثم يحضر أمام مالكه وخالقه ، وليتذكر أنه لا أعظم نعمة من نعمة الإيمان في حياة الإنسان ، وليتذكر أن الرزاق هو الله تعالى ، فقال جل في علاه {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين}(سورة الذاريات:الآية/58) فلن تبيعوا دينكم وإيمانكم بعرض من الدنيا الفانية الزائلة ولا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ولن يُتَصَوَّر ممن آمن بالله واليوم الآخر أنه يساعد الطاغوت من أجل ثمن بخس و دراهم معدودة .والله تعالى أعلم بالصواب.

وها نحن نذكر بعض الأقوال المتعلقة بتفسير الآية :

5- إن كلمة الطاغوت تبين القباحة الطاغوتية ، والمرودة العسكرية الجاهلية ، والإعراض عن قدرة الإلهية والتعدي على حدود الله ، وكلمة الطاغوت لو يراد بها ههنا النفس (أي النفس الأمارة بالسوء) يحتمل أن يتأدى معنى الطاغوت بالأردية ، لأنه لا يخفى على أحد أن في عصرنا هذا أقواماً ومللاً انغمسوا في متاهات الطاغوت وشهوات النفس فيحاربون الآخرين من أجل القومية والوطنية والحرية والاستقلال وغيرها من النعرات والشعارات الجذابة الخلابة الخداعة التي بلغتهم إلى أسفل درجة من الشقاوة والقساوة والخداعة والخيانة والمكر والكيد حتى عمت فيهم العيوب وشاعت فيهم الذنوب من شرب الخمور وارتكاب الفحش والفجور ومص دم الناس وأكل مال الحرام إلى غير ذلك من الأمور المنكرة والأفعال المحرمة شرعاً وعقلاً التي أدت هذه الأقوام إلى درجة الحيوان بل هؤلاء أضل منها وذلك من أجل قتالهم في سبيل الطاغوت والشيطان ، فلا يخافون يوم الحساب ولا يخشون العزيز الوهاب . (تفسير ماجدي)

(وفي العصر الراهن من نعرات القوات الطاغوتية الخلابة الجذابة هي : إعادة ديموقراطية ، والمفادات الدولية ، والمساعدات الخارجية وغيرها ولا أحد منها لوجه الله بل كلها تفيد أهداف الطاغوت والشيطان وهذه النعرات كلها من حبائل الشيطان ووساوسه وهمزاته التي هي في أسفل درجة من الخسارة والخذلان).

6- عديد من الحكم والأسرار المستفادة من الآية الكريمة:

[إن صاحب تفسير حقاني ذكر عدداً من الحكم والأسرار المتعلقة بالآية نذكرها ملخصاً من تفسيره]

(أ) ومن الناس من يقول أنه لِيكُنْ مهام الدين موقوفة على الوعظ والنصيحة والكرامات والمعجزات فقط دون التعرض للقتل والقتال والضرب والحبس والتعزيزات إلى غير ذلك .....؟ ويضربون لذلك مثل عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام بأنه لم يقاتل ولم يجاهد بل وعظ ونصح واكتفى بالصبر فلم يلجأ إلى القتل والقتال . فنقول لهم وبالله التوفيق : إن الذين يضعون العقبات في سبيل الحق والدين وهم يقاتلون في سبيل الطاغوت كما قال تعالى{والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت}، فما هو المعقول في

هذه الحال أيجلس أهل الدين ساكتين صابرين حتى يتدندن هؤلاء أصحاب الأهواء و أصدقاء الطاغوت والشيطان ويصدوا الناس عن سبيل الله فتملأ الدنيا كفراً وشركاً وفساداً ؟ أم يُقاوَم ويهاجَم أمثالهم ليمتنعوا عن نشر الزيغ والضلال ؟ إن قوم موسى عليه السلام كانوا أهل قوة وبأس شديد فأمروا بالقتال بينما حواري عيسى عليه السلام كانوا ضعفاء فاكتفوا بالصبر وتحمل المشاق مع ذلك لما أُسر أصحابه عليه السلام أمرهم بالتسلح حتى قطعت أذن رجل من الطرف الآخر بيد صاحب عيسى عليه السلام كما ورد في الإنجيل (أنظر انجيل لوقا)

(ب) إن قوله تعالى {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً} فيه نبوءة وبشارة للمسلمين بالفتح والنصر،علماً بأنه لما نزلت هذه البشارة كانت الغلبة على معظم معمورة الدنيا لأهل الطاغوت والفساد أما المقاتلون والمجاهدون للحق فكانوا قليلي العدة والعتاد وما انقضت فترة قصيرة إلا وتحققت هذه النبوءة وظهرت البشارة ، وفي الآية عبرة ودرس إلى قيام الساعة.

(ج) إن القتال في نفسه ليس بأمر محمود لأن الكفار أيضاً يقاتلون لصالح الطاغوت وإنما القتال الذي مستحسن ومحمود عقلاً وشرعاً هو الذي يكون لإعلاء كلمة الله تعالى ونصر المظلومين والمستضعفين ولن يكون المقصود منه إظهار الشجاعة والبسالة والرياء والمفاخرة. (مستفادة من تفسير حقاني)

(7) أنظروا القتال مع من ؟ {فقاتلوا أولياء الشيطان} أمر المسلمون بالقتال مع من ؟ لمقاومة الطاغوت والشيطان وأهلهما الذين يريدون نشر الزيغ والضلال والفتنة والفساد والفسق والفجور. (تفسير ماجدي)

(8) {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً} إن أقوى الطواغيت ورئيسهم هو الشيطان ، فإذا كان مكره وكيده ضعيفاً فلن يستطيع هو وأعوانه أن يقوم مقابل حزب الله وأنصاره {ألا إن حزب الله هم الغالبون} ونذكر هنا بعض العبارات نقلاً من تفاسير أهل العلم ورجال الدين لما فيها علم ومعرفة .

نكتة فريدة:

- {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً} في حد ذاته فكيف بالقياس إلى قدرة الله تعالى : {الذين يقاتلون في سبيله} وهو سبحانه وليكم . (تفسير الآلوسي)
- في المقاومة بين الحق والباطل ليحصلن الفتح والغلبة للحق وأهله .(حاشية الشيخ اللاهوري)
- {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً} إن في الآية تشجيعاً للمسلمين بأن لا يخافوا الشيطان وقوته فليس هو حاكم أو آمر،فلو تجرأتم عليه جرأة يسيرة لذاب أمامكم ذوب الملح في الماء ، وبغض النظر عن القتال والقتال إن المقاومة من الشيطان بشأن الأخلاق والمعاشرة والمعاملات والعبادات ليست بصعب وإنما يُتَطلَّب من الإنسان الجرأة والهمة والعزيمة ضد وساوس الشيطان . (تفسير ماجدي)

نكتة أخرى:

إن كل ما عند الكفار من القوة والأسلحة والنووية وقوة البحرية والبرية والفضائية كل ذلك من آلات الشيطان ووسائل مكائده وهي ضعيفة كما قال الرب جل في علاه {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً} وكل تدابير الكفار ووسائلهم يتضمنها كيد الشيطان ومن يتجرأ على القول القرآني ؟ والكلام الرباني؟ فإن يكن المسلمون صادقين في إيمانهم فيؤثرون آخرتهم على دنياهم ويجعلون الآخرة نصب أعينهم ومقصود حياتهم ويقومون بأمر الجهاد كما أمروا بالقيام به لانكشف الغطاء عن أعينهم وليقولن كل منهم {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً}. والله تعالى أعلم بالصواب.

فائدة:

قال المفسر الآلوسي رحمه الله تعالى :

وفائدة { كَانَ } التأكيد ببيان أن كيده مذ كان ضعيف ، وقيل : هي بمعنى صار أي صار ضعيفاً بالإسلام ، وقيل : إنها زائدة وليس بشيء . (روح المعاني)

وفي الآية إشارة إلى أنه كلما يزداد تمسك المسلمين بالإسلام تزول مكائد الشيطان . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {77}

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

الملخص:

إن أناساً من المسلمين لقوا من المشركين أذى شديداً (وهم بمكة قبل الهجرة) فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : ائذن لنا يا رسول الله في قتال هؤلاء فإنهم قد آذونا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : كفوا أيديكم وامسكوا عن القتال فإني لم أومر بذلك ، وفي رواية : إني أمرت بالعفو . { وَأَقِيمُواْ الصلاة وآتوا الزكاة } واشتغلوا بما أمرتم به { فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القتال } وأمروا به بعد أن هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة { إِذَا فَرِيقٌ مّنْهُمْ يَخْشَوْنَ الناس } أي الكفار أن يقتلوهم ، وذلك لما ركز في طباع البشر من خوف الهلاك { كَخَشْيَةِ الله } أي كما يخشون الله تعالى أن يترل عليهم بأسه

فلما كتب عليهم القتال فاجأ بعضهم بألسنتهم أو بقلوبهم ، { رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القتال } في هذا الوقت . { لَوْلا أَخَّرْتَنَا إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ } { قُلْ } أي تزهيداً لهم فيما يؤملونه بالقعود عن القتال والتأخير إلى الأجل المقدر من المتاع الفاني وترغيباً فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي { متاع الدنيا } أي جميع ما يستمتع به وينتفع في الدنيا { قَلِيلٌ } في نفسه سريع الزوال وهو أقل قليل بالنسبة إلى ما في الآخرة { والآخرة خَيْرٌ لِمَنِ اتقى } حثاً لهم وترغيباً على الاتقاء فيوفون أجورهم يوم القيامة والجهاد من أفضل الأعمال فقيل لهم أن يجاهدوا جهاداً كبيراً ليوم المعاد والحساب .

أقوال المفسرين:

1- **الشكوى بديعة:** في الآيات السابق ذكرها كان بيان وجوب الجهاد والترغيب فيه ، وفي هذه الآية ترغيب بطريقة بديعة بحيث لم يستعد بعض المسلمين للقتال وقصتهم أنهم لقوا من المشركين أذى كثيراً فاشتكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له : ائذن لنا يا رسول لله في قتال هؤلاء (أي المشركين) فأمروا بالعفو عنهم ، فلما نزل أمر الجهاد بعد الهجرة في المدينة المنورة شق على هؤلاء كما ذكر صاحب لباب النقول نقلاً عن النسائي فترلت هذه الآية شكاية لهم . (تفسير بيان القرآن)

2- عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا: يا نبي الله، كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة ؟ فقال: (إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم).فلما حول الله تعالى إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فترلت الآية.أخرجه النسائي في سننه . (تفسير القرطبي)

(وما سبق آنفاً من عبارة بيان القرآن هي مستفادة من هذه الرواية وأحال المفسر إليه بقوله : أورده في لباب النقول عن النسائي)

3- هل القائلون بهذا القول كانوا من المؤمنين أم المنافقين ؟

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره: هذه الآية صفة للمؤمنين أو المنافقين؟ فيه قولان :

القول الأول :

أن الآية نزلت في المؤمنين **قال** الكلبي : نزلت في عبد الرحمن بن عوف والمقداد وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص ، كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجروا إلى المدينة ، ويلقون من المشركين أذى شديدا فيشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفوا أيديكم فاني لم أومر بقتالهم ، واشتغلوا باقامة دينكم من الصلاة والزكاة ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بقتالهم في وقعة بدر كرهه بعضهم ، فأنزل الله هذه الآية.

القول الثاني :

أن الآية نازلة في حق المنافقين ، واحتج الذاهبون إلى هذا القول بأن الآية مشتملة على أمور تدل على أنها مختصة بالمنافقين . فالأول : أنه تعالى قال في وصفهم : { يَخْشَوْنَ الناس كَخَشْيَةِ الله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً } [النساء : 77] ومعلوم أن هذا الوصف لا يليق إلا بالمنافق ، لأن المؤمن لا يجوز أن يكون خوفه من الناس أزيد من خوفه من الله تعالى .(تفسير الرازي)

إن صاحب تفسير حقاني قال بعد ذكر القولين :

قوله تعالى {ألم تر إلى الذين ....} الآية فيه تعريض للذين استعجلوا في طلب إذن الجهاد فلما كتب عليهم تكاسلوا وجعلوا يخشون الموت وقالوا لَمِ كُتِب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل لنتمتع المزيد من حياتنا، ولا شك في أن هؤلاء الذين طلبوا إذن الجهاد كانوا من المخلصين ولكن انضم بهم بعض المنافقين ويدل على ذلك قوله تعالى{إذا فريق منهم}(وهذا الفريق هو المنافق) فهؤلاء المنافقون {يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية} فيرون أن الخروج للجهاد سبب الموت ، فقيل لهم بلسان نبي الله عليه أفضل الصلاة والسلام لو فرضنا أن الخروج في الجهاد سبب الموت والبقاء في البيت سبب الحياة فإلى متى هذه الحياة ؟ وهل تدوم نعمها ؟ لا شك أن الحياة الدنيا تفني وتزول .(تفسير حقاني)

4– قوله تعالى: (قل متاع الدنيا قليل) ومتاع الدنيا منفعتها والاستمتاع بلذاتها وسماه قليلا لانه لا بقاء له.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (مثلي ومثل الدنيا كراكب قال قيلولة تحت شجرة ثم راح وتركها) . (تفسير القرطبي)

قال صاحب بيان القرآن: قل أيها النبي (عليه الصلاة والسلام) إن الاستمتاع بلذات الدنيا أياماً معدودة والآخرة خير من كل الوجوه والجهاد هو أعلى وأقرب وسيلة إلى الوصول إليها.(بيان القرآن)

5– إن الدين ناقص بدون الجهاد :

وقال قوم : كان كثير من العرب استحسنوا الدخول في الدين على فرائضه التي قبل القتال من الصلاة والزكاة ونحوها والموادعة ، فلما نزل القتال شق ذلك عليهم وجزعوا له فنزلت .

(قاله أبو حيان في تفسيره البحر المحيط)

6- إن الجهاد مقصود المؤمن :

كلام نفيس:

قال الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى : لما كان المسلمون بمكة ويؤذهم الكفار منعهم الله تعالى عن القتال معهم وأمروا بالصبر على الأذى، فلما نزل أمر الجهاد وكتب عليهم فرحوا إلا بعض ضعاف المسلمين فخشوا الموت كخشية الله أو أشد منه . (تفسير موضح القرآن)

نكتة:

اعلموا أن الجهاد فريضة مستقلة وعمل ماض إلى يوم القيامة ولذلك يلقي القرآن الكريم الضوء على كل جوانبه ويشرح ويبين جميع أهدافه ومقاصده ويزيل جميع الإشكالات التي ترد عليه ، ففي الآيات السابق ذكرها قيل للمسلمين :إنه لا يهمكم الفتح أوالهزيمة ، بل عليكم أن تقيموا الجهاد لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه في كل الأحوال ، أما في هذه الآية درس للأمة المسلمة وهو أن الجهاد ليس أمر مؤقت أو حكم عاطفي بأن يُعمَل به عند الحاجة مثلاً إذا ظُلمتم من قبل الكفار و المشركين وغيرهم فتجاهدوا ، ولما حصل لكم الأمن والراحة فترتاحوا وتنغمسوا في الحياة الدنيا وتنسوا الجهاد والآخرة ، أو تجاهدوا الكفار من أجل الحصول على الأمن المفروض ،كلا بل اعلموا أن الجهاد كتب لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه ولإظهار الدين الإسلامي على الأديان كلها ولتبليغ رسالته الغراء إلى أنحاء المعمورة وأرجاء الأرض كلها ، وهو(أي الجهاد) وسيلة التقوى وأعلى درجتها ، والآخرة خير لمن اتقى .

وهذا ما ذكر في هذه الآية والسابقة من بيان أهداف الجهاد ومقاصدها العالية يقوي نظرية الجهاد ويعضد سيره إلى الأبد . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {78}

بسم الله الرحمن الرحيم

أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾

الملخص:

فلولا خرجتم في الجهاد هل تطول مسيرة حياتكم ولا تموتون على ميعادكم ؟ كلاً إن الموت ليس بخاص بميدان الجهاد بل إنه ليدرككم حيثما كنتم حتى ولو كنتم في بروج مشيدة وقصور محصنة ، وحال هؤلاء المنافقين عجيب فإن أصابتهم حسنة أي غنيمة في الغزوة أو الحرب يرونها من عند الله ومما كتب لهم ، وإن أصابتهم سيئة أي هزيمة بدءوا يطعنون في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : {هذه من عندك} {قل كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا} .

أقوال المفسرين:

1- إن الفزع من الجهاد جهل محض:

إن الموت لا مفر منه ولا مخلص مهما يسكن الإنسان في بروج مشيَّدة أو حصون محصَّنة ليأتينه الموت، لأن لكل إنسان كتب له أجل مسمى،فلا يتأخر ساعة ولا يتقدم لحظة بحال من الأحوال، فلو لم يخرج أحد في الجهاد لا يستطيع أن يخلص من الموت فعلم بذلك أن خوف الموت وخشيته والفرار من قتال الكفار جهل محض ودليل على قلة الإيمان بالله وبالقدر . (تفسير عثماني)

2- فوزوا بالجهاد وتقربوا به إلى الله تعالى :

إن في هذه الآية درساً وعبرة بأنكم إذا علمتم أن الموت شيء يقيني وأمر مؤكد لا خلاص منه فلماذا تعرضون عن الجهاد و هو وسيلة قربة إلى الله تعالى وسبب الحصول على درجات عالية في الآخرة ؟ فجاهدوا في سبيل الله واحصلوا الفوز به . (تفسير ماجدي)

3- الرد على من خشي الموت :

والمقصود من هذا الكلام تبكيت من حكى عنهم أنهم عند فرض القتال يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال ، فقال تعالى : { أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الموت } فبين تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت ، والجهاد موت مستعقب لسعادة الآخرة ، فاذا كان لا بد من الموت ، فبأن يقع على وجه يكون مستعقباً للسعادة الأبدية كان أولى من أن لا يكون كذلك. (تفسير الرازي)

فائدة:

إلى هنا قد فهمنا معنى جزء الآية الأول وهو {أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة} علماً بأن الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى بسط الكلام حول تفسير هذه الآية وركّز على أن للموت أجلا محتوما، وأمدا مقسوما فلا فائدة في ترك الجهاد خشيةً من الموت وقد ذكر عديداً من القصص التي تبين هذه الحقيقة وذكر قول خالد بن الوليد حين جاء الموت على

فراشه فقال: لقد شهدت كذا وكذا موقفا، وما من عضو من أعضائي إلا وفيه جرح من طعنة أو رمية، وها أنـا أمـوت علـى فراشي، فلا نامت أعين الجبناء.

كما إنه استدل بالآيات القرآنية الأخرى في شرح هذه الآية وذكر من ضمنها بعض أشعار العرب ليتبين معنى الآية الكريمة بيانا كاملاً ، فمن أراد التفصيل فعليه به ،

والآن ننتقل إلى شرح جزء الآية الثاني وما يتعلق به من عبارات المفسرين:

1- تذبذب المنافقين

إن هؤلاء المنافقين حالهم عجيب فلو انتصروا وغلبوا وحصل لهم الغنيمة قالوا هذا من عند الله ولم يعترفوا بشخصية النبي صـلى الله عليه وسلم ، ولو أصيبوا بمصيبة وخسارة أو هزيمة جعلوا يطعنون في ذات النبي ﷺ والنقص في تدبيره ﷺ ، فقال الله تعالى رداً عليهم {قل} لهم يا محمد ! {كل من عند الله} من حسنة أو سيئة وهو خالق كل شيء ، {ألا له الخلق والأمر}، وإن تـدبير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو من الوحي الإلهي وإلهامه له ﷺ أما طعنكم وتنقيصكم في شأنه ﷺ مـبني علـى قلـة شعوركم وسوء فهمكم ، واعلموا أن الهزيمة أيضاً لا تخلو عن حكمة لا يعلمها إلا الله فإنه قد يختبركم بها وقـد يبتلـيكم بمـا كسبت أيديكم ، وهذا هو جواب مجمل لاعتراض المنافقين وفي الآية الآتي ذكرها بيان تفصيله . (تفسير عثماني)

فائدة:

إن ما سبق فيما أعلاه من تفسير عثماني هو تسهيل لكلام الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى وإن بيانه حول هذه الآية بيان جامع ، علماً بأن المنافقين ما كانوا مطمئنين لا من الجهاد ولا من أمير الجهاد (وهو النبي ﷺ) فلا يجدون فرصة إلا كانوا ينتهزونها ضـد عمل الجهاد وضد نبي الإسلام عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام ، فلو انتصر المسلمون قال المنافقون : تم النصـر مصـادفةً وليس فيه أي دخل لمجاهدة المجاهدين ، ولو انهزم المسلمون قالوا الأقاويل تمس بذات النبي ﷺ وأثاروا الفتن حول الجهاد فقـالوا مثلاً : ليس في الجهاد سوى الدمار والخراب وطعنوا في تدبير النبي ﷺ . (والعياذ بالله)

قال الشيخ التهانوي رحمه الله تعالى:

إن ربط سبب الهزيمة بالشارع (وهو النبي ﷺ) أو بتشريعه أو بتدبيره ﷺ جهالة محضة وكانت هذه سمة المنافقين فكانوا يفعلون ذلك بحيث كانوا يصلون سب الهزيمة والخسارة بالجهاد أو أمير الجهاد (والعياذ بالله). (بيان القرآن)

2- الجهاد يراه المنافقون سبب الموت :

صاحب بيان القرآن ذكر هنا نكتة غريبة فريدة وهي أن بعض المنافقين رأوا الخروج في الجهاد سبب الموت واعتقدوا بأن الجهـاد مؤدي إلى الموت ، ورأوا عدم الخروج فيه بقاء الحياة ، فإن أصيب المسلمون من الهزيمة استدلوا بها على صحة معتقدهم وقـالوا : إنهم خرجوا في الجهاد فقتلوا وأصابهم الموت ، وإن انتصر المسلمون وتحقق لهم الفتح والنصر ورجعوا سـالمين غـانمين ، وقيـل للمنافقين : أعيدو النظر في معتقدكم الباطل أن الجهاد مؤثر في الموت وهو سبب الهلاك وانقطاع الحياة فلو كان كذلك لما بقينـا وما سلمنا وقد رجعنا سالمين غانمين ؟ قالوا : قد بقيتم مصادفة واتفاقاً وإلا كان الهلاك أمامكم وهذا هو تفسير الآيـة وسـياقها . (مستفادة من بيان القرآن).

3- تأدبوا مع النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

إن العاقل لا يخاف الموت لأنه ليأتي في يوم من الأيام على وقته المختوم وميعاده المكتوب واحذروا من أن تنسبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم سبب الهزيمة والخسارة التي أصابتكم بما كسبت أيديكم . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

سورة النساء مدنية : الآية {79}

بسم الله الرحمن الرحيم

مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

الملخص:

إن ما يصيبك أيها الإنسان من حسنة ونعمة فهي من الله تعالى وما يصيبك من سيئة ونكبة فهي من نفسك وباكتساب يديك ونتيجة عملك (فنسبتها إلى الشريعة أو إلى أمر النبي صلى الله عليه وسلم مجرد الجهالة كما كان المنافقون ينسبونها إلى الجهاد وقائد الجهاد صلى الله عليه وسلم).

واعلموا أن الرسول حق {وأرسلناك للناس رسولاً} (فلن ينتقص قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه الأقاويل الباطلة) {وكفى بالله شهيداً} على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم .

(مستفاد من بيان القرآن)

فائدة:

في هذه الآية الكريمة إبطال طعنة المنافقين في ذات النبي صلى الله عليه وسلم و الرد على تشويههم صورة الجهاد وبيان سبب الابتلاءات في الجهاد . والله تعالى أعلم بالصواب.

مفهوم الآية :

والأصل في ذلك أن موجد الخير والشر هو الله تعالى ولا شك في ذلك إلا أنه يجب على الإنسان أن يرى الحسنة والخير فضلاً من الله ويرى الشدة والبلاء نتيجة عمله وثمرة كسبه فلا يتهم النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن ذات النبي (ﷺ) ليس بموجد الشر ولا بموجد الخير فإن الأمر كله بيد الله أما السبب فهو عمل الإنسان . (تفسير عثماني)

فائدة:

قيل في الآية السابق ذكرها: {كل من عند الله} وقيل في هذه الآية الكريمة {ما أصابك من سيئة فمن نفسك} فبادئ الأمر ظهر التناقض بين معنى الآيتين فكيف يمكن التوفيق بينهما ؟

نقول: العبارة المذكورة آنفاً نقلاً من تفسير عثماني هي خلاصة تفسير موضح القرآن و بها يزول هذا الإشكال الظاهري بحيث أن المراد بقوله تعالى {كل من عند الله} الخلق والإيجاد يعني إن الله تعالى هو خالق الأمر وموجد كل شيء من الأحوال وغيرها، والمراد بقوله تعالى{فمن نفسك} بيان السبب ، يعني سبب النكبة والسيئة والبلاء هو نتيجة أعمالكم وثمرة اكتسابكم كما إن النار تكون سبب الاحتراق ، فزال الإشكال.

إن صاحب تفسير ماجدي أزال الإشكال المذكور ببيان الفرق اللفظي بين {عند الله} وبين {من الله} بينما أزال الإشكال صاحب تفسير حقاني بدلائل علمية و بسط الرد على فرقة هندوسية آرية سماج و رهبان النصارى فمن له الرغبة في هذا الموضوع فليراجع إليهما. (والله تعالى أعلم بالصواب)

سورة النساء مدنية : الآية {80}

بسم الله الرحمن الرحيم

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾

الملخص:

من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن لا يطيع نبينا (صلى الله عليه وسلم) فلا تحزن أيها النبي لأننا ما جعلناك عليهم حفيظاً.

فائدة:

إن المنافقين قد طعنوا في شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم من أجل الهزيمة الظاهرة كما قال تعالى ((وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك)) ليتنفر الصحابة رضي الله عنهم عن إمام المجاهدين (ﷺ) فأنزل الرب تبارك وتعالى هذا الحكم ليرتسخ في نفوسهم طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وطاعة كل أمير أمر عليهم ، وطاعة الرسول (ﷺ) طاعة الله في الحقيقة ومعصية أمره معصية الله تعالى، ثم أكرم الله تعالى نبيه (ﷺ) بالصبر والسلوان قائلاً ((فما أرسلناك عليهم حفيظاً)) يعني لست سبب شقاوتهم وحرمان نصيبهم بل هم الظالمون أنفسهم .

أقوال المفسرين:

1- إن نسبة الهزيمة أو الخسارة إلى النبي صلى الله عليه وسلم باطل:

من أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بالشوق والمحبة فقد أطاع الله فإذا تقرر ذلك فهل يسوغ لكم أن تنسبوا نسبة الهزيمة والبلاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

2- أهمية إطاعة الرسول وإطاعة الأمير:

قال الإمام القرطبي:

اعلم الله تعالى إن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعة له وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني . (تفسير القرطبي)

3- عصمة النبي صلى الله عليه وسلم :

قوله تعالى : {ومن يطع الرسول فقد أطاع الله} من أقوى الدلائل على أنه معصوم في جميع الأوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لأنه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله .

(تفسير الرازي)

4- الرد على الفرق الباطلة:

وفي الآية إبطال لمعتقدات الفرق الباطلة الذين لا يرون طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله.

(تفسير ماجدي)

التذكير :

تفوه المنافقون قولاً باطلاً (أنظر الآية رقم 78) {وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك}

فنقدوا في الجهاد واعترضوا على إمام الجهاد ليصدوا الناس عنه ويثبطوا همهم ويُضَعِّفوا عزيمتهم فيؤدوا حق العداوة ، فنزلت هذه الآية وما بعدها رداً على المعترضين وبيان قدر سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ليربط أهل الإيمان صـلتهم بـه وتتقـوى جماعتهم فيتحد شملها ، ويبلغ النبي رسالة الله تعالى إلى سائر الخلق من الجنة والناس أجمعين . والله أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {81}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

الملخص:

وحال هؤلاء المنافقين أنهم يظهرون في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة كاملة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فلما يخرجون منه ويجتمعون فيما بينهم يتآمرون ضد الإسلام والمسلمين {والله يكتب ما يبيتون} فلن يضروا محمداً (صلى الله عليه وسلم) والإسلام {فأعرض عنهم} واترك أمر عقابهم على الله {وتوكل على الله} وكفى بالله وكيلاً.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:

وقوله: { وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ } يخبر تعالى عن المنافقين بأنهم يظهرون الموافقة والطاعة { فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ } أي: خرجوا وتواروا عنك { بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ } أي: استسروا ليلا فيما بينهم بغير ما أظهروه. فقال تعالى: { وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ } أي: يعلمه ويكتبه عليهم بما يأمر به حفظته الكاتبين، الذين هم موكلون بالعباد. يعلمون ما يفعلون. والمعنى في هذا التهديد، أنه تعالى أخبر بأنه عالم بما يضمرونه ويسرونه فيما بينهم، وما يتفقون عليه ليلا من مخالفة الرسول وعصيانه، وإن كانوا قد أظهروا له الطاعة والموافقة، وسيجزيهم على ذلك.

وقوله: { فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ } أي: اصفح عنهم واحلم عليهم ولا تؤاخذهم، ولا تكشف أمورهم للناس، ولا تَخَفْ منهم أيضا { وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا } أي: كفى به وليًّا وناصرًا ومعينا لمن توكل عليه وأناب إليه. (تفسير ابن كثير)

أقوال المفسرين:

1- من هم الذين بالغوا في سوء الظن ؟

إن سوء الظن قد رسخ في قلوب المنافقين ، وأشرب في قلوبهم الظن الفاسد الذي أداهم إلى أسفل الدرجة من النفاق والمكر فلما يلتقون بالنبي صلى الله عليه وسلم يُقرِّون بطاعته ولما انعزلوا منه جعلوا يؤامرون ضده صلى الله عليه وسلم وضد الإسلام. (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

2- تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم :

لا تلتف أيها النبي إلى أقاويل هؤلاء ولا يهمك شأنهم بل فوض الأمر كله إلى الله وهو نعم الوكيل فيدفعك عنهم بنفسه ولم يصل إليه صلى الله عليه وسلم شيء من ضررهم ومكرهم وكيدهم. (تفسير بيان القرآن)

3- إنك لستَ بحاجة إلى هؤلاء :

{وتوكل على الله}ثم أمره بالتوكل عليه والثقة به في النصر على عدوه.

نكتة :

إن في الآية ذكر الجهاد بأسلوب رائع (1) وهو أن المنافقين بعد الانهزام أظهروا أنفسهم نصحاء للإسلام والمسلمين وعندهم معرفة فائقة وخبرة جيدة حول القتال فكانوا يشيرون عليهم ويقدمون آراءهم في المشورة وبالخفاء كانوا يمكرون بالإسلام وأهله

ويثيرون الشبهات في أذهان المسلمين ضد الإسلام والمسلمين ، فكشف الله تعالى عن نفاقهم وبيَّن للمسلمين كيدهم ودسائسهم ونبَّه المسلمين على أن لا يتعمدوا عليهم ولا يثقوا فيهم .(2) بعد غزوة أحد كان المسلمون في حالة صعبة وظروف قاسية ومن جهة أخرى لقوا ما لقوا من مكائد المنافقين ومكرهم الذي زاد غمهم وهمهم ، فترلت هذه الآية تسلية لقلوبهم و طمأنينة لنفوسهم وقيل لهم لا تخافوا مكرهم ولا تفكروا في كيدهم بل اعرضوا عنهم وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلاً .

(3) كان من المتوقع من كيد المنافقين أن يشتعل المسلمون ضدهم فلو كان كذلك لوقعت جبهة أخرى داخلية بين المسلمين والمنافقين لذلك جاء الأمر بسدِّ هذه الثلمة المحتملة بالإعراض عنهم وقيل للمسلمين بلسان النبي ﷺ {فأعرض عنهم} لأن الله يكفيكم عنهم {وكفى بالله وكيلاً} وركِّز على مقاومة العدو الذي قد بدأ الحرب معهم .(4) إن المسلمين في تلك الحال كانوا في أمس حاجة إلى قوة الأفراد وكثرة عدد الناس وذلك لأن الأعداء قد اتحدوا وتجمعوا ضد الإسلام من قبائل شتى وأمكنة مختلفة وأحزاب متعددة ، والمنافقون كانوا مع المسلمين ظاهراً ومع الأعداء باطناً وهذه مصيبة أخرى التي تحتمل أن تثبط المسلمين فترلت هذه الآية التي تفهِّم المسلمين بأنكم لستم بحاجة إلى هؤلاء المنافقين ، أنتم توكلوا على من تجاهدون في سبيله ومن أجل دينه وهو الله تعالى فتوكلوا عليه في كل دقة وجل وبالأخص عند الشدائد والمحن والجهاد والقتال وهو كفى لكم وكيلاً .

(5) أُخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الوحي المبارك عن أحوال هؤلاء المنافقين ، وبذلك اتضح أمرهم ولم يخفى حالهم على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وفي مثل هذه الحال، الاطلاع على الدسائس السرية والمكائد الخفية تفيد المجاهدين فلا يجهل عليهم مَن حولهم ومن بداخلهم من الأعداء فيكونون على بينة تامة ويأخذون جانب الحذر والاحتياط كما إن الآية دليل على صدق نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد كان اليهود و المنافقون يشكِّكون في رسالته صلى الله عليه وسلم ،وفي جهة أخرى إن الله عز وجل لم يزل يترل الوحي ويتابع سلسلته على نبيه صلى الله عليه وسلم ويطلعه على الغيب ما أراد منه ،فيخبر أصحابه فيزداد إيمانهم بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم بذلك . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {82}

بسم الله الرحمن الرحيم

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾

الملخص:

أفلا يتأملون ويتفكرون في القرآن الكريم ؟ لو كان هذا القرآن من عند غير الله وجدوا فيه اختلافاً كثيراً في المعاني وتبايناً في نظمه .

فائدة:

إن المنافقين طعنوا في النبي صلى الله عليه وسلم و اعترضوا على الجهاد ، فجاء الرد بشكل قاطع عليهم ومفحم لهم وقيل لهم : ما رأيكم في هذا القرآن الكريم ؟ ولا شك فيه أن كل لفظ منه وحرف يدل على صدقه وقطعي الثبوت منه سبحانه وتعالى وأنتم أيها المنافقون تؤمنون به علناً ، فأي شك وريب يوجد لديكم تجاه هذا الكتاب العظيم ؟ ولا يخفى عليكم أن كتاب الله والوحي الإلهي لا يترل إلا نبي الله حقاً وصدقاً ، ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد من عند نفسه بل هو قرأ عليكم من كتاب ربه ، فلو أنكرتم أمر الجهاد واعترضتم عليه فقد كفرتم كتاب ربكم وثبت بذلك كفركم ، وإن آمنتم بالقرآن فاعتراضكم على الجهاد باطل وفاسد .

قد سبق في الآية الماضية أمر الجهاد بصيغة {فانفروا} ثم تلاها بصيغة {فليقاتل} وفي الآية الآتي ذكرها (84) أيضاً جاء الأمر بصيغة {فقاتل} وقد توسط من بينها بيان إزالة شكوك المنافقين والرد على مكائدهم ضد الجهاد ، وبُيِّن للمسلمين فلسفة الجهاد ، ورغَّب الله تعالى المسلمين في طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكُشف عليهم حال المنافقين السيئ ثم تبع ذلك كله ما ورد من الترغيب في تدبر القرآن ، واستفاد من الآية الكريمة أن من ربط صلته بكتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لن ينكر الجهاد ولن يخالفه ولن يعترض عليه ولن يتركه إلا لعذر شرعي . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {83}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾

الملخص:

وإذا وصل المنافقين خبرجديد من الأمن أو الخوف أشاعوه وأذاعوه (مثل خروج جيش إسلامي وتحقق له الفتح فهذا خبر الأمن ،أو لم يتحقق للجيش الإسلامي النصر والغلبة فهذا خبر الخوف وما إلى ذلك ..) وقد لا يكون الخبر حقاً وصدقاً، بينما في بعض الأحوال لا تصلح إشاعة الخبر ولو كان الخبر صحيحاً وصدقاً،فلو بلّغوا الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أخبروا به ذوي الفهم والثقات الذين يضعون الكلام محله ويستنبطون منه استنباطاً دقيقاً ويحللون تحليلاً أنيقاً لوصل هؤلاء الثقات الثبات إلى حقيقة الأمر وغاية الخبر وكان الواجب على هؤلاء مذيعي الخبر أن يتبعوا بأولي الأمر والاستنباط بعد إيصال الخبر إليهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بأن أكرمكم بالقرآن الكريم، وأرسل إليكم الرسول العظيم لجريتم وراء الشيطان ولاتبعتموه إلا قليلاً . (مفهوم ما ورد في تفسير بيان القرآن)

أقوال المفسرين:

1- مَن هؤلاء الذين جاء ذكرهم في هذه الآية ؟

فيه قولي العلماء من المفسرين: فقيل: كان هذا من ضعفة المسلمين، عن الحسن، لأنهم كانوا يفشون أمر النبي صلى الله عليه وسلم ويظنون أنهم لا شيء عليهم في ذلك.

وقال الضحاك وابن زيد: هو في المنافقين فنهوا عن

ذلك لما يلحقهم من الكذب في الإرجاف.

وذهب الإمام الرازي إلى أن الآية نزلت في المنافقين وذكر ما يترتب على مثل هذا الخبر من المفاسد .

فقال رحمه الله تعالى :

اعلم أنه تعالى حكى عن المنافقين في هذه الآية نوعا آخر من الأعمال الفاسدة ،وهو أنه إذا جاءهم الخبر بأمر من الأمور سواء كان ذلك الأمر من باب الأمن أو من باب الخوف أذاعوه وأفشوه ، وكان ذلك سبب الضرر من وجوه :

الأول : أن مثل هذه الارجافات لا تنفك عن الكذب الكثير .

والثاني : أنه إن كان ذلك الخبر في جانب الأمن زادوا فيه زيادات كثيرة ، فاذا لم توجد تلك الزيادات أورث ذلك شبهة للضعفاء في صدق الرسول عليه السلام ، لأن المنافقين كانوا يروون تلك الارجافات عن الرسول ، وإن كان ذلك في جانب الخوف تشوش الأمر بسببه على ضعفاء المسلمين ، ووقعوا عنده في الحيرة والاضطراب ، فكانت تلك الارجافات سببا للفتنة من هذا الوجه **الوجه الثالث** : وهو أن الارجاف سبب لتوفير الدواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام ، وذلك سبب لظهور الأسرار ، وذلك مما لا يوافق مصلحة المدينة .

الرابع : أن العداوة الشديدة كانت قائمة بين المسلمين وبين الكفار ، وكان كل واحد من الفريقين في إعداد آلات الحرب وفي انتهاز الفرصة فيه ، فكل ما كان آمناً لأحد الفريقين كان خوفا للفريق الثاني ، فإن وقع خبر الأمن للمسلمين وحصول العسكر

وآلات الحرب لهم أرجف المنافقون بذلك فوصل الخبر في أسرع مدة إلى الكفار ، فأخـذوا في التحصـن مـن المسـلمين ، وفي الاحتراز عن استيلائهم عليهم ، وإن وقع خبر الخوف للمسلمين بالغوا في ذلك ، وزادوا فيه وألقوا الرعب في قلـوب الضـعفة والمساكين ، فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف كان منشأ للفتن والآفات من كل الوجوه ، ولما كان الأمـر كـذلك ذم الله تلـك الإذاعة وذلك التشهير ، ومنعهم منه . (تفسير الرازي)

2- المراد بالخبر هو الخبر في الحرب والقتال:

{ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ } عن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم بما حصل لهم { مّنَ الأمن } بالنصر { أَوِ الخوف } بالهزيمة { أَذَاعُواْ بِهِ } أفشوه ، نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى الـنبي صـلى الله عليـه وسلم . (تفسير الجلالين)

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير الآية :

والمعنى أنهم إذا سمعوا شيئا من الامور فيه أمن نحو ظفر المسلمين وقتل عدوهم (أو الخوف) وهو ضد هذا (أذاعوا به) أي أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته.

فقيل: كان هذا من ضعفة المسلمين، عن الحسن، لانهم كانوا يفشون أمر النبي صلى الله عليه وسلم ويظنون أنهم لا شئ عليهم في ذلك.

وقال الضحاك وابن زيد: هو في المنافقين فنهوا عن ذلك لما يلحقهم من الكذب في الارجاف.

3- أصول مهم يلزم الجماعات الجهادية:

إن الأمة الإسلامية من أول يومها كانت منظمة مرتبة بل نستطيع أن نقول أنها كانت شبه جماعة عسكرية منذ نشأتها وبدايتها ولا غرو أن إشاعة الخبر ينافي مقاصد المنظمة العامة وبالأخص منظمة عسكرية ، لأن من عادة عوام الناس أنهم يشيعون الأخبار بدون تأكد صحتها ومعرفة غرضها وغايتها أو نفعها وضررها ولا يشـعرون بحاجـة إبـلاغ الخـبر إلى أولي الأمـر وذي البصـيرة والعقل.(تفسير ماجدي)

فائدة:

وقد بسط بعض المفسرين هنا الكلام على مسألة الاجتهاد و التقليد فمن أراد الاطلاع فليراجع إلى كتب التفسير .

نكتة :

قد ذكر في هذه الآية الكريمة أصل من أهم أصول الجماعة بل إنه أساس من أسس نظام النشر والإذاعة وهو: أن لا يشاع الخـبر على وجه العموم يجب أن يوضع محله ويبلغ به ذوي البصيرة وأهل الاستنباط من أولي الأمر ، لأنه لو لم ينضبط ولم يتقيـد نظـام إشاعة الخبر يتخذه العدو أهم وسيلة للدعاية الخادعة وتثبيط همم المخالف كعصرنا هذا أن العدو ينتصر بهذه الوسائل الإعلاميـة للدعاية والإذاعة فينشر الأخبار الكاذبة ويخدع العالم كله ، ينشرون هؤلاء أعداء الإنسانية كل ما يوافقهم ويخفـون كـل مـا يخالفهم ، من أجل ذلك جاء التوجيه الرباني منذ أربعة عشر قرناً أنه من الواجب أن يكون لإشاعة الأخبار والأحوال نظام يتقيـد به ويعمل بمقتضاه، فكان المنافقون في العهد النبوي يذيعون الخبر الكاذب لتثبيط همم المسلمين وتضعيف عزيمتهم فقيل للمسـلمين في هذه الآية أنه لابد من المراقبة على نشر الأخبار فلن ينتشر الخبر على وجه العموم عن طريقكم أو طريـق غيركـم ، وذلـك حفاظاً على اتحاد الجيش وعدم تأثره بالارجافات الخداعة والدعايات الزائفة ، كما إن في الآية درساً لأفراد الجـيش الإسـلامي والتنظيم العسكري أ ن يحافظوا على أسرار الجيش والجماعة بل ينبغي لكم أن تشكلوا لجنة البحث والتحقيق والتدقيق تتحكم في

نشر الأخبار والمواد أو عدم نشرها، فتسمح بنشر الأخبار التي تفيد المسلمين بل والإنسانية بكاملها ، وتمنع عن النشر أي خبر يضر المسلمين أو سير الجهاد أو الإنسانية بكاملها ، ثم ختم الرب جل في علاه بالآية الكريمة بتوجيه رباني وهو أن هذه الأمة دائماً بحاجة إلى التوجيه والإرشاد ، فلولا أرشدت في أمورها بالقرآن والسنة وما جاء به نبي الأمة (ﷺ) لضلت وغوت بأجمعها إلا من رحمه ربه من فضله وكرمه وذلك قوله تعالى {ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً}. (ترجمة بتغيريسير)

وقال الشيخ المفسر الشاه عبد القادر رحمه الله تعالى:

ويستفاد من قوله تعالى { وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ.......} الآية أن التذكير والإرشاد من الضروريات لهذه الأمة وإلا يضل معظمها ويغوي أكثرها. (موضح القرآن)

ولا شك في ذلك أن كل إنسان وخاصة المجاهد بحاجة شديدة إلى التوجيه والإرشاد والتذكير والتربية فلو حرم منه لضل وغوى واستزله الشيطان ، والحاصل مما سبق من البيان والشرح أن الآية الكريمة هي نسخة ثمينة مفيدة في تنظيم الاجتماعية والجهود الجهادية ، نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بها .آمين . والله تعالى أعلم بالصواب.

فائدة :

قال الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى:

لقد سبق الترغيب في طاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما مضت من الآيات القرآنية ، ثم تبعه ذكر أولي الأمر وأهميتهم ، فمن الواجب بشأن الأخبار أن يردوها إلى أولي الأمر ليتبين لهم حقيقته ويستنبطوا منه ما له وما عليه فإذا رأوا الفائدة في نشره نشروه وإلا فلا، والمراد بأولي الأمر هم الذين بيدهم السلطة وقوة التنفيذ ، وفي الآية الآتي ذكرها أمر الله تعالى بالقتال .(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

يعني يأتي ذكر أمر القتال في الآية القادمة مرة أخرى، وقد سبق ذكره في الآيات السابقة ثم توسط بيان الأمور الأخرى المتعلقة بالجهاد. (كما في بيان القرآن)

سورة النساء مدنية : الآية {84}

بسم الله الرحمن الرحيم

فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴿٨٤﴾

الملخص:

(لما اتضحت ضرورية الجهاد وعلى سبيل الفرض لو لم يحضر القتال أحد (فأنت يا محمد (ﷺ) قاتل في سبيل الله (ولا يهمك عدم خروج غيرك معك) لأنك لا تكلف إلا نفسك ، وحرض المؤمنين على القتال (فلو لم يلب أحد على دعوتك فلا عليك شيء وقد تبرأت من الذمة لا تُسأل عنهم بشيء) ولا يهمك انفرادك في القتال فإن ربك يكف بأس الذين كفروا ويجعلهم مغلوباً مهزوماً ، وإنك ترى الكفار أقوياء ولكن الله أشد بأساً وأشد تنكيلاً. (مفهوم بيان القرآن)

أقوال المفسرين:

يا أيها النبي احضر القتال بنفسك الوحيد:

يعني إن يخاف هؤلاء المنافقون أو ضعفة المسلمين (الذين سبق ذكرهم آنفاً) الجهاد ، فأنت يا رسولي احضر القتال بنفسك الوحيد ولا تعبأ بعدم حضور هؤلاء في القتال، ووالله وليك وناصرك، وحرِّضِ المؤمنين على القتال ولا تفكر في الذين لا يقاتلون ، {عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا} . (تفسير عثماني)

فائدة:

لما نزلت هذه الآية عزم النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج عزماً مصمماً ولو وحده لأن الله تعالى أمره بالجهاد ولو وحده قبل دعاء الناس في بدر الصغرى إلى الخروج ، وكان أبو سفيان واعد الرسول صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها (وقد سبق ذكره في تفسير سورة النساء من ضمن غزوة أحد) ، فكره بعض الناس أن يخرجوا ، فنزلت هذه الآية ، وخرج وما معه إلا سبعون رجلا ولم يلتفت إلى أحد ، ولو لم يتبعوه لخرج وحده، وألقى الله تعالى الرعب في أبي سفيان و كفار قريش ، فلم يوافقهم أبو سفيان وكفار قريش فكفى الله سبحانه المسلمين بأس العدو ، ولم يكن قتال يومئذٍ وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه سالمين .(تفسير عثماني)

2- ربط الآية بالجهاد:

لم يزل ذكر الجهاد من آيات سابقة إلى هذه الآية وقد توسط بعض الأحكام الأخرى أثناء ذكره في مواقع متعددة كانت لها مناسبة بالجهاد ثم أعاد ذكر الجهاد من جديد ، وخوطب النبي صلى الله عليه وسلم بوجه خاص ، وبذكر {لا تكلف إلا نفسك} يترشح منه أن البعض من المنافقين لأجل النفاق وسوء الاعتقاد و المسلمين من أجل ضعفهم في الإيمان تكاسلوا في الخروج في الجهاد ، فخاطب الرب تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن لا يعبأ بتكاسل هؤلاء بل اخرج أنت في سبيل الله لأنك {لا تكلف إلا نفسك} . (تفسير بيان القرآن)

العبارة العالي ذكرها توافق ما قاله الرازي في تفسيره حول هذه الآية :

اعلم انه تعالى لما أمر بالجهاد ورغب فيه أشد الترغيب في الآيات المتقدمة ، وذكر في المنافقين قلة رغبتهم في الجهاد ، بل ذكر عنهم شدة سعيهم في تثبيط المسلمين عن الجهاد ، عاد في هذه الآية إلى الأمر بالجهاد فقال : { فَقَاتِلْ فِى سَبِيلِ الله }(تفسير الرازي)

3- النبوءات الواردة في الكتب السابقة:

مضى في الآية السابقة أن المنافقين كانوا يذيعون الأخبار بلا تحقيق مثلاً إن عدواً فلاناً سيهاجم على المسلمين ، وقد أعدت العرب عتاداً فتقضي به على المدينة وتدمرها تدميراً ، فهذا الأمر قد يشَوِّش في أذهان المسلمين الضعاف ،وتثبِّط هممهم وهذا من الطبيعي أن الإنسان عند الشدائد والمحن وعند قلة عدده وعتاده وكثرة العدو وعتاده يتشوس ويضطرب ، لذلك قال الله تعالى للنبي ﷺ {فقاتل في سبيل الله} لإنهاء الشر والفتن وتوكل على الله في ذلك وإن لم يخرج معك أحد فلا تعبأ بهم لأنك لم تكلف إلا نفسك.

فلما نزلت الآية الكريمة عزم النبي صلى الله عليه وسلم وحده على الخروج في القتال وذلك لما واعد أبو سفيان الرسول صلى الله عليه وسلم اللقاء في بدر يوم أحد ، ويسمى ببدر الصغرى، ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا سبعين رجلاً من المسلمين.

وقد ذكرت الإشارة إلى هذه القصة في الإنجيل (في كتاب يسعياه) وفي الزبور أيضاً ورد الخبر حول القصة.

وعزم النبي صلى الله عليه وسلم على الخروج لوحده أثَّر في نفوس المسلمين وخاصة في نفس أبي بكر رضي الله تعالى عنه ،فاقتدى به رضي الله عنه حينما خرج مع فئة قليلة من المسلمين لقتال قيصر الروم ،والروم كانت آنذاك ملك وحاكم أكثر دول أوربا وآسيا ، وهذا صدق قول الله تعالى {عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا}، وفي الآية أنه النبي صلى الله عليه وسلم أُمِر بأن يحثَّ المسلمين على القتال، لأنه عمل خير، وذلك لأن من أهدافه تطهير الأرض من الفساد ، وتنفيذ أوامر الله وأحكامه في البلاد وإنهاء الظلم والشر وإقامة العدل الإلهي في أرجاء المعمورة بشكل عام . (تفسير حقاني)

4- إن النبي صلى الله عليه وسلم أشج الناس في الخلق:

دلت الآية على أنه صلى الله عليه وسلم كان أشجع الخلق وأعرفهم بكيفية القتال لأنه تعالى ما كان يأمره بذلك إلا وهو صلى الله عليه وسلم موصوف بهذه الصفات ، ولقد اقتدى به أبو بكر رضي الله عنه حيث حاول الخروج وحده إلى قتال مانعي الزكاة ، ومن علم أن الأمر كله بيد الله وأنه لا يحصل أمر من الأمور إلا بقضاء الله سهل ذلك عليه . (تفسير الرازي)

5- مسئولية المصطفى صلى الله عليه وسلم:

قال الرازي رحمه الله تعالى : في قوله تعالى {وحرض المؤمنين على القتال}

ثم قال تعالى : { وَحَرّضِ المؤمنين } والمعنى أن الواجب على الرسول عليه الصلاة والسلام إنما هو الجهاد وتحريض الناس في الجهاد ، فإن أتى بهذين الأمرين فقد خرج عن عهدة التكليف وليس عليه من كون غيره تاركا للجهاد شيء . (تفسير الرازي)

فائدة:

كُلِّف النبي صلى الله عليه وسلم بأمرين: (1) أن يقاتل بنفسه (2) وأن يحريض المؤمنين على القتال.

وقد أدى النبي صلى الله عليه وسلم هذين الأمرين حق الأداء بل استمر في أداءهما حتى آخر لحظة من حياته صلى الله عليه وسلم فقد أرسل جيش أسامة بن زيد عند وفاته صلى الله عليه وسلم ، فالعلماء الذين هم ورثة الأنبياء انتقلت إليهم مسئولية القتال بنفسه وتحريض المؤمنين على القتال فعليهم أن يؤدوهما حق الأداء ويجتهدوا لهما اجتهاداً كبيراً. (والله تعالى أعلم بالصواب)

فائدة:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحرض المؤمنين على القتال وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الأمر حق الامتثال ، ودعا الناس إلى إقامة الجهاد حتى قيام الساعة وبين لهم أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة ، فهنيئاً لمن لبَّى هذه الدعوة ، والشقاوة لمن ردها وأعرض عنها ولم يعرض عنه إلا المنافق أو من ضعف إيمانه ، والدعوة إلى الجهاد لا زالت باقية وحكم التحريض على القتال حكم محكم غير منسوخ ، فليتفكر المسلم في ذاته ونفسه وليسأل نفسه هل امتثل بأمر التحريض النبوي ؟ ولبَّى على دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاثبات العملي أم لا ؟ وليعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم نبينا ومقتدانا وبعثته صلى الله عليه وسلم ليست لأهل زمانه خاصة فقط والله تعالى أعلم بالصواب.

6- ومعنى التحريض : التحريض الحث على الشيء بكثرة الترغيب وتسهيل الخطب فيه .(راغب)

(المفردات للراغب/تفسير ماجدي)

وسنذكر كلاماً مفصلاً حول معنى التحريض في سورة الأنفال بإذن الله تعالى .

7- ماذا ينبغي للمسلم أن تكون نيته في الجهاد ؟

ذكر المفسر أبو حيان عن ابن عطية نكتة في تفسير هذه الآية . أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له فقاتل في ســـبيل الله ، ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يستشعر ، أن يجاهد ولو وحده ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لأقاتلنهم حتى تنفـــرد سالفتي » وقول أبي بكر وقت الردة : ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي .(البحر المحيط)

(8) وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى : كأن هذا المعنى: لا تدع جهاد العدو والاستنصار عليهم للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك، لانه وعده بالنصر.

قال الزجاج: أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وإن قاتل وحده، لانه قد ضمن له النصرة.

قال ابن عطية: (هذا ظاهر اللفظ، إلا أنه لم يجئ في خبر قط أن القتال فرض عليه دون الامة مدة ما، فالمعنى والله أعلم أنه خطاب له في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه، أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له، (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك).

ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (والله لا قاتلنهم حتى تنفرد سالفتي).

وقول أبي بكر وقت الردة: ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي. (تفسير القرطبي)

9- وعد الله بكف بأس الكافرين:

إن في الجزء الأول من الآية الكريمة أُمِر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهاد والدعوة إليه فقال تعالى {فقاتل في سبيل الله وحرض المؤمنين على القتال} ثم أتبعه تبارك وتعالى أنه يكف بأس الذين كفروا وبكسر شوكتهم ويجعلهم مغلوبين وذلك ثمرة الجهاد والدعوة إليه .

فعُلم من ذلك أنه لما هاجم الكفار على المسلمين وأرادوا القضاء عليهم بقوة وشدة لا يجوز للمسليمن عندئذ أن يخضعوا أمامهم وينقادوا لهم بل على المسلمين أن يقاتل رواد الأمة وقائدوها ويحرضوها المسلمين على القتال ويرغبوهم فيه ، فلو فعلوا ذلك لانكسرت قوة المشركين وتحققت هزيمتهم وإليكم ما قال الشيخ حقاني رحمه الله تعالى :

{عسى الله} إن الله وعد نبيه (ﷺ) بأنه سيكف بأس الكفار وقد تحقق هذا الوعد فشهد التاريخ أنه لما أقيم الجهاد ودعوا الناس إليه وحرضوا المسلمين عليه لم تبق على وجه الأرض دولة الإسلامية ، وذلك من خلال قرن واحد ، وامتدت مساحة الدولة الإسلامية من جبل الطارق إلى الصين ومن كوه قاف وآذربيجان إلى أفريقيا فخضعت كل الدول والبلدان تحت راية إسلامية أقامها الله تعالى في المدينة المنورة . (تفسير حقاني)

قال صاحب تفسير ماجدي:

بنبوءة القرآن المجيد {عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا.....}الآية قد تحققت في المستقبل القريب والبعيد ، وكل يعلم أن دور المعاندون والمخالفين من قريش قد طوي بساطه في ذلك الزمان ، أما الدول الدول العظيمة والحكومات الوسيعة الأخرى التي كانت لهم دولة وصولة في ذلك الزمن قد ضعفت بل انهارت حتى انكسرت شوكتها بالتدريج عبر الأيام ومضي الزمان حتى صارت مغلوبة .

وقد مر التعليق على معنى ''عسى'' أن استعماله في كلام الله تعالى وحكمه وعد جازم دون الرجاء والتوقع '' عسى من الله واجب ''. (تفسير ماجدي–تفسير القرطبي)

10- الوعيد الشديد على ترك الجهاد:

{والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً}

إن لهذه الآية مفهومين ذكرنا أحدهما في الملخص بينما أشار إلى الثاني صاحب تفسير عثماني في تفسيره وهي كما يلي:

إن عذاب الله تعالى أشد من القتال مع الكفار ، فمن يخاف من قتل الكفار وقتالهم كيف يستطيع أن يتحمل عذاب الله ؟ . (تفسير عثماني)

خلاصة ما يستفاد من الآية الكريمة :

سبق آنفاً تفسير الآية وما يتعلق بها لكن بقي بعض الفوائد المستفادة منها نذكرها فيما يلي:

1- **{فقاتل في سبيل الله}** عُلم بذلك أن القتال حكم رباني جاء به القرآن الكريم ، ويأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالخروج فيه ، فليرغب المسلمون في القتال ، وليؤمنوا به إيماناً صادقاً وليقوموا بإحيائه دائماً أبدا ، وليتفكر المسلم في أن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن مستثنياً منه وهو سيد الخلق وسيد ولد آدم وأفضل الرسل وأفضل البشر (عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام) ، فمن يستطيع أن يجعل نفسه مستثنياً منه ؟ ومن هو أغلى من ذات النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ومن هو الذي تمس إليه حاجة البشرية أكثر من غيره (صلى الله عليه وسلم) ، ومن يستطيع أن يخدم الإسلام والمسلمين أكثر من غيره صلى الله عليه وسلم ......مع ذلك كله أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال والخروج فيه وهو أحب الخلق على الله ، وأكرم الخلق عنده ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم على إثر حكم القتال من عند ربه جل في علاه دون تأخير وتأجيل ،وفي ذلك عبرة للمعتبرين من المسلمين .

2- **{لا تكلف إلا نفسك}** ذهب جيمع المفسرين تقريباً أن معنى الآية : إن لم يقاتلوا في سبيل الله معك أيها النبي فقاتل أنت وحدك . الله أكبر ما أعظم أهمية هذه الفريضة بأن أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالخروج في الجهاد ولو وحده ، ومن لا يعلم أن الجهاد عمل جماعي لا فردي ، وهذا يدل على أهمية هذه الفريضة وقدره عند الله سبحانه وتعالى ، وفي الجهاد بقاء للإسلام والمسلمين لذا جاء أمره بالتأكيد بحيث لا يغفل عنه ولا يتركه ولو كان المسلم يبقى وحيداً فريداً ، فلا يخضع أمام الكفار ولن ينقاد لهم بكثرة عددهم وعتادهم ، وهذا هو السر الحقيقي الذي رفع شان السلف الصالح وقدرهم في الدنيا والآخرة بأنهم أحيوا عمل الجهاد وحافظوا حدود الإسلام ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا والمسلمين هذه العاطفة الجهادية إنه على ذلك قدير .

وقد ضعفت همم المسلمين في عصرنا الراهن وقل فيهم الشعور بالجهاد والقصور فيه ، فليعلم كل مسلم أن إحياء هذه الفريضة وإجراءه مسئولية كل مسلم .

3- **{وحرض المؤمنين}** جملة مختصرة جامعة شاملة لنظام الدعوة إلى الجهاد بحيث أن يحي عمل الجهاد في الأمة الإسلامية ، ولا شك في أن الإنسان خلق على حب الدنيا وحياتها والاستمتاع بها ولو كانت حياته مليئة بالمتاعب والمصائب،حتى لو كان رجل محروم عن رجليه ويديه وعينيه ويُسأل عن حياته لقال إنه يحب الحياة ،نعم إن الصلة بين الروح والجسد قوية جداً فليس بسهل على الطبائع أن تقبل الفصل بينهما ، لذا ترى الناس يخافون من الموت وفصل الروح من الجسد، ولكن ليس ذلك من شيمة المسلم فإنه لا يخاف إلا الله ولا يخاف الموت لأنه يعلم أن بالموت يحصل له اللقاء بالله ، ولو خاف المسلمون وفزعوا من الجهاد أو من مقاومة الأعداء لغلب عليهم الأعداء ويصير الدين مظلوماً ، لأن جميع كفار العالم يرون الإسلام والمسلمين خطراً عليهم ، فيحاربون الإسلام و المسلمين امتثالاً بأمر الشيطان {والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت} فلو أشرب في قلوب المسلمين الدنيا وأحبوها حباً جماً لوهنوا وضعفوا وبالتالي تعطلت قوتهم وخمدت هممهم ويكونوا منقادين للكفار للحصول على راحة الدنيا ووسائلها ، لذلك أُمر النبي ﷺ بأن يحرض المسلمين على القتال لئلا ينخدعوا بالحياة الدنيا ولا ينغمسوا فيها حتى يؤثروا الآخرة على الحياة الدنيا ويقدموا ما يجدون عند الله من النعم الباقية الأبدية على نعم الدنيا الفانية ، وليعلموا أنه لا لذة في الدنيا مثل ما يجد المؤمن من لذة النظر إلى وجه ربه الكريم ، وما أحسن حظاً الذي يموت على أمر ربه ويضحي نفسه باسمه ، وإن الله تعالى ذكره عبر الدعوة إلى الجهاد عن كلمة " التحريض " لتكون الدعوة قوية مؤكدة مؤثرة مستمرة ، فلا بد من استمرارية سير الجهاد ليعيش المسلمون بطمأنينة وسكون، وليعلم المسلم أن الجهاد كان أمراً لابدياً وضرورياً فمن أجل ذلك أَمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بإقامته ، وقد قام به النبي صلى الله عليه وسلم أكمل قيام وأحسن مثال ، وحرض أصحابه على ذلك حتى امتلأت قلوبهم بحب الجهاد وأعجبته نفوسهم وسهل عليهم ترك كل ثمين وغال في سبيله ، فهذا يترك عروسه بعد ليلة زف بها والثاني ترك أحب الناس إليه من أمه وأبيه وولده وأكبر من ذلك كله أنهم تركوا أحب الناس إليهم بل أحب إليهم من أنفسهم وهو النبي المصطفى والرسول المجتبى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فتركوه وخرجوا في الجهاد ، وقد كانوا يخرجون بترغيب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخطر ببالهم أنهم سيعودون ، فظهرت ثمرة جهادهم ونتيجة تضحياتهم أن انتشر الإسلام على وجه الأرض وبلغت الدعوة الإسلامية إلى مشارقها ومغاربها في مدة قصيرة ، وليعلم المسلم أن حكم التحريض لازال باقياً محكماً غير منسوخ ، فعلى العلماء والفقهاء وخواص هذه الأمة أن يقوموا بهذا التحريض ويحثوا الناس على الجهاد في سبيل الله بطريقة حكيمة وأسلوب طيب نفيس .

4- **{عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا}** معنى الآية واضح أنه لما خرجت قادة هذه الأمة بأنفسهم ورغبت الناس فيه ليترلن النصر من عند الله وسيلقي الله الرعب في قلوب الأعداء ويجعلهم مغلوبين ، وما خلا زمن من الأزمنة الماضية إلا جاء النصر من عند الله وذلك لما قاموا بالجهاد وحرضوا الناس عليه ، وسيكون كذلك في المستقبل أيضاً، وإن ألفاظ الآية هي أساس الشورى الإسلامية ودلت هذه الجملة الصغيرة حجماً العظيمة معناً وحكمةً وعمقاً جامعة شاملة أنه كيف يقاوم خطرات الأعداء المحدقة بالأمة ؟ وقد شهد التاريخ الماضي (الذي يمتد قروناً طويلة) بذلك. فليعلم المسلمون بأجمعهم أن كسر شوكة الكفار لا يتأتي بالانقياد أمامهم ولا باختيار حضارتهم (لأنهم لا يرضون بذلك فقط بل يريدون أن تبدلوا دينكم كما قال تعالى {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ومن اختار حضارتهم واتخذ طريقهم واغتر بسلوك حياتهم لأن تبقى حياته وتنجو نفسه فقد خذلها ولم يقدر دينه وقيمه ،وإن الحياة ليدركها الموت بوقت معين أجل مسمى لا مفر منه، وإن وعد الله حق لا يتغير ولا يتبدل {فلن تجد لسنة الله تبديلاً} ورسالة هذه الآية الكريمة هي أن يتحرك قادة الأمة المسلمة ويحثوا

المؤمنين على الجهاد ويدعوهم إلى قيامه فلو فعلو ذلك لكسر الله تعالى شوكة الأعداء ودمر جميع وسائله الحربية من الكيمياوية والنووية في البر والبحر والجوي فتذوب قوتهم ذوب الملح في الماء .

5- **{والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً}** هذا الجزء الأخير لهذه الآية الكريمة الجامعة تظهر قوة الله التي لا مثيل لها ولا نظير وهي التي عماد المسلم في جميع شؤون حياته وبالأخص عند القتال ، وإن الإنسان خلق ضعيفاً فيخاف القتال ويكون خوفه أكثر عندما يقال له أن يقاتل وحيداً فريداً ، وإن التحريض على القتال أيضاً ليس بأمر ميسور ، فقد تأتي البلايا والمصائب وتحدق بالذين يقومون بأداء هذا الفرض العظيم وتحيط بهم ويقع الحظر عليهم من داخلهم وخارجهم ، وقد يخطر ببال المسلم أنه كيف تنكسر قوة الأعداء وهم بلغوا إلى قمة من التقدم والرقي في الأسلحة والوسائل الحربية وفنون القتال فظاهر الأمر أن هذه القوة لا تزول حتى قيام الساعة ، فهذه الإشكاليات المذكور أعلاه تزول كلها بقول الله تعالى {والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً} فبين الرب تبارك وتعالى أن بأسه أشد وأقوم وليزداد المؤمنون ثقة بالله تعالى واعتماداً عليه أكثر من ذاتهم ووسائلهم بحيث لا قوة أمام قوة ربهم ولا وسائل أمام وسائل الله تعالى ، فيخرجون في الجهاد واثقين بالله معتمدين عليه راجين نصره وعونه ، كما إنهم يرجون الثواب العظيم والأجر الجزيل عند الله تعالى أنه إن أكرموا بالشهادة فنعم الحظ والسعادة و يريدون التقرب بها إلى الله تعالى، هذا ، وإن الأعداء اليوم ينشرون الدعاية الخداعة بين الناس بأن قوتهم عظيمة ووسائلهم حديثة ومتطورة لا يستطيع أحد أن يقاومها أحد فيتأثرون الناس بهم ويخافون منهم ويخضعون لهم ، لذلك في هذه الحال رسالة هذه الآية القرآنية منوِّرة لأبصار الناس ومفتحة لأعينهم ليزول الرعب من قلوبهم فلا يخافون العدو والموت بل يخافون عذاب الله وسخطه فيجتهدون لذلك ويحنون الخروج للجهاد في سبيله . والله تعالى أعلم بالصواب.

دعاء :

اللهم يا ربنا يا ربنا يا ربنا ياربنا

أحي الجهاد في الأمة المسلمة كما تحب وترضى ووفقهم على القيام بالتحريض عليه واكسر شوكة الأعداء بفضلك وكرمك يا قوي يا متين آمين يا رب العالمين.

سورة النساء مدنية : الآية {85}

بسم الله الرحمن الرحيم

مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾

الملخص:

من يشفع لأحد شفاعة حسنة فله نصيب منها ، ومن يشفع لأحد سيئة فله نصيب منها والله على كل شيء مقيتاً ورقيباً .

أقوال المفسرين:

1- دعوة الجهاد:

من شفع شفاعة حسنة أو سيئة في تكثير المجاهدين أو تقليلهم يجزى منها الجزاء حسب شفاعته. (حاشية الشيخ اللاهوري رحمة الله تعالى)

2- أجر الدعوة إلى الجهاد :

والآية تدل على أن من شفع شفاعة لعمل خيري فله أجر حسن من العمل الخير ، ومن شفع لعمل سيئ فعليه وباله ووزره ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قام بتحريض المؤمنين على القتال فله أجره وثوابه ، والمنافقون قاموا بتثبيط همم المسلمين فعليهم وزره ووباله ، كذلك من شفع لدى غني لرجل محتاج فالشافع له الأجر في الخيرات ، والعكس بالكعس فلو شفع لكافر أو مفسد أو سارق وأخلصه من القيد بالشفاعة ثم بدأ هذا الكافر يفسد أو المفسد يسعى في الأرض فساداً أو سرق السارق فالشافع له الوزر وله الكفل من الشفاعة السيئة كأنه شريك في الفساد والسرقة . (تفسير عثماني)

3- ربط الآية بما قبلها :

إن الإمام فخر الرازي رحمه الله تعالى ذكر ربط هذه الآية بما قبلها وبين وجوها عديدة مع ذكر فضائل الدعوة إلى الجهاد وها نحن نذكره فيما يلي:

وفي الآية مسائل :

المسألة الأولى : اعلم أن في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوها : الأول : أن الله تعالى أمر الرسول عليه السلام بأن يحرض الأمة على الجهاد ، والجهاد من الأعمال الحسنة والطاعات الشريفة ، فكان تحريض النبي عليه الصلاة والسلام للأمة على الجهاد تحريضا منه لهم على الفعل الحسن والطاعة الحسنة ، فبين تعالى في هذه الآية أن من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، والغرض منه بيان أنه عليه الصلاة والسلام لما حرضهم على الجهاد فقد استحق بذلك التحريض أجرا عظيما . الثاني : أنه تعالى لما أمره بتحريضهم على الجهاد ذكر أنهم لو لم يقبلوا أمره لم يرجع إليه من عصيانهم وتمردهم عيب ، ثم بين في هذه الآية أنهم لما أطاعوا وقبلوا التكليف رجع إليهم من طاعتهم خير كثير ، فكأنه تعالى قال للرسول عليه الصلاة والسلام : حرضهم على الجهاد ، فإن لم يقبلوا قولك لم يكن من عصيانهم عتاب لك ، وإن أطاعوك حصل لك من طاعتهم أعظم الثواب ، فكان هذا ترغيبا من الله لرسوله في أن يجتهد في تحريض الأمة على الجهاد ، والسبب في أنه عليه الصلاة والسلام كان يرجع اليه عند طاعتهم أجر عظيم ، وما كان يرجع اليه من معصيتهم شيء من الوزر ، هو أنه عليه السلام بذل الجهد في ترغيبهم في

الطاعة وما رغبهم ألبتة في المعصية ، فلا جرم يرجع اليه من طاعتهم أجر ولا يرجع اليه من معصيتهم وزر . الثالث : يجـــوز أن يقال : إنه عليه الصلاة والسلام لما كان يرغبهم في القتال ويبالغ في تحريضهم عليه ، فكان بعض المنافقين يشفع إلى الـــنبي صلى الله عليه وسلم في أن يأذن لبعضهم في التخلف عن الغزو ، فنهى الله عن مثل هذه الشفاعة وبين أن الشفاعة إنما تحسن اذا كانت وسيلة إلى إقامة طاعة الله ، فأما اذا كانت وسيلة الى معصيته كانت محرمة منكرة . الرابع : يجوز أن يكون بعـــض المؤمنين راغبا في الجهاد ، إلا أنه لم يجد أهبة الجهاد ، فصار غيره من المؤمنين شفيعا له إلى مؤمن آخر ليعينه علـــى الجهـــاد ، فكانت هذه الشفاعة سعيا في إقامة الطاعة ، فرغب الله تعالى في مثل هذه الشفاعة ، وعلى جميـــع الوجـــوه فالآيـــة حســـنة الاتصال بما قبلها . (تفسير الرازي)

توضيح فريد لمعنى الشفاعة :

المسألة الثانية : الشفاعة مأخوذة من الشفع ، وهو أن يصير الانسان نفسه شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة فيها .

نقل الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما ما معناه أن الشفاعة الحسنة ههنا هي أن يشفع إيمانه بالله بقتال الكفار ، والشفاعة السيئة أن يشفع كفره بالمحبة للكفار وترك إيذائهم. (تفسير الرازي)

فعلم مما سبق أن الإيمان يكتمل بالقتال في سبيل الله وقد سبقت الروايات الصريحة في هذا الباب. والله تعالى أعلم بالصواب.

فائدة:

إن الآية التي تلي هذه الآية وهي (86) ربطها بالجهاد ومحتواها ذكرها الشيخ التهانوي رحمه الله تعالى في تفسيره بيان القرآن فمن أراد المزيد فعليه به .

سورة النساء مدنية : الآية {88}

بسم الله الرحمن الرحيم

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾

الملخص:

لا ينبغي للمسلمين أن يتفرقوا في أمر المنافقين ، إن الله تعالى ردهم إلى الكفر بسبب معصيتهم له ونفاقهم مع المسلمين ومن يضلل الله فمن يستطيع أن يهديه إلى الصراط المستقيم .

أقوال المفسرين:

1- من آية سورة النساء (88) وحتى (91) ذكرت فيها أحكام الجهاد والقتال مع الكفار والمنافقين ، ومنهم يفوح بالكفر علناً مرة ومنهم من يبطن النفاق أخرى، وبينت الآية الكريمة أن مع من يكون القتال ومع من لا يكون القتال، وقبل ذكر هذه الأحكام جاء الأمر في بداية الآية ينبه المسلمين على أن لا يتفرقوا في أمر المنافقين بل ليكن موقف المسلمين تجاههم واحد، وإن الكافرين والمنافقين يريدون أن يفرقوا جمعكم ويشتتوا شملكم وينشئوا الخلاف بينكم ،فيتملقون ببعضكم من أجل ذلك وعلى كل حال عليكم بالجماعة والاتفاق فيما بينكم .

يقول الشيخ حقاني رحمه الله تعالى:

في بداية العهد المدني كان بالمدينة رجال أسلموا ظاهراً وأبطنوا النفاق ، كانوا يعاندون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين خفية من أجل الدنيا ومناصبها الدنيئة، فيطعنون في ذات النبي صلى الله عليه وسلم كلما وجدوا الفرصة لذلك، ويخبرون الأعداء بأسرار المسلمين ويحثهم على قتال المسلمين ، فأراد المسلمون أن يجُلي هؤلاء المنافقون من المدينة ، بينما رأى بعض الآخرين منهم بقاءهم والتجاوز عنهم لقرابتهم بهم فتفرق المسلمون في فئتين . (تفسير حقاني)

وقال الشيخ حقاني في موضع آخر:

لما انخزل عبد الله بن أبي المنافق ثلث الجيش يوم أحد ، وانهزم المسلمون ، تفرق المسلمون بالمدينة في فئتين : تقول فرقة منهم ''نقتلهم'' وتقول الفرقة الثانية '' لا '' إن الله سيصلح حالهم وفي قتالهم سوء السمعة فنزلت هذه الآية . (تفسير حقاني)

2- الروايات الثلاثة:

إن فرق الكفار والمنافقين الثلاث التي ذكرت في هذه الآية الثلاث يجدر بفهمها النظر في الروايات الثلاثة الآتية:

1-وقال مجاهد: قوم خرجوا إلى المدينة وأسلموا ثم ارتدُّوا واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتّجرُون فيها فخرجوا وأقاموا بمكة، فاختلف المسلمون فيهم، فقائل يقول: هم منافقون، وقائل يقول: هم مؤمنون . (يقول الشيخ التهانوي في بيان القرآن) وتسميتهم بالمنافق لأنهم أظهروا الإسلام ولم يؤمنوا بقلبهم ، أما الأمر بقتالهم مع أن المنافقين ما كانوا يقتلون لأنهم أظهروا الارتداد .

2- روى ابن أبي شيبة في مصنفه عن الحسن أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وظهر على أهل بدر وأحد وأسلم الناس ومن حولهم ، قال سراقة : بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى بني مدلج ، قال : فأتيته فقلت له : أنشدك النعمة ، فقال القوم : مه ، فقال رسول الله (ﷺ) : (دعوه ، فقال رسول الله

(ﷺ) ما تريد ؟ فقلت : بلغني أنك تريد أن تبعث خالد بن الوليد إلى قومي ، فأنا أحب أن توادعهم ، فإن أسلم قومهم أسلموا معهم وإن لم يسلموا لم تخشن صدور قومهم عليهم ، فأخذ رسول الله (ﷺ) بيد خالد بن الوليد فقال له : إذهب معه فاصنع ما أراد ، فذهب إلى بني مدلج ، فأخذوا عليهم أن لا يعينوا على رسول الله (ﷺ) ، فإن أسلمت قريش أسلموا معهم ، فأنزل الله * (ودوا لو تكفرون) * حتى بلغ * (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم)

* قال الحسن : فالذين حصرت صدورهم بنو مدلج ، فمن وصل إلى بني مدلج من غيرهم كان في مثل عهدهم.

3– قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: هم أسد وغَطَفَان كانوا حاضري المدينة تكلموا بالإسلام رياءً وهم غير مسلمين، وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت؟ فيقول آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء، وإذا لقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: إنا على دينكم، يريدون بذلك الأمنَ في الفريقين. (تفسير بيان القرآن)

3- لا تتفرقوا فرقتين :

ومن ضمن هؤلاء المنافقين رجال لم يؤمنوا ولم يظهروا إيمانهم بل كانوا على الكفر وكان لهم صلة مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظاهراً وكان هدفهم من ذلك أنه لو هاجم جيش المسلمين على قومهم لا يتعرضوهم لما لهم علاقة وصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه،فلما علم المسلمون مبتغاهم أن لقاءهم بهم ليس من أجل المحبة أو المودة بل لغرض أهمهم قالوا : فلنترك هؤلاء ليفارقوننا ، بينما قال الآخرون من المسلمين بل لنستمر معهم باللقاء لعلهم يؤمنوا فترلت هذه الآية أن الهداية والضلالة بيد الله تعالى فلا يهمكم هذا ولا تنقسموا إلى فئتين .(واعملوا مع هؤلاء معاملة سيأتي ذكرها في الآيات الآتية) (تفسير عثماني)

4- ذو الوجهين من الكفار

والمراد بالمنافقين في هذه الآية الكفار ذو وجهين منهم ويدل على ذلك ما سيأتي الحكم في الآية الآتية {فخذوهم واقتلوهم...}الآية لأنه لم يثبت القتال مع المنافقين الذين يدعون الإسلام فأكد الأمر على أن المراد بالمنافقين في الآية هم الكفار ذوي الوجهين. (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

فائدة:

استفاد من الآية والروايات والشرح بأنه قد تعددت أنواع الكفار والمنافقين كأن الشيطان فرقت لهم أقساماً وأنواعاً وشكلت لهم تشكيلة متعددة الأفكار ومتنوعة الآراء حتى يرى العامي إلى يذهب وبأي دين يتمسك ؟ وتذبذب أناس ،وتزي بزي خادع بعض الآخر .

وقد يسهل للمسلمين الحكم على المنافقين والكافرين في ضوء ما في هذه الآيات الأربعة من أصول وضوابط ،انتهينا من آية واحدة منها وبقيت الثلاثة وهي آت ذكرها وسنذكر بعد الآيات الأربعة كلها ملخص الآيات بإذن الله تعالى . (والله تعالى أعلم بالصواب) .

سورة النساء مدنية : الآية {89}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾

الملخص:

إن من المنافقين متمسكين بالكفر يودونكم أن ترجعوا من الإيمان إلى الكفر فتكونوا أنتم وهم سواء في الكفر فضلاً عن يؤمن هؤلاء ، فلا تتخذوا منهم أولياء وأصدقاء إلى أن يؤمن هؤلاء ويهاجروا في سبيل الله ولا تدافعوا عنهم ولا تتعاونوا معهم ، فلولا آمنوا وما هاجروا في سبيل الله فخذوهم أيها المسلمون واحصروهم بالقيد واقتلوهم أينما وجدتموهم واجتنبوا عنهم اجتناباً كلياً ولن تكون لكم بهم أية صلة . (مفهم تفسير عثماني)

إن هؤلاء أعداء:

كان أناس من مشركي مكة أظهروا إسلامهم لهدف معين دون أن يستقر الإيمان في قلوبهم ، فلما جاء وقت الحرب انقسم المسلمون قسمين : قال بعضهم إنهم منا، وقال فريق آخر: إنهم من الأعداء ، فبين القرآن الكريم أنهم منافقون قطعياً لا يقبل فيهم أي نقاش وجدال ، نعم لو هاجر هؤلاء من مكة وتركوا أعداء الإسلام فعدوهم من أصحابكم وإن أنكروا ذلك فاعلموا أن الذي يصاحب أعداءكم فهو عدو لكم أيضاً،واعلموا أن أحوال الحرب غير أحوال الصلح ففي الحرب قاتلوهم كما تقاتلون غيرهم من الأعداء ، علماً بأن ما سبق من ذكر المنافقين المراد بهم منافقوا المدينة الذين كانوا مختلطين بالمسلمين ، أما المراد هنا بالمنافقين الذين كانوا بمكة وبما أنه نشبت الحرب فجاء الأمر للمسلمين أن يقطعوا صلاتهم بهم ولا يرتبطوا بهم أي ارتباط . (تفسيرترجمان القرآن)

سورة النساء مدنية : الآية {90}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠

الملخص:

(لا تخلصوا هؤلاء الذين سبق ذكرهم من القيد والقتل) إلا الذين يرتبطون بقوم بينكم وبين هذا القوم قد سبقت معاهدة الصلح معه ، فهؤلاء المرتبطين انضموا في الصلح بالتبعية، أو عجز الناس عن القتال معكم فجاءوكم وتعاهدوا معكم أنهم لايقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون معكم ضد قومهم ، فلا تقاتلوا هؤلاء واقبلوا مصالحتهم ، وتذكروا فضل الله عليكم ومنته أنه منعهم عنكم فلم يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم . (تفسير عثماني)

إزالة شبهة:

إن صاحب ترجمان القرآن قال في تفسير هذه الآية : إن الأصل هو الأمن والصلح لا الحرب و القتال (أنظر ترجمان القرآن) إن هذه الجملة رائعة إلا أن الملحدين استعملوها كوسيلة ضد الجهاد وجمعوا من وساوس وأقاويل حوله ،والأصل في ذلك أنه ليس المقصود الأمن والصلح في نفسهما ولا المقصود الحرب والقتال في ذاتهما بل الأصل هو حكم الله تعالى ، فإذا أمر الله تعالى بالصلح فهو الأصل وعندما أمر الله تعالى بالقتال فهو الأصل والدليل على ذلك مئآت من الآيات القرآنية. والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {91}

بسم الله الرحمن الرحيم

سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ
إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا
﴿٩١﴾

الملخص:

ومن الناس من يريدون أن يحصل لهم الأمن منكم ومن قومهم فيتعاهدون معكم بأنهم لا يقاتلونكم ولا يقاتلون قومهم ، ولكنهم لا يستقيمون عليها ، فلما يرون الغلبة لقومهم عاونوهم ونصروهم ، فنقول في شأنهم : إن لم يعتزلكم هؤلاء ولم يكفوا أيدهم عنكم فأمسكوهم وخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم وقد جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً بنقضهم ميثاقهم معكم . (تفسير عثماني مع الإضافة)

من هم المراد بهؤلاء الآخرين ؟:

إن الإمام القرطبي رحمه الله تعالى ذكر أقوالاً عديدة لأهل العلم في هؤلاء الآخرين :

1- قال قتادة: نزلت في قوم من تهامة طلبوا الامان من النبي صلى الله عليه وسلم ليأمنوا عنده وعند قومهم.
2- قال مجاهد: هي في قوم من أهل مكة.
3- وقال السدي: نزلت في نعيم ابن مسعود كان يأمن المسلمين والمشركين.
4- وقال الحسن: هذا في قوم من المنافقين.
5- وقيل: نزلت في أسد وغطفان قدموا المدينة فأسلموا ثم رجعوا إلى ديارهم فأظهروا الكفر.

(وقد اختار هذا القول الأخير صاحب الجلالين.

أقيموهم وأصلحوهم:

إن لم يمتنع الكفار عن شرهم وكيدهم ضد الإسلام والمسلمين فأقيموهم وأصلحوهم بالسيف والسنان والرماح والسهام .
(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

ملخص الآيات الأربعة السابق ذكرها آنفاً:

جاء حكم المرتدين في الآية الأولى والثانية يعني لولا يتوبوا توبة موثقة فيها {فخذوهم واقتلوهم} ثم أتبعه الحكم في الذين يريدون الصلح والأمن معكم وليسوا خطرا على المسلمين فلا يجوز القتال معهم ، وفي الآية الرابعة بيان الحكم في المنافقين الخادعين الذين يصالحون معكم لحصول الأمن فلما وجدوا الفرصة لمخالفتكم انتهزوها فقيل في شأنهم أن تقاتلوهم أينما وجدتموهم وقد جعل الله لكم أيها المسلمون على هؤلاء المنافقين سلطاناً وغلبة واضحة . (ملخص من بيان القرآن)

سورة النساء مدنية : الآية {94}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

الملخص:

يا أيها المؤمنون إذا خرجتم في سبيل الله فافعلوا كل أمر من القتل وغيره بالتحقق والتبيُّن، ومن أظهر إسلامه أمامكم فلا تقولوا له : {لست مؤمناً} بل تريد نجاة النفس بالإيمان ، ولا تلتفت أنظاركم إلى مال أحد فعند الله لكم مغانم كثيرة وتذكروا حال ماضيكم ومنة الله عليكم ولا تنسوهما واعلموا أن الله خبير بما تعملون.

مفهوم الآية:

إن خلاصة ما قال المفسرون حول هذه الآية ذكرها الشيخ الشاه عبد القادر رحمه الله تعالى في تفسيره نذكرها هنا نقلاً من تفسير عثماني :إن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل جيشاً إلى قوم فخرج رجل من القوم مع متاعه ومواشيه وسلم على الجيش بتحية إسلامية ، فظنوه كافراً يظهر إسلامه تقية ، فقتلوه ، وأخذوا متاعه ومواشيه فنزلت هذه الآية ورد فيها التنبيه للمسلمين على أن يتبينوا ويتحققوا الأمور قبل فعلها ولا تنكروا إسلام أحد {فلا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً} واعلموا أن عند الله غنائم كثيرة فلا يكن طمعكم في تلك الأشياء التافهة.

وقد ذكر المفسر الرازي عدة أسباب النزول لهذه الآية ومن أهمها :

أن مرداس بن نهيك رجل من أهل فدك أسلم ولم يسلم من قومه غيره ، فذهبت سرية الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قومه وأميرهم غالب بن فضالة ، فهرب القوم وبقي مرداس لثقته بإسلامه ، فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل ، فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل ، وقال : لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم ، فقتله أسامة بن زيد وساق غنمه ، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجداً شديداً وقال : قتلتموه إرادة ما معه ، ثم قرأ الآية على أسامة ، فقال أسامة يا رسول الله استغفر لي ، فقال : « فكيف وقد تلا لا إله إلا الله! » قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ، ثم استغفر لي وقال : أعتق رقبة .

{كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ}

يعني كنتم تقتلون قتلاً بغير نفس قبل الإسلام لأجل الدنيا فالآن قد أسلمتم فلا تفعلوا فعل الجاهلية واجتنبوا عن قتل كل البشر يحتمل إيمانه .

أو معنى: {كذلك كنتم من قبل} أنكم كنتم متعايشين مع الكفار وما كان لديكم مسكن مستقل وسلطة ذاتية ، فكما أعتبر اسلامكم في تلك الحال كذلك يجب عليكم الكف عن التعرض للمسلمين والحفاظ على أنفسهم وأموالهم فلا تقتلوهم دون تحقق أمرهم وتأكد إسلامهم . (تفسير عثماني)

لا حاجة إلى الاختبار بأمور باطنية:

ورد في هذه الآية الكريمة أصول يمتاز به المسلم عن الكافر وهو أن من سلم بتحية إسلامية فهو مسلم ولا حاجة بعد ذلك إلى التأكد والتدقيق عما في قلبه من إسلام أو كفر بل يفوض أمره إلى الله ويقبل قوله ويحافظ على نفسه وماله لأجل ظاهر حاله .
(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

فائدة :

في هذه الآية الكريمة توجيه مهم خاصة للمجاهدين وهو أن ليس مهمتهم هو القتل وسفك الدماء فقط .وقد ذكر الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره عديداً من القصص أن بعض الناس قتل نفساً طالما أظهر إسلامه فلما مات القاتل لم تقبله الأرض أينما دفن لفظته الأرض .

إن الجهاد حرب لها أصول و ضوابط شرعية وخلقية ، فيجب على المجاهدين أن لا يستعملوا أسلحتهم إلا بعد التحقيق وتأكيد الأمر والحال وعليهم أن يجتنبوا عن سفك الدماء بدون سبب شرعي ومصلحة دينية . والله تعالى أعلم بالصواب .

فائدة :

وترد تفاصيل هذه المسألة آنذاك لذا عفي عمن صدر منه هذه الغلطة وجاء التنبيه لهم . (بيان القرآن /والقرطبي)

نكتة :

إن الحرب خدعة كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الحرب خدعة فلا يستعبد وقوع مثل الأخطاء أثناء المعركة أو قبلها ، فجاء التنبيه على أنه يجب على المجاهد أن يأخذ جانب الحذر والاحتياط ويتأكد الأمر قبل إنجازه ، وكان من المحتمل أن يتكاسل البعض في سبيل الله من أجل هذا التنبيه فنزلت الآية الآتي ذكرها تبين فضل الجهاد وترغب فيه لئلا يختلف أحد عنه .
والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآيات {95-96}

بسم الله الرحمن الرحيم

لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾

الملخص:

لا يستوي القاعدون في بيوتهم من المؤمنين دون عذر فلم يحضروا القتال والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ،فإن الله فضل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين في بيوتهم درجة مع أنه تعالى وعد لكل منهم الحسنى ،وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، لهم درجات عظيمة عند ربهم ومغفرة وأجر عظيم وثواب جزيل وكان الله غفورا رحيماً.

إن التفاوت بين درجات من قعد عن الجهاد من غير عذر ، ودرجات من جاهد في سبيل الله بماله ونفسه ، وإن كان معلوماً ، لكن أراد سبحانه بهذا الإخبار تنشيط المجاهدين ليرغبوا ، وتبكيت القاعدين ليأنفوا.

أقوال المفسرين:

1- فضل المجاهدين :

(لما صدر الخطأ من بعض المسلمين في قتل رجل أظهر إسلامه) لما عاتبهم الله تعالى على ما صدر منهم من قتل من تكلم بكلمة الشهادة ، فلعله يقع في قلبهم أن الأولى الاحتراز عن الجهاد لئلا يقع بسببه في مثل هذا المحذور، و أن العبادة في البيت أفضل من الخروج في الجهاد لأنه ليس فيه احتمال قتل خطأ ، ولكن الله أراد أن يظهر دينه ويقيم دولة تنفذ أوامره (وقد أخبر الأنبياء عنها) وتطهر الأرض من الشرك والكفر، وهذا لا يمكن (في عالم الأسباب) إلا بالجهاد وجيش الجهاد فلذا جاء الحكم أن القاعد عن الجهاد بغير ضرر وعذر لا يستوي المجاهد في سبيل الله بماله ونفسه، وبهذا انتفت المساواة بينهما مع بيان فضل المجاهد ولذا قال تعالى ذكره {فضل الله المجاهدين....} فذكر سبحانه وتعالى أن للمجاهدين فضلاً على القاعدين في البيوت بعذر فضلاً عن القاعدين بغير عذر إلا أن القاعدين بعذر لا يحرمون من الأجر بنياتهم في الخروج ولكن حسبهم العذر كما روى البخاري: عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَمَّا نَزَلَتْ { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ }دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا فَجَاءَ بِكَتِفٍ فَكَتَبَهَا وَشَكَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ضَرَارَتَهُ فَنَزَلَتْ
{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ }.

وقال الترمذي لَمَّا نَزَلَتْ { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ } الْآيَةَ جَاءَ عَمْرُو ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَكَانَ ضَرِيرَ الْبَصَرِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُنِي إِنِّي ضَرِيرُ الْبَصَرِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ { غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ } الْآيَةَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيتُونِي بِالْكَتِفِ وَالدَّوَاةِ أَوْ اللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

فعلم بالآية الشريفة أن أولى الضرر استحقوا الأجر والثواب ولكن مع ذلك {فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً} وأتم الرب تعالى عليهم مزيداً من الفضل والرحمة وذلك لمباشرتهم بالقتال وكونهم في أصعب الأحوال فقال جل شأنه {درجات منه ومغفرة ورحمة} ثم لم يحرم الله تعالى العابدين والمجتهدين في العبادة فضمهم في مغفرته ورحمته بقوله الكريم {وكان الله غفورا رحيماً}. (تفسير حقاني)

2- ثلاث طوائف :

إن الناس منقسمون إلى أربعة أقسام من حيث الخروج في الجهاد، ذكرت ثلاثة منها في هذه الآية وهم : (1)القاعدون (2) المجاهدون (3) أولي الضرر : القاعدون : هم الذين مستعدون للخروج ولكنهم لم يؤمروا بالخروج . المجاهدون : هم الذين يقاتلون بأنفسهم وأموالهم في ميدان القتال . أولي الضرر: هم المعذورون الذين لا يستطيعون حضور القتال. ولكل من هؤلاء المخلصين حسب نياتهم وأفعالهم درجات و مغفرة ورحمة من عند الله تعالى .(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

3- وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا*

نزل العتاب على من قتل قتلاً خطأً في الآية الماضية، فاحتمل ذلك توقف بعض المجاهدين من الجهاد ، لان مثل هذه الأخطاء ممكن الوقوع في مواقع القتال، لذلك نزلت فضائل المجاهدين على القاعدين، وخلاصة الآية أن من له عذر مثل الأعمى أو الأعرج أو نحوهم فليس عليه الجهاد ، أم بقية المسلمين فمن جاهد منهم فله أجر عظيم وليس مثل أجرهم لمن لم يجاهد بل قعد في بيته وإن كان هو من أهل الجنة ، وعلم بذلك أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ، يعني لو جاهد عدد كافي من المسلمين بحيث تسد الضرورة فلا ذنب على القاعدين ولا وزر عليهم ،وإلا أثم الجميع،والله غفور رحيم فيوفي جميع ما وعد للمجاهدين من أجر ومغفرة ورحمة ، أو معناه أنه يعفو عن من قتل مسلماً خطأ، فلا توقفوا عن الجهاد خشية القتل الخطأ. (تفسير عثماني)

فائدة:

إن معظم المفسرين من العرب قالوا ما بيناه فيما سبق من الشرح والبيان حول تفسير هذه الآية الكريمة ، وقد بسط الإمام القرطبي الكلام في مسألة : هل القاعد الذي عزم على الخروج فلم يخرج بأن حبسه العذر والمجاهد بنفسه وماله سويان في الأجر والثواب أم لا ؟ وذكر أقوال المفسرين في ذلك ، فمنهم من يرجح جانب التساوي ومنهم من يرجح جانب التفاضل بينهما ومال هو بنفسه إلى جانب التساوي بينهما(أي القاعد والمجاهد متساويان في الأجر والثواب).

وقال التهانوي رحمه الله تعالى : قوله تعالى{درجات منه} فيه إشارة إلى ثواب ما يواجه المجاهد من التعب والمشقة نحو الجوع والعطش والمشي والهجوم ونحوها من الأفعال التي يفعلها المجاهد (وقد جاء ذكر بعضها في سورة البراءة) فقال رحمه الله تعالى: إنه لا يحصل على درجات هذه الأعمال إلا من قام بالجهاد العملي .

ولو قرن بين تفسير الإمام القرطبي والشيخ التهانوي فقد اتضح معنى الآية ومفهومها على وجه أكمل،وقد ذكر الإمام القرطبي هنا حديثاً من صحيح البخاري ذكر فيه درجات المجاهدين عند الله وهي كما يلي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَنْ آمَنَ باللَّه وَبرَسُوله وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّه أَنْ يُدْخلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّه أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضه الَّتِي وُلدَ فيهَا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ إِنَّ فِي الْجَنَّة مائَةَ دَرَجَة أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّه مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّة وَأَعْلَى الْجَنَّة أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّة . والله تعالى أعلم بالصواب.

فائدة:

إن ما قال المفسر الشيخ عثماني من تسهيل كلام الشيخ عبد القادر رحمهما الله تعالى أن الجهاد فرض كفاية فالمراد منه : أن الجهاد فرض كفاية في عامة الأحوال وإلا فهو فرض عين في أربعة أحوال خاصة عند هجوم الأعداء على المسلمين واستيلاءهم عليهم ، وليعلم المسلم أن في حالة الفرض الكفاية يجب أن يكون الجهاد بقدر أن يكفى الأمة المسلمة وتسد ضرورتها، ونحن نرى في عصرنا الراهن أنه لا يهتم ولا ينظر في الأمور المهمة نحو الجهاد وغيره لذلك حرم جزء كبير من الأمة من نعمة الجهاد وفريضته. والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {97}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾

الملخص:

إن الذين ظلموا أنفسهم بحيث لم يهاجروا ولم يجاهدوا وساعدوا الكفار فلما سألتهم الملائكة عند قبض أرواحهم في أي حال كنتم ؟ [أي لما ذا تركتم الفرائض الدينية ؟] فأجابوا قائلين : كنا ضعفاء في الأرض ، قالت لهم الملائكة أليست أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأمثال هؤلاء مأواهم جهنم وساءت مصيراً.

ربط الآية:

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: اعلم أنه تعالى لما ذكر ثواب من أقدم على الجهاد أتبعه بعقاب من قعد عنه ورضي بالسكون في دار الكفر . (تفسير الرازي)

وقال التهانوي رحمه الله تعالى:

قد سبق فيما علاه ذكر وجوب الجهاد ثم أتبعه وجوب الهجرة ، والمناسبة بينهما ظاهرة أن المقصود منهما هو إقامة الدين الحنيف ، إلا أن الواحد منهما(وهو الجهاد) فيه دفاع شر الكفار عن كل أهل الإسلام بالعموم ، وفي الثاني (وهو الهجرة)فيه دفع شر الكفار عن الخاص أي عن ذات المهاجر.

(تفسيربيان القرآن)

هذا الوعيد الشديد لمن ؟ :

هذا الوعيد الشديد لمن لا يهاجرون من دار الكفر بحيلة الضعف والعجز فيتقوى بهم العدو بتعايشهم معهم ، وهؤلاء يحرمون من الجهاد وغيره من الفرائض الإسلامية ونذكر بعض ما قال المفسرون في الآية الشريفة :

1- المتعاونون مع الكفار:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :

المراد بها جماعة من أهل مكة كانوا قد أسلموا وأظهروا للنبي صلى الله عليه وسلم الإيمان به فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم أقاموا مع قومهم وفتن منهم جماعة فافتتنوا فلما كان أمر بدر خرج منهم قوم مع الكفار . (تفسير القرطبي)

2- المكثرين سواد الكفار:

أخبرني ابن عباس أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم فيرمي به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله تعالى: {إن الذين توفاهم الملائكة}....الآية (تفسير القرطبي)

3- المتعاونون مع الكفار:

في الآية ذكر القسم الرابع من المسلمين وهم الذين لم يحضروا في القتال مع المسلمين بل كانوا مع الكفار. (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

4- تاركي الجهاد بإغراء الكفار:

كان عدد من المسلمين الذين أسلموا بصدق القلب ولكنهم كانوا يعيشون تحت سيطرة الكفار فما كانوا يتكلمون بتعليمات إسلامية علناً ولا يقومون بأمر الجهاد ، وكان الواجب عليهم أن يهاجروا من الأرض التي يعيشون فيها ، وخلاصة الآية أن الذين يظلمون أنفسهم يعني يعيشون مع الكفار ولا يهاجرون تسألهم الملائكة عند قبض أرواحهم على أي دين كنتم؟ فيقولون : كنا مسلمين ولكنا ما استطعنا أن نتكلم بديننا ، فيقول لهم الملائكة إن أرض الله كانت واسعة فلو هاجرتم فيها ؟ فلهؤلاء جهنم مأوى وهي بئس المصير . (تفسير عثمانى)

5- الهجرة واجبة عند الحظر على أداء الفرائض:

قال الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى:

عُلم بذلك أن البلاد التي لا حرية فيها للمسلمين في أداء فرائض دينهم يجب عليهم أن يهاجروا منها . (موضح القرآن)

إن الفقهاء قالوا: إن البلاد التي لا يمكن فيها إقامة فرائض الإسلام وتوجد بلاد أخرى يمكن فيها إقامة شعائر الله فيجب على المسلمين أن يهاجروا من الأول إلى الأخرى لإقامة فرائض الإسلام.

((والآية تدل على أن من لم يمكن دينه في بلده كما يجب وعلم أنه يمكن من إقامته في غيره حقت عليه المهاجرة)) (مدارك التتريل للنسفي)

هذا يدل على الخروج من أرض الشرك إلى أي أرض كانت من أرض الإسلام . (جصاص) تفسير ماجدي)

خلاصة:

قد اتضح من عبارات المفسرين ((حال الجريمة)) التي ورد عليها هذا التنبيه العظيم الشديد ، إن الإسلام جاء ليظهر على الأديان كلها ، فلا يجوز لأحد أن يخزي الإسلام أو أحكامه أمام الكفار من أجل وقاية نفسه فيساعد الكفار ، أو يترك شعائر الإسلام وفرائضه نحو الجهاد وغيره من أجل الكفار وضغطهم أو لإرضائهم ، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه ، وعلم مما سبق إذ ترك الوطن لأجل الدين والجهاد لازم فكيف يجوز مساعدة الكفار بحيلة الوظيفة أو المعاش ؟

إن التضحية للدين أمر مطلوب:

إن الهجرة ليست كسفر تجارة فيخرج مع ماله وأسباب راحته ثم يرجع بالمرابحة بل إنها أمر صعب ، يترك المهاجر داره وأرضه ملكه وماله و يودّع وطنه للأبد من أجل دينه وإيمانه وقد يعوقه العدو فلا يستطيع أن يخرج ،وقد استطاع على الخروج فأخذ معه أهله وأولاده ، وقد لا يستطيع على ذلك فيترك أهله وأولاده ، وصفحات كتب السير والتاريخ مليئة بقصص المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم المحزنة والمؤلمة، إن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وتركا أهلهما وأولادهما بمكة واتجها إلى المدينة وسجل التاريخ أن سيد البشر كيف هاجر وتحمل ما تحمل من المتاعب والمصاعب من العطش والجوع وشدة الحر ونحو ذلك، وكذلك لم ينس التاريخ كيف هاجر الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى المدينة ، فهذه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بمكة مع زوجها والنبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة قبل ذلك ، فخرجت من مكة مع كنانة أو ابن كنانة فخرجوا في أثرها فأدركها هبار بن الاسود فجعل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها فألقت ما في بطنها وأهريقت دما،(رضي الله عنها وأرضاها)

وهذه أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم كانت تحت أبي سلمة رضي الله تعالى عنه تحكي عن قصة هجرتها فتقول رضي الله عنها : لَمّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إلَى الْمَدِينَةِ رَحّلَ إلَيّ بَعِيرَهُ ثُمّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي ، ثُمّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ فَلَمّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إلَيْهِ فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُك غَلَبْتَنَا

عَلَيْهَا ، أَرَأَيْت صَاحِبَتَك هَذِه ؟ عَلَامَ نَتْرُكُك تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَاد ؟ قَالَتْ فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِير مِنْ يَده فَأَخَذُونِي مِنْهُ . قَالَتْ وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْد الْأَسَد ، رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالُوا : لَا وَاَللَّه لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إِذَا نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبنَا . قَالَتْ فَتَجَاذَبُوا بُنَيّ سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْد الْأَسَد ، وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَة عِنْدَهُمْ وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَة . قَالَتْ فَفُرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي . قَالَتْ فَكُنْت أَخْرُجُ كُلّ غَدَاة فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطَحِ فَمَا أَزَالُ أَبْكِي ، حَتَّى أُمْسِي سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا. [وقد هاجرت بعد فترة رضي الله عنها وأرضاها] (تفسير أنوار البيان)

ترك المسلمين بلادهم على حساب الدين:

إن في عصرنا اليوم كم من الناس يتركون بلاد المسلمين ومجتمعهم الإسلامي ويهاجرون إلى ديار الغربة ديار النصارى واليهود مثل أوربا وأمريكا وكنادا وأستراليا إلى غير ذلك من البلدان غير الإسلامية وذلك لكسب الدنيا و للحصول على راحة العيش ولذائذ الحياة ، ثم يتركون دينهم بعرض من الدنيا ويأتي الجيل الجديد من نسلهم لا يعرف الإسلام إلا اسماً ولا يعرف الدين إلا سمعاً فحرموا من الدين الحنيف بأنفسهم وتسببوا بحرمان ذريتهم من نعمة الإسلام فيا أسفاه !! والعياذ بالله . (أنوار البيان)

فائدة:

إن المفسر أبا حيان رحمه الله تعالى: ذكر أسماء الذين نزلت فيهم الآية وهي كما يلي: قال عكرمة : نزلت في خمسة قتلوا يوم بدر : قيس بن النائحة بن المغيرة ، والحرث بن زمعة بن الأسود بن أسد ، وقيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو العاصي بن منبه بن الحجاج ، وعلي بن أمية بن خلف . وقال النقاش : في أناس سواهم أسلموا ثم خرجوا إلى بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : غر هؤلاء دينهم. والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآيات {98-99}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾

الملخص:

إن الضعفاء من الرجال والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون حيلة بشأن الهجرة وليس لهم مفرقة بالطرق فعسى الله أن يعفو عنهم بإذن الله تعالى.

أقوال المفسرين:

إن هؤلاء كانوا مشتاقين إلى الهجرة ويترصدون الوقت المناسب لذلك فلم يهتدوا إلى ذلك سبيلاً. وقد ذكر ابن حيان رحمه الله تعالى أسماء بعض هؤلاء وهو فيما يلي:

من الرجال جماعة كعياش بن أبي زمعه وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد رضي الله عنهم ، ومن النساء جماعة كأم الفضل أمامة بنت الحارث أم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ومن الولدان عبد الله بن عباس وغيره . (تفسير البحر المحيط لأبي حيان).

إمكانية العفو عند عدم التسويف:

إن الذين لا يقدرون على الهجرة من الرجال والنساء والولدان بأسباب وعوائق وليس لديهم معرفة بالطرق ولا دليل يدلهم عليها فيرجى العفو عنهم ويتجاوز الله عنهم إلا من كانت حيلته كاذبة مختلقة وتسويفه ظاهراً واضحاً.(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى).

إزالة إشكال:

وقد يشكل على أحد فهم الآية { فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ } أن القوم لما كانوا عاجزين عن الهجرة ، والعاجز عن الشيء غير مكلف به ، وإذا لم يكن مكلفاً به لم يكن عليه في تركه عقوبة ، فلم قال : { عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ } والعفو لا يتصور إلا مع الذنب ؟

فأزال هذا الإشكال عدد من المفسرين مثل الإمام الرازي رحمه الله تعالى وغيره ، ونذكر هنا ما قال الآلوسي في تفسيره روح المعاني :

1- { فَأُوْلَئِكَ } أي المستضعفون { عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ } فيه إيذان بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى أن المضطر الذي تحقق عدم وجوبها عليه ينبغي أن يعد تركها ذنباً ، ولا يأمن ، ويترصد الفرصة ويعلق قلبه بها . { وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً } تذييل مقرر لما قبله بأتم وجه . (تفسير الآلوسي)

2- قال المفسر التهانوي رحمه الله تعالى : إن إثم ترك الهجرة عظيم بحيث أن ذكر قول الله تعالى {غفورا رحيما} يترشح منه أن أهل الأعذار والضعفاء الذين لم يقدروا على الهجرة لا ذنب عليهم ولكن رغم أعذارهم يُرى أنهم ارتكبـــوا بإثم ترك الهجرة فلذلك جاء ذكر العفو عنهم لتطمئن نفوسهم . (تفسير ماجدي)

ولا فرق بين العبارتين ذكرتا فيما أعلاه وقد قال الإمام الرازي في هذا الشأن قولاً نفيساً وهو فيما يلي:

أن المستضعف قد يكون قادراً على ذلك الشيء مع ضرب من المشقة وتمييز الضعف الذي يحصل عنده الرخصة عن الحد الذي لا يحصل عنده الرخصة شاق ومشتبه ، فربما ظن الإنسان بنفسه أنه عاجز عن المهاجرة ولا يكون كذلك ، ولا سيما في الهجرة عن الوطن فإنها شاقة على النفس ، وبسبب شدة النفرة قد يظن الإنسان كونه عاجزاً مع أنه لا يكون كذلك ، ولا سيما في الهجرة عن الوطن فإنها شاقة على النفس ، وبسبب شدة النفرة قد يظن الإنسان كونه عاجزاً مع أنه لا يكون كذلك ، فلهذا المعنى كانت الحاجة إلى العفو شديدة في هذا المقام . (والله تعالى أعلم بالصواب).

فائدة:

إن ما سبق من ذكر الهجرة في هذه الآيات الثلاث و التي تليها لها صلة بموضوع الجهاد ، قد نشبت الحرب بين المسلمين ومشركي مكة ، فوجب على جميع أهل الإسلام في هذه الحال أن يهاجروا إلى دار الإسلام المدينة المنورة ، إلا أن العقبات والموانع وقعت ومنعت بعض المسلمين عن الهجرة ، بينما كان عدد من المسلمين متعاونين مع الكفار ،لذلك نزلت الآيات الكريمة في هذا الشأن وهي التي توضح موقفاً بيناً في موضوع الجهاد الذي نحن بصدده في تأليف هذا الكتاب. والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {100}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

الملخص:

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض متسعاً وفي الرزق سعة وبركة، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم توفي قبل أن يصل إلى مقصوده من أرض الهجرة فقد استحق أجر الهجرة عند الله تعالى وكان الله غفوراً رحيماً .

أقوال المفسرين:

1- **خوفان ووعدان:** إن من موانع الهجرة أمران على وجه الخصوص : ذكرها الإمام الرازي رحمه الله تعالى فقال: واعلم أن ذلك المانع أمران : الأول : أن يكون له في وطنه نوع راحة ورفاهية ، فيقول لو فارقت الوطن وقعت في الشدة والمشقة وضيق العيش ، فأجاب الله عنه بقوله : { وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِى الأرض مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً}.

2- وأما المانع الثاني من الإقدام على المهاجرة فهو أن الإنسان يقول : إن خرجت عن بلدي في طلب هذا الغرض ، فربما وصلت إليه وربما لم أصل إليه ، فالأولى أن لا أضيع الرفاهية الحاضرة بسبب طلب شيء ربما أصل إليه ، وربما لا أصل إليه ، فأجاب الله تعالى عنه بقوله : { وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مهاجرا إِلَى الله وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الموت فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى الله } والمعنى ظاهر .

ثم ذكر الإمام الرازي قولاً نفيساً يشرح مفهوم الآية: فيقول رحمه الله تعالى:

وفي الآية مسائل .

المسألة الأولى : قال بعضهم : المراد من قصد طاعة الله ثم عجز عن إتمامها ، كتب الله له ثواب تمام تلك الطاعة : كالمريض يعجز عما كان يفعله في حال صحته من الطاعة ، فيكتب له ثواب ذلك العمل هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال آخرون : ثبت له أجر قصده وأجر القدر الذي أتى به من ذلك العمل ، وأما أجر تمام العمل فذلك محال ، واعلم أن القول الأول أولى لأنه تعالى إنما ذكر هذه الآية ههنا في معرض الترغيب في الجهاد ، وهو أن من خرج إلى السفر لأجل الرغبة في الهجرة ، فقد وجد ثواب الهجرة .

قصة تزيد الإيمان بالله :

عن ابن جبير أن هذه الآية نزلت في جندب بن ضمرة ، وكان بلغه قوله تعالى: { إِنَّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أَنفُسِهِمْ } [النساء : 97] الآية وهو بمكة حين بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسلميها فقال لبنيه : احملوني فإني لست من المستضعفين ، وإني لأهتدي الطريق ، وإني لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجهاً إلى المدينة وكان شيخاً كبيراً فمات بالتنعيم ولما أدركه الموت أخذ يصفق يمينه على شماله؛ ويقول : اللهم هذه لك وهذه لرسولك صلى الله عليه وسلم أبايعك على ما بايع عليه رسولك ، ولما بلغ خبر موته الصحابة رضي الله تعالى عنهم قالوا : ليته مات بالمدينة فنزلت. (روح المعاني للآلوسي)

فائدة:

واحتج أهل المدينة بالآية على أن الغازي إذا مات في الطريق وجب سهمه في الغنيمة ، والصحيح ثبوت الأجر الأخروي فقط (روح المعاني للآلوسي)

أهمية الهجرة والجهاد:

استفاد من هذه الآيات الكريمة أن الهجرة والجهاد مقصدان مهمتان في الشريعة الإسلامية ، لهما بركات عظيمة وثمرات لطيفة ، وأن من خرج مهاجراً إلى الله ورسوله ليجدن ملجأ ومأوى في مكان ما، ويجد حسب الوعد الإلهي سعة وبركة في الرزق، ولا ينافي ذلك ما قد يصيب الإنسان من مشقة وتعب في مهجره من أجل حديث العهد به، ولكنه سرعان يفتح له أبواب الرحمة والرزق ويحصل له المنافع ظاهراً وباطناً.

إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجروا من مكة إلى المدينة وبعد أعوام عديدة افتتحت مكة ، وافتتحت خيبر وغيرهما من الأمكنة والبلدان استولى عليها هؤلاء المهاجرون فحصل لهم منافع كثيرة وقطعات أراضي وسيعة ولقوا من المغانم حظاً وافراً ، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم افتتحت مصر والشام (سوريا) والعراق وغيرها من البلاد ، فالذين كانوا فقراء بؤساء صاروا أغنياء وأثرياء ، والتاريخ يشهد على أن الجهاد والهجرة لهما دور كبير في تغيير الأحوال وهما سببان رئيسان في للحصول على المنافع الدنيوية والثمرات الممتعة فضلا عن ثواب الآخرة والأجور الباقية عند الكريم المنان ، وبهما تحصل الغلبة والاستيلاء على الأعداء والوصول إلى الجواري والغلمان إلى غير ذلك من النعم العظيمة والمنافع الكثيرة فيفوز من قام بهما دنياً وأخرى .(أنوار البيان)

كلام نفيس:

إن ما شرح الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى نذكر تسهيله من التفسير العثماني :

إن هذه الآية تدل على الترغيب في الجهاد وفيها طمأنينة للمهاجرين يعني من ترك وطنه مهاجراً إلى الله ورسوله ليجدن له أرض الله واسعة ويحصل له في الرزق نصيب وافر ، فيا من يريد الهجرة لا تخف من أنه كيف تجد المسكن ومن أين يأتي الرزق ؟ ولا تخف من أنك لو مُتَّ في الطريق ضاع عملك وما اكتملت هجرتك لا بل في هذه الحال وقع أجرك على الله وتمت هجرتك واعلم أن الله تعالى وعد لك إكمال الهجرة وسعة الرزق والهنيء في المسكن فتوكل على الله وهاجر إليه بلا خوف وتردد فإن الله هو المستعان وعليه التكلان واعلم أن الأجل لا يستقدم ساعة ولا يستأخر ثانية.

(تفسير عثماني)

سورة النساء مدنية : الآية {101}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

الملخص:

إذا سافرتم للجهاد وغيره وخفتم من الأعداء أن يفتنونكم إن وجدوا الفرصة لذلك فلا حرج عليكم أن تقصروا في الصلاة يعني صلوا ركعتين مكان الأربعة . (تفسير عثماني)

ثمرة الجهاد:

تفكروا في ثمرات الجهاد أنه لما خرج المسلم بنية الجهاد خُخفِّف عليه فريضة الصلاة التي لو تركها المسلم متعمداً فقد كفر وجاء حكم القصر فيها فيصلي ركعتين بدل أربع ركعات إضافة إلى ما أجيز له الجمع (الجمع الصوري) بين الصلاتين . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

مسألة فقهية:

عند الأحناف مسافة السفر الذي يجوز فيه القصر في الصلاة أربعون ميلاً (أي حوالي سبع وسبعين كيلو متراً) ولا يجوز القصر أقل من هذه المسافة ، أما خوف الكفرة كان عند نزول الآية ثم ارتفع ولكن الحكم بقي واستمر عليه العمل كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقصر في الصلاة أثناء السفر فكان عليه الصلاة والسلام يصلي ركعتين وسار عليه عمل الصحابة رضي الله عنهم فاستقر الحكم على القصر في الصلاة سواء وجد الخوف أم لا ، وهذا تخفيف من الله تعالى لعباده والرخصة لهم منه تعالى فينبغي أن يقبل برضا ورغبة مع الشكر لله تعالى على ذلك كما جاء الترغيب في ذلك في الحديث الشريف، فقال النبي عليه الصلاة والسلام " صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ".

ربط الآية:

من الأمور التي يهم المجاهد الصلاة ومسائلها من حيث الكمية والكيفية أثناء السفر و القتال فأنزل الله تبارك وتعالى أحكام الصلاة في السفر وشرع لهم صلاة الخوف عند الحاجة إليها. (تفسير حقاني)

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى:

اعلم أن أحد الأمور التي يحتاج المجاهد إليها معرفة كيفية أداء الصلاة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة الأعداء . (تفسير الرازي)

سورة النساء مدنية : الآيات {102-103}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ
مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ
أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾
فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ
كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾

الملخص:

أثناء الجهاد إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم موجوداً في الجيش أو نائبه أو أمير المسلمين وقائدهم فينبغي للمسلمين أن يصلوا الصلاة باقتداء إمام واحد بحيث أن يجعل الإمام القوم طائفتين ويصلي بهم ركعة واحدة والثانية عندئذ تكون أمام العدو وليجب أن تكون المصلون آخذين بالأسلحة، ثم إذا فرغوا من الركعة تسلم هذه الطائفة من الركعة الواحدة ويذهبون إلى وجه العدو ، وتأتي الطائفة الأخرى ويصلي بهم الإمام ركعة أخرى ويسلم وليجب لهؤلاء أن يكونوا متسلحين بالأسلحة أثناء الصلاة،لأن الكفار يودون أن تضعوا أسلحتكم ليميلوا عليكم ميلة واحدة فجأة ، ولا حرج عند العذر نحو المطر أو المرض أن توضع الأسلحة ، ولا تغفلوا عن أسلحة الدفاع ، فإذا انصرفتم من الصلاة فاذكروا الله قائمين وقاعدين و مستلقين ، وإذا حصل لكم الطمأنينة فأقيموا الصلاة على هيئتها الطبيعية والصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً.

سبب نزول الآية الكريمة:

ذكر السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه " لباب النقول في أسباب النزول" عن ابن عياش الزرقي قال كنا مع رسول الله بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد ابن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ثم قالوا يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر {{وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة}}. الحديث . (كذا في تفسير أنوار البيان)

وقد أورد هذه الرواية الإمام القرطبي رحمه الله تعالى في تفسيره نقلاً عن الدار قطني وقال في ختامه :

وهذا كان سبب إسلام خالد رضي الله عنه. (تفسير القرطبي)

كيفية صلاة الخوف:

إن ما ذكرنا كيفية صلاة الخوف في الملخص هي المذكورة في الآية الكريمة بأن تصلي الطائفة الأولى ركعة ثم تنصرف ، وتأتي طائفة أخرى وتصلي ركعة واحدة خلف الإمام فتتم أو تنصرف إلى مكانه بعد ركعة واحدة ، ثم تأتي الطائفة الأولى وتصلى ركعة وتكمل صلاتها ثم تأتي الطائفة الثانية (إن لم تكمل صلاتها) وتكمل صلاتها .

إن ما ذكر المفسرون من الأحكام التي تتعلق بصلاة الخوف من أهمها فيما يلي:

(1) إن طريقة صلاة الخوف ثبتت بعدة طرق وبكيفيات متعددة وقد ذكرها الحافظ أبو داود رحمه الله تعـالى. (أنـوار البيان)

(2) يصلي كل من الطائفتين ركعة واحدة إن كان الإمام والمقتديون كلاهما مسافرين ، فإن كان الإمام مقيماً فليصـل بكل من الطائفتين ركعتين ويكمل كل منهما بقية صلاتهما ، هذا إذا كانت الصلاة غير المغرب ، أمـا إذا كانـت الصلاة صلاة المغرب فليصل الإمام بالطائفة الأولى ركعتين وبالثانية ركعة واحدة ، وليعلم أن المشي والانصراف في الصلاة أبيحت لأجل الاضطرار والضرورة فلا تفسد الصلاة في هذه الحال. (أنوار البيان)

(3) لو لم يجد المسلمون مهلة أن يصلوا فيها بكيفيات المذكورة فليتوقفوا عن الجماعة بل ليصلوا فرادى على الأرجـل ، وإن لم يقدروا على الأرجل فليصلوا على المراكب بالإشارات وإن لم يستطيعوا على ذلك فـلا حـرج في فـوات الصلاة . (تفسير عثماني)

(4) لما قاموا للصلاة فليأخذوا أسلحتهم لئلا يقع التأخير في أخذها عند الحاجة إليها ، وإن الصلاة تفسد بالقتال ولكنه لا وزر في ذلك لفسادها من أجل الدفاع . (أنوار البيان)

أمران مهمان:

إن المفسرين فضلوا الجهاد على الصلاة وذلك لما وردت كيفيات صلاة الخوف أثناء ، وأن الجهاد أمر عظيم حتى تغيرت هيئـات الصلاة وخففت في أدائها من أجله لئلا يقع النقص في الجهاد ، بينما ذكر المفسرون الآخرون فضائل الصلاة والجهاد معـاً ،إذ في حال الجهاد الصعبة تبين أحكام الصلاة وجماعتها فلا تجوز الغفلة عنها بحال من الأحوال، ولا شك في أن الصلاة عمـاد الـدين وفريضة الإسلام والجهاد أيضاً من فرائض الدين القيم الذي لا غنى عنه ، نسأل الله تعالى أن يحيي في الأمة المسلمة جميع الفرائض ووالواجبات . آمين يا أرحم الراحمين .

اذكروا الله في كل حال:

{{فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله ....}}الآية قال فيه البعض إن كانت الحرب شديدةً ولا يجدوا الفرصة لأداء صلاة الخوف فليذكروا الله في كل حال ممكن. (تفسير حقاني)

(اذكروا الله حتى عند الهجوم والقتال . (تفسير عثماني)

سورة النساء مدنية : الآية {104}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾

الملخص:

لا تهنوا ولا تضعفوا في طلب الكفار فإن يصبكم الجروح منهم فإنهم أيضاً يصيبهم الجروح والقروح ولكم رجاء عند الله (من أنكم تغلبون على الكفار وتنالون عند الله أجراً عظيماً) ما ليس لهم منه شيء والمعنى أن حصول الألم مشترك بينكم وبينهم ، والله يعلم مصالحكم وأعمالكم ، وما أمركم من أمر إلا و فيه حكم ومنافع تعود ثمرتها إليكم . (مفهوم مأخوذ من تفسير عثماني)

ربط الآية:

1- اعلم أنه تعالى لما ذكر بعض الأحكام التي يحتاج المجاهد إلى معرفتها عاد مرة أخرى إلى الحث على الجهاد . (تفسير الرازي)

2- وفي الآية الكريمة ترغيب للجهاد بأن الله وعدكم بالنصر والفتح ، وأنتم ترجون من الله ما لا يرجون منه الكفار فلمَ تهنون وتتوانون في القتال معهم ؟ (تفسير حقاني)

أقوال المفسرين:

1- **الكسل فى الجهاد غير جائز:**

المقصود فيما سبق ذكر الجهاد وقد وردت توجيهات وأحكام أخرى من ضمنه بمناسبتها بموضوع الجهاد ، ثم تبعها ذكر الجهاد بأن الكسل والتواني في الجهاد ليس بجائز. (تفسير بيان القرآن)

2- {{لا تهنوا }} لا تضعفوا في طلب الكفار .(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

3- **إن هذا الحكم في كل جهاد :**

قيل نزلت في حرب أحد حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج في آثار المشركين وكان بالمسلمين جراحات ، وكان أمر ألا يخرج مع إلا من كان في الوقعة ، كما تقدم في سورة آل عمران : وقيل : هذا في كل جهاد . (تفسير القرطبي)

4- **يا أسفاه :** من لا يعلم أن في طريق المقاصد والحصول على المطلوب لا تأتي العقبات والمصائب وذلك دون فرق بين المسلم والكافر ولكن بالأخص يتحملها المؤمن ببشاشة وسرور لما يرجو عند الله تعالى عليها من ثواب وأجر ولا يرجو الكافر منه شيئاً ، بينما يرى المسلم أن كل ما يواجه المعاناة والمشقة فهي في سبيل الحق يترتب على ذلك سعادة الدنيا وفلاح الآخرة ولكن الأسف على مؤمن لا يقدم ولا يبذل في سبيل الله قدر ما يقدم ويبذل الكافر في سبيل الباطل . (ترجمان القرآن)

5- **أيها المسلمون أنتم أحق منهم بالمصابرة على القتال :** قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى : { إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون } والمعنى أن حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم ، فلما لم يصر خوف الألم

مانعاً لهم عن قتالكم فكيف صار مانعاً لكم عن قتالهم ، ثم زاد في تقرير الحجة وبين أن المؤمنين أولى بالمصابرة على القتال من المشركين ، لأن المؤمنين مقرون بالثواب والعقاب والحشر والنشر ، والمشركين لا يقرون بذلك ، فإذا كانوا مع إنكارهم الحشر والنشر يجدون في القتال فأنتم أيها المؤمنون المقرون بأن لكم في هذا الجهاد ثواباً عظيماً وعليكم في تركه عقاباً عظيماً ، أولى بأن تكونوا مجدين في هذا الجهاد . (تفسير الرازي)

فائدة:

لا يستوي الإسلام والكفر أبداً ، ولن يستوي المسلم والكافر بحال من الأحوال، كذلك لا مساواة بين مصيبة المسلم ومصيبة الكافر، وما أصبتم في الجهاد من الألم والمصيبة فعليها أجر وثواب ، وأما ما يصيب الكافر منها فهي وبال له دون العذاب الأكبر، واعلموا أن الراحة أو المصيبة ليست هي معيار الفوز والفلاح في الدنيا بل المعيار الأصلي هو الإيمان والجهاد ، فمن حصل له منهما حظ ونصيب فهو سعيد سواء هو جريح أو قتيل ، وأما من حرم منهما فهو شقي ومحروم مهما ملك الملك والمال ، واعلموا أن الجروح المصابة في الجهاد حجة للمجاهد يوم القيامة وتفوح الرائحة الطيبة من دمه كطيب المسك ، فيا أيها المسلمون ! لَم هذا التهاون والتواني في طلب الكفار؟ فتنشطوا وكروا عليهم كرة قاسية وطهروا الأرض من دناسة الوثنية والشرك والكفر . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {138}

بسم الله الرحمن الرحيم

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾

الملخص:

بشرالمنافقين الذين يوالون الكفار ويبتغون العزة لديهم رغم دعواهم الإسلام أن لهم عذاباً مؤلماً.

فائدة:

بدأ ذكر المنافقين الذين حاولوا الإضرار بالإسلام والمسلمين وجماعتهم ، وهؤلاء دائماً عادوا الجهاد وأهدافه ، أما لماذا نافق هؤلاء ؟ وما هي أهدافهم ؟ وما هي عاقبتهم ؟ وما ذا يكون حالهم عند الفتح والهزيمة ؟ وما هي طريقة الوقاية من النفاق والمنافقين ؟ وبأي شرط تقبل توبة المنافق ؟ هذه الأمور ونحوها قد سبق ذكرها في آيات النساء (رقم 138–147) ولا يخلو صف من صفوف المسلمين من المنافق في كل عصر ومصر ولكن لا تظهر مكائدهم ونشاطاتهم السيئة الكريهة إلا عند بدء الجهاد ونشوب الحرب بين المسلمين والكفار ، وبالأخص لما ينهزم المسلمون بظاهر الأمر فيبرز هؤلاء المنافقون ويميلون إلى الكفار في جهة وينشرون الوساوس الشيطانية والأخطار الواهمة في جهة أخرى، ولا يعبئون بارتكاب كل فعل مهين وعمل وضيع لوقاية أنفسهم والحصول على أغراضهم.إن هذه الآيات تدعو المسلم أن يتدبر فيها ليطهر قلبه من النفاق وأسبابه وآثاره.والله تعالى أعلم بالصواب.

بشر المنافقين

التبشير : الإخبار بما يظهر أثره على البشرة . (تفسير القرطبي)

وقال الرازي رحمه الله تعالى: { بَشّرِ المنافقين بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } وقوله { بُشّرَ } هكم بهم ، والعرب تقول : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف .

ومن ذلك قول الشاعر: تحية بينهم ضرب وجيع .

ويقال باللغة الأردية عند العتاب الشديد والغضب الرهيب والبطش الشديد: ''خذ جائزتك'' ، وقد ''وجدت اللذة'' ، و''شاهد منظرك'' ونحوها . (تفسير ماجدي)

فائدة: نتيجة عدم الاستقامة الأولى هي النفاق وجزاءه عذاب أليم . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

سورة النساء مدنية : الآية {139}

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴿١٣٩﴾

الملخص:

إن المنافقين الذين يوالون الكفار من دون المؤمنين لهم عذاب أليم ، وهؤلاء يحسبون أن العزة عندهم وهذا باطل بل العزة لله جميعاً فمن أطاعه فاستحق العزة من عنده ومن عصاه أذله الله في الدنيا والآخرة. (مستفاد من تفسير عثماني)

ابتغاء العزة :

اتضح مما سبق من طلبهم العزة أداهم إلى موالاة الكفار ، والمراد بالعزة : القوة والغلبة في الدنيا والحصول على الأمن والأمان،وذلك لما كان هم حياتهم الأصلي و هدفهم الأساسي هو الحصول على التعيش والتنعم ووسائل الراحة والترف فرأوا أنه لا يتأتي لهم إلا بموالاة الكفار ، فنسوا ما ادعوا من قبول الإسلام ومالوا إلى موالاتهم لأجل الدنيا ومتاعها الفاني .

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: (العزة) أي الغلبة، عزه يعزه عزا إذا غلبه.

(فان العزة لله جميعا) أي الغلبة والقوة لله. (تفسير القرطبي)

يعني كان هؤلاء مرعوبين من قوة الكافرين ، ويخشون من أنهم لو تعاونوا مع المسلمين ليعانون من عداوة الكفار وفي ذلك خطر أكبر فرأوا من المناسب لهم موالاتهم بالكفار.

وقال التهانوي رحمه الله تعالى : ما كان المنافقون يتوقعون أنه سيحصل للمسلمين القوة والغلبة لذلك والوا الكفار وحسبوا أنهم ليكون تعايشهم مع الكفار واليهود دائماً فالمناسب هو أن لا يقاطعوا من هؤلاء مقاطعة بحال ما .(بيان القرآن)

وقال صاحب تفسير حقاني:

قوله تعالى {{بشر المنافقين}} في الآية بيان أن هؤلاء المنافقين أحياناً يكونوا مسلمين وأحياناً نصارى واليهود ، فبين تبارك وتعالى في هذه الآية الشريفة شيمة هؤلاء المنافقين أنهم لما يرون سطوة الكفار والمشركين يتصلون بهم ليحصلوا على القوة والشوكة معهم ، وكان منافقوا المدينة يفعلون هذا الفعل الشنيع فكانوا يذهبون إلى يهود المدينة ويتمسخرون معهم تجاه الإسلام والمسلمين كما سيأتي ذكره في الآية التالية ، و كان المقصود بذلك ليروهم مخالفوا المسلمين أصدقاهم وأولياءهم فيكرمونهم . (تفسير حقاني)

نقول : إن مخالفة شريعة الإسلام بأكملها أو جزئيتها لا يتصور من المسلم المؤمن بالله ، وذلك طمعاً في حصول العزة لدى الأعداء وإغراءهم بأنهم معهم . (والله تعالى أعلم بالصواب)

إن العزة لله جميعا :

أهؤلاء المنافقون يبتغون العزة عند الكفار ؟ فليعلم هؤلاء أن العزة كلها عند الله تعالى ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، و لا قيمة لما يُرى عند الكفار من العزة بالمال والجاه والجماعة لأنها فانية وسريعة الزوال والاضمحلال مقابل ما سيجد المسلمون من العزة من عند الله تعالى ، وشهد التاريخ أن المسلمين حصل لهم العزة والقوة والرفعة والتمكين بينما لقي المشركون والكفار من الذل والهوان و لقي المنافقون منه حظاً وافراً ، حتى جاء وقت أعز الله المسلمين فيه فارتفع مكانهم و انتشر دينهم فسيطروا على الدول والبلدان وافتتحوا المدن والممالك ، وإن لكل كافر عذابا مهيناً ، وقد يشكل على أحد أن المسلمين اليوم في ضعف وسوء الحال فما سبب ذلك ؟ فنقول : دخل الهوان والذل في المسلمين لما تركوا العمل بأحكام الإسلام ومتطلبات الإيمان ، فعلى كل مسلم أن يرى أنه لا عزة بدون الإسلام وليسأل العزة من الله تعالى ، وليوال المؤمنين ، ولا يرى العزة عند الكفرة فيختار عاداتهم

ويتشبه بأفعالهم ويتخلق بأخلاقهم ويتحضر بحضارتهم كلا بل ليبتغ العزة عند الله ، وليعلم أن من هو المهين عند الله تعـالى فلـن يكون عزيزاً من تشبه بهم واختار صورتهم وسيرتهم . (تفسير أنوار البيان)

زي الكفار و طرازهم :

استنبط الفقهاء من هذه الآية أن الاختلاط بالكفار بدون حاجة شديدة والتزي بزيهم والتشبه بهم واختيار ملابسـهم والاعتـزاز بحضارتهم ومدنيتهم ومعاشرتهم والفخر عليها دليل على النفاق لا يجوز لمسلم مؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم من ذلـك شيء . (تفسر ماجدي)

الوقاية من النفاق:

قد علم مما سبق طرق الوقاية من النفاق وهي كالآتي:

1- عدم موالاة الكفار.
2- عدم الخوف من قوة الكفار ومتعتهم بالحياة الدنيا ورقيهم فيها.
3- عدم تكريم الكفار .
4- ترسيخ العقيدة في القلوب بأن العزة هي كلها لله وعند الله .
5- الإنابة إلى الله وحصول التقرب إلى الله دون بذل الجهود في الحصول على عزة الدنيا ومتاعها . (والله تعالى أعلم بالصواب).

والجهاد في سبيل الله جامع لما سبق أعلاه . والله تعالى أعلم بالصواب.

النتيجتان من النتائج السيئة لعدم الاستقامة :

وقد يترتب على عدم الاستقامة أن هؤلاء يوالون الكفار وأعداء الإسلام ، وبالتالي يريدون العزة عندهم . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

سورة النساء مدنية : الآية {140}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

الملخص:

أيها المسلمون ! إن الله تعالى قد نزَّل عليكم في القرآن سابقاً أن لا تجلسوا في المجالس يكفر فيها بآياته ويستهزأ بها وإلا تكونوا مثلهم وفي حكمهم واعلموا أن الله سيجمع المنافقين والكافرين في جهنم بأجمعهم .

مسألة شرعية مهمة:

عُلم بذلك أن من يجلس في مجلس يكفر فيه آيات الله ويستهزأ بها ويستمع إلى ذلك فهو منافق ولو لم يشاركه لأنه لا يتصور من مؤمن غيور على دين الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم أن يجلس في مثل هذه المجالس . (تفسير عثماني)

نتيجة عدم الاستقامة السيئة:

ومن نتائجها(أي عدم الاستقامة) السيئة أنه يسكت على التمسخر بآيات الله والاستهزاء بها فسيحشر في جهنم مع الكفار . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

تدبروا يا أهل الإسلام:

إن التمسخر بآيات الله والاستهزاء بها من شيمة المنافقين والكفار ، ولم يزل الكفار من القديم إلى يومنا هذا يطعنون في أحكام الإسلام من ضمنها الجهاد والتعزيرات والحدود والرجم وعدم موالاة الكفار وغيرها ، فيعقدون المؤتمرات والمجالس يخطط فيها الدسائس والمكائد ضد الإسلام ، فورد النهي أن لا يجلس المسلمون في مثل هذه المجالس وإلا سيُحشرون مع هؤلاء يوم القيامة إلا أن يجلسوا معهم لإحقاق الحق وإبطال الباطل فذلك جائز ولا حرج فيه بل هو مندوب ومطلوب . (والله تعالى أعلم بالصواب).

طريقة الوقاية من النفاق:

وفي الآية الكريمة توجيه رباني عظيم وهو أن طريقة الوقاية من النفاق هي أن لا يُسمع من أقوال الكفار ولا تُقرأ المواد الكتابية التي فيها المساس بالإسلام كله أو بحكم من أحكامه ، فلو عمل المسلمون على ذلك عملاً تاماً واتخذوه أصول حياتهم لقوي إيمانهم بالله واستطاعوا وقاية أنفسهم من الغزو الفكري يقوم به أعداء الإسلام في كل زمان ومكان وعصر ومصر ويستخدمون هؤلاء لذلك جميع وسائل الدعاية والإعلام من الحديثة المتطورة نحو التلفاز والراديو والصحف والجرائد والدش والانترنيت إلى غير ذلك ، فيشككون الناس في أحكام الإسلام من الجهاد والحجاب وغيرهما من الأحكام الدينية الإسلامية وتضعيف عقائد المسلمين فيه عن طريق وسائل الدعاية والإعلام. والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {141}

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ
عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١

الملخص:

إن هؤلاء المنافقين يترصدون بأحوالكم فإن حصل لكم الفتح من الله ، قالوا لكم ألم نكن معكم ؟ وإن كان للكافرين غلبة أو ظفر صاروا معهم وقالوا لهم : ألم نستول عليكم فأبقيناكم وحفظناكم من المؤمنين ؟ والفصل الحقيقي عند الله إنه ليحكم بينكم يوم القيامة واعلموا أن الله تعالى لن يسلط الكافرين على المؤمنين تسلطاً كاملاً في الدنيا.

أقوال المفسرين:

1- التبيين عن مكائد المنافقين :

إن الآية تبين عن مكائد المنافقين فكانوا مع المسلمين عند بدء القتال أو عند احتمال القتال ولو لم يتم ا لقتال ، ففي حال الفتح قالوا للمسلمين إنا كنا معكم فأعطونا قسما من الغنيمة ، وإن تمت الغلبة أو الظفر في جانب الكفار قالوا لكفار إننا منعنا عنكم المسلمين وما حضرنا القتال إلا لأجل إبقاءكم والحفاظ على أنفسكم ولو لا منعناهم عنكم لانهزمتم وكانوا يطالبون منهم بهذه الطريقة شيئاً من الدنيا ، (ويدل ضمنه إخبار المنافقين الكفار بأسرار المسلمين والتجسس لصالح الكفار ونحو ذلك من المكائد والدسائس السرية) (تفسير ماجدي)

2- مقام عبرة لمن يقوم بإبلاغ أخبار المسلمين إلى الأعداء :

إن الآية الكريمة دعوة مفتوحة إلى كل من يقوم من المسلمين بإبلاغ أحوالهم السرية إلى الأعداء لعرض من الدنيا، فلينظر هؤلاء فيما يفعلونه من هذا الفعل الشنيع .

3- نتيجة عدم الاستقامة السيئة:

والنتيجة الخامسة الناشئة من عدم الاستقامة هي أنهم يرون المسلمين بنظرية الهزيمة (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً) لنقرأ التاريخ بعد مائة سنة من وفاة الملك المغول عالمكير رحمه الله تعالى أن الإسلام لا يظلم علينا قدر شبر بل نحن تركناه حتى نُزع منا الحكم .(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

4- حال أصحاب المصالح :

إن أصحاب المصالح وأبناء الوقت يرون الحوادث من بُعد فإذا رأوا أن الفتح قد حصل للمسلمين يطالبونهم نصيبهم من الغنائم ويقولون إنا كنا معكم، وإن حصل للكافرين شيء من الفتح لحقوا بهم وقالوا لهم لو لم نكن معكم بالقلب ولم نمنعكم من المؤمنين لقضى عليكم المؤمنون ويطلبون منهم بذلك عرضاً من الدنيا .(ترجمان القرآن)

وإلى هنا ذكرنا شرح جزء الآية الأول فالآن نبدأ ما قال المفسرون في جزئها الآخر وهو {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً}.

1- ولن يهيئ الله تعالى للكافرين على المؤمنين طريقاً . (الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى)
2- وإن الله لن يسلط الكافرين على المؤمنين تسلطاً وغلبة. (شيخ الهند رحمه الله تعالى)
3- (وإن يوم القيامة) لن يغلب الله الكافرين على المؤمنين. (الشيخ التهانوي رحمه الله تعالى)
4- و (هناك) لن يعطي الله الغلبة للكافرين على المؤمنين. (الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

الدنيا أم الآخرة ؟:

إن للمفسرين أقوالاً في هذه الآية الكريمة ، فقال بعضهم أن المراد بالسبيل : غلبة الآخرة، ويكون المعنى أنه يجب على المسلمين أن يختاروا طريق الجهاد واطمئنوا من المعاد ، وإن المنافقين كانوا يسوسون في صدور الناس عن الآخرة بأنه من يدري ماذا سيكون بالآخرة ؟ يحتمل أن تقع الآخرة ويحتمل أن لا تقع ؟ وإن وقعت فمن يفلح هناك من يعلم ذلك ؟ فترلت هذه الآية التي تقوي إيمان المؤمنين بشأن الآخرة .

ورأى بعض المفسرين أن المراد بالسبيل هو غلبة الدنيا وفي هذا يكون المعنى : أن الكفار لم يجعل لهم على المؤمنين سلطاناً تاماً بالاستئصال.

أو يكون المعنى : لو وافى المسلمون شروط الفتح لن يغلب عليهم الكفار.

وقال بعض المفسرين المراد بالغلبة أن الحجة قائمة عليهم مفحمة لهم ، ولا شك أن الحجة عليهم قائمة عبر العصور والأزمنة إلى يومنا هذا .

والآن نذكر عدة أقوال المفسرين في هذا الباب :

1- استئصال المسلمين أمر مستحيل :

إن الله تعالى ليحكم بين المسلمين والكافرين بأن يدخل المؤمنين جنات تجري من تحتها الأنهار ، ويدخل الكافرين في نار جهنم خالدين فيها أبداً ، فليفعل الكفار بالمسلمين ما أرادوا ، فلن يقدروا على استئصالهم كلياً وإكمال أمنياهم . (تفسير عثماني)

2- إن الله تعالى وعد المسلمين بالغلبة على الكفار:

إن الله تعالى وعد المسلمين بالغلبة والحجة المفحمة على الكفار بشرط أن يكون المسلمين قائمين على الإسلام. (تفسير حقاني)

3- غلبة المسلمين على الكفار يوم القيامة:

قال علي رضي الله تعالى عنه : معنى ذلك يوم القيامة يوم الحكم . (تفسير القرطبي)

4- لن تحقق غلبة الكفر في الدنيا بالكلية:

إن الله لا يجعل لهم سبيلا يمحو به دولة المؤمنين، ويذهب أثارهم ويستبيح بيضتهم، كما جاء في صحيح مسلم من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإني سألت ربي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني قد أعطيتك لامتك ألا أهلكهم بسنة عامة وألا أسلط عليهم

عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضـــا). (تفسير القرطبي).

5- لن تكون غلبة الكفار على المسلمين حتى يكون بعضهم عدواً لبعض:

أن الله سبحانه لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو من قبلهم، كما قال تعالى: {{وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم}} . الآية. (تفسير القرطبي)

الوقاية من النفاق:

إن الآية الكريمة تشير إشارة لطيفة وهي أنه ينبغي للمسلمين أن لا يكتفوا بتأييد الجهاد في حالات الفتح والغلبة فقـــط بـــل عليهم أن يرتبطوا بالجهاد في كلتين الحالتين من الفتح أو الهزيمة، وبذلك يمكن لهم أن يحفظوا من النفاق. والله تعـــالى أعلـــم بالصواب.

كلام نفيس:

إن الشاه عبد القادر رحمه الله تعالى يعلق هنا تعليقاً لطيفاً :

إن الذي يدين دين الحق ثم يرتبط بالضالين والمضلين فهو على خطر من النفاق بل إن ذلك من شيمة المنافقين أعاذنا الله وإياكم منه .(موضح القرآن)

سورة النساء مدنية : الآية {142}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢

الملخص:

إن المنافقين في ظنهم يخادعون الله ، وإن الله ليجازيهم على خداعهم ، وإنه لا إيمان في قلوبهم لذلك لا يأتون إلى الصلاة إلا بالكسل ويقصدون بها الرياء فقط ولا يذكرون الله إلا قليلاً.

أقوال المفسرين:

1- سفاهة المنافقين:

باعترافهم بالإسلام كذباً يريدون أن يخادعوا الله تعالى ، ويحسبون هؤلاء الحمقاء أنهم سيعاملون في الآخرة كما يعاملون في الدنيا. (تفسير ماجدي)

2- فليكن المنافقون على حذر:

اعلموا أن الله تعالى لن ينخدع بخداعهم فذاته تبارك وتعالى منزه عن ذلك وإنما هو يمهل الكافرين والمنافقين ويستدرج الظالمين والخادعين ، ولا يعني ذلك أنه غافل عما يعمل الخادعون والظالمون ، بل إنه تعالى قدر لكل شيء قدراً فلا تظهر النتيجة إلا في وقتها وأجلها، فليحذر المنافق عن بطش الله القهار وليخش من مكر الله العزيز الجبار {{فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون}} ولكل شيء أجل مسمى . (ترجمان القرآن)

3- أمراض المنافقين الثلاث:

إن في هذه الآية ذكر الثلاث من أمراض المنافقين (الخداع) (الكسل) (الرياء) (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

الإعجاز القرآني:

إن القرآن الكريم صور صورة واضحة للمنافقين الذين يعاندون الجهاد ويوالون الكفار وما يهمهم إلا حياتهم الدنيا ولذائذها فيسعون خذلان الإسلام والمسلمين ، وبين أمراضهم : أن هؤلاء يتكاسلون في أداء الصلاة ، ولا يؤدونها إلا مراء للناس، نعم يطلقون ألسنتهم ويحدونها عند ما يثبتون إسلامهم هذا و حالهم مع أكبر فريضة الإسلام سيئة فلا يؤدونها كما حقها .

الوقاية من النفاق:

استفاد من الآية الكريمة أن طريقة الوقاية من النفاق هي المواظبة على الصلاة والاهتمام بها وإقامتها كما لها حق . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {143}

بسم الله الرحمن الرحيم

مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

الملخص:

إن المنافقين في حيرة وتردد ،فلا هم مطمئنين بالإسلام ولا هم منشرحين بالكفر فهم في ريبهم يترددون ، فيميلون إلى جانب ميلة ثم إلى جانب آخر فلا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، إن كان حال المسلمين آمناً فيكونون معهم وإن كان المسلمون في أحوال صعبة فهم مع الكافرين ، أو هم بلسانهم مسلمون وبباطنهم كافرون فحالهم عجيب وتحيرهم شديد .

أقوال المفسرين:

1- غثاء كغثاء السيل :

إن المنافقين في حالة غير طبيعية وهم في شك و حيرة كلما أضاء لهم نور الإسلام مشوا إليه ،ولما رأوا في طريق الإسلام صعوبة أو شيئاً من الفقر وضيق الحال انسلوا منه انسلال الشعر من العجين ، وحالهم كما صوره القرآن الكريم في سورة البقرة {{يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا}} ولا شك في أن الإنسان لما يحرم من النور واليقين هو ورقة تتقلب في العاصفة تذروها الرياح ، إن هذا لبلاء عظيم ، فمن تردد في الإسلام وراب في نورالإيمان فقد ضل وغوى ومن يضلل الله فلن تجد له هادياً ولا سبيلاً .(ملخص من تفسير حقاني)

2- مرض المنافقين الرابع :

ومن أمراض المنافقين مرض رابع هو ريبهم في الإسلام وتذبذبهم بين الإسلام والكفر . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

الوقاية من النفاق :

الفتح الظاهري أو الهزيمة المؤقتة أو الراحة أو الحزن ونحوها من الأمور الطارئة للإنسان ليست معيار الحق والباطل ومقياس الفوز والخسران ، لذا على الإنسان أن لا يلتفت إلى مثل هذه الأمور بل يثق بربه ثقة كاملة ويؤمن بالقضاء والقدر في كل الأحوال ليطمئن قلبه وينشرح صدره وتسكن إليه (سبحانه وتعالى) نفسه وبذلك ينجو من النفاق وآثاره . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {144}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾

الملخص:

إن اتخاذ الكافرين أوليا من دون المؤمنين دليل على النفاق كما يفعلون المنافقون فيا أيها المسلمون ! لن تفعلوا مثل فعلهم وإلا تقوم عليكم حجة الله بأنكم أنتم منافقون . (مفهوم تفسير عثماني)

أقوال المفسرين:

1- التنبيه للمسلمين:

إنه تعالى لما ذم المنافقين بأنهم مرة إلى الكفرة ومرة إلى المسلمين من غير أن يستقروا مع أحد الفريقين نهى المسلمين في هذه الآية أن يفعلوا مثل فعلهم فقال تعالى{ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين} أي لا تقتربوا إلى هؤلاء الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين لأنهم لا يحبون الله ، فلو أحببتموهم لجرَّ بكم إلى الغفلة و حب الدنيا ، {وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه} ولو فعلتم ذلك فقد قامت عليكم حجة الله .(مفهوم مقتبس من تفسير حقاني)

2- المحبة بأعداء الإسلام :

إن أعداء الإسلام (سواء كانوا من المنافقين أم من الكفار) لا تتخذوهم أولياء وإلا قد قامت عليكم حجة الله . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

إن الإمام الرازي رحمه الله تعالى ذكر قولي العلماء بأن المراد في الآية أنه تعالى نهى المؤمنين عن موالاة الكفار أو نهاهم عن موالاة المنافقين ، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع تفسير الرازي.

الوقاية من النفاق :

إن الآية تدل على أصل من أصول الوقاية من النفاق والحفاظ منه . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة النساء مدنية : الآية {145}
بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾

الملخص:

إن عذاب المنافقين يكون أشد من الكافرين لما هم في أسفل درجة من النار وليس لهم نصير ولا معين آنذاك . (والعياذ بالله)

أقوال المفسرين:

1- إن عذاب المنافقين أشد لإضرارهم بالمسلمين أكثر من غيرهم :

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: لما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر لأنه مثله في الكفر ، وضم إليه نوع آخر من الكفر ، وهو الاستهزاء بالإسلام وبأهله ، وبسبب أنهم لما كانوا يظهرون الإسلام يمكنهم الاطلاع على أسرار المسلمين ثم يخبرون الكفار بذلك فكانت تتضاعف المحنة من هؤلاء المنافقين ، فلهذه الأسباب جعل الله عذابهم أزيد من عذاب الكفار . (تفسير الرازي)

2- التحريف في معاني القرآن الكريم ومفهومه

إن المنافقين في أسفل الدرجات من النار يعني هؤلاء سيصيبهم أشد العذاب ،وذلك لأن الكفار أعداء الإسلام ظاهراً وباطناً فلم يصيب الإسلام منهم الضرر كما أصيب من هؤلاء المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر ، والتاريخ شاهد على أن كثيراً من الناس الذين يدعون الإسلام ولكنهم يسيئون إلى الإسلام ويخترعون البدع والمنكرات ويؤلون في القرآن الكريم التأويلات لا تتناسب والقرآن بحال ما . (مقتبس من مفهوم تفسير حقاني)

3- عذاب الآخرة :

في الآية الكريمة بيان عذاب هؤلاء المنافقين بأن درجتهم في العذاب أسفل من درجة الكفار في جهنم . والعياذ بالله . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

4- تابوت من حديد

إن الإمام القرطبي رحمه الله تعالى نقل معنى {الدرك الأسفل} عن طريق عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه : وعن ابن مسعود في تأويل قوله تعالى: (في الدرك الاسفل من النار) قال: توابيت من حديد مقفلة في النار تقفل عليهم. (تفسير القرطبي)

5- إن لجهنم سبع طبقات:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: أعلى الدركات (1)جهنم ثم(2) لظى (3) ثم الحطمة (4) ثم السعير (5) ثم سقر(6) ثم الجحيم (7)ثم الهاوية، وقد يسمى جميعها باسم الطبقة الأولى، أعاذنا الله من عذابها بمنه وكرمه.

إن المنافق في الدرك الأسفل وهي الهاوية، لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين. (تفسير القرطبي)

6- إن المنافق أمن من السيف في الدنيا:

إنما كان المنافق أشد عذاباً من الكافر لأنه أمن من السيف في الدنيا فاستحق الدرك الأسفل في العقبى تعديلاً . (مدارك التنزيل للنسفي)

7- لا معين ولا نصير :

قال تعالى في آخر الآية {ولن تجد لهم نصيرا} أنه ليس لهؤلاء المنافقين في الآخرة معين ولا نصير، فإنهم في الدنيا يهجرون الله

للحصول على الأمن والعزة ويتخذون أعداء الإسلام أصدقائهم دون المؤمنين ، فيوم القيامة يبقى هؤلاء بلا أنصار وأعوان . والله تعالى أعلم بالصواب.

الدعاء :

اللهم احفظنا من النفاق وقنا من نار جهنم وثبتنا على الحق وأعنا عليه يا أرحم الراحمين .آمين.

سورة النساء مدنية : الآية {146-147}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

الملخص:

إن يريد المنافقون أن يقوا أنفسهم من نار جهنم و يطلبون السعادة والفلاح والانضمام مع المسلمين فعليهم:

(1) أن يتوبوا من الكفر والنفاق (2) أن يصلحوا أعمالهم السيئة النفاقية (3) أن يعتصموا بالله (يعني أن يتركوا الاعتماد على الكفار واللجوء إليهم) (4) أن يكون أعمالهم كلها لله تعالى مخلصين له .

فلو فعلوا ذلك لدخلوا في زمرة المؤمنين واستحقوا الأجر العظيم الذي قدره الله تعالى للمؤمنين ، سبحان الله ما أعظم شأنه وما أكرم عفوه ، أين الدرك الأسفل من النار بالأجر العظيم ؟ سبحانك ما أعظم عفوك يا رب ، إنك لشكور حليم عليم إن شكرتم يا أيها الناس ليزيدنكم.

أقوال المفسرين:

1- باب التوبة مفتوح :

إلا من تاب فيُدخل في جماعة المخلصين. (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

2- الشروط الأربعة:

إن في الآية الكريمة ترغيب لهم (أي للمنافقين)في التوبة وعليها إعلان العفو {إلا الذين تابوا} وذلك بالشروط الأربعة (1) التوبة بصدق النية (2) إصلاح الحال والأعمال (3) الاعتصام بحبل الله بأن يهجروا أعداءه ولا يتوكلوا إلا عليه(4) أن يخلصوا دينهم لله . (مقتبس من مفهوم تفسير حقاني)

3- لا بد من ترك موالاة الكفار :

{{واعتصموا بالله}} والاعتصام بالله يلزم ترك موالاة الكفار . (تفسير ماجدي)

فائدة:

في الآية الأخيرة بين أصول الاستقامة على التوبة والترغيب على الشكر واختيار الإيمان وأنه تعالى لا يعذب من اتصف بهذه الصفات، فيجب أن يستحضر المسلم نعم الله تعالى عليه ويشكر عليها ويستعملها على وجه الصحيح ، وقد تقدم الشكر على الإيمان لأنه بالنعمة يتبادر الذهن إلى منعمه ، فلما رضي الإنسان عن ربه واطمأن بتقديره ، رضى الله عن ذلك العبد، واعلم أن النفاق ينشأ بالكفران ونكران الجميل وعدم اليقين بالله أو قلته وهذا يجر الإنسان إلى جهنم ، بينما الشكر يؤدي الإنسان إلى الإيمان وإلى رضا الله تعالى وإلى الجنة.

فالآية الكريمة (146) تبين مقرر التوبة للمنافق والآية الكريمة (147) تبين طريقة الحفاظ على التوبة وطريقة الاستقامة عليها . والله تعالى أعلم بالصواب.

دعاء: اللهم إنا نسألك إيماناً دائماً ونسألك قلباً خاشعاً ونسألك علماً نافعاً ونسألك يقيناً صادقاً ونسألك دوام العافية وتمام العافية ونسألك الشكر على العافية ونسألك الغنى عن الناس . آمين يا أكرم الأكرمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُـــــــورَةُ

المـــــــائدة

مَـــــــدنِـــــــيَّة

التمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

شرحنا في هذا الكتاب (20)عشرين الآية التي تتعلق بالجهاد في سبيل الله من سورة المائدة وهي كما تلي موضحة بالأرقام:

2 — 3 — 13-11 — 26-20

35 — 56-51 — 82

وها هي الآيات الثمانية من سورة المائدة ذكر فيها الجهاد إشارة وكناية أيضاً. والله تعالى أعلم بالصواب.

63-57 — 67

خلاصة العشرين آية التي ذكر فيها الجهاد من هذه السورة

الآية (2) فيها أن لا يتجاوز الحد في الانتقام .

الآية (3) إن الكفار قد يئسوا من غلبة دين الإسلام (إن فتح مكة نعمة عظمة وسعادة كبرى).

الآية (11) فيها تذكير بنعمة الله تعالى خاصة عند ما كف أيدي المشركين عن المسلمين ودافعهم عنكم فاختاروا تقــوى الله وتوكلوا عليه .

الآيات (12-13) فيها أن الله تعالى أخذ الميثاق(أي العهد على الجهاد) من بني إسرائيل فلم يفوه فلعن الله عليهم و جعلت قلوبهم قاسية .

الآية (20) فيها أن موسى عليه السلام دعا قومه إلى الجهاد وذكرهم بنعم الله تعالى.

الآية (21) فيها أن عدم القيام بالجهاد خسارة عظيمة.

الآية (22) فيها ذكر إنكار بني إسرائيل من القيام بالجهاد من أجل خوفهم العدو القوي وضعف عزيمتهم .

الآية (23) فيها أن الذين قد أنعم الله عليهم فيخافونه لا يعرضون عن الجهاد كما كان رجلان من قوم موسى اللذان حرضا بني إسرائيل على الجهاد .

الآية (24) فيها ذكر قول بني إسرائيل السيئ {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}.

الآية (25) فيها أن موسى عليه السلام قدم نفسه وأخاه للجهاد واعتذر إلى ربه عن سفاهة قومه وسأله أن يفرق بينه وبــين قومه ف{قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}.

الآية (26) فيها إعلان عقاب الله على بني إسرائيل فقال جل شأنه { فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ}.

الآية (35) فيها أن الجهاد سبب الفلاح كما قال تعالى {وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }.

الآية (51) فيها أن من اتخذ اليهود أو النصارى أولياء فهو منهم .

الآية (52) فيها أن الذين في قلوبهم مرض يسارعون إلى اليهود والنصارى لاتخاذهم أولياء فيصبحوا نادمين .

الآية (53) فيها أنه لما ينكشف نفاق المنافقين بعد الفتح ليعجب المسلمون بحالهم .

الآية (54) فيها أن من ارتد عن الإسلام فلا يضر الإسلام فسوف يأتي الله بدلهم بقوم يحبهم ويحبونه ويجاهدون في سبيل الله

الآية (55) فيها تشكيل وحدة الإسلامى.

الآية (56) فيها أن من تولى الله ورسوله والذين آمنوا فهو من حزب الله وإن حزب الله هم الغالبون.

الآية (82) فيها بيان أن أشد الناس عداوة للمسلمين هم اليهود والمشركون.

خلاصة ثمانية آيات من هذه السورة التي ذكر فيها الجهاد إشارةً .

الآية (57- 63) فيها دلائل وتأييد لما سبق من موضوع الجهاد ، والآية (67) فيها حكم تبليغ الرسالة والــدين الإلهــي، والذي من أجله يحتمل وقوع الحرب فذكر سبحانه وتعالى وعده بحفظ ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان قبل نــزول هذه الآية يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم بالصواب.

وعند الشيخ أحمد علي اللاهوري رحمه الله تعالى صلة الآية (32) بموضوع الجهاد .

سورة المائدة مدنية : الآية {2}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢

الملخص:

يا أيها المؤمنون ! لا تنتهكوا حرمات الله وشعائره ولا الشهر الحرام (وهي أربعة أشهر كان القتال فيها محرماً ،والآن يجوز فيها القتال إلا إن كان المشركون لا يحلونها فلا تحلوها أنتم أيضاً واحذروا ابتداء القتال فيها من عند أنفسكم والاجتناب فيها من ارتكاب المعاصي) ولا تحلوا الحيوان التي ساقوها إلى الحرام للهدي و القلائد (أو دون القلائد منها) ولا تحلوا حرمة الذين قصدوا إلى بيت الله الحرام ويبتغون فضلاً من الله ورضواناً،ولا تصيدوا في حالة الإحرام أما { وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا } خارج حدود الحرم ، ولا يحملنكم عداوة الذين صدوكم عن المسجد الحرام (يوم الحديبية) أن تعتدوا وتظلموا (يعني إنه لا بد من الالتزام بالشريعة وأصولها ولو كانت الحرب قائمة) فلا تعتدوا الحدود ولا تظلموا انتقاماً، نعم فالتعاون في وجوه البر والتقوى أمر مطلوب { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}أما التعاون على الظلم والعدوان فلا { وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}، واتقوا الله دائماً لأن عقابه شديد.

الحديث عن الجهاد:

إن في هذه الآية ورد الكلام عن الجهاد بعدة جوانب :

1- حكم الجهاد في الأشهر الحرم ، وقد سبقت هذه المسألة بالتفصيل، وقد بسط الحافظ ابن كثير حول تفسير هذه الآية كلاماً نفيساً فمن يريد المزيد من الاطلاع فليراجع إليه .

2- دخول المشركين في الحرم كان مسموحاً ثم حرم ونسخ هذا الحكم {ولا آمين البيت الحرام} فسره عدد من المفسرين أن من قصد البيت الحرام من المشركين بنية صادقة فلا تصدوه انتقام الحديبية ، ثم نزل الحكم النهائي في هذا الباب في سورة البراءة ومنع المشركون من دخول الحرم فقال تعالى {فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا}.

3- لا تعتدوا الحدود في العداء ، وهذا أمر مهم خاصة أثناء القتال ، بأن لا يتجاوز المجاهدون الحد، وليراعوا أهداف القتال ، فلا يرون القتال دون القتال ، والجزاء دون الجزاء ، بل لا يحرموا الذين تقوم الحرب بينهم وبين المسلمين من العدل.

4- وتعانوا أيها المسلمون في البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، وهذا ليكن أصل من أصول المسلمين والمجاهدين ، لئلا يكون استعمال القوة الدينية في الأغراض الذاتية بل ليكن الجهاد لإعلاء كلمة الله ورفعة دين الإسلام وإظهاره.

وبغض النظر عن هؤلاء الأمور الأربعة المذكور أعلاه فإن شعائر الله تعالى يتضمن الجهاد أيضا، لأنه حكم من أحكام الله وجزء من أجزاء دينه ، فالانتهاك والتلاعب بالجهاد أيضاً محرم ، علماً بأن في قوله تعالى {أن صدوكم

عن المسجد الحرام} إشارة إلى وقعة صلح الحديبية. والله تعالى أعلم بالصواب. وها نحن نذكر بعض المقتبسات من كتب أهل العلم تؤيد ما سبق من الشرح والبيان.

أقوال المفسرين:

1- **الأشهر الحرم**. { وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ} بالقتال فيه .(تفسير الجلالين)

2- **مناسك المشركين من الحج والعمرة:**

{ وَلَا آَمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا}

قال صاحب تفسير عثماني :

ظاهر الأمر أن هذا هو شأن المسلمين المخلصين الذين يبتغون بمناسكهم فضلاً من ربهم ورضوانه أن تكون معهم معاملة الاحترام وأن لا توضع في طريقهم العقبات، وإن فهم من الآية الكريمة أن أمر التعظيم وعدم التعرض لمن أراد الحج أو العمرة من المشركين وبكون زعمهم يبتغون فضلاً من ربهم ورضوانه أيضاً فلا بد من حمل الآية أنها منسوخة ومتقدمة من الآية { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}(سورة التوبة :الآية/28) (تفسير عثماني)

وقال التهانوي رحمه الله تعالى:

وكان هذا الأمر عندما كان الكفار مسموح لهم أداء الحج والعمرة ، ثم صار هذا الحكم منسوخاً، ونقله البيضاوي عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى {فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا}. (تفسير بيان القرآن)

3- **لا تعتدوا في العداء** : الشعائر المذكورة التي بين الله تعالى حرمتها و أوجب تعظيمها انتهك بها وتعرض لها المشركون يوم الحديبية سنة 06هـ ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة مع أصحابه عددهم ألف وخمس مائة نفراً في شهر ذي القعدة لأداء العمرة ، فلما وصلوا الحديبية ، صدهم المشركون ، فلا احترموا حرمة الإحرام ولا احترموا حرمة الحرم أو الشهر الحرام ولا رأوا حرمة الهدي و القلائد ، وحق للمسلمين أن يغيظوا غيظاً شديداً على هذه الإهانة للشعائر والشهر الحرام ولهم أن يغضبوا على أولئك المشركين الوحش الذين منعهم من أداء المنسك العظيم ، ولهم أن يفعلوا ما شاءوا ضد هؤلاء المشركين ، ولكن الدين الإسلامي لا يسمح لأتباعه بتجاوز الحد و التعدي على الوسطية والاعتدال ، ومن طبيعة الإنسان أنه يتجاوز الحدود في حال الغضب أو المحبة ، لذلك نزل هذا الأصول العظيم والأمر الجليل أنه لا يحملنكم أيها المسلمون بغض قوم على التعدي وتجاوز الحد فقال جل في علاه { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا }. (تفسير عثماني)

* المراد في قوله تعالى {لا يجرمنكم شنآن قوم......} الآية هم المشركون الذين صد المسلمين عن أداء العمرة والوصول إلى بيت الله الحرام عام الحديبية 06هـ فيقول الله تعالى أن اعدلوا مع هؤلاء السفهاء رغم كونكم في أشد الحال من الاشتعال والغيظ والغضب عليهم لما منعوكم من أداء النسك . فسبحانك يا رب ما أعظم حكمك وما أكرم عدلك وما أوسع فضلك . (تفسير ماجدي)

* ومعنى صدهم إياهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم .(تفسير المدارك)

وقد استفاد من هذه العبارة بإشارة النص : أنه لو تصالح الفريقان أثناء الحرب فلا بد من الإيفاء بالصلح ولا يبحث عن الحيل لنقض الصلح.

4- شعائر الله :

كان ذكر الحج والهدي ، وقال أكثر المفسرين أن المراد {بشعائر الله } هي شعائر الحج ، بينما رأى بعض الآخرين معناها العام .

* قال الحسن المراد ب {شعائر الله } دين الله كله . (البحر المحيط) وقال عطاء: معالم حدود الله تعالى وأمره ونهيه وفرضه . (تفسير روح المعاني للآلوسي) وبهذا المعنى تتضمن الشعائر الجهاد وغيره من الفرائض وشعائر الله الأخرى .

سورة المائدة مدنية : الآية {3}

بسم الله الرحمن الرحيم

...ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣

الملخص:

اليوم يئس الكفار من أن دينكم سيكون مغلوباً ، فيا أيها المسلمون ! لا تخافوهم وخافون، وقد أكمل ربكم اليوم دينكم باعتبار الأحكام والفرائض وأتم عليكم نعمته ورضي لكم الإسلام دينا.

أقوال المفسرين:

1- اليوم: اليوم يئس الذين كفروا من دينكم . يعني أن ترجعوا إلى دينهم كفاراً . (تفسير القرطبي).

قال الضحاك : نزلت هذه الآية حين فتح مكة ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة لثمان بقين من رمضان سنة تسع ويقال سنة ثمان ودخلها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا من قال لا إله إلا الله فهو آمن ، ومن وضع السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن .(تفسير القرطبي)

2- كان قنوط ويأس الكفار من أجل القوة :

{ اليوم يَئِسَ الذين كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ } أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوّته.

(تفسير الجلالين)

3- غلبة الدين : قنط الكفار وانقطع رجاءهم من إبطال دينكم ومن غلبتهم عليه .(تفسير بيان القرآن).

أو يئسوا من دينكم أن يغلبوه لأن الله تعالى وفى بوعده من إظهاره على الدين كله . (تفسير المدارك)

4- تكميل الدين:

{اليوم أكملت لكم دينكم} بأن أهلكت لكم عدوكم وأظهرت دينكم على الدين كله . (قرطبي)

- بأن كفيتم خوف عدوكم وأظهرتكم عليهم . (تفسير المدارك)
- هو إزالة الخوف عنهم وإظهار القدرة لهم على أعدائهم .(تفسير الرازي)
- هذا الإكمال باعتبار القوة وباعتبار الأحكام والقواعد الشرعية أيضاً. (تفسير ماجدي/مفهوم بيان القرآن)

5- نعمة فتح مكة :

{وأتممت عليكم نعمتي} بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين. (تفسير المدارك)

فائدة:

قد اتضح الحديث عن الجهاد مما سبق من الشرح والبيان للآية المذكور أعلاه .

وقد رأى بعض المفسرين أن المراد ب {اليوم} هو يوم عرفة ، والآية تتضمن أحكاماً ومعاني جامعة ، وقد اكتفينا بذكر العبارات التي فيها ذكر الجهاد أو ثمرته ومن أراد المزيد من شرح الآية فعليه المراجعة إلى كتب التفسير.

فائدة:

{فلا تخشوهم واخشون} أي لا تخافوهم وخافون فإني أنا القادر على نصركم . (تفسير القرطبي)

سورة المائدة مدنية : الآية {11}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ
عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾

الملخص:

أيها المؤمنون ! اذكروا نعمة الله تعالى عليكم إذ أراد قوم أن يبسط عليكم كف الظلم والعدوان والقتل والإهلاك ، ولكن الله كف أيديهم عنكم وخيبهم في مكرهم ومبتغاهم ، وجعلكم غالبين عليهم ، فاتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

أقوال المفسرين:

قوله تعالى { إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} في تفسير هذه الآية لأهل التفسير قولان:

الأول: أن معنى الآية عام وليس للآية سبب خاص فقال الرازي رحمه الله تعالى :

أن المشركين في أول الأمر كانوا غالبين ، والمسلمين كانوا مقهورين مغلوبين ، ولقد كان المشركون أبداً يريدون إيقاع البلاء والقتل والنهب بالمسلمين ، والله تعالى كان يمنعهم عن مطلوبهم إلى أن قوي الإسلام وعظمت شوكة المسلمين فقال تعالى : { اذكروا نِعْمَت الله عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ } وهو المشركون { أَن يَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ } بالقتل والنهب والنفي فكف الله تعالى بلطفه ورحمته أيدي الكفار عنكم أيها المسلمون ، ومثل هذا الإنعام العظيم يوجب عليكم أن تتقوا معاصيه ومخالفته .

الثاني: إن هذه الآية نزلت في واقعة خاصة . (تفسير حقاني)

والعبارة المذكور أعلاه مقتبس من تفسير الكبير للرازي .

سبب نزول الآية :

وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية عدة روايات منها :

1- قال جماعة نزلت بسبب فعل الأعرابي في غزوة ذات الرقاع . (تفسير القرطبي)

منقول من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

للشيخ محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله تعالى

قصة غزوة ذات الرقاع

مَدنِيَّة

غزوة

ذات الرقاع

إن الغزوة ذات الرقاع قد وقعت في شهر جمادى الأولى عام 04هـ(وعند ابن سعد عام 5هـ وعند الإمام البخاري عام 7هـ) وسبب تسمية هذه الغزوة بذات الرقاع هو ما أخرج البخاري عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنْ الْخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا. (صحيح البخاري/كتاب المغازي) وقال ابن سعد رحمه الله تعالى : ذات الرقاع : هو جبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض قريب من النخيل بين السعد والشقرة.

وفي صحيح البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةَ نَجْدٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا قَالَ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي قُلْتُ اللَّهُ فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا قَالَ وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي رواية الواقدي قَالَ وَدَفَعَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلَامُ فِي صَدْرِهِ وَوَقَعَ السّيْفُ مِنْ يَدِهِ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَقَامَ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ مَنْ يَمْنَعُك مِنّي الْيَوْمَ ؟ قَالَ لَا أَحَدَ . قَالَ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ وَاَللّهِ لَا أُكْثِرُ عَلَيْك جَمْعًا أَبَدًا فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ سَيْفَهُ ثُمّ أَدْبَرَ ثُمّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ أَمَا وَاَللّهِ لَأَنْتَ خَيْرٌ مِنّي . قَالَ رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنَا أَحَقّ بِذَلِكَ مِنْك . فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالُوا : أَيْنَ مَا كُنْت تَقُولُ وَقَدْ أَمْكَنَك وَالسّيْفُ فِي يَدِك ؟ قَالَ وَاَللّهِ كَانَ ذَلِكَ وَلَكِنّي نَظَرْت إلَى رَجُلٍ أَبْيَضَ طَوِيلٍ دَفَعَ فِي صَدْرِي فَوَقَعْت لِظَهْرِي ، فَعَرَفْت أَنّهُ مَلَكٌ وَشَهِدْت [ص 196] أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللّهِ وَاَللّهِ لَا أُكْثِرُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَدْعُو قَوْمَهُ إلَى الْإِسْلَامِ .

وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِ يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ .

وفي صحيح البخاري عن مُسَدَّدٌ عَنْ أَبِي عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بِشْرٍ أن اسْمُ هذا الرَّجُلِ هو غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ .(صحيح البخاري /باب غزوة ذات الرقاع).

(منقول من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم 274/2)

2- وقال العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى : والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشـــركين رأوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بعسفان قاموا إلى الظهر معاً فلما صلوا نـــدموا ألا كانوا أكبوا عليهم ، وهموا أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر ، فردّ الله تعالى كيدهم بأن أنـــزل صـــلاة الخوف .(تفسير روح المعاني للآلوسي)

3- ما أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «أن عمـــرو بـــن أمية الضمري حيث انصرف من بئر معونة لقي رجلين كلابيين معهما أمان من رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم فقتلهما ولم يعلم أن معهما أماناً فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومضى إلى بني النضير ومعه أبـــو بكـــر رضي الله تعالى عنه وعمر وعلي فتلقوه فقالوا : مرحباً يا أبا القاسم لماذا جئت؟ قال : رجل مـــن أصـــحابي قتـــل رجلين من كلاب معهما أمان مني طلب مني ديتهما فأريد أن تعينوني قالوا : نعم اقعد حتى نجمع لك فقعـــد تحـــت الحصن وأبو بكر وعمر وعلي ، وقد تآمر بنو النضير أن يطرحوا عليه عليه الصلاة والسلام حجراً فجـــاء جبريـــل عليه السلام فأخبره فقام ومن معه» .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى بعد ذكر القصة : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغدو إليهم فحاصرهم، حتى أنزلهم فأجلاهم. (وقد وردت القصة في تفسير الآلوسي والقرطبي والرازي وابن كثير وغيرها)

وقال صاحب تفسير ماجدي إن الروايات قد تعددت في هذا الباب ولا تعارض بينها .

(تفسير ماجدي)

وها نحن نذكر تفسيراً جامعاً لهذه الآية الكريمة .

أساس السياسة الإسلامية هو التقوى والتوكل:

بعد تذكير النعم والإحسانات العامة بدأ تبارك وتعالى بذكر النعمة الخاصة وهي : أن قـــريش ومـــن شـــايعها في الإســـاءة بالمسلمين وإيذائهم لم يقدر الله لهم النجاح في أهدافهم السيئة ، والمفروض أن بعد تحقـــق النصـــر للمســـلمين ونجـــاحهم في جهودهم ومساعيهم أن يستولوا على الكفار ويكثروا فيهم القتل والقتال ويشمروا عن ساق جدهم للإساءة والإيذاء إلـــيهم أشد أنواع العذاب وتجيش في نفوسهم عواطف الانتقامية وتشتعل النار في قلوبهم للثأر منهم حتى يجتـــازوا حـــدود العـــدل والقسط ولكنهم لم يفعلوا من ذلك شيئاً،كما إنه نزل التوجيه الرباني للإصلاح والترشيد {ولا يجـــرمنكم شـــنآن قـــوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا } ويحتمل أن يخطر ببال أحد أن هذا خلاف أصول السياسة ، لأنه لما يرى العدو هذا التسامح والجانب اللين تجاهه لتجرأ على الهجوم على المسلمين والقضاء عليهم فأزيلت هذه الإشكالية ب {واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون} فبين تبارك وتعالى أن من أصول سياسة الإسلام هي "التقوى" و "التوكل على الله".

والمراد بالتقوى أن أصلحوا حالكم ظاهراً وباطناً وأوفوا العقود أو العهود التي قد تم عقدها بينكم يكفيكم شر أعـــدائكم . (تفسير عثماني)

نكتة :

ماذا ينبغي أن يكون حال المسلمين عند الهزيمة ؟ ورد التوجيه الرباني في ذلك في سورة آل عمران مفصـــلاً واســـتمر هـــذا التوجيه في سورة النساء أيضاً، والآن جاء التوجيه الرباني في أن ماذا يكون حال المسلمين (وبالأخص المجاهدين منهم) عنـــد الفتح وتحقق النصر لهم ، لأنه كما إن قلة الضعف في العزائم والإرادة والانقياد أمام العدو والخضوع لهـــم عنـــد الهزيمـــة لا يسوغ بحال من الأحوال كذلك لا يجوز التعلي والتعدي على العدو وتجاوز الحد والاعتدال عند تحقـــق الفـــتح والنصـــر ،

فاليأس بعد الهزيمة والظلم عند النصر والفتح ليس من شيمة المؤمنين ، وقع الفتح أو الهزيمة في كلتا الحالتين لـيكن المسـلم متمسكاً بالإسلام وأحكامه وليخضع لطاعة ربه ففي ذلك له السعادة والفلاح ، واعلموا أن هدف الجهاد هو إظهار الـدين وغلبته على غيره من الأديان فلا مقصود به غلبة الأفراد أو استيلاء الأشخاص على الأعداء فقط.

وعلى كل حال فإن في سورة المائدة وردت الأصول المهمة والقواعد الجلية والإرشـادات النافعـة الرفيعـة والموضـوعات الجهادية الواضحة العادلة ، وقد سبق ذكر ما يحصل للإنسان من الأمراض الشيطانية والوساوس الوهمية وعلاجها مفصـلاً، والآن يبدأ ذكر علاج الأمراض التي يصيب بها الإنسان عند الفتح أو الهزيمة ، فلولا يعالجها الإنسان يتبدل الفـتح بالهزيمـة والغلبة بالمغلوبية .

وقد ذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أن النعم الدنيوية نحو الفتح والحفظ والدفاع لا ينبغي أن يحقرها الإنسان ، إن كـل نعمة الله صغيرها وكبيرها دقها وجلها تستحق الشكر والتقدير سواء هذه النعمة تكون دينية أو دنيوية. والله تعـالى أعلـم بالصواب.

نكتة :

وفي تفسير حقاني أن في الآية إشارةً إلى حادث صلح الحديبية أنه أوشكت الحرب أن تشتعل بين المسلمين والمشركين بالحديبية ثم انتهى الأمر بالصلح.

سورة المائدة مدنية : الآيات {12-13}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

الملخص:

إن الله تعالى أخذ الميثاق من بني إسرائيل وللرقابة على هذا المياثق عين اثني عشر نقيباً منهم (كان عليهم مسؤولية الرقابة على الأعداء عن الجهاد) قال الله لهم {إني معكم }إن {أقمتم الصلاة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي} ونصرتموهم على الأعداء وأنفقتم في سبيل الله فتقرضونه قرضاً حسناً بأن تصرفوا المال في وجوه الخير (إذا فعلتم ذلك) قال تعالى : {لأكفرن} أي لأمحون عنكم خطاياكم {ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك } أي من نقض هذا الميثاق منكم يا بني إسرائيل فقد ضل سواء السبيل ، وفعلاً نقض بنو إسرائيل هذا الميثاق فلعنوا وجعلت قلوبهم قاسية ، وكانوا يحرفون الكلم (في التوراة) عن مواضعه ، {ونسوا حظاً مما ذكروا به} ولا تزال خيانتهم حتى الآن إلا قليلاً منهم {فاعفو عنهم واصفح} (إلى أن يأتي أمر القتال فيهم) .

كلمات عن الجهاد:

1- إن بني إسرائيل أمروا بالجهاد وأخذوا الميثاق على ذلك يدل عليه {وعزرتموهم} .
2- الآية إشارة إلى ما أعرض بنو إسرائيل من الجهاد ولم يمتثلوا بأمر الله تعالى في ذلك ، فحرمت عليهم الأرض المقدسة وتاهوا في التيه أربعين سنة حتى انتهى نسلهم وذريتهم في الصحراء بالأوبئة وبسيوف الأعداء .
3- إنه لا بد من النظام لمراقبة تحركات الأعداء وتجسس أحوالهم ، علماً أن ما ذكر في الآية الكريمة من نقباء بني إسرائيل فقد أرسلهم موسى عليه السلام لتجسس أحوال الأعداء .
4- من الأعمال التي وعد الله تعالى عليها بمعيته الجهاد .
5- دلت الآية الكريمة إشارةً على أن المسلمين سيؤمرون بالقتال ضد أهل الكتاب وقد أمروا به بعد مدة قصيرة .

أقوال المفسرين:

1- ميثاق الجهاد: كأنه قيل : لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وجاهدتم في سبيل الله .(تفسير الآلوسي)
2- الدفاع عن الأعداء : {عزرتموهم} أي رددتموهم عنهم أعدائهم . (تفسير القرطبي.
3- {آمنتم برسلي وعزرتموهم} يعني تؤمنون برسلي الذين أرسل بعضهم إثر بعض وتصدقونهم وتقاتلون معهم الأعداء .(تفسير ماجدي)

4- و قصة اثني عشر من النقيب على عهد موسى عليه السلام لما كان بنو إسرائيل تائهين في الصحراء ووصلوا فاران ، فأمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يختار نقيباً من كل قبيلة وكان لهم اثنتا عشرة قبيلة ثم يبعثهم إلى أرض كنعان لتجسس الأحوال عن أهلها وقد وعد الله لهم بهذه الأرض ، فأرسل موسى عليه السلام اثني عشر نقيباً من كل سبط نقيباً وامتثل بأمر ربه. (تفسير حقاني)

وقال مجاهد والكلبي والسدي : أن النقباء بعثوا إلى مدينة الجبارين الذين أمر موسى عليه السلام بالقتال معهم ليقفوا على أحوالهم ويرجعوا بذلك إلى نبيهم موسى عليه السلام أن يحدثوهم ، فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ، ويوشع بن نون من سبط إفراثيم ابن يوسف ، وهما اللذان قال الله تعالى فيهما { قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الذين يَخَافُونَ } [المائدة : 23] الآية (تفسير الرازي)

تعريف النقيب:

قال الزجاج : وأصله من النقب وهو الثقب الواسع والطريق في الجبل ، ويقال : فلان حسن النقيبة أي جميل الخليقة ، ونقاب : للعالم بالأشياء الذكي القلب الكثير البحث عن الأمور ، وهذا الباب كله معناه التأثير في الشيء الذي له عمق ، ومن ذلك نقبت الحائط أي بلغت في النقب آخره . ويقال النقيب : من يراعي مصالح القوم ويرى منافعهم . (حاشية تفسير حقاني)

الدليل على إجراء نظام البحث والتجسس والتحقيق:

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى :وفيها(أي في الآية) أيضا دليل على اتخاذ الجاسوس.

والتجسس: التبحث.وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبسة عينا (1)، أخرجه مسلم.وسيأتي حكم الجاسوس في " الممتحنة " إن شاء الله تعالى.

تنبيه:

قد سبق في ضمن تفسير قوله تعالى {خذوا حذركم } أن المسلمين مأمورون باتخاذ الحذر والتخطيط المبني على اليقظة والحكمة والتدبر في أمور الحرب ، ولا بد من نظام التجسس والبحث والاطلاع على أحوال الأعداء والمراقبة على تحركاتهم و إعدادهم ، وهذا شعبة مهمة في الجهاد ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخص لذلك إلا من أخص أصحابه رضي الله عنهم ، وفي عصرنا الراهن إن الدول التي تريد الاستيلاء على البلدان يقدر فيها الجواسيس والمباحث ، بينما هذه الكلمة مطعونة عند المسلمين ، وقد يطعن فيها من خفي عليه حكمة التجسس وضرورته لدى كل شعب وقوم ، فليراجع هذا الغافل إلى كتب المغازي ليجدن ثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم . والله تعالى أعلم بالصواب.

فائدة:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير الآية :{ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا } يعني: عُرَفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع، والطاعة لله ولرسوله ولكتابه.

ثم قال رحمه الله :

وهكذا لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة، كان فيهم اثنا عشر نقيبًا، ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج ، ثم أتبعه بذكر الرواية التي فيها بيان لاثني عشر خليفة في هذه الأمة ومن هم ؟ وأدخل من بينهم الإمام مهدي ورد على عقيدة الرافضة الامامية ، ومن أراد المزيد في هذا الباب فليراجع تفسير ابن كثير .

سورة المائدة مدنية : الآيات {20-21}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾

الملخص:

واذكروا إذ قال موسى عليه السلام لقومه :اذكروا يا بني إسرائيل ما أنعم عليكم ربكم بأن جعل فيكم ومنكم أنبياء وملوكاً وآتاكم من الحرية والحكم وغيرهما ما لم يؤت غيركم في العالمين (مثلاً: فلق البحر،وإغراق العدو بطريقة غريبة وتظليل الغمام وانفجار الحجر وإنزال المنّ والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الأمور المخصوصة) ياقومي ! (تقتضي هذه النعم) أن جاهدوا ضد العمالقة ولا تعصوا أمر الله ، وادخلوا الأرض المقدسة التي قدرها الله لكم جاهدين (فيتم الفتح بعد ما دخلتموها متصلاً) ولا ترتدوا على أعقابكم فترجعوا خائبين خاسرين (وتحرمون من الإدبار من هذه الأرض الواسعة وتؤاخذون يوم القيامة على عدم الجهاد) .

(مفهوم مأخوذ من تفسير بيان القرآن)

ربط:

قد سبق بيان ما نقض أهل الكتاب ميثاقهم ، ويتلوه ذكر نقض اليهود عهدهم خاصة بأنهم نبذوا أمر الجهاد وراءهم . (بيان القرآن)

ربط:

إن الشاه عبد القادر رحمه الله تعالى ذكر هذه القصة بكلامه الجامع نذكره فيما يلي:

" لما هاجر إبراهيم عليه السلام من موطن أبيه وسكن بأرض الشام ولم يولد له ولد ، بشره الله تعالى بتكثير ذريته وإعطائها أرض الشام وبأن تكون فيها النبوة والدين والكتاب والخلافة ، وتحققت هذه البشارة على عهد موسى عليه السلام ، فأنقذ موسى بني إسرائيل من الرقة والعبودية ، وأغرق فرعون وقومه ، وقيل لبني إسرائيل : جاهدوا وانزعوا البلاد (أي الشام) من العمالقة فهي تكون لكم ،وبعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيباً لأجل التجسس رآهم واحد من أولئك الجبارين ، ثم انصرف أولئك النقباء إلى موسى عليه السلام فأخبروه بالواقعة ، فأمرهم أن يكتموا ما عاهدوه فلم يقبلوا قوله ، إلا رجلان منهم ، وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، فإنهما سهلا الأمر وقالا : هي بلاد طيبة كثيرة النعم ، والأقوام وإن كانت أجسادهم عظيمة إلا أن قلوبهم ضعيفة ، وأما العشرة الباقية فقد أوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى أظهروا الامتناع من غزوهم ، فقالوا لموسى عليه السلام { إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فاذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هاهنا قاعدون } [المائدة : 24] فدعا موسى عليه السلام عليهم فعاقبهم الله تعالى بأن أبقاهم في التيه أربعين سنة ثم مآل أمر الخلافة بعد موسى عليه السلام إلى هذين الرجلين وتم فتح ارض الشام بأيديهما . (موضح القرآن بتغيير يسير)

وقال الرازي رحمه الله تعالى:

روي أن إبراهيم عليه السلام لما صعد جبل لبنان قال له الله تعالى : انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس ، وهو ميراث لذريتك .
وقيل : لما خرج قوم موسى عليه السلام من مصر وعدهم الله تعالى إسكان أرض الشام ، وكان بنو إسرائيل يسمون أرض الشام أرض المواعيد ، ثم بعث موسى عليه السلام اثنى عشر نقيباً من الأمناء ليتجسسوا لهم عن أحوال تلك الأراضي ، فلما دخلوا تلك البلاد رأوا أجساماً عظيمة هائلة . قال المفسرون : لما بعث موسى عليه السلام النقباء لأجل التجسس رآهم واحد من أولئك الجبارين فأخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه وأتى بهم الملك ، فنثرهم بين يديه وقال متعجباً للملك : هؤلاء يريدون قتالنا ، فقال الملك : ارجعوا إلى صاحبكم وأخبروه بما شاهدتم ، ثم انصرف أولئك النقباء إلى موسى عليه السلام فأخبروه بالواقعة ، فأمرهم أن يكتموا ما عاهدوه فلم يقبلوا قوله ، إلا رجلان منهم ، وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، فإنهما سهلا الأمر وقالا : هي بلاد طيبة كثيرة النعم ، والأقوام وإن كانت أجسادهم عظيمة إلا أن قلوبهم ضعيفة ، وأما العشرة الباقية فقد أوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى أظهروا الامتناع من غزوهم ، فقالوا لموسى عليه السلام { إِنَّا لَنْ نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فاذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هاهنا قاعدون } [المائدة : 24] فدعا موسى عليه السلام عليهم فعاقبهم الله تعالى بأن أبقاهم في التيه أربعين سنة . قالوا : وكانت مدة غيبة النقباء للتجسس أربعين يوماً فعوقبوا بالتيه أربعين سنة ، ومات أولئك العصاة في التيه ، وأهلك النقباء العشرة في التيه بعقوبات غليظة . ومن الناس من قال : إن موسى وهارون عليهما السلام ماتا أيضاً في التيه : ومنهم من قال : إن موسى عليه السلام بقي وخرج معه يوشع وكالب وقاتلوا الجبارين وغلبوهم ودخلوا تلك البلاد ، فهذه هي القصة والله أعلم بكيفية الأمور .

فائدة:

إن المفسرين ذكروا في تفسير هذه الآيات أموراً:

1- {وجعلكم ملوكا}ما المراد به ؟ ذكروا المفسرون أقوالاً عديدة ملخصها: أنكم يا بني إسرائيل أنتم أحرار ، وحكام المستقبل .
2- {وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين} ما المراد بذلك ؟ وهل هذه الجملة معناها أن بني إسرائيل فضلت على أمة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ؟ وخلاصة الأقوال في ذلك أنها لا تقدح في كون الأمة المحمدية هي أفضل الأمم .
3- {الأرض المقدسة} ما هي الأرض المقدسة ؟ تعددت أقوال المفسرين في ذلك وهي متقاربة المعنى ، وخلاصتها : أنها هي بلاد الشام،ومنطقة الكنعان يعني " فلسطين" ومن أراد المزيد في هذا الباب فليراجع تفسير القرطبي ، وتفسير الرازي وغيرهما.

دعوة الجهاد:

إن الله تعالى نجى بني إسرائيل من فرعون بدون قتال، ولكن لحصولهم على أرض الشام وجب عليهم القتال واشترط بشرطه، فذكرهم موسى عليه السلام بنعم الله تعالى عليهم أولا ، ثم ذكرهم بمنصبهم الديني ثانياً ثم دعاهم إلى القيام بالجهاد ، وختم قوله بالوعيد على ترك الجهاد فقال{ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين}. (تفسير عثماني)

كأنَّ هاتين الآيتين تضمنتا دعوة الجهاد بأكملها وانحصرت الدعوة فيهما، بأن النعم التي أنعمها الله على الإنسان تقتضي أن يخرج في سبيل الله ويطهر الأرض من الكفر والظلم ، ومن كثرت عليه أفضال الله ونعمه يجب عليه أن يساهم في الجهاد أكثر، وقد أعرض بنو إسرائيل عن الجهاد مع عرض موسى (عليه السلام) عليهم دعوته بطريقة حكيمة بديعة وتذكير فريد، فنزل عليهم عذاب الله بأن تاهوا في الأرض أربعين سنة حتى نشأ فيهم الجيل وشب فجاهدوا مع نبيهم وفتحوا بلاد الشام. (والله تعالى أعلم بالصواب)

فكرة الرق والعبودية:

إن الشعب الذي عاش عهداً طويلاً في ضلال الرق والعبودية ، ينعدم فيه الطموحات العالية والعواطف السامية التي تؤدي الإنسان إلى المراتب العالية والمقامات الرافعة ، فيرضى بأمن الرق والعبودية ولو على حساب الذلة والمهانة ، ويعرض عن الأهداف العالية التي يبلغ بها الإنسان إلى السعادة والنجاح ، وهذا هو كانت حال بني إسرائيل ، كانت طموحاتهم منهزمة منكسرة ، أصابهم الوهن والكسل ، فلما أمرهم موسى عليه السلام بالدخول كنعان (الأرض التي كانت موعودة لهم) قالوا {إن فيها قوماً جبارين} فلن نقدر على مقاومتهم ، و{لن ندخلها حتى يخرجوا منها} وفي التوراة أنهم بلغوا إلى هذا الحد من الضعف والوهن وثبط الهمم أن تضرعوا إلى الله وسألوه "يا ربنا لِمَ أخرجتنا من مصر ؟ " أ نُقتل هكذا بأيدي الكنعانيين ؟ فأرادوا أن يرجعوا إلى مصر ويهجروا موسى (عليه السلام) [التوراة/كنتي:باب-13-14] فغضب عليهم الرب جل في علاه وحرم عليهم الأرض المقدسة التي قد كتبها الله لهم وأن يتيهون في الأرض أربعين سنة (في الجزيرة سيناء وصحراءها) ولعله في ذلك حكمة أن ينقضي دور الجيل القديم الذي نشأ في ظل العبودية والرق ، وينشأ الجيل الحديث الذي نشأ وشب في الحرية والاستقلال في الصحراء وحفظ من العبودية ، فلما تمت مدة أربعين سنة استولوا على الأرض المقدسة بالجهاد مع نبيهم . (ترجمان القرآن)

إثارة الحمية والغيرة:

إن موسى عليه السلام أثار غيرة بني إسرائيل بتذكيره إياهم أنهم من نسل الأنبياء والملوك فليكونوا غيارى على ميراث آباءهم وأجدادهم وليترعوا أرضهم من أيدي عدوهم بالقتال والجهاد ، ولكن قد تم نزول اللعنة عليهم بنقضهم ميثاقهم فلم يسمعوا لموسى (عليه السلام) قوله ولم يتأثروا بكلامه . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

سورة المائدة مدنية : الآية {22}

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾

الملخص:

قال قوم موسى لموسى (عليه السلام) في رد دعوته لهم إلى الجهاد (إن فيها قوماً جبارين) ذوي قوة و لا نستطيع مقاومتهم {وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون} لها.

كان هؤلاء من قوم عمالقة:

إن هؤلاء الجبارين كانوا من قوم عمالقة الذين كانوا ذوي قوة وبطش وأصحاب خبرة في الحرب والقتال ، وكانوا حريف بني إسرائيل من القديم، امتلأت التوراة وتاريخ بني إسرائيل بقصص الحروب الدامية بينهما. (تفسير ماجدي)

المبالغة في ذكرميزات العمالقة:

إن الروايات الإسرائيلية تحكي عجائب الأمور وغرائب الأحوال عن العمالقة فيها غلو ومبالغة ، ذكر بعضها العلامة الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسيره ورد عليها علمياً وعقلياً ، ولا يخفى على أحد أن اليهود من قديم الزمان معروفون بالكذب والاختلاق ، ترك أسلافهم الجهاد من أجل ضعف الهمم ، فالخلف حكوا عن العمالقة حكايات عجيبة وقصص غريبة في شأن قوتهم وجلادتهم وصلابتهم ليبرأوا أسلافهم ، هذا في جانب ،والجانب الآخر هؤلاء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعدما أصابهم القرح الشديد وقتل سبعون منهم يوم أحد تعاقبوا الكفار الفاتحين إثر القتال حتى وصلوا إلى حمراء الأسد ، وهؤلاء أسلاف بني إسرائيل لم يدخلوا الأرض المقدسة التي قد كتبها الله لهم فأعرضوا عن الجهاد رغم وعد الله لهم بالنصر والفتح وقالوا{ إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون} . هذا والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة المائدة مدنية : الآية {23}

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

الملخص:

قد قام رجلان من قوم موسى (عليه السلام) ليؤيدا دعوته إلى الجهاد وكانا ممن يخافون الله ، وقد أنعم الله تعالى عليهما (من إيفاء الوعد والعهد)، فقالا: (لِمَ هذا الوهن والجبانة ؟) {ادخلوا عليهم الباب} أي اقتربوا من الباب لتهاجموا عليهم فما إن دخلتموه إلا وأنتم غالبون، {وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين}.

رجلان كاملا الإيمان:

قال ابن عباس وغيره: هما يوشع وكالب بن يوقنا وكانا من الإثنى عشر نقيباً . (تفسير القرطبي) [تفسير ماجدي]

عدم الخوف من نعمة الله تعالى:

{أنعم الله عليهما} وما هو أعظم نعمة الله عليهما بأن وفقا للجهر بالحق ولم يخفهما شوكة الكفار .

(تفسير ماجدي)

خطاب هذين الرجلين:

قالا لبني إسرائيل لا يهولنكم عظم أجسامهم فقلوبهم ملئت رعباً منكم فأجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة. (تفسير القرطبي)

الخروج في الجهاد دليل التوكل:

" يعني يا بني إسرائيل لا تهنوا بل امشوا بالعزيمة حتى باب المدينة ليغلبنكم الله تعالى ، فإنه ينصر من نصر نفسه .

وعلم بذلك أن ترك الأسباب المشروعة ليس بتوكل، وإنما التوكل أن يجتهد في عمل خير قدر المستطاع ثم يفوض أمره وثمرة عمله و نتيجة جهده إلى الله ، ولا يغتر بجهده وسعيه فهذا هو التوكل، أما ترك الأسباب المشروعة والتمني على الله فليس هذا بتوكل بل إنه بمعنى صحيح "تعطل " . (تفسير عثماني)

من أعرض عن الجهاد فقد أهلك نفسه:

تخلف بنو إسرائيل لحماية الحياة فأعرضوا عن الجهاد وألقي رعب العدو في قلوبهم ، فرأوا أنهم لو هاجموا عليهم لقُتلوا ، ولم يستعد أحد للقتال غير هارون وموسى إلا رجلان فدعا قومهما إلى الجهاد ، وهذا من عجائب قدرة الله تعالى أنه مات من بني إسرائيل كل من تجاوز سنه عشرين سنة في الوادي التية سوى هذين الرجلين الذين استعدا للقتال، فعلم بذلك أن من أراد القتال وقي ، ومن أعرض عن القتال مات،وفي ذلك عبرة للمسلمين. والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة المائدة مدنية : الآية {24}

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾

الملخص:

لم يؤثر قول هذين الرجلين في بني إسرائيل تأثيراً ، بل عنادهم وتمردهم أداهم إلى الجرأة التفوه ب {إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون}.

الجرأة السيئة أو الشرك:

إن ما تفوه بنو إسرائيل يدل على قساوة قلوبهم ودناءة نفوسهم ، ويحتمل أنهم تأثروا بأقوام المشركين، لما كان المشركون منغمسين في الشرك بالله فكانوا يأخذون الأصنام عند القتال ويرون أن إلههم معهم . (تفسير ماجدي)

ومعنى ا لآية أن بني إسرائيل لم يراعوا جانب الأدب أو الاحترام عند تفوه هذا القول السيئ الجريء تجاه رب العالمين ، فلما سمع منهم هذا الرد دعا موسى عليه السلام وسيأتي ذكره في الآية التالية.

سورة المائدة مدنية : الآية {25}

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾

الملخص:

لما رأى موسى عليه السلام حالة قومه ورده السيئ دعا الله تعالى قائلاً{ رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين} .

اللهم إننا سمعنا وحضرنا:

إن موسى عليه السلام دب إليه الملل واليأس من قومه فقال يا رب ! إني حضرت مع أخي لطاعة أمرك ولا نريد أن نعيش مع هؤلاء الفسقة فافرق بيننا وبينهم . (حاشية الشيخ اللاهوري)

وقد تضمن الدعاء الموسوي يوشع وكالب:

وقد دعا موسى عليه السلام هذا الدعاء بشدة ما لقي من جواب قومه ، ولما كان يشاهد قومه وحاله السيئة وعصيانه الدنيء لم يذكر في دعاءه سوى نفسه وأخيه (هارون لأنه كان نبيا) ، ولكن الدعاء يتضمن الرجلين الذين أنعم الله عليهما فثبتا وذكرا قوم موسى عليه السلام واستحرضاه على الجهاد واسمهما: يوشع وكالب.

قال الرازي رحمه الله تعالى : وأيضاً يجوز أن يكون المراد بالأخ من يواخيه في الدين وعلى هذا التقدير فكانا داخلين في قوله وأخي . (تفسير الرازي)

سورة المائدة مدنية : الآية {26}

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

الملخص:

فاستجاب الله دعاء موسى عليه السلام ونزل العقاب على بني إسرائيل بأن حرمت عليهم الأرض وأن يتهيون في التيه أربعين سنة وقال لموسى عليه السلام لا تأس على هؤلاء الفساق.

استجابة دعاء موسى عليه السلام:

1- استجاب الله دعاءه وعاقبهم في التيه أربعين سنة . (تفسير القرطبي)

2- قال الرازي رحمه الله تعالى : اختلف الناس في أن موسى وهارون عليهما السلام هل بقيا في التيه أم لا؟ ثم ذكر قولي العلماء في ذلك ،ثم أضاف قائلاً: وبقي يوشع بن نون وكان ابن أخت موسى ووصيه بعد موته ، وهو الذي فتح الأرض المقدسة وقيل : إنه ملك الشأم بعد ذلك . وقال آخرون : بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم وأخذ الأرض المقدسة والله أعلم . (ومن أراد الاستزادة فليراجع تفسر الرازي)

3- إن دعاء موسى عليه السلام للفرق بينه وبين قومه لم يتحقق ظاهراً وحسياً ولكنه تحقق معنوياً بأن بني إسرائيل كانوا في حيرة شديدة وابتلاء عظيم في تلك المفازة في الشدة والبلية عقاباً لهم على سوء صنيعهم وكانا(أي موسى وهارون عليهما السلام) مع القوم في ذلك التيه إلا أنه تعالى سهل عليهما ذلك العذاب كما سهل النار على إبراهيم فجعلها برداً وسلاماً واستمرا في التوجيه والإرشاد والتعليم والإصلاح ، كما انتشر الوباء في قرية فأصيب كل من فيها إلا أناساً أقوياء الجسم والقلب فيراعون أهل القرية ويعينونهم في ما أصابهم من الوباء .

ولو أريد معنى '' فافرق'' أي ''احكم أو افصل '' لكان المعنى أوضح . (تفسير عثماني)

تحريم الأرض عليهم بسب ترك الجهاد:

والمراد بقوله {كتب الله لكم } أي بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل: {فإنها محرمة عليهم} (تفسير المدارك)

خلاصة الكلام:

في هذه الآيات السبعة وردت طرق الجهاد وأساليبه ، وفضائله وبركاته وثمراته كما ذكر فيها العذاب المترتبة على عدم القيام بالجهاد ووقوع الوبال على من عصى أمر الجهاد ، فليجب على المسلمين أن يتفكروا في موضوع الجهاد وينظروا فيه نظرة تعمق وتدبر ، وهنا نورد ما قال الشيخ شبير أحمد العثماني رحمه الله تعالى تعليقاً نفيساً إثر هذه الآيات السبع.

'' إن حال أسلاف بني إسرائيل عرضت على أخلافهم من اليهود لإقامة الحجة عليهم بأنكم أيها اليهود لا ترافقون نبينا محمداً (صلى الله عليه وسلم) كما لم يرافق أسلافكم موسى عليه السلام وأعرضوا عن الجهاد ، وسينتقل هذه النعمة (أي نعمة الجهاد) إلى قوم آخر (وقد تحقق الانتقال إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم) أنظروا في ضوء هذه الآيات إلى أحوال الأمة الإسلامية بأن الله تعالى أنعم عليهم لم ينعم على غيرهم مثلهم ، فأرسل إليهم خاتم الأنبياء وسيد الرسل (صلى الله عليه وسلم) بالشريعة الأبدية ، وجعل فيهم العلماء والأئمة الذين قاموا بأداء رسالة الله في الأرض كأنبياء بني إسرائيل ، وجعل فيهم خلفاء وقادة الأمة الذين علموا أهل الدنيا أصول السياسة والأخلاق ، وأمرت هذه الأمة بالجهاد لا ضد عدو معين كالعمالقة بل أمرت بالجهاد ضد كل جبار عنيد وقوم مريد أينما وجد في أرجاء المعمورة ، وما أمرت بفتح بلاد وأرض خاصة كالشام بل أمرت بفتح مشارق الأرض

ومغاربها لإعلاء كلمة الله ونشر رسالته الخالدة الآمنة العادلة النافعة وإبادة الظلم واستئصال العدوان من أنحاء العالم كله ، فبنو إسرائيل قد كتب الله لهم الأرض المقدسة بينما هذه الأمة (أمة الإسلام) وعد الله لها بخلافتها في الأرض كلها والتمكين فيها حيث قال جل في علاه {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا } (سورة النور:الآية/55) وإن منع موسى (عليه السلام) قومه عن الإدبار على الأعقاب أثناء القتال فقد منعت هذه الأمة أيضاً عن هذا الفعل الشنيع قال تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ}(سورة الأنفال:الآية/15) ، إن قوم بني إسرائيل وأصحاب موسى تجرءوا بالقول خائفين من قوة العدو {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}(سورة المائدة:الآية/24) ولكن أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) قالوا (قولهم المشهور) ""آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله"".

وشهد التاريخ أن المدة التي تاه بنو إسرائيل (وهي أربعون سنة) في التيه وحرموا من الفتوحات لأجل عصيانهم أمر الله تعالى ، استطاع أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) فتوح البلدان والمدن في مشارق الأرض ومغاربها ونصب راية الإسلام ونشر رسالة الإسلام في كثير من الدول والبلدان في أقل المدة من مدة التيه. (فرضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشي ربه) (تفسير عثماني)

وادي التيه:

الوادي الذي تاه بنو إسرائيل فيه أربعين سنة متحيرين ، ما هو مساحته ؟ وأين محله ؟ لمعرفة هذه الأمور وغيرها من الأحوال العجيبة والقصص الغريبة المتعلقة ببني إسرائيل والودي التيه، راجعوا إلى تفسير "" البحر المحيط "" وغيره

وروي أنهم كانوا يرحلون بالليل ويسيرون ليلهم أجمع ، حتى إذا أصبحوا وجدوا جملتهم في الموضع الذي ابتدأوا منه، وذلك نزول عتاب الله تعالى بقولهم {إنا ههنا قاعدون}.

{فلا تأس على القوم الفاسقين} أي فلا تحزن عليهم لأنهم فاسقون. (تفسير المدارك)

{ فلا تأس على القوم الفاسقين }قال بعض المفسرين أن الظاهر الخطاب من الله تعالى لموسى عليه السلام . قال ابن عباس : ندم موسى على دعائه على قومه وحزن عليهم انتهى . فهذه مسلاة لموسى عليه السلام عن أن يحزن على ما أصاب قومه ، وعلل كونه لا يحزن بأنهم قوم فاسقون بموت أحقاء بما نالهم من العقاب . (البحر المحيط)

وترك الجهاد إثم عظيم يدل عليه نهي الله تعالى موسى عليه السلام عن الحزن على قومه . والعياذ بالله.

نكتة غريبة:

قد سبق فيما مضى قول الشاه عبد القادر رحمه الله تعالى أن في هذه الآيات درساً وعبرة لأهل الكتاب بأن لا يعيدوا تاريخ أسلافهم ، بل يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وإلا سيتيهون في المتاهات والضلالات كأسلافهم ولينجحن من نصر محمداً صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن اليهود لم ينكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا حسداً منه ، فلذا ستأتي قصة فيها بيان الحسد ومفاسده وهي قصة ابني آدم هابيل وقابيل ، والحاسد مردود . (موضح القرآن)

حبس الشمس للمجاهدين:

روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدأوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين ، قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هارون وموسى في التيه وكان رحمة لهما وعذاباً لأولئك (وسأل

موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدّسة رمية بحجر فأدناه) كما في الحديث ، ونبِّيء يوشع بعد الأربعين وأمـــر بقتـــال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتـــالهم ، وروى أحمـــد في مســـنده حديث « إنّ الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالِيَ سار إلى بيت المقدس ».

(تفسير الجلالين)

رواية أخرى:

وأخرج عبد الرزاق والحاكم وصححه قوله صلى الله عليه وسلم إن نبياً من الأنبياء قاتل أهل مدينة حـــتى إذا كـــاد أن يفتحهـــا خشي أن تغرب الشمس فقال: أيتها الشمس إنك مأمورة وأنا مأمور بحرمتي عليك إلا وقفت ساعة من النهار قال: فحبســـها الله تعالى حتى افتتح المدينة .(قرة العينين)

فائدة:

إن الجهاد وسيلة تطهير الأرض من الكفر والشرك والظلم ، و به تعلو كلمة الله لذا يساعد المجاهد في الله كل من الشمس والبحر والصحراء والجبال وغيرها من المخلوقات الأخرى في كل زمان ومكان . والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة المائدة مدنية : الآية {26}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾

الملخص:

إن يرد المؤمنون الفلاح عند الله فليتخذوا التقوى زادهم ويجتنبوا عن معاصيه ، وليتقربوا إلى الله تعالى بالعمل بأحكامه وبالأخص ليكن اهتمامهم بالجهاد في سبيل الله فإن فعلوا ذلك أفلحوا في الدنيا والآخرة . (والفلاح الحقيقي هو رضاء الله تعالى والتزحزح عن النار).

أقوال المفسرين:

1- كان في الآية السابقة ذكر أولئك الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، وفي هذه الآية ذكر أهل الإيمان الذين يجاهدون في سبيل الله ويبتغون إليه الوسيلة والقربى ، وليعلم المسلم أن الجهاد هو وسيلة الحصول على القربة عند الله تعالى ، وهذا حرب أجازها الله تعالى ، بما يقوم العدل ويتقوى نظام الشريعة ويحفظ دين الله المتين ، ولعل الله تعالى بين الحرب ذي الفضيلة والشأن بعد ذكر الحرب المحرمة والسعي المحرم فتنة في الأرض وفساداً ، فيقول الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى قولاً نفيساً في هذا الباب وهو كما يلي:

ولما كانت الآية [إنما جزاء الذين يحاربون الله ...] نزلت في العرنيين والكلبيين ، أو في أهل الكتاب اليهود ، أو في المشركين على الخلاف في سبب النزول ، وكل هؤلاء سعى في الأرض فساداً ، نص على الجهاد ، وإنْ كان مندرجاً تحت ابتغاء الوسيلة لأن به صلاح الأرض ، وبه قوام الدين ، وحفظ الشريعة ، فهو مغاير لأم المحاربة ، إذ الجهاد محاربة مأذون فيها ، وبالجهاد يدفع المحاربون .

(البحر المحيط)

2- سبق في الصفحة السابقة بيان ما عاقب الله تعالى الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً عقاباً دنيوياً وأخروياً ، وفي هذه الآية حذر الله تعالى المسلمين مما عوقبوا وأمرهم بالجهاد في سبيل الله ضد هؤلاء الأشقياء الذين يحاربون الله ورسوله ، وإنهم يسعون في الأرض فساداً ، فأنتم أيها المسلمون اسعوا في الأرض أمناً وانشروا الرحمة ورسالتها في العالم كله . (تفسير عثماني)

الجهاد جامع العبادات:

وقد ذكر هنا بعض المفسرين نكتة لطيفة وقسم أحكام الله قسمين كما يقول الإمام الرازي رحمه الله تعالى: اعلم أن مجامع التكليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما : أحدهما : ترك المنهيات وإليه الإشارة بقوله { اتقوا الله } وثانيهما : فعل المأمورات ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : { وابتغوا إِلَيهِ الوسيلة }.(تفسير الرازي)

وأمر بالجهاد بعد التقوى والوسيلة فقال جل في علاه {وجاهدوا في سبيله} فعُلم بذلك أن في الجهاد تقوى ووسيلة ، بل إن الجهاد أرفع مقام التقوى وأسمى صورة الوسيلة ، فمن وفق للجهاد في سبيل الله هو علامة تقربه عند الله تعالى ، وقال تعالى في آخر الآية {لعلكم تفلحون} إشارة: أن الجهاد في سبيل الله عبادة فيها تقوى الله (ترك المنهيات) ووسيلة إليه (أي فعل المأمورات) . والله تعالى أعلم بالصواب.

موقع النجدة والشجاعة هو الحرب:

وقد ذكر الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى هنا نكتة نفيسة فقال:

"...وفيه تنبيه على أنه يجب أن تكون القوة والبأس الذي للمحارب مقصوراً على الجهاد في سبيل الله تعالى ، وأن لا يضع تلك النجدة التي وهبها الله له للمحاربة في معصية الله تعالى.

(تفسير البحر المحيط)

[يعني الموقع المناسب لاستعمال بعض صفات الإنسان نحو الغضب والشجاعة هو الجهاد في سبيل الله تعالى]

القضاء على قطاع الطرق بالجهاد:

في الآية السابقة كان ذكر تلك الأقوام الذين شاع فيهم السرقة وتبعه فضل الجهاد وبيان حكمه واستفاد من الآية الكريمة أن بالجهاد يدفع المحاربون كما قال المفسر أبو حيان :" وبالجهاد يدفع المحاربون" والآية إشارة إلى أن الناس لما سعوا في الأرض فساداً بالسرقة وقطع الطرق وإيذاء الناس ونشر الظلم فعلى المسلمين حاملي الشريعة أن ينهوا الفساد بالجهاد في سبيل الله وبه يتقربوا إلى الله لينجحوا في الدنيا والآخرة ويصلحوا في الأرض ، ومن لا يعلم أن أوربا اختارت طريقة النهب والسلب والغصب وملأت الأرض ظلماً وفساداً ، يحتمل أن الآية إشارة إلى ذلك . والله تعالى أعلم بالصواب.

ربط هذه الآية بالتي تليها :

إن ربط هذه الآية بالتي تليها هو أن الآية السابقة دلت أن الإنسان يستطيع أن يتقرب إلى الله تعالى بالتقوى والجهاد وبهما يفوز في الدنيا والآخرة ، وفي الآية التالية أخبر الله تعالى أن من أعرض عن دين الله لو دفع جميع ما في الأرض ومثله معه فديةً لنفسه ونجاةً لذاته ،ووقاية من عذاب الله، لن يفلح ولن يقبل منه ولن ينجو من عذابه ، فالحاصل أن النجاح الأخروي لا يمكن بالرشوة والفدية بل يمكن عن طريق التقوى وابتغاء الوسيلة إليه والجهاد في سبيل الله تعالى . (تفسير عثماني)

الانحراف في معنى {وجاهدوا في سبيله}

إن في بعض التفاسير الأردية بسطوا الكلام على {وجاهدوا في سبيله} ووسعوا في معناه ، فنقول وما بقي بعد إيراد الله تعالى ابتغاء الوسيلة و تقوى الله بأن حاولوا في إطلاق معنى الجهاد على الجد والاجتهاد في الأعمال الصالحة دون أن يكون المراد منه الجهاد أي القتال في سبيل الله ؟ وجزى الله تعالى عنا الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى بأنه قام بترجمة {وجاهدوا في سبيله} ترجمة مناسبة أصح ما يمكن أن تكون فقال رحمه الله تعالى: " يا أهل الإيمان ! خافوا الله و اطلبوا إلي الوسيلة وقاتلوا في سبيله لعلكم تفلحون. (موضح القرآن) وبهذه الترجمة قد اتضح معنى {وجاهدوا في سبيله} والحمد لله رب العالمين.

نكتة:

قال الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى:

قد سبق ذكر حال اليهود في الصفحتين السابقتين أنهم رغم كونهم أولاد الأنبياء وبنو الملوك لم يقوموا أمام العدو مقاتلين، بل يتحاربون فيما بينهم ، وهنا تنبيه للمسلمين خاصة وبيان علاج هذا المرض بأن كل واحد منكم أيها المسلمون ليقم بإصلاح نفسه وليجعل مقصد حياته التقرب إلى الله تعالى بل في حياتهم الاجتماعية يجب أن يبتغى إلى الله بالوسيلة والتقوى، ويستحق الخلافة والولاية من هو أتقى الناس وأكثر الناس تضحية لدين الله وخدمة خلقه وأبعد الناس من الرذائل والشهوات . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

سورة المائدة مدنية : الآية {51}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾

الملخص:

لا يجوز لأهل الإيمان أن يتخذوا اليهود والنصارى أولياء من دون المؤمنين ، لأن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، و هم المتعاونون فيما بينهم من الكفر و عداء الإسلام والمسلمين، ومن يتخذهم أولياء فإنه منهم ومن الظالمين الذين لا يهديهم الله تعالى .

سب نزول الآية:

تعددت الأقوال في سبب نزول هذه الآية فمنها:

1- قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: المراد به المنافقون، المعنى يا أيها الذين آمنوا بظاهرهم، وكانوا يوالون المشركين ويخبروهم بأسرار المسلمين.
2- قال السدي: نزلت في قصة يوم أحد حين خاف المسلمون حتى هم قوم منهم أن يوالوا اليهود والنصارى.
3- قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى : وروي أن عبادة بن الصامت جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبرأ عنده من موالاة اليهود ، فقال عبد الله بن أبي : لكني لا أتبرأ منهم لأني أخاف الدوائر ، فترلت هذه الآية.
4- وقيل: نزلت في أبي لبابة . (القرطبي ، والبحر المحيط)

موضوع الآية:

1- ينهى تعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى، الذين هم أعداء الإسلام وأهله، قاتلهم الله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال: { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} . (ابن كثير)
2- نزل نهياً عن موالاة أعداء الدين أي لا تتخذوهم أولياء تنصروهم وتستنصروهم وتؤاخوهم وتعاشروهم معاشرة المؤمنين .(تفسير النسفي-المدارك)

أقوال المفسرين:

1- إن عادات اليهود والنصارى لتهوي بكم في المذلة :

قاطعوا ولاء اليهود والنصارى وإلا يدب إليكم عاداتهم السيئة وأخلاقهم الرذيلة بالاختلاط منهم فتهلكون كما هلكو .
(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

2- إن الكفر والشرك مرضان متعديان:

ولا شك في أن معصية الله تعالى من الكفر والشرك والفسق والفجور هي أمراض متعدية يتأثر بها كل من اختلط بأهلها ، لذلك بعد بيان خصائل اليهود والنصارى السيئة يُحَذِّر المسلمون من الاختلاط بهم . (تفسير حقاني)

3- مسألة الاختلاط بأهل الكتاب حلة وحرمة :

أولياء جمع ولي ، والولي يطلق على الصديق والقريب ، والناصر والمعين، فلا يجوز لمسلم أن يوالي اليهـودي أو النصـراني أو الكافر (ولاية قلبية) كما مضى النهي عن ذلك في سورة النساء ، واعلموا أن هناك فرق كبير بين الموالاة وحسـن التعامـل معهم من إقامة الصلح والعدل والمساواة ونحو ذلك، فيجوز للمسلمين أن يتعاملوا معهم من الصلح والمساواة والمعاهـدة في ضوء أصول الشريعة قال تعالى {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله }(سورة الأنفال:الآية/61) ولا يخفى على من له إلمام بتعاليم الإسلام وشريعته أنه أمر الناس بالعدل والمساواة بين كل أفراد البشر من المسلم والكافر وغيرهمـا ، كمـا لا فرق بين المسلم والكافر في حسن التعامل ووفاء العهد بشرط أن لا يكون الكافر ممن يحاربون الإسلام والمسلمين كما بينـت هذه المسألة في سورة الممتحنة ، أما الأمر المحرم هو أن يكون بين المسلم والكفار موالاة والأخوة والمناصرة إلا أن تكون هـي من ضمن {إلا أن تتقوا منهم تقاة} أو تكون الصلة بينهما بحيث لا تؤثر في أحوال المسلمين أثراً سلبياً فذلك جائز . (تفسير عثماني)

4- جميع الكفار (بما فيهم اليهود والنصارى) متحدون ضد المسلمين:

* بعضهم أولياء بعض وكلهم أعداء المؤمنين وفيه دليل أن الكفر ملة واحدة . (تفسر النسفي)

*رغم وجود التفرقة والاختلاف والبغضاء بين أفراد اليهود والنصارى والكفار فهم متحدون متعـاونون ضـد الإسـلام والمسلمين ، وهم أولياء بعضهم لبعض . (تفسير عثماني)

* والمعنى أن اليهودي صديق اليهودي والنصراني صديق النصراني ، وهما متعاونان في عداء الإسلام والمسلمين ، فلو اقتـرب بعضهم من بعض واتفقوا فيما بينهم ضد الإسلام والمسلمين فلا غرو في ذلك ، ولكن لا يسوغ لكـم أيهـا المسـلمون أن تقتربوا من هؤلاء ، وكيف يمكن الاتحاد بين المؤمن والكافر ؟ فشتان ما بينكم . (تفسير ماجدي)

5- ومن يتولهم منكم فإنه منهم :

* قال بن عباس رضي الله عنهما : فإنه منهم في حكم الكفر أي ومن يتولهم في الدين ،وقال غيره : ومن يتولهم في الدنيا فإنه منهم في الآخرة . (البحر المحيط)

* ومن جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وشديد في وجوب مجانبة المخالف للدين .

(تفسير النسفي –المدارك–)

6- الولاء يدل على عظمة من الموالى:

لا يتصور من المسلم أن يوالي الأغيار وأعداء الله وإن فعل ذلك فهذا دليل أن في قلبه عظمة ومحبة لمن يواليه من الأعـداء ، ومن الواجب أن يمنع المسلمون عن ولاء الأعداء والأخوة معهم لتكون أسرار المسلمين محفوظة ويبقى كيان الأمـة مصـون وتشخصها مميز ومأمون، ويشاهد أن من يكثر الاختلاط بغير المسلمين يخرج منه فهم الدين والشعور به شيئاً فشيئاً ويحرم هو من الغيرة الدينية والحمية الإسلامية ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف عن التشـبه بالأعـداء مـن الكفار واليهود والنصارى وغيرهم وهذا حكمة لا يخفى على من عنده شعور وفهم.

7- الولاء من الكفار سبب الحرمان من الهداية :

إن الذين يظلمون أنفسهم والمسلمين بموالاتهم الكفار ، وينتظرون مغلوبية الإسلام وهجوم العدو عليه فهـؤلاء الأشـقياء لا ترجى هدايتهم ولا يتوقع منهم أنهم يهتدون إلى سواء السبيل.

(تفسير عثماني)

* لا يرشد الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة . (تفسير النسفي – المدارك).

نكتة:

إن الإسلام يبين أن من مات في قتال الأعداء من الكفار وغيرهم فهو شهيد سعيد حي يرزق ، ويقول في شأن الذين يوالـــون الكفرة أنهم ظلموا أنفسهم ، فنقول : أن ما قال ربنا في القرآن فهو حق وصدق نسأل الله تعالى أن يفهمنا والمسلمين أمـــور ديننا. آمين يا أرحم الراحمين.

سورة المائدة مدنية : الآية {52}

بسم الله الرحمن الرحيم

فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾

الملخص:

إن الذين في قلوبهم مرض يسارعون إلى اليهود والنصارى ويتسابقون إلى معاونتهم بحجة قولهم " نخاف أن تأتي علينا دائرة ومصيبة " ولكن الله تعالى لما يأتي للمسلمين بالفتح ويظهر أمراً من عنده ليندم هؤلاء ندامة على ما أسروا وأخفوا من الأفكار الباطلة .

أقوال المفسرين:

1- المراد بالمرض هو النفاق:

*في قلوبهم مرض نفاق . (تفسير النسفي)

في قلوبهم مرض . أي شك ونفاق قاله القرطبي.

2- المسارعة إلى صداقة اليهود والنصارى:

يسارعون فيهم في معاونتهم على المسلمين وموالاتهم. (تفسير النسفي)

3 -المسارعة في مودة اليهود والنصارى من أجل تحسين المعاش والاقتصاد:

يسارعون في مودة اليهود ونصارى نجران لأنهم كانوا أهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهماتهم ويقرضونهم . (تفسير الرازي)

4- كان اليهود والنصارى آنذاك كالصيرفيين اليوم:

إن اليهود في المدينة وضواحيها حينئذ كانوا صيرفيين وأصحاب ثروة فالناس كانوا يستقرضون منهم ومعظم قبائل المدينة كانت تعتمد على أموالهم ومعاونتهم في حياتهم ومعاشهم. (تفسير ماجدى)

5- تفسير جامع للآية الكريمة :

إنهم أولئك الذين امتلأت قلوبهم مرضاً ونفاقاً فلا يثقون في وعد الله لهم ولا يرون المسلمين أهل الحق والصدق، لذلك يسارعون في اليهود والنصارى ويلجئون إليهم ليتمتعوا بغلبتهم (حسب زعمهم ووهمهم) ويجتنبوا عما تأتي المصائب والدوائر على المسلمين (حسب توهمهم) وهذا هو المعنى يظهر من قولهم {نخشى أن تصيبنا دائرة} وهذا الخوف الموهوم كان مكنوناً في قلوبهم ، أما لما كانوا يقولون هذه الجملة {نخشى أن تصيبنا دائرى} أمام الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين قصدوا بها أن اليهود أهل ثروة ومال نستقرض منهم عند الضيق والشدة ، فنزل الرد على ذلك بقوله تعالى {فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده} بأن الله تعالى سيقدر لنبيه (صلى الله عليه وسلم وأصحابه الفتح والغلبة (إشارة إلى فتح مكة والاستيلاء عليها، ومكة هي مركز العرب كلهم) أو يأتي لهم بأمر إذا رآه المنافقون أو الذين في قلوبهم مرض ندموا على ما أسروا في أنفسهم ، وتأسفوا على ما كمنوا في صدورهم ، والآية تبين أنه لا ثمرة في موالاة اليهود ولا تأتي بخير إلا خزي لهؤلاء في الدنيا و في الآخرة لهم عذاب أليم فلا ينفعهم الندم يومئذ على ما خسروا وفضحوا في الدنيا ، والتاريخ خير شاهد على ما تحقق للمسلمين من الغلبة والقوة وحصل لهم فتح مكة والاستيلاء عليها ، والتي أدت الكفار والمنافقين واليهود إلى

الخزي والخسران ، فمنهم من أجلوا ونفوا ومنهم من قتلوا ومنهم من انكشفت مكائدهم وكذبهم وتحقق خزيهم وخسرانهم ، ولم تنفعهم موالاة اليهود فخابوا وخسروا .(تفسير عثماني)

6-النفاق سبب الجبن: إن الذين في قلوبهم مرض لا يشتركون في مقاطعة اليهود ، وخاصية النفاق هي ضعف الهمة وانهيار الروح أما خاصية التوحيد والإيمان هي قوة العزم وعلو الهمة .(حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

7- ما المراد {بأمر من عنده} ؟ تعدد أقوال المفسرين في معناه فقال الرازي رحمه الله تعالى ما يلي:

معناه: أو أمر من عنده لا يكون للناس فيه فعل البتة ، كبني نضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا بأيديهم من غير محاربة ولا عسكر. (تفسير الرازي)

وقال بعض المفسرين أن معنى {أو أمر من عنده} إخبار الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالوحي عن أسماء المنافقين . (كما في بيان القرآن)

سورة المائدة مدنية : الآية {53}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾

الملخص:

لما يتحقق للمسلمين الفتح والنصر وينكشف نفاق المنافقين لعجب المسلمون على هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم "إنهم لمعكم" سبحان الله كيف اتضح مكرهم ومآلهم ولا شك في أن حبطت أعمالهم وصاروا من الخاسرين.

فائدة:

قد تضمن الملخص مفهوم الآية الكريمة ولكن بعض المفسرين ذهبوا إلى معنى الآية أن المؤمنين يقولون لليهود عند حلول المصيبة بهم " إن المنافقين أقسموا لكم بأنهم معكم ولكنهم الآن لا يساعدونكم في شيء ؟ كما قال المفسر أبو حيان في تفسيره :
ويحتمل أن يقول المؤمنون ذلك لليهود ، ويكون الخطاب في قوله : إنهم لمعكم لليهود ، لأن المنافقين حلفوا لليهود بالمعاضدة والنصرة كما قال تعالى حكاية عنهم : { وإن قوتلتم لننصرنكم } فقالوا ذلك لليهود يجسرونهم على موالاة المنافقين.

تعجب المسلمين :

يعجب المسلمون لما ينكشف لهم حال المنافقين وقالوا : إن هؤلاء كانوا يقسمون بالله أنهم مع المسلمين. (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

النفاق لن يكون مخفياً:

إن كثيراً من المنافقين يتعاونون مع الكفار ببالغ الحذر والاحتياط ويتجسسون لهم خفية ، فيأخذون المال من الكفار لإضرار المسلمين ويطلعون الكفار على أسرارهم سراً ، ويخفون نفاقهم فيحسبهم المسلمون أنهم منهم لما يظهر هؤلاء إسلامهم أمام العام والخاص أما عملهم للكفار فيكون سراً وخفية ، ولا ينكشف نفاقهم إلا لما انهزم الكفار وانكسرت شوكتهم ، فتحمل الآية أن فيها إشارة إلى مثل هؤلاء المنافقين. والله تعالى أعلم بالصواب.

سورة المائدة مدنية : الآية {54}

بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤

الملخص:

لا يتضرر الإسلام بارتداد مسلم ولن يتوقف سيره بل الله يأتي بقوم مكانهم يحبهم ويحبونه يكونون أذلة على المؤمنين متواضعين معهم وأعزة على الكافرين أشداء معهم يجاهدون في سبيل الله ولا يبالون بلوم لائم في أمر الله ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده .

تفسير جامع لهذه الآية الكريمة:

1- بشارة عظيمة بحفظ الإسلام وبقاءه:

إن الآية تشير إلى بشارة عظيمة وهي بقاء الإسلام وحفظه ، إن الآية السابقة ورد فيها النهي عن موالاة الكفار ، فاحتمل منها أن يرتد فرد أو جماعة عن الإسلام من أجل الموالاة لأن التنبيه على الموالاة كان شديداً كما قال تعالى{ومن يتولهم منكم فهو منهم } فأوضح القرآن الكريم بصراحة تامة أن من ارتد عن الإسلام لا يضر إلا نفسه ولا يضر الإسلام شيئاً إن الله تعالى يـأتي مكـانهم بقوم يحبهم ويحبونه يكونون رحماء مع المسلمين وأعزة على الكافرين ، وقد تحققت هذه النبوءة في كل زمان ومكـان بحـول الله وقدرته ، وقد ظهرت فتنة الارتداد العظيمة على عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبـرز المرتدون ضد الإسلام والمسلمين لكن جرأة الصديق الإيمانية قاومتهم مقاومة شديدة بتدابيره الحكيمة وبقوة المسلمين المخلصة لـه وجهودهم العظيمة حتى أطفأ نار الارتداد وأخمد فتنته ووحد العرب كله على كلمة التوحيد والإخلاص .

ويُشاهد اليوم أنه كلما أراد بعض الجهلة و من في قلبه مرض أن يخرجوا من الإسلام ويرتدوا عن دين الله ، ليهدي الله مكـانهم أقواماً من غير المسلمين إلى الإسلام فيكون هؤلاء أحسن من المرتدين علماً وشعوراً وفهماً في جانب ، وفي جانب آخر يوفـق الله تعالى بعض الناس لقمع المرتدين واستئصالهم فيقضون عليهم ، ولا يخافون في ذلك لومة لائم بل يرون القضـاء علـى المرتـدين سعادتهم لا يوفق لها إلا من أحبه الله من عباده ، وهذا فضل الله على المسلم أن يستقيم على الحق عند الفتن بل يقي الآخرين مـن الوقوع في الفتن والهلاك ، والله يؤتي الفضل من يشاء من عباده والله واسع عليم. (تفسر عثماني)

2- كلام نفيس:

لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم عم الارتداد في بعض قبائل العرب، فطلب أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أناساً من اليمن وقاتل المرتدين بهم حتى قضى عليهم وانتشر الإسلام في العرب كلها وهذه هي البشارة في هذه الآية الكريمة. (موضح القرآن)

3- الوعيد الشديد لمن لا يترك ولاء الكفار:

أيها المسلمون! لولا امتثلتم بنهي الله تعالى عن موالاة الكفار ولم قطعتم الصلة بهم لأتى الله بقوم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين . (حاشية الشيخ اللاهوري رحمه الله تعالى)

4- إن حكم النهي عن موالاة الكفار باقي إلى يوم القيامة:

قال ابن كعب والضحاك والحسن وقتادة وابن جريج وغيرهم : نزلت خطاباً للمؤمنين عامة إلى يوم القيامة. (تفسير البحر المحيط)

5- السابقون فى الارتداد:

استفاد من الآية الكريمة أن فتنة الارتداد تتكرر في كل زمان ومكان ومن هم الذين ارتدوا عن دين الإسلام أولاً ؟ ذكر المفسرون احد عشر اسماً من المرتدين ، ثلاثة منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسبعة منهم على عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وواحد منهم على عهد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .

أما القبائل الذين ارتدوا عن الإسلام فهم ثلاثة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم

قال المفسر أبو حيان رحمه الله تعالى في هذا الباب فيما يلي:

"وتعرض المفسرون هنا لمن ارتد في قصة طويلة نختصرها ، فنقول :

ارتد في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم(ثلاث فرق) :

1- مذ حج ورئيسهم عبهلة بن كعب ذو الخمار ، وهو الأسود العنسي قتله فيروز على فراشه ، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله ، وسمى قاتله ليلة قتل . ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد ، وأتى خبر قتله في آخر ربيع الأول .

2- وبنو حنيفة رئيسهم مسيلمة قتله وحشي (في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه) .

3- وبنو أسد رئيسهم طليحة بن خويلد هزمه خالد بن الوليد ، وأفلت ثم أسلم وحسن إسلامه . هذه ثلاث فرق ارتدت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتنبأ رؤساؤهم

وارتد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه سبع فرق .

1- فزارة قوم عيينة بن حصن .

2- وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري .

3- وسليم قوم الفجاه بن عبد يا ليل .

4- ويربوع قوم مالك بن نويرة .

5- وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر وقد تنبأت وتزوجها مسيلمة .

6- وكندة قوم الأشعث .

7- وبكر بن وائل بالبحرين قوم الحظم بن يزيد . وكفى الله أمرهم على يدي أبي بكر رضي الله عنه .

وفرقة في عهد عمر رضي الله عنه :

غسان قوم جبلة بن الأيهم نصرته اللطمة وسيرته إلى بلد الروم بعد إسلامه .

6- من هم الذين حصل لهم المحبوبية عند الله تعالى أولاً:

من هؤلاء السعداء الذين يصدق عليهم قول الله تعالى {يحبهم ويحبونه} قال أبو حيان رحمه الله تعالى فيهم:

وفي القوم الذين يأتي الله بهم :

1- أبو بكر وأصحابه . (رضي الله تعالى عنهم)

2- أو أبو بكر وعمر وأصحابهما . (رضي الله تعالى عنهم)

3- أو قوم أبي موسى (رضي الله تعالى عنهم).

4- أو أهل اليمن ألفان من البحر وخمسة آلاف من كندة وبجيلة ، وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا أيام القادسية أيام عمر . (رضي الله تعالى عنهم)

5- أو الأنصار . (رضي الله تعالى عنهم)

6- أو هم المهاجرون . (رضي الله تعالى عنهم)

7- أو أحياء من اليمن من كندة وبجيلة وأشجع لم يكونوا وقت النزول قاتل بهم أبو بكر في الردة . (رضي الله تعالى عنهم)

8- أو القربى . (رضي الله تعالى عنهم)

9- أو علي بن أبي طالب قاتل الخوارج أقوال تسعة (رضي الله تعالى عنهم).

ثم قال أبو حيان رحمه الله تعالى إثر ذلك :

وفي المستدرك لأبي عبد الله الحاكم بإسناد : أنه لما نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال قوم : هذا . وهذا أصح الأقوال ، وكان لهم بلاء في الإسلام زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامة فتوح عمر على أيديهم .

10- وقال الزمخشري : وقيل : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال : «هذا وذووه» ثم قال : « لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من أبناء فارس ».

(تفسير الكشاف)

بحث علمي:

إن صاحب تفسير حقاني ذهب إلى أن مصداق قوله تعالى {يحبهم ويحبونه} هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وبه يستدل على أحقية خلافته رضي الله تعالى عنه ، ورد رحمه الله تعالى في هذا المقام رداً قوياً على اعتراضات الروافض ، وكلام حقاني هنا جدير بالمراجعة إليه وينظر فيه لأنه كلام نفيس في هذا الموضوع.

عصارة الكلام:

إن مفهوم الآية واضح وبين ، فمن ارتد عن الإسلام إلى يوم القيامة ليكونن ذليلاً مهيناً وليأتين الله تعالى مكانه بمن يحبه وهو أحبه ، فقد حدث هذا في الماضي وسيحدث في المستقبل ،قال العلامة آلوسي رحمه الله تعالى :

{يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ } شروع في بيان حال المرتدين على الإطلاق بعد أن نهى سبحانه فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى ، وبين أن موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين.

وقال الرازي رحمه الله تعالى:

معنى الآية : يا أيها الذين آمنوا من يتول منكم الكفار فيرتد عن دينه فليعلم أن الله تعالى يأتي بأقوام آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه .(تفسير الرازي)

وقال الحسن رحمه الله : علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيّهم ، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه ، وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية إخباراً عن الغيب ، وقد وقع المخبر على وفقه فيكون معجزاً .

ثم ذكر رحمه الله تعالى قول عائشة رضي الله تعالى:

" قالت عائشة رضي الله عنها : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب ، واشتهر النفاق ، ونزل بأبي ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها".

فعُلم مما سبق من البيان والشرح أن معنى الآية عام شامل لكل حادث الارتداد إلى يوم القيامة دون قيد الزمان والمكان ،وأنه سيكون في كل عصر ومصر أهل الله ومحبوه الذين يقاومون مثل هذه الفتن وينصرون الحق ويقمعون الباطل وأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة ولا يخلو زمان ومكان من أحباء الله الذين يقومون بنصر الحق وإقامة الدين المتين.

كلام ابن عباس رضي الله عنهما:

هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته .

(تفسير القرطبي)

الاستدلال بالآية على خلافة الخلفاء الراشدين:

قال القرطبي رحمه الله تعالى :

فدل بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، لأنهم جاهدوا في الله عزوجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا المرتدين بعده، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي لله تعالى.

خوف لومة لائم :

إن معظم المفسرين قالوا : إنهم لا يخافون في الجهاد ونصرة الدين لومة لائم ، وذلك لأن المنافقين ما كانوا يخرجون في الجهاد من خوف لومة أصدقائهم من الكفار، فعُلم بهذا أن الكفار ومن شايعهم يختارون اللوم والاعتراض والطعن كوسيلة ليصدوا بها الناس من الجهاد، إلا أن أهل الاستقامة من المؤمنين لا يخافون لومة لائم وطعن طاعن ، نعم أولئك الذين يريدون القربة عند الكفار يفزعون باللوم والطعن ويتبرءون من الجهاد .

(أنظر : تفسير الرازي، وتفسير بيان القرآن،والقرطبي وغيرها).

قال التهانوي رحمه الله تعالى:

"وإنهم لا يبالون بملامة أحد في أمر الدين والجهاد بخلاف المنافقين فإنهم لا يخرجون في الجهاد إلا كسالى ، خائفين من ملامة أصدقاءهم من الكفار، أو أنهم لو خرجوا في الجهاد وفوجئوا بأقرباءهم في الكفار ليكونون عرضة الطاعنين . (تفسير بيان القرآن)

نكتة عجيبة:

استفاد من الآية الكريمة أن الكفار يثيرون الاعتراضات ضد الجهاد في كل عصر ويطعنون فيه من قديم الزمان ، وإنما يثبت على الجهاد من لا يفزع من مثل هذا الطعن والنقد ويسير فيه مسيرته ممتثلاً بأمر الله تعالى بلا خوف لومة لائم . والله تعالى أعلم بالصواب.

{يجاهدون في سبيل الله} إن أهم صفة من صفات أحباء الله أنهم يقاتلون الكفار. قال النسفي رحمه الله تعالى. أي يقاتلون الكفار.

(تفسير المدارك)

صفة النبي صلى الله عليه وسلم:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:

وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الضحوك القتال، فهو ضحوك لأوليائه قتَّال لأعدائه .

(تفسير ابن كثير)

دروس وعبر:

إن في الآية الكريمة دروساً وعبراً نذكرها فيما يلي:

1- إن الدين الإسلامي ليس بحاجة أحد بل الناس في حاجة إليه ، والإسلام في غنى عن القبائل والأفراد فمن ارتد من الفرد أو الجماعة فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الإسلام شيئاً.

2- علاج فتنة الارتداد هو الجهاد في سبيل الله تعالى.

3- إن محبة الله تعالى تنشأ الغيرة الإسلامية في المسلم التي تحثه على الجهاد في سبيل الله لما قدمت المحبة على الجهاد في سبيل الله {يحبهم ويحبونه.....} ثم قال{يجاهدون في سبيل الله}.

4- قوله تعالى {أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين} دل على أهمية الاتحاد والائتلاف بين صفوف المسلمين خاصة عند حدوث فتن الارتداد .

5- إن المقياس في المحبة والبغض هو الإيمان والكفر ،دون اللسان والقبيلة والوطن ، فقال تعالى {أذلة على المؤمنين} من غير تقييد اللسان والوطن والقبيلة ، وقال {أعزة على الكافرين} من أي جنس أو قبيلة أو وطن كانوا ، فالحركات التي تثير الخلاف والنزعات على أساس اللسان والوطن كلها باطلة، وأنها ثلمة في الإسلام .

6- على أهل الثروة والمنصب من المسلمين أن يؤدوا دورهم في الاتحاد بين المسلمين كما يشير إليه قوله تعالى {أذلة على المؤمنين} بأن يخضعوا للمسلمين ويرفقوا بهم ، وقال المفسرون في قوله تعالى {أذلة على المؤمنين} أنهم يتواضعون للمسلمين ، والتواضع يتصور ممن هو أعلى وأرفع منزلة وقدراً أما عامة الناس فهم متواضعون في الأحوال كلها .

7- إن لإقامة المسلمين على الجهاد يجب أن يتوفر ثلاثة أمور .

- غرس محبة الله تعالى .
- النصح للمسلمين .
- البغض من أعداء الله تعالى.

أما للثبات والاستقامة على الجهاد فيجب أن يتوفر أمران:

- عدم المبالاة بالطعن وعدم خوف لومة لائم في الجهاد.
- التصور أن التوفيق للجهاد فضل من الله تعالى عليه لا أن له منة على الله . والعياذ بالله .

وهذا ما استفاد من الآية الكريمة دروساً وعبرة للمسلمين . والله تعالى أعلم بالصواب. نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل. آمين يا رب العالمين.

سورة المائدة مدنية : الآية {55}

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾

الملخص:

إن ولي الحقيقي للمسلمين هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة ومتواضعون.

ربط الآية:

إنه تعالى لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار أمر في هذه الآية بموالاة من يجب موالاته .

(تفسير الرازي)

معنى الآية عام:

قال الرازي رحمه الله تعالى: وفي الآية مسائل :

المسألة الأولى : في قوله { والذين ءامَنُواْ } قولان : الأول : أن المراد عامة المؤمنين ، وذلك لأن عبادة بن الصامت لما تبرأ من اليهود وقال : أنا بريء إلى الله من حلف قريظة والنضير ، وأتولى الله ورسوله نزلت هذه الآية على وفق قوله . وروي أيضاً أن عبدالله بن سلام قال : يا رسول الله إن قومنا قد هجرونا وأقسموا أن لا يجالسونا ، ولا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل ، فترلت هذه الآية ، فقال رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين أولياء ، فعلى هذا : الآية عامة في حق كل المؤمنين ، فكل من كان مؤمناً فهو ولي كل المؤمنين ، ونظيره قوله تعالى : { والمؤمنون والمؤمنات بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ } [التوبة : 71].

ثلاثة معاني للولي:

وقال أبو حيان رحمه الله تعالى: وفسر الولي هنا بالناصر ، أو المتولي الأمر ، أو المحب . ثلاثة أقوال ، والمعنى : لا وليّ لكم إلا الله.

ومعنى {ولي} أن من يستحق ولايتكم الحقيقية هو الله تعالى الولي الحقيقي.(تفسير ماجدي)

لا رفيق للمسلمين سوى هؤلاء الثلاثة:

سبق في الآيات المتقدمة نهى المسلمين عن موالاة الكفار ، فيحتمل أن يخطر ببال أحد إذاً فمن يواليهم المسلمون ؟ فقيل لهم : إنما يستحق ولايتكم الحقيقية هو الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنون ولا مخلص لكم في الولاية دون الله ورسوله والمؤمنين.

كيان العالم الإسلامي:

بين الله تعالى في هذه الآية مكونات الكيان الإسلامي ، كيان إسلامي قوي ذو عدل ووسط لا عوج فيه، مبنى على المساواة والأخوة بين أعضائها دون تفريق نسلي أونسبي أوشعبي أووطني ، لا فضل فيه لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا فضل لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ، كيان لا يمزقه عصبية قومية ولا مسافة أرضية ، كيان مفتح أبوابه لمن أراد دخوله والانضمام بكيانه، هذا الكيان الإسلامي محصور محمي بحفظ الله لا يقطعه أحد ولا يقسمه بشر، إن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وموالاة المسلمين هذه الثلاثة أركان هذا الكيان الإسلامي وركائز الوحدة الدينية وأسسها الأصلية لا يستطيع أحد أن يفرق بينها . والله تعالى أعلم بالصواب.

شبهة والجواب عنها:

قد يشكل على أحد أن هذه الوحدة الإسلامية إذا انحصرت في هذه الركائز المحدودة فلا يتصور منها أن تخـدم أفـراد البشـرية الآخرين الذين ليسوا أعضاء هذه الوحدة ؟ نقول: إنه لا بد من تقوية هذا الكيان أولاً ثم خدمة الإنسانية ثانياً ومن لـيس قويـاً بداخله لا يمكن أن ينصر من هو بالخارج ، فالله تعالى نظم هذه الوحدة وقواها، حتى قام الكيان الإسلامي على عبر التاريخ بخدمة الإنسانية لا نظير لها في التاريخ الإنساني .

المعرضون عن الصلاة:

إن الآية دلت بالصراحة والوضوح أنه لا يكون مخلصاً للمسلم وناصحاً له إلا من يقيم الصلاة ويؤت الزكاة ويكون خاشـعاً لله تعالى ، فثبت بذلك أن الملايين من المسلمين اليوم لا يحافظون على الصلوات ودعواهم بأنهم مسلمون ، فمثل هـؤلاء لا ينفعـون الوحدة الإسلامية بشيء ، هذا وفي جانب آخر نرى أن معظم الطبقة من أهل السياسة والقيادة لا يهتم بالصلاة بل يـرون تـرك الصلاة أمراً هيناً (وهو عند الله عظيم) وإذا كان حال أهل القيادة والسياسة هو ماذكر فأنّى يتوقـع منـهم صـلاح الإسـلام والمسلمين والنصيحة لهما ؟ .

صفة الخشوع:

إن لإقامة الوحدة الإسلامية ولتقوية الجيش الإسلامي لا بد من وجود صفة الخشوع ، لأنها هي رأس الطاعة و العبادات فلا تـأتي ثمرة العبادة إلا إذا كان قلب المطيع والعابد متواضعاً لله تعالى ، وبه ينشأ لين الجانب في القلب ويحلو به الذكر وبه يرفع الله تعـالى من عباده كما ورد في الحديث الشريف "من تواضع لله رفعه الله" ويلاحظ اليوم أن صفة الخشوع ترتفع شـيئاً فشـيئاً مـن الناس ، وما بقي من العبادة إلا ظاهرها لما انعدم فيها الخشوع وحرمت الأمة الإسلامية من فقدانها من التوادي والتـراحم فيمـا بينهم وانتقصت الولاية والمحبة بين أفرادها وبالتالي تفرق جمعها وتمزق شملها وتشتت كيانهـا ولا يـزال يـزداد هـذا التفـرق والاختلاف يوماً بعد يوم ولا حول ولا قوة إلا بالله . نسأل الله تعالى أن يرزقنا صفة الخشوع كما يحبها ويرضاها.

سورة المائدة مدنية : الآية {56}

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٥٦

الملخص:

لو امتثل المسلمون أوامر الله تعالى ولا يتخذون أحداً أولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين لصاروا حزب الله وإن الله وعد بأن حزب الله هم الغالبون.

من هم حزب الله ؟

1- قال القرطبي رحمه الله تعالى : أي من فوض أمره إلى الله ، وامتثل أمر رسوله ووالى المسلمين فهو حزب الله . (تفسير القرطبي)

2- وقيل : أي ومن يتولى القيام بطاعة الله ونصرة رسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين. (تفسر القرطبي) ، وقال الحسن : حزب الله : جند الله ، وقال غيره : أنصار الله. (القرطبي).

إزالة الشك والتردد:

احتمل مما سبق في الآيات المتقدمة من نهى الموالاة أن يخطر ببال أحد من ضعفة المسلمين أنه كيف يمكن الحفاظ على النفوس والدفاع عنها والقيام ضد هجوم الأعداء فضلا عن الغلبة والفتح بدون الموالاة و بمجرد الاكتفاء بموالاة المسلمين المعدودين وبمعاونتهم ؟ فالآية الكريمة أزالت هذه الإشكالية ورفعت التردد الوارد فيها بأن لا تنظروا إلى قلة العدد والعتاد في جانب المسلمين بل انظروا إلى قدرة الله تعالى التي هي مع المسلمين فيتحقق النجاح والغلبة لمن كان معه الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنون الصادقون. (تفسير عثماني)

سبب انحطاط المسلمين:

مفهوم الآية الكريمة أنه لو استقام المسلمون واجتنبوا عن المعاصي وتوكلوا على الله وعاشوا مطيعين لله ومتبعين بأوامر الله وقاتلوا الكافرين بالإخلاص لله لحصل لهم الغلبة وتحقق لهم الفتح ، ولو انهزموا بسبب من الأسباب أو بوجود النقص في تدبير من التدابير فهذا أمر آخر ، لأن الحرب سجال وتداول بين الناس ، ولا يفهم من ذلك أنه لا يُقتل أحد من المسلمين بيد الكافر ولا يُستشهد ، بل المراد بالغلبة هو تحقق الغلبة والفتح نتيجةً وثمرةً فلن ينهزم المسلم مهما بلغه من القتل والجرح والأذى إذ كان مطيعاً لله تعالى ومتبعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتاريخ خير شاهد على أن أهل الإيمان عندما كانوا متمسكين بالإيمان مقاتلين الكفار لوجه الله وإعلاء كلمة دينه تقدمت مسيرتهم إلى الفتح والغلبة ، وتكسرت بهم قوة القيصر والكسرى وارتفع رايتهم في الدول والبلدان وأخفق علمهم في كثير من المدن والممالك على وجه المعمورة إلى أن ضعف إيمانهم وتركوا العمل بما شرع لهم وفشا فيهم ما نهوا عنه ، وجعلوا حياة الدنيا مقصد حياتهم ومنتهى عيشهم ، ووالوا الكفار وأعداء دينهم ، فانحطت رايتهم و رخصت قيمتهم وانحطت منزلتهم ومرتبتهم هذا وفي جانب آخر وضع الكفار أساس الوحدة العالمية وأشركوا فيها المسلمين كعضوها ليسلبوا من المسلمين حرية فعلهم وتقييد عملهم فتفرقت كلمة المسلمين وتقطعت وحدتهم حتى بلغوا إلى قعر الذلة والمهانة فلم تبق لهم منزلة ولا مكانة ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ونقول لو تمسك المسلمون من جديد بشريعة ربهم ودخلوا في الإسلام كافة لصاروا حزب الله، وإن وعد الله لحزبه أنهم هم الغالبون. (تفسير أنوار البيان)

سبب الفتح والغلبة موجود و متوفر:

إن هذه الآيات البينات تبين سبب الفتح والغلبة للمسلمين وهو أن يهجروا موالاة الكفار ويقطعوا الصلة والصداقة من أعداء الله وأعداء رسوله (صلى الله عليه وسلم) ويحبوا الله تعالى بقلوبهم ويوفوا عهده بأبدانهم وأجسامهم ويتواضعوا مع أبناء دينهم وإخوان شريعتهم ، ويبتعدوا من أعداء الله ويتنفروا منهم ، ويحيوا الجهاد في سبيل الله ويقيموا سيره ولا يخافون في ذلك لومة لائم ويقيمون الوحدة الإسلامية على أساس طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخوة الإسلام فلو فعل المسلمون ذلك لأفلحوا في دنياهم وأخراهم وعلا علمهم في أدناهم وأقصاهم ورفرفت رايتهم وسما قدرهم حتى ليستولون على الدنيا كلها ويتحقق لهم الفتح والغلبة وصدق ما قال ربنا جل في علاه {وإن حزب الله هم الغالبون} فليجب على المسلمين أن يتصفوا بصفات حزب الله ليتم لهم الفتح والتمكين في الأرض . والله تعالى أعلم بالصواب.

سبب الفتح والغلبة ليس بصعب:

إن من اتصف من المسلمين بصفات حزب الله في الماضي كانوا من جنسنا وأبناء البشر مثلنا ، ولكن علت عزيمتهم وارتفعت جرأتهم وحميتهم على الدين الإسلامي ، وغضوا النظر من الدنيا وملذاتها وملهياتها ولهفوا على بقاء الآخرة ونعمها ففازوا سعادة الدنيا والآخرة ، فلو كانوا كسالى أمثالنا و احتالوا حيلاً واهنة ورأوا الإسلام شديداً وصعباً لم يصل هذا الدين الحنيف إلينا وإلى بعدنا ولكان دائرة الدين القيم محصورة في مدن معدودة وأمكنة محدودة ، ولكنهم لم ينظروا إلى الأحوال والظروف بل نظروا إلى حكم الله وأمره وقاموا متوكلين على الله معتمدين عليه حتى أنجز لهم الله تعالى ما أرادوا وحق لهم النصر والغلبة التي وعد لهم بها {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض} . والله تعالى أعلم بالصواب.

الأحوال كانت شديدة في الماضي:

قد يشكل على أحد فيقول أن الأزمنة تغيرت والأحوال تبدلت وليس بميسور الآن التمسك بشريعة الإسلام وكان عصر الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) غير الزمان الآن فشتان ما بينهما ؟ نقول وبالله التوفيق : تقلب الليل والنهار هو الزمان وهو الآن على نفس الكيفية ماكان ، فليعلم المسلم أن طريق الجنة مليئة بالأخطار والآلام ، وما واجه الصحابة رضي الله عنهم من المصائب والمتاعب لا يستطيع أن يتصورها المسلم اليوم ، وقول القائل "تغيرت الزمان وليس بميسور الآن التمسك بشريعة الإسلام" وأن إقامة الحرب ضد أعداء الإسلام والخروج في الجهاد في سبيل الله قصة ماضية انتهت صلاحيتها وفقدت قيمتها فلا توافق اليوم ومسيرة الحياة وتخالف هي نظام العالم ووو..... إلى غير ذلك من الأعذار والحيل التي تدور على ألسنة المسلمين وتهجس بها خواطرهم وتظهر في كلامهم وكتابهم فنقول :أنها باطل وفاسد لا صحة في هذه الحيل والأعذار ، فليعلم المسلم أن الإنسان لا يملك إلا نفسه ولا بد من روح الخروج منها في يوم من الأيام ، قد تخرج بالسيف والسنان وقد تخرج بالقنبلة والبندقية ، وقد تخرج بسبب آخر ، ولكنه لا بد من خروجها فلا بقاء إلا لله {كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} ، هذا ونقول أن قوات أعداء الإسلام من المشركين والكفار وغيرهما من الروم والفارس على عهد الصحابة(ψ) كانت أقوى من قوة أعداء الإسلام اليوم ضد الإسلام والمسلمين ، ولكنهم قاموا واستقاموا وجاهدوا فقاتلوا وقتلوا حتى أعلوا كلمة الله العليا ورفعوا راية الإسلام في أقصى الدنيا، وهزموا الأعداء وكسروا شوكتهم وفرقوا جمعهم وشتتوا شملهم لا بالعدد والعتاد بل بشريعة الإسلام والثقة بالله وجراءة إيمانية وغيرة دينية وحمية إسلامية ففازوا وأفلحوا وتركوا خير مثال وأحسن قدوة وأجود أسوة لمن بعدهم فلا تخافوا أيها المسلمون من القنابل الذرية وحداثة التكنالوجيا في الآلات والأسلحة ولا تخافوا من الطاقة النووية والقوات الجوية والبحرية والبرية ، لأن المسلم لا يخاف إلا الله وهو يثق بالله ويؤمن بالقضاء وقدر الله ولا يبيع دينه بعرض

من الدنيا أو بأنفاس معدودة لأنه دينه أغلى وأثمن من حياته ، ولا يخفى عليه أنه لا تزيد موالاته بالكفار عمره ولا تنقص عداوتهم شيئاً من حياته والأجل مقدر ومعين فلا يستقدم ساعة ولا يستأخر لحظة . والله تعالى أعلم بالصواب.

نسير مع من ؟:

قد يتساءل البعض أن المسلمين اليوم متفرقون في الدول والبلدان ومتشتتون في القوميات واللسان وتقطعوا أحزاباً وأفراداً فننضم مع من ونسير في خدمة الإسلام مع من ؟ ونركب في سفينة النجاة مع من ؟ فنقول وبالله التوفيق : أنه لم يخل زمان ولا مكان من التحزب وتعدد الفرق وليس هذا ابتلاء حديث ، فأولاً نقوم بإصلاح أنفسنا ونتوب من سيئآت أعمالنا ، ونُودِّع رأس الخطيئة من قلوبنا وهو حب الدنيا والانغماس في ملذاتها وملهياتها ، ونهتم بخدمة الإسلام ونجتهد لإعلاء كلمته ونقدم له نفسنا ونفيسنا وكل غال ورخيص ،فنضحي في سبيله بمالنا وحياتنا مخلصين لله تعالى مبتغين مرضاته ، سائلين الله التوفيق والسداد والقبول لذلك ، متضرعين إلى رب الأرباب وذلك خفية لا جهرة ورياء ، فلو فعلنا ذلك لفتح لنا الطرق وانكشف الغطاء من أعيننا ولسهل علينا الحصول على مبتغانا ، أما ما هي صفات المؤمنين حقاً وصدقاً فسبق ذكرها في الآية الكريمة (54) من هذه السورة، والانضمام مع أهل الدين الذين يجاهدون في سبيل الله ويشتغلون بمرضاة الله في قتال أعداء الله لفيه خير كثير ونفعه عظيم والتوفيق من عند الله تعالى .والله تعالى أعلم بالصواب.

نسخة سهل العمل:

إن العمل بما قلنا آنفاً بالإيجاز أن نصلح تيار أهوائنا، ونسأل أنفسنا : هل نريد الدنيا أم نريد الآخرة ؟ هل نريد رضا الله أم نريد الحياة الدنيا وراحتها و ملذاتها ؟ فإن كان مبتغانا ومنتهى مرضياتنا هو رضوان الله تعالى و النجاح في الآخرة فكل شيء هين ويسير ، فيمكن أن يقوم فرد واحد ضد أعداء الإسلام بأكملهم من الدنيا كلها ، وإن كان مبتغانا ومنتهى مرضياتنا ومقصود حياتنا هو الدنيا وطلبها فكل الأمر صعب وشديد حتى لا ترضى أن تبذل نفس بما عليها من واجب الزكاة مرة واحدة بالسنة ، فالأمر إلينا نختار الدين والآخرة أم نؤثر الحياة الدنيا على الآخرة مع أن الآخرة خير من الأولى وليعلموا أن [الدنيا جيفة وطلابها كلاب} نسأل الله تعالى أن يقينا من شرور أنفسنا وسيآت أعمالنا وإغواء الشيطان وذريته . آمين يا رب العالمين.

لا تزال طائفة على الحق:

إن الإسلام دين الحق والصدق ، والقرآن كتاب الحق والصدق {ذلك الكتاب لا ريب فيه} لن يكون أن يهجره الكل عملاً وإيماناً به ، ولم تخل الدنيا من عباد الله المخلصين البتة، فعلينا أن نبحث عن هؤلاء الأخيار والأبرار في ضوء القرآن وتوجيهاته ولنستعن بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى بأن يجمعنا معهم ويلحقنا بهم .{اللهم فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً و ألحقني بالصالحين} وما ذلك على الله بعزيز.

سورة المائدة مدنية : الآية {82}

بسم الله الرحمن الرحيم

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾

الملخص:

إن أشد أعداء المسلمين هم اليهود والمشركون، وأقرهم مودة هم النصارى الذين فيهم العلماء والقسيسون والرهبان الزهاد وهم لا يستكبرون ولا يتطاولون.

سبب نزول الآية الكريمة:

قال القرطبي رحمه الله تعالى:

...فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار، قال كفار قريش: إن ثأركم بأرض الحبشة، فاهدوا إلى النجاشي وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلوهم بمن قتل منكم ببدر، فبعث كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعه بهدايا، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين، وأرسل إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم.

ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة (مريم) فقاموا تفيض أعينهم من الدمع، فهم الذين أنزل الله فيهم " ولتجدن أقرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى " وقرأ " إلى الشاهدين " رواه أبو داود.

(تفسير القرطبي)

قال الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى:

لما ضاقت على المسلمين أرض مكة مع سعتها وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة غاية الأذى وبلغ السيل الزبى، وعيل كأس صبر هؤلاء أذن النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة ، فخرجوا حوالي ثمانين رجالا ونساءا ، وكان بالحبشة حاكم عادل وهو النجاشي ،فوصل هؤلاء وسكنوا بأرض الحبشة آمنين مطمئنين ،فلما رأت قريش أن قد أصاب هؤلاء بها داراً وقراراً وأمناً وطمأنينة أجمعوا على أن يبعثوا إلى النجاشي ليخرج المسلمين من بلاده وليردهم عليهم، فذهبت هذه البعثة إلى النجاشي وأغضبوه على المسلمين فقالوا له :

أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، فبعثنا إليك فيهم عشائرهم: آباؤهم، وأعمامهم، وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عيناً

فغضب ثم قال: لا لعمر الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم ولم أخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عيناً.

فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول، نقول والله ما نعرف، وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا كائن في ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب، فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه، فارقتم دين قومكم، ولا تدخلوا في يهودية ولا نصرانية، فما هذا الدين؟

فقال جعفر: أيها الملك كنا قوماً على الشرك: نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحل المحارم بعضنا مــن بعــض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمه، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فــدعانا إلى أن نعبــد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم، ولا نعبد غيره، فقال: هل معك شيء مما جاء به – وقد دعــا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله – ؟ فقال جعفر: نعم، قال: هلم فاتل علي ما جاء به، فقرأ عليه صدراً من كهيعص فبكا والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة الذي جــاء بها موسى، انطلقوا راشدين، لا والله لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عيناً، فخرجت هذه البعثة من عنده خائبة فلمــا كــان الغــد دخلت عليه مرة ثانية فقالوا:

أيها الملك! إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، فدخلوا عليه، وعنده بطارقته، فقال: مــا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول: هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العــذراء البتــول، فــدلى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عويداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود ،والله إذهبــوا فــأنتم شــيوم بأرضي، (والشيوم: الآمنون) ومن سبكم غرم، ومن سبكم غرم، ومن سبكم غرم، ثلاثاً، ما أحب أن لي دبيراً، وأني آذيت رجلاً منكم، (والدبير بلسانهم الذهب)وقال النجاشي لوفد قريش :اخرجوا من بلادي، فخرجوا مقبوحين وخاسرين ، وفي هذه القصــة نزلت الآية .

الملاحظة :

ذكرت هذه القصة بتمامها وتفاصيلها في سيرة ابن اسحاق عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها . (مأخوذ من تفسير موضح القــرآن بإضافة كثيرة)

أخذ جانب اللين على وجه المشروط:

إن عداوة اليهود من المسلمين واضحة وبينة لا يخلو منها زمان ولا مكان ولا تزال هذه العداوة قائمة في يومنا هذا بشدها ومــدها ، وليعلم المسلم أن استئصال اليهود بالكلية سيتم بأيدي المسلمين قرب يوم القيامة كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة ، أمــا أمر النصارى من حيث العداوة والصداقة فهو مشروط بالشروط الثلاثة وهي كالآتي:

1- وجود القسيسين فيهم الذين هم أهل العلم فيهم .
2- وجود تاركي الدنيا فيهم وهم الرهبان (الزهاد) فكان حب الدنيا عندهم بقدر يسير .
3- وجود صفة عدم الاستكبار فيهم .

فكلما توجد فيهم هذه الصفات المذكور أعلاه لاقتربوا إلى المسلمين ولسمعوا الحق منهم وقبلوه ، وكلمــا فقــدت هــذه الصفات فيهم ليكون حالهم حال المشركين واليهود مع المسلمين عداوةً وصداقةً كما هو حالهم اليوم أنهم يعادون الإســلام والمسلمين بشكل عام، نعم إلا أن هناك سيكون الوفاق والاتحاد بين النصارى والمسلمين في بعض الحروب الكبرى قبل يــوم القيامة ثم يتقطع هذا الاتحاد فيتحاربون فيما بينهم . والله تعالى أعلم بالصواب.

قال الشيخ عثماني رحمه الله تعالى:

بُيِّنت في هذه الآيات حال طائفة خاصة للنصارى لا أن في الآية إخبار عن علاقات هذه الطوائف الثلاثة مع الإسلام و المســلمين بهذا الشكل المذكور في الآية إلى يوم القيامة ، وأين اليوم في النصارى قسيسون ؟ وأين فيهم الرهبان والزهاد ، وأين فيهم مــن لا يستكبر بل يتواضع وينكسر ؟ وأين فيهم من يبكي بسماع تلاوة الكتاب الحكيم ؟ فعلم بذلك أن علة القربة انعدمت فيهم فلا تظهر منهم مودتهم للمسلمين ، وكلما وجدت فيهم هذه الصفات يتعامل معهم وفقها من حيث العداوة والصداقة في ضوء تعاليم الإسلام . (تفسير عثماني)

مصير حب الدنيا:

قال الرازي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة:

إن كفر النصارى أغلظ من كفر اليهود لأن النصارى ينازعون في الإلهيات وفي النبوّات ، واليهود لا ينازعون إلا في النبـــوات ، ولا شك في أن الأول أغلظ ، ثم إن النصارى مع غلظ كفرهم لما لم يشتد حرصهم على طلب الدنيا وأما اليهود مع أن كفـــرهم أخف في جنب كفر النصارى طردهم وخصهم الله بمزيد اللعن وما ذاك إلا بسبب حرصهم على الدنيا ، وذلك ينبهك على صحة قوله صلى الله عليه وسلم : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

استفاد من هذه النكتة أن القوم الذي أبتلي بحب الدنيا أكثر، تكون عداوته مع المسلمين أزيد وأضعف، وأن إن وجد حب الدنيا في المسلمين لتزل بهم إلى الذلة والمهانة وغلب عليهم كل مهين وذليل . والعياذ بالله من الذلة بعـــد العـــزة . والله تعـــالى أعلـــم بالصواب وإليه الملجأ و المآب.

دعاء :

اللهم ارزقنا حبك وقنا حب الدنيا وأصلح حالنا وحال المسلمين وانصرهم على عدوك وعدوهم يا قوي يا مـــتين يـــا ذا الجـــلال والإكرام آمين يا أرحم الرحمين ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد العالمين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله الطاهرين وأزوجه أمهات المؤمنين وأصحابه البررة العادلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .